

الحبيب في القرآن الكريم



مجلس حكماء المسلمين
Muslim Council of Elders

الحب في القرآن الكريم

تَأليف

الأمير غازي بن محمد بن طلال الهاشمي

عضو مجلس حكماء المسلمين



الطبعة الحادية عشر
1439هـ / 2018 م.

مُتَعَهِّد الطبع:



دار القدس العربي، القاهرة

البريد الإلكتروني:

dar.quds@gmail.com

هاتف: +20 1063652342

+202 25932057

فاكس: +202 25929153

تصميم الغلاف:

وائل حسن

ميديا بيكتشرز للدعاية والإعلان

هاتف: +20 1113354001

البريد الإلكتروني:

wael@mediapictures-eg.com



مجلس حكماء المسلمين
Muslim Council of Elders

الإمارات العربية المتحدة

ص.ب. ٧٦٩٥٦٤ أبوظبي

هاتف: +971 2 30 73 777

فاكس: +971 2 44 12 054

البريد الإلكتروني: info@muslim-elders.com

الموقع الإلكتروني: www@muslim-elders.com

فهرست الهيئة المصرية العامة

لدار الكتب والوثائق القومية:

الهاشمي، غازي بن محمد بن طلال

الحب في القرآن الكريم

ط - 11 القاهرة: دار القدس العربي،

1439هـ / 2018 م.

مقاس 24 × 15 سم.

عدد الصفحات: 544

1 - علم التفسير

3 - التصوف الإسلامي

4 - العنوان

رقم الإيداع: 2015 / 25319

الترقيم الدولي: 978-977-6460-39-3

[يُبَاعُ هَذَا الْكِتَابُ بِسَعْرِ رَمِزِيٍّ وَعَائِدُهُ مُخَصَّصٌ لَطَبَاعَةِ كُتُبِ أَهْلِ السُّنَنِ وَالْجَمَاعَةِ]

(الآراء الواردة في الكتاب لا تُعَبَّرُ بالضرورة عن رأي مجلس حكماء المسلمين)

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة للمؤلف؛ ويُحظَرُ إعادة إصدار هذا الكتاب، ويُمنَعُ نَسْخُهُ أو استعمال أي جزء منه، بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مُدَجَّجَةٍ، أو أي وسيلة نشرٍ أُخْرَى، بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها، إلا بموافقة المؤلف خطياً.

No parts of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, recording or otherwise, without the prior permission of the publishers.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَالَمِينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَالَمِينَ مَا لَكَ يَوْمَ الدِّينِ أَمْ لَكَ عَبْدًا وَإِلَّا
نَسْتَعِينُ أَهَذَا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

(آمين)

وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ

(البقرة: ٢ : ١٦٥)

الفهرسُ الإجماليُّ للكتاب

ص ٧	الفهرسُ الإجماليُّ
ص ١٣	ملاحظات على الطبعة العاشرة المزيده المنقحة
ص ١٥	ملخص تنفيذي

باب المقدمات

ص ٤١	١. الفصل الأول: تمهيد: أهداف ومنهج هذه الرسالة
ص ٤١	المطلب الأول: الأهداف
ص ٥٠	المطلب الثاني: المنهج في هذه الرسالة
ص ٥٣	٢. الفصل الثاني: مقدمة: سر الحب
ص ٥٥	٣. الفصل الثالث: تعريف الحب

الباب الأول: الحب الإلهي

ص ٦٧	٤. الفصل الأول: الله ﷻ والحب
ص ٦٧	الحب كصفة إلهية
ص ٦٩	الحب والرحمة باعتبارهما من الذات الإلهية
ص ٧٧	٥. الفصل الثاني: الحب أصل الخلق
ص ٨٧	٦. الفصل الثالث: الكون والحب
ص ٩٣	٧. الفصل الرابع: حب الله ﷻ للناس
ص ٩٣	المطلب الأول: فضل الله ﷻ ووجهه للناس عامة
ص ٩٦	المطلب الثاني: حب الله ﷻ الخاص للفاضلين

- المطلب الثالث: الترتيب الهرمي للفاضلين ص ١٠٢
- المطلب الرابع: عطاء الله ﷺ لكل الناس ص ١٠٩
٨. الفصل الخامس: حبّ الله ﷻ لرسله وأنبيائه ص ١١١
- المطلب الأول: الأنبياء ص ١١١
- المطلب الثاني: الرسل ص ١١٢
- المطلب الثالث: "أولو العزم" من الرسل ص ١١٦
- المطلب الرابع: حبيب الله ﷻ ص ١٢٢
٩. الفصل السادس: الذين لا يحبهم الله ﷻ ص ١٢٧

الباب الثاني: حبّ الرسول ﷺ

١٠. الفصل الأول: حبّ الرسول ﷺ لله ﷻ ص ١٣٩
١١. الفصل الثاني: حبّ الرسول ﷺ للمؤمنين ص ١٤١

الباب الثالث: حبّ الإنسان

١٢. الفصل الأول: حبّ الإنسان لله ﷻ ص ١٤٧
- المطلب الأول: لِمَ يجب على الإنسان أن يحب الله ﷻ ص ١٤٧
- المطلب الثاني: كيف يجب على الإنسان أن يحب الله ﷻ؟ ص ١٥٢
- المطلب الثالث: النوايا والدوافع التي يجب أن تكون لدى الانسان في حبّ الله ﷻ ص ١٦٠
- المطلب الرابع: حبّ ما يذكرّ بالله ﷻ ص ١٦٧
١٣. الفصل الثاني: حبّ المؤمن للرسول ﷺ ص ١٧٣
١٤. الفصل الثالث: حبّ قربي الرسول ﷺ وأهل بيته ص ١٨١

الأطهار

- ١٥ . الفصل الرابع: أثر حبّ الله ﷻ على الإنسان ص ١٩٣
- ١٦ . الفصل الخامس: الحبّ العائلي ص ٢١١
- ١٧ . الفصل السادس: حبّ الآخرين (الناس جميعاً، وأهل الكتاب، والمؤمنين، والأصدقاء) ص ٢٢٣
- المطلب الأول: حبّ الناس جميعاً ص ٢٢٣
- المطلب الثاني: حبّ أهل الكتاب ص ٢٣٢
- المطلب الثالث: حبّ المؤمنين ص ٢٣٥
- المطلب الرابع: حبّ الأصدقاء ص ٢٣٧
- ١٨ . الفصل السابع: الحبّ الزوجي والحبّ الجنسي ص ٢٤١
- المطلب الأول: حاجة الزوجين لبعض في النسل ص ٢٤٤
- المطلب الثاني: الحبّ الزوجي غير الجسماني و"أزواج النفس" ص ٢٤٥
- المطلب الثالث: الحبّ الزوجي الجنسي ص ٢٤٩
- المطلب الرابع: الحبّ الزوجي الروحي ص ٢٥٣
- المطلب الخامس: الحفاظ على الحبّ الزوجي ص ٢٥٧
- ١٩ . الفصل الثامن: الحبّ والزنا ص ٢٦٣
- ٢٠ . الفصل التاسع: الحبّ والنظر ص ٢٦٧

الباب الرابع: الحبّ

- ٢١ . الفصل الأول: أنواع الحبّ ص ٢٧١
- ٢٢ . الفصل الثاني: مراحل الحبّ ص ٣١٣
- المطلب الأول: مراحل حبّ الناس لله ﷻ وحبّ ص ٣١٣

الناس للناس

- ص ٣٣٣ المطلب الثاني: مراحل حبّ الناس لله ﷺ
- ص ٣٤٨ المطلب الثالث: مراحل حبّ الناس للناس
- ص ٣٦١ الفصل الثالث: الوقوع في الحبّ . ٢٣
- ص ٣٦١ المطلب الأول: مكونات الإنسان وملكاته
- ص ٣٧٠ المطلب الثاني: سر الوقوع في الحبّ
- ص ٣٧٥ الفصل الرابع: نمو الحبّ . ٢٤
- ص ٣٧٥ المطلب الأول: كيف ينمو الحبّ؟
- ص ٣٧٩ المطلب الثاني: كيف نتحكم في حينا؟
- ص ٣٨٥ الفصل الخامس: دائرتا الحبّ . ٢٥
- ص ٣٩٥ الفصل السادس: مثلث الحبّ . ٢٦
- ص ٣٩٥ المطلب الأول: لِمَ يحتاج الحبّ الى تزيّن مُسبق؟
- ص ٤٠٢ المطلب الثاني: كيف يصل الإنسان إلى معرفة ربه؟
- ص ٤١١ الفصل السابع: مراتب الجمال والحبّ . ٢٧
- ص ٤١١ المطلب الأول: مواطن ومراتب الجمال
- ص ٤١٧ المطلب الثاني: مراتب الحبّ
- ص ٤٢٣ الفصل الثامن: نقيضا الجمال والحبّ . ٢٨
- ص ٤٢٣ المطلب الأول: نقيض الجمال (البشاعة والقبح)
- ص ٤٢٤ المطلب الثاني: نقيض الحبّ (الكره والبغض)
- ص ٤٢٩ الفصل التاسع: انتهاء الحبّ . ٢٩
- ص ٤٢٩ المطلب الأول: حبّ الله ﷻ للناس
- ص ٤٣٠ المطلب الثاني: حبّ الناس لله ﷻ
- ص ٤٣٤ المطلب الثالث: حبّ الناس لغير الله ﷻ

٣٠. الفصل العاشر: طبيعة الحبّ ص ٤٣٩
- المطلب الأول: الحبّ في تغير دائم ص ٤٣٩
- المطلب الثاني: حاجة الحبّ ص ٤٤١
- المطلب الثالث: خصوصية الحبّ ص ٤٤١
- المطلب الرابع: قدرة الحبّ ص ٤٤٢
٣١. الفصل الحادي عشر: الحبّ والسعادة ص ٤٤٥
٣٢. الفصل الثاني عشر: الحبّ والجمال في الجنة ص ٤٥١

الباب الخامس: المحبوب (الجمال واللّقاء والرضوان)

٣٣. الفصل الأول: الجمال والحُسن ومكوناتهما ص ٤٥٧
- المطلب الأول: معنى "الجمال" ومعنى "الحُسن" ص ٤٥٧
- المطلب الثاني: مكونات الجمال والحُسن ص ٤٥٨
٣٤. الفصل الثاني: الدّوق ص ٤٦٣
٣٥. الفصل الثالث: طبيعة الجمال ص ٤٦٧
- المطلب الأول: موضوعية الجمال ص ٤٦٧
- المطلب الثاني: قدرة الجمال ص ٤٦٧
- المطلب الثالث: طريقة تأثير الجمال ص ٤٦٨
- المطلب الرابع: فائدة الجمال (والحبّ) ص ٤٧١
٣٦. الفصل الرابع: الحبّ والموت ص ٤٧٥
- المطلب الأول: موت "النفس الأمّارة بالسوء" ص ٤٧٥
- المطلب الثاني: موت "النفس الأمّارة بالسوء" من خلال حبّ الله ﷻ ص ٤٨٠
- المطلب الثالث: عذاب النفس التي تُحب ولا ص ٤٨١

تموت بالله ﷺ

- ص ٤٨٢ المطلب الرابع: الحياة بالله ﷺ بعد موت النفس
- ص ٤٨٧ .٣٧ الفصل الخامس: اللقاء والرضوان
- ص ٤٩٣ .٣٨ الفصل السادس: المقصود الحقيقي وراء كل حبّ

باب خاتمة الرسالة

- ص ٤٩٩ .٣٩ خاتمة واستنتاج
- ص ٥٠١ .٤٠ ملخص الفصول
- ص ٥١٧ .٤١ المراجع
- ص ٥١٧ القرآن الكريم
- ص ٥١٧ كتب التفسير
- ص ٥٢٢ كتب السنة
- ص ٥٢٤ كتب السيرة
- ص ٥٢٥ كتب علوم القرآن
- ص ٥٢٥ كتب المعاجم اللغوية
- ص ٥٢٦ كتب أخرى لعلماء المسلمين
- ص ٥٣٠ مراجع أخرى
- ص ٥٣١ مراجع أولية باللغتين الإنجليزية والفرنسية
- ص ٥٣٣ مراجع ثانوية باللغتين الإنجليزية والفرنسية
- ص ٥٣٩ .٤٢ أقوال علماء الأمة في هذه الرسالة

ملاحظات على الطبعة العاشرة المزيّدة المنقّحة، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م

هذه الطبعة "العاشرة" من الحبّ في القرآن الكريم تحتوي على عدد من التغييرات التي اتضحت على مدى العامّين اللذين فصلنا ما بين الطبعتين الأخيرتين : (١) عدد من التصحيحات على النصّ والمراجع والهوامش؛ (٢) عدد من الآيات القرآنية التي أُضيفت من أجل الاكتمال؛ (٣) الإسهاب في بعض القضايا المهمة وذلك إلى درجة كبيرة بسبب النقاشات التي تلت محاضراتي عن الكتاب في جامعات مختلفة على مدى العامّين الماضيين، ومن هذه النقاشات معنى "شيء" (الهامش رقم ١٢ في باب المقدّمات؛ الفصل الأول)؛ والفرق بين الحبّ والرحمة (الفصل الثالث)؛ والإشارات في القرآن الكريم إلى وجه الله ونفس الله ﷻ (الهامش رقم ٢٤ في الباب الأول؛ الفصل الأول)؛ ومسألة أن يحب المرء أعدائه (الهامش رقم ٦٨ في الباب الثاني؛ الفصل الثاني)؛ والتماثل الكوني (الكون الأكبر والكون الأصغر) (الهامش رقم ٨١ في الباب الثالث؛ الفصل الأول)؛ التفسيرات المختلفة للكلمتين القرآنيتين المهمتين "عَلَى حُبِّهِ" (البقرة: ٢: ١٧٧) (الهامش رقم ٧٠ في الباب الثالث؛ الفصل الأول)؛ والغيرة (الباب الرابع؛ الفصل الثاني)؛ وملكات الإنسان (الباب الرابع؛ الفصل الثالث)؛ و(٤) زدنا "الألفة" كنوع من أنواع الحبّ المذكورة في القرآن الكريم ليصبح مجموعها ٣٨ نوعاً (انظر الباب الرابع؛ الفصل الأول) - وقد كانت "الألفة" موجودة في مسوداتي الأصلية للكتاب ولكن تمّ حذفها أثناء عملية تأليف الكتاب؛ (٥) أضفنا عناوين فرعية لبعض الفصول لتوضيح موضوعها؛ (٦) أضفنا مطلباً جديداً تماماً في نهاية فصل "الحب الزوجي" (الباب الثالث؛ الفصل السابع)؛ (٧) وأهمّ إضافة في الطبعة العاشرة هي أننا أضفنا إلى بداية الكتاب ملخصاً تنفيذياً يستند بشكل قاطع على كتاب "الحبّ في القرآن الكريم". والانتقادان

غازي بن محمد بن طلال

اللذان كانا الأكثر شيوعاً للكتاب هما اتساع نطاقه والحاجة إلى تبسيطه أو تقديم موضوع الكتاب بطريقة أفضل. أملي أن تُلبّي هذه الطبعة هاتين الحاجتين، إن شاء الله ﷻ.

غازي بن محمد، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م

الحب في القرآن الكريم
ملخص تنفيذي لـ **الحب في القرآن الكريم**

تمهيد

يقول الله ﷻ حكاية عن سيدنا يوسف عليه السلام: **أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالَ الْإِنْسَانِ الَّذِي قَطَّعَ أَيْدِيَهُنَّ** (يوسف، ١٢: ٥٠). أي بمعنى آخر: ما بال النساء اللاتي شَعَفَهُنَّ الحب؟ وبالتالي ما حال المحبين، بالخير أو بالشر؟ ومن ثم، ما هو الحب؟

ولا نعلم أحداً من المسلمين أو من العلماء أجاب على هذا السؤال الربّاني في القرآن الكريم بتمامه، مع أن الجواب في القرآن الكريم يقيناً. يقول الله ﷻ: **لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّالِينَ** ﴿١٢﴾ (يوسف، ١٢: ٧).

فما الجواب على هذا السؤال؟ زليخة نفسها وسيدنا يوسف عليه السلام هما اللذان يبيان على هذا السؤال ولو باختصار. فاختصار زليخة في الرد على السؤال **إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي** (يوسف، ١٢: ٥٣)، أي بمعنى آخر، إن حال المحبين بالسوء هو مِنَ النفس الأمارة بالسوء، أما بالنسبة لـ "إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي" ففيها الإشارة إلى سيدنا يوسف نفسه إذ قال: **رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ وَمِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ** (يوسف، ١٢: ٣٣). وبمعنى آخر: "أحبُّ أن أكون في السجن، ولا أحب أهواء وشهوات النفس الأمارة بالسوء. ففي السجن أختلي مع الله وأعبده من غير انقطاع، وهذا هو الذي أحبه، فلذلك قلت: "السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ" ولم أقل: "السجن أفضل إلي".

وهذا حال "النفس المطمئنة" - وَمَنْ مُطْمَئِنِّ السِّجْنِ أَكْثَرَ مِنْ سَيِّدِنَا يُوسُفَ عليه السلام؟ ويقول الله سبحانه: **يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ** ﴿١٢﴾ **أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً** ﴿١٣﴾ **فَادْخُلِي فِي عِبَادِي** ﴿١٤﴾ **وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴿١٥﴾ (الفجر، ٢٧-٣٠).

فيما يلي نسعى أن نجيب على هذا السؤال في القرآن العظيم عن الحبّ بالتفصيل، ونغوص في البحر الذي لا ينفد من كلمات الله عن أهم حاجة للإنسان وهي الحبّ، بدايةً من حبّ الله. ونسأل الله تعالى التوفيق.



الحب في القرآن الكريم ينطلق من التوكيد الموجود في القرآن الكريم نفسه أن الله ﷻ **صَرَفَ وَضَرَبَ** في القرآن " **مِنْ كُلِّ مَثَلٍ** " (الإسراء، ١٧: ٨٩؛ الكهف، ١٨: ٥٤؛ الروم، ٣٠: ٥٨؛ الزمر، ٣٩: ٢٧)؛ وأن القرآن " **تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ** " (النحل، ١٦: ٨٩)؛ ويحتوي على " **تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ** " (يوسف، ١٢: ١١١). ويُفهم هذا على أنه يشير ليس فقط إلى العلوم الدينية الأساسية للعقيدة الإسلامية، وعلم الكلام والشريعة والشعائر والأخلاق، بل يشير أيضاً إلى جميع الموضوعات الرئيسية للفلسفة مثل: الحبّ، واللغة، والوقت، والمنطق، والإدراك، والأخلاق، وعلم النفس، وعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا)، وعلم المعرفة، ودراسة نظريات تفسير النصوص (الهرمنيوطيقا)، وعلم الكون، وما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا)، وعلم الأحلام وهلم جراً. ولغايات هذا الموجز سُنقَسَم الموضوع إلى أربعة أجزاء: (١) الحبّ الإلهي؛ (٢) حبّ الإنسان؛ (٣) الحبّ و(٤) الجمال.

(١): الحبّ الإلهي

في القرآن الكريم إن الحبّ ليس فقط من أعمال أو أفعال الله ﷻ، بل من صفاته ﷻ ومن أسمائه الحسنی. فاسم الله "الودود" جاء في القرآن الكريم مرتين:

وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّ رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٤٠﴾ (هود، ١١: ٩٠)

وَهُوَ الْعَفْوَ وَالْوَدُودُ ﴿٤١﴾ (البروج، ٨٥: ١٤)

والكثير من أسماء الله الحسنى تدل على صفات الله ﷻ التي لها علاقة بالحب، مثل اسمه ﷻ: " اللطيف"، و" الرؤوف"، و" الكريم"، و" الحليم"، و" الوكيل"، و" الولي" و" البر"، و" الغفور"، و" الغفار"، و" التواب"، و" العفو" وغيرها. ونرى حقيقة هذا بشكل خاص من خلال اسمي الله ﷻ " الرحمن" و" الرحيم"، فجزءهما هو "ر-ح-م" مما يوحي بالرحمة والحبّ سوياً. وهكذا فإن الحبّ الإلهي لا يمكن فصله عن الرحمة الإلهية وفعالاً فإن الحبّ يأتي مع الرحمة، والرحمة تأتي مع الحبّ عادة مع أنه من الواضح أنهما لا يعينان نفس الشيء.

وهذا يعني أيضاً أن الحبّ الإلهي مفهوم ضمناً مرتين - بالإضافة إلى ذكر الرحمة الإلهية مرتين - في بداية القرآن الكريم نفسه وفي بداية كل سورة من سوره المائة والأربع عشرة باستثناء سورة التوبة.

وبما أن الله ﷻ يقول في القرآن الكريم " ... كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ... " (الأنعام: ٦٤: ١٢)، فهذا يعني أن الرحمة ومعها الحبّ من صفات الله ﷻ ومن أسماء الذات الإلهية.

والله ﷻ هو " الرَّحْمَنُ"، وخلق العالم والإنسان من الرحمة. يقول ﷻ:

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ (الرحمن، ٥٥: ١-٤)

هذا يعني أن الله ﷻ خلق العالم والإنسان من الحب أيضاً. والله ﷻ يجب كل شيء خلقه (باستثناء الكافرين والظالمين والمشركين والمنافقين، كما سنناقشه إن شاء الله) قبل وأكثر مما تحبه مخلوقاته.

كما أن الله ﷻ خلق الإنسان من أجل الرحمة. يقول ﷻ:

... **إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ** ... (هود، ١١: ١١٩)

فهذا يعني أن الله خلق العالم والإنسان من أجل الحب أيضاً. أي أن الله ﷻ خلق العالم والإنسان من الحب ومن أجل الحب.

ولهذا فإن كل الخلق، وبين جميع المخلوقات، فقط الإنسان العاصي لا يحب الله ﷻ في نفسه العاصية لكن كل أجزائه المُسَبَّحة تحمد الله ﷻ وبالتالي تحبه. يقول ﷻ في القرآن الكريم:

تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١١﴾ (الإسراء، ١٧: ٤٤)

كل ما في السماوات وما في الأرض يسبح بحمد الله تسيحاً وحمداً فطرياً. وحتى الإنسان العاصي الذي لا يحب الله ﷻ في نفسه العاصية يحب الله في أجزائه المُسَبَّحة تحمد الله ﷻ وبالتالي تحبه.

أما بالنسبة للإنسان بالتحديد، فيمكننا أن نرى حبَّ الله ﷻ للإنسان أولاً من خلال أفضال ونعَم الله ﷻ التي لا تحصى على الإنسان في خلقه ومَلَكَاتِهِ وذكائه وخاصة في إمكانية معرفة الإنسان لله ﷻ وذلك من خلال هداية الله له. يقول الله ﷻ:

وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦﴾ (النحل، ١٦: ١٨)

الله ﷻ يحبُّ بشكل خاص الذين يتحلَّون بأجل النفوس، ابتداءً بأفضل هؤلاء وأكثرهم فضيلة وهم الرسل والأنبياء والذين يقول عنهم الله ﷻ:

أما بالنسبة لخاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد ﷺ، فيقول الله ﷻ إنه أرسله رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (الأنبياء، ٢١: ١٠٧) وإن الله يُحِبُّ (يُحِبُّكُمْ) الذين يتبعونه ﷺ (آل عمران، ٣: ٣١)، وهذا يدل على أن سيدنا محمد ﷺ هو "حبيب الله" كما هو مذكور بشكل صريح في الحديث الشريف^١.

ويذكر الله ﷻ ثمانية أصناف من الناس يحبهم:

- (١) "المتوكلين" (آل عمران، ٣: ١٥٩)؛
- (٢) "المطهرين" أو "المطهرين" (البقرة، ٢: ٢٢٢؛ التوبة، ٩: ١٠٨)؛
- (٣) "التوايين" (البقرة، ٢: ٢٢٢)؛
- (٤) "المقسطين" (المائدة، ٥: ٤٢؛ الحجرات، ٤٩: ٩؛ الممتحنة، ٦٠: ٨)؛
- (٥) "الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص" (الصف، ٦١: ٤)؛
- (٦) "الصابرين" (آل عمران، ٣: ١٤٦)؛
- (٧) "المتقين" (آل عمران، ٣: ٧٦)؛
- (٨) "المحسنين" (البقرة، ٢: ١٩٥؛ آل عمران، ٣: ١٣٤؛ آل عمران، ٣: ١٤٨؛ المائدة، ٥: ١٣؛ المائدة، ٥: ٩٣).

وفي الخلاصة، مع أن عطاء الله ﷻ الكريم يصل إلى كل شيء بغض النظر عن هل يستحق ذلك أم لا، فإن الله يحب بشكل خاص المحسنين والذين يتحلون بالنفوس الجميلة بدرجات معينة حسب درجة إحسانهم وجمال نفوسهم. يقول ﷻ:

١ قال رسول الله ﷺ: ((أنا حبيب الله ولا فخر)). رواه الدارمي في سننه رقم ٤٧ في المقدمة، والترمذي في سننه رقم ٣٦١٦ في كتاب المناقب.

... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٦﴾ (الحجرات، ٤٩: ١٣)

ويذكر الله ﷻ في القرآن الكريم اثنا عشر صنفاً من الناس لا يحبهم الله ﷻ:

- ١) " الكافرين " (آل عمران، ٣: ٣٢؛ الروم، ٣٠: ٤٥)؛
- ٢) " كل كفار أثيم " (البقرة، ٢: ٢٧٦)؛
- ٣) " المعتدين " (البقرة، ٢: ١٩٠؛ المائدة، ٥: ٨٧؛ الأعراف، ٧: ٥٥)
- ٤) " المختال الفخور " أو " كل مختال فخور " (النساء، ٤: ٣٦؛ لقمان، ٣١: ١٨؛ الحديد، ٥٧: ٢٣)؛
- ٥) " الخوّان الأثيم " (النساء، ٤: ١٠٧)؛
- ٦) " كل خوّان كفور " (الحج، ٢٢: ٣٨)؛
- ٧) " الخائنين " (الأنفال، ٨: ٥٨)؛
- ٨) " المفسدين " (المائدة، ٥: ٦٤؛ القصص، ٢٨: ٧٧)؛
- ٩) " المسرفين " (الأنعام، ٦: ١٤١؛ الأعراف، ٧: ٣١)؛
- ١٠) " الفرحين " (القصص، ٢٨: ٧٦)؛
- ١١) " الظالمين " (آل عمران، ٣: ٥٧؛ آل عمران، ٣: ١٤٠؛ الشورى، ٤٢: ٤٠)؛
- ١٢) " المستكبرين " (النحل، ١٦: ٢٣).

وإضافة إلى ذلك لا يجب الله ﷻ العمل السيء، أو شره مثل الجهر بالسوء من القول (النساء، ٤: ١٤٨) والفساد (البقرة، ٢: ٢٠٥).

والله ﷻ لم يذكر مرة واحدة في القرآن الكريم أنه يكره أحداً، أو حتى أنه يكره أي صنف من الكافرين. الله ﷻ يقول فقط إنه " لا يحبهم " : وانعدام

الحبّ شيء محايد، ونقيض الحبّ هو الكره. والله ﷻ لا يقول أبداً إنه لا يحب هؤلاء كأشخاص بحد ذاتهم، وإنما لا يحبهم كأشخاص يتمثلون بمخالف سيئة. وكذلك ذكر الله ﷻ أن "سيئة" بعض الأعمال هي "مكروهة" عنده^٢ وإنه يوجد في كل هذا لعن إلهي، وغضب إلهي، وعذاب شديد، وعدم حبّ لهم من قبل الله ﷻ، ولكن هذا لا يستوي مع الكره لأنه يمكن لهذه الأمور أن تأخذ مجراها يداً بيد مع الرحمة والحبّ - وهذا أمر يستطيع أن يشهد عليه الكثير من الآباء والأمهات - والله ﷻ قال إن سيئات المعاصي عنده مكروهة وليس العاصي بعينه.

والله ﷻ لم يأمر بمعاقبة الارتداد عن الدين، بل يقول إنه إذا ارتد أحد عن دينه، فإن الله ﷻ سوف يأتي بقوم يحبهم ﷻ ويحبونه:

يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ رَحِيمٍ وَيُحِبُّونَهُ ...

(المائدة: ٥٤)

ومما سبق يمكننا الاستنتاج أن حبّ الله ﷻ هو: أولاً، هبة الوجود وأفضال ونعم الله ﷻ التي لا تعد ولا تحصى لكل شيء في الوجود بلا مقابل، وثانياً، حبّ الجمال. فكما جاء في الحديث الشريف:

«إن الله جميل يحب الجمال»^٣.

(٢): حبّ الإنسان

في هذا الباب سنلخص عدداً من الموضوعات التي لها علاقة بحب

^٢ يقول الله ﷻ:

وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ لَهُمْ قَاعِدُوا مَعَ الْعَقِيدِينَ ﴿٤١﴾ (قوله: ٤١)

وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿١٢٥﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿١٢٦﴾

(الزمر: ١٧، ٣٧ - (الزمر: ١٧، ٢٢-٣٦).

^٣ صحيح مسلم، رقم ٩٩، كتاب الإيمان.

الإنسان، ومنها: (أ) تعريف حبّ الإنسان؛ (ب) حبّ الإنسان لله ﷻ (ومن ضمن ذلك مسألة الحبّ/الأشد؛ (ج) حبّ المؤمن للرسول ﷺ وحبّ الأشياء المقدسة؛ (د) الحبّ العائلي؛ (هـ) حبّ الآخرين؛ (و) الحبّ الزوجي والحبّ الجنسي؛ و(ز) الحبّ والزنا.

(أ) تعريف حبّ الإنسان

يمكن تعريف حبّ الإنسان ببساطة على أنه "ميل، من بعد الإعجاب، إلى الحُسن". وهذا التعريف استنبطناه من آيتين كريمتين في القرآن الكريم يقول فيهما الله عن الحبّ الزوجي:

... فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ (النساء: ٤٩: ١٢٩)

و :

... وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ... (الأحزاب: ٣٣: ٥٢)

تصف الآية الكريمة الأولى الحبّ بعد أن ينضج ويتطور. أما الآية الكريمة الثانية فتصف بداية الحب. وسوياً، تصف الآيتان بداية وتطور ونضوج الحب. ووصف بداية وتطور ونضوج أمر ما يعني وصفه بالكامل. فمن خلال وضع هاتين الآيتين الكريمتين سوياً، يمكننا وصف الحب. ولكن هاتان الآيتان كلمات الله ﷻ وليست كلمات بشر، وبما أن الله ﷻ يعلم كلّ شيء، فيمكننا أخذ هذا الوصف للحب على أنه تعريف. إذاً فيمكننا أن نعرّف الحبّ على أنّه: "ميل، من بعد الإعجاب، إلى الحُسن" .. واختلف العلماء فيما إذا يمكن تعريف ومعرفة الحبّ حقاً من خلال الكلمات، فنقول إن هذا التعريف لا يُعطي الشعور بتجربة الحبّ بل يعطي فقط كيف يمكن تمييز ومعرفة الحبّ وطبيعته.

الحب يستدعي محبوباً، والكثير من المحبوبين المذكورين في القرآن الكريم. وهناك مراتب ودرجات للمحبوبين وأرفعها وأعلاها مرتبة (بالترتيب

التنازلي): حبّ الله ﷻ؛ حبّ رسول الله ﷺ وكل ما هو مقدس بما في ذلك الجنة؛ الحبّ الزوجي والحبّ الجنسي؛ الحبّ العائلي؛ حبّ الآخرين؛ حبّ الخير والجمال (من الطبيعة إلى الكلمات والشعر إلى العالم بشكل عام).

وهناك أنواع سفلى من الحب. وهذه تتضمن (بالترتيب التنازلي): حبّ الدنيا والمال؛ حبّ الشهوات؛ حبّ النفس؛ وحبّ الأفعال الشريرة، إلى حدّ أن أنواع الحبّ هذه تبدو أنها من الخير.

وهكذا يتبيّن لنا أن هناك مراتب وتسلسل هرمي روحي وكوني للحب، وهذا الترتيب يعتمد على التسلسل الهرمي لجمال المحبوب. فإن أعلى درجات الجمال هو الجمال الإلهي؛ ثم الجمال المقدّس (ابتداءً بجمال رسول الله ﷺ)؛ ثم الجمال الداخلي؛ ثم الجمال الخارجي (الجمال الجسدي)؛ ثم زينة الشهوات الداخلية؛ ثم زينة الشهوات الخارجية. فمن خلال ذكر الله ﷻ في القرآن الكريم لهذه الأنواع من الحبّ والجمال، فقد تبيّنت مراتبهم وتسلسلهم الهرمي. فليس كل حبّ هو محمود وليس كل جميل يستحق الحبّ، كما رأينا. يقول الله ﷻ:

وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ (البقرة، ٢: ٢١٦)

(ب)(١) حبّ الإنسان لله ﷻ

في حين أن حبّ الإنسان يبدأ كعاطفة - يقول الله ﷻ: "وَالَىٰ رَبِّكَ فَأَرْغَبُ" (الشرح، ٨٠: ٩٤) - يجب أن يرتبط ذلك بكون النفس فاضلة. يقول الله ﷻ للرسول ﷺ:

إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾

(آل عمران، ٣١: ٣١)

وَاتَّبَعَ الرَّسُولَ ﷺ يَعْنِي أَوْلَى، أَنْ يَكُونَ الْمَرْءُ فَاضِلًا وَحَسَنَ الْخُلُقِ وَأَنْ يَقُومَ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ. يَقُولُ اللَّهُ ﷻ عَنْ الرَّسُولِ ﷺ:

وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴿٤١﴾ (الْقَلَمُ، ٦٨: ٤)

ثم يعني أتباع الرسول أتباعه ﷺ بـ "رجاء الله" و "الذكر الكثير":

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كَثِيرًا ﴿٣١﴾ (الْأَحْزَابُ، ٣٣: ٢١)

فقط حينها يصبح حبّ المؤمن لله ﷻ مثل حبّ الرسول ﷺ لله؛ فحبه ﷺ لله هو وراء كل شيء. يقول الله ﷻ:

قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾ (الْأَنْعَامُ، ٦: ١٦٢)

فإن النقطة الأساسية بالنسبة لحبّ المؤمن لله ﷻ هي أنه ليس مجرد عاطفة، بل ميل وجدان وكيان الإنسان إلى الفضيلة وعمل الخير وعبادة الله. يقول الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٣١﴾ (مَرْيَمُ، ١٩: ٩٦)

(ب) (٢) حبّ الإنسان لله ﷻ "الحب الأشد"

يمكن لحبّ المؤمن لله ﷻ أن يصير أقوى وأشدّ من أي حبّ دنيوي آخر في العالم، وأشدّ وأقوى من أي حبّ يمكن لغير المؤمن أن يتذوّقه أو حتى يتخيّله، وهذا بسبب قدرة جمال المحبوب الإلهي. يقول الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ

حُبًّا لِلَّهِ... (البقرة، ٢: ١٦٥)

وهكذا، مع أنه من الممكن أن يحب الإنسان أشياء أخرى (كما يحدث

في الحبّ الدنيوي) وإلى درجة يجب أن تكون محفوظة لحب الله، إلا أن المؤمنين يستطيعون أن يذوقوا حباً "أشد" من أي حبّ آخر وهو حبّ الله
 ﷻ.

(ج) حبّ المؤمن للرسول ﷺ وللأشياء المقدسة

حب العبد لله ﷻ يتطلب - ويؤدي بالضرورة - إلى حبّ ما يُذكر بالله ﷻ، وهذا يعني حبّ القرآن، والأماكن المقدسة، والجنّة، وحبّ أنبياء ورسول الله ﷻ وآلهم وغيرهم من أولياء الله ﷻ. والرسول ﷺ نفسه كان **رءُوفٌ رَحِيمٌ** (التوبة: ٩: ١٢٨) على المؤمنين ويجب على المؤمنين أن يبادلوا الرسول ﷺ هذا الحب. يقول الله:

الْنَبِيِّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ... (الأحزاب، ٣٣: ٦)

(د) الحبّ العائلي

وصفّ الله ﷻ وحدّد ونظّم العلاقات والحقوق العائلية والحبّ العائلي بين الأقارب في آيات كثيرة من القرآن الكريم. وكل هذه العلاقات والحقوق والحبّ يمكن أن توصف بمبدئ عام واحد وهو "**الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**" (الشورى: ٤٢: ٢٣). يقول الله ﷻ: "**... وَأَوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ**" ... (الأفصال: ٨: ١٧٥، انظر أيضاً الأحزاب، ٣٣: ٦).

لقد جعل الله ﷻ حباً طبيعياً مشروعاً ومحموداً بين الإنسان وعائلته - وجعل هذا الحبّ حسب درجة القرب - ولكنه ﷻ أكد على أنه يجب أن يبقى حبّ الإنسان لربه أكثر وأقوى من كل الحبّ العائلي^٤.

^٤ يقول الله ﷻ:

(هـ) حبّ الآخرين

ينبغي للحب والمحبة بين الناس ألا يقتصر على الأقارب فقط بل يجب أن يمتد ليشملا المحبة بين الناس جميعاً، لأنه في نهاية المطاف كل إنسان قريب من كل إنسان آخر. يقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۗ ... (النساء، ٤ : ١)

والله ﷻ جعل حقوقاً لكل بني آدم، وفرض الاحترام، وعدم الاعتداء، والقسط، والرحمة، والتعاطف والشعور مع الآخرين، والمغفرة، والصفح، وعدم البغض، وحتى أن نحسن لمن أساء إلينا وأن ندفع بالتي هي أحسن لكل إنسان مهما كان ومهما كانت ديانتته (وحتى إن لم يكن له دين)، طالما لم يمارب المسلمين. يقول ﷻ:

وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۗ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ (النساء، ٤ : ٣٦)

(و) الحبّ الزوجي والحبّ الجنسي

الحب الزوجي يختلف عن أنواع الحبّ الأخرى بين الناس لكونه يشمل الجسم. والقرآن الكريم واضح بالنسبة للعلاقة الزوجية ويشير إلى أسرار العلاقة الزوجية بشكل رمزي في آيات مختلفة. يقول الله ﷻ:

قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥) (التوبة، ٩ : ٢٤)

... هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ... (البقرة، ٢: ١٨٧)

فالدَّكر يحتاج إلى الأنثى والأنثى تحتاج إلى الدَّكر، وعموماً نبقى بحالة نقص دون بعضنا البعض. وهذه الحاجة إلى بعضنا البعض والنقص من دون ذلك، واضحة في ثلاثة أمور رئيسة: (أ) في حاجة الذكور والإناث بعضهم لبعض في النسل؛ (ب) في الحبِّ الزوجي غير الجسماني والحاجة النفسية بين الزوجين، (ج) وفي الحبِّ الزوجي والجسني بين الزوجين. يقول الله ﷻ:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ (الروم، ٣٠: ٢١)

لكل نفس زوجة أو زوجاً معيناً مخلوقاً له أو لها خاصة (كـ "خلق" إلهي)، أو (كـ "جَعَلَ" إلهي) خاص فيما بعد الخلق، وفي هذه الحالة يمكن لنا أن نتعرف عليها أو عليه في هذه الحياة الدنيا - أو قد لا نتعرف عليها أو عليه أبداً. يقول الله ﷻ:

... خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ... (الروم، ٣٠: ٢١)

... جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ... (الشورى، ٤٢: ١١)، (النحل، ١٦: ٧٢)

لكل نفس زوجة أو زوجاً معيناً مخلوقاً له أو لها خاصة - وهنا يمكن لنا أن نسميهما "أزواج النفس" - (كـ "خلق" إلهي)، أو كـ "جَعَلَ" إلهي خاص فيما بعد الخلق، (وفي هذا الحال يكون، "الخلق" الإلهي أتم من "الجَعَلَ" الإلهي، والله أعلم).

يوجد بين بعض الناس وبعض الأزواج والزوجات علاقة تامة بحيث إن الشخصين يكمل بعضهما بعضاً، فكأنهما شخص واحد أو نفس واحدة - وهنا يمكن لنا أن نسميهما "أزواج النفس" - بينما نجد بين بعض الأزواج سكوناً ومودةً ورحمةً من دون أن تكون العلاقة علاقة تامة ومكتملة حتى بين

زوج وزوجة متزوجين منذ فترة طويلة، والله أعلم. وبعض الناس لا يتعرفون على "أزواج النفس" أبداً في الحياة الدنيا.

ومهما كانت طبيعة الحب بين الزوج والزوجة، فإنه أمر مؤسف أن يمتنع الزوج لزوجته أو أن يُسَمَّح لهذا الحب أن يدوي. يقول الله ﷻ:

وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُم مِّنْكُمْ مَّيْثِقًا غَلِيظًا

(النساء، ٤: ٢١)

والله ﷻ يبيِّن أن العلاقة الجنسية تولد صلة لا يمكن إبطاها حتى بعد انتهاء العلاقة نفسها أو الزواج وأن هذه الصلة تستوجب المعروف والاحترام للأبد.

ويوجد في القرآن الكريم إشارات إلى احتمال أو إمكان وجود حالة روحية في النظر المشروع إلى جمال جسم الآخر، والله أعلم. يقول الله ﷻ:

نَسَاؤُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَاتُوا حَرَثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِمُوا لَأَنْفُسِكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْتَفُونَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ

(البقرة، ٢: ٢٢٣)

هناك إشارة إلى احتمال وجود حالة روحية في الجماع، حيث هناك إشارة إلى أنه يوجد في الهلاك لقاء الله ﷻ؛ ففي آية تصف العلاقة الزوجية يقول ﷻ: **وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْتَفُونَ**. وهكذا فإن أي جانب من جوانب الحياة الزوجية يمكنها أن تكون متوافقة مع الحياة الروحية في الإسلام. بل يجب أن يكون هذا هو الحال، يقول الله لسيدنا محمد ﷺ:

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَبِذَلِكَ

أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٣٢﴾ (الأنعام، ٦: ١٦٢ - ١٦٣)

(ز) الحب والزنا

القرآن الكريم لا ينكر أنه قد يوجد حبٌّ في الشهوة والرغبات
الدينيوية. يقول ﷺ:

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَيْنِ وَالْقَنْطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسُومَةِ وَالْأَتَعَمِرِ وَالْحَرَثِ ۚ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ
عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ ﴿٤٤﴾ (آل عمران، ٣: ١٤)

ولكن الله ﷻ حذّر من الخطورة العظيمة في الزنا، فالزنا ليس فاحشة
فحسب بل ساء سبيلاً. يقول الله ﷻ:

وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿١٧﴾ (الإسراء، ١٧: ٣٢)

أي أن الزنا يسحب صاحبه بكل شدة الحبّ إلى دائرة عواطف وأفعال
تُبعد الزاني عن حبّ الله ﷻ والهدى والصراط المستقيم بشكل دائم ومستمر.
يقول الله ﷻ:

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي حَوْفِهِ ۗ ... (الأحزاب، ٣٣: ٤)

إذا فإن الزنا يُبعد المرء عن حبّ الله ﷻ وليس مجرد خطيئة بل
يصاحبه انقلاباً لحياة المرء الروحية.

(٣): الحب

في هذا الباب سنتناقش عدداً من المواضيع التي لها علاقة بالحب ومنها:
(أ) أنواع الحب؛ (ب) مراحل الحب؛ (ج) الوقوع في الحب؛ (د) الحبّ
والسعادة؛ (هـ) الحبّ والموت.

(١) أنواع الحبّ

يذكر الله ﷺ ثمانية وثلاثين نوعاً من الحب في القرآن الكريم. وكل نوع من أنواع الحب يختلف قليلاً عن الأنواع الأخرى، فلا ترادف في اللغة العربية، ولكل كلمة معنى فريد ومحدد مع اختلاف بسيط في المعنى. وسنذكر هنا بعضاً من أنواع الحب، مثل: المحبة؛ الاستحباب؛ الود؛ المودة؛ الوداد؛ الشغف؛ الهوى؛ الاستهواء، إلخ. فالقرآن الكريم يذكر أن الحب يمكن اختباره بطرق تختلف قليلاً عن بعضها بعضاً وذلك حسب اختلاف نفوس الذين يُحبون.

(ب) مراحل الحب

من ناحية أخرى، فإن كل البشر يختبرون نفس مراحل الحب. والقرآن الكريم يذكر مائة١ مرحلة للحب. يكفيها أن نقول هنا إنها تتضمن مراحل

° وأنواع الحب المختلفة المذكورة في القرآن الكريم هي: (١) الحب؛ (٢) المحبة؛ (٣) الاستحباب؛ (٤) الرحمة؛ (٥) الرأفة؛ (٦) الود؛ (٧) المودة؛ (٨) الوداد؛ (٩) الإرادة؛ (١٠) الشغف؛ (١١) الهوى؛ (١٢) الاستهواء؛ (١٣) الغوى؛ (١٤) الهم؛ (١٥) الرغب؛ (١٦) التقارب، المقاربة، القرب؛ (١٧) الغرام؛ (١٨) الهيام؛ (١٩) الخلة؛ (٢٠) الصداقة؛ (٢١) الصحبة؛ (٢٢) الإيثار؛ (٢٣) الضلال؛ (٢٤) الرضى؛ (٢٥) الختان؛ (٢٦) الإعجاب؛ (٢٧) الميل؛ (٢٨) الشهوة؛ (٢٩) الصبأ؛ (٣٠) الابتغاء؛ (٣١) التفضيل؛ (٣٢) الزنا؛ (٣٣) الحفاوة؛ (٣٤) الشفقة؛ (٣٥) الولاية؛ (٣٦) الصغى؛ (٣٧) الوليجة؛ (٣٨) الألفة.

١ يمكن أن نقسم مراحل الحب إلى مراحل حب الناس لله ﷺ وحب الناس للناس؛ ومراحل تتعلق بحب الناس لله ﷺ وقد تتعلق أحياناً بحب الناس؛ ومراحل تتعلق بحب الناس للناس وقد تتعلق أحياناً بحب الناس لله ﷺ.

(١) المراحل التي تتعلق بحب الناس لله ﷺ وحب الناس للناس، وهي: (١) الفراغ؛ (٢) الفقر؛ (٣) التزين؛ (٤) الإعجاب؛ (٥) الحب والإحباب؛ (٦) الرضا؛ (٧) التقرب؛ (٨) الإرادة؛ (٩) الابتغاء؛ (١٠) الرغب؛ (١١) الولاية؛ (١٢) الخلة؛ (١٣) الفرح؛ (١٤) السكن؛ (١٥) الرجاء؛ (١٦) العمل؛ (١٧) الذكر؛ (١٨) النجوى؛ (١٩) الابتلاء؛ (٢٠)

مثل: الفراغ؛ الفقر؛ التزّين؛ الإعجاب؛ الإرادة؛ الفرح؛ الرّجاء؛ العمل؛
الذّكر؛ النجوى؛ الابتلاء؛ العلم؛ المعرفة؛ الخوف؛ الحزن؛ الألم، إلخ.

(ج) الوقوع في الحب

لفهم ما هو الوقوع في الحبّ، يجب علينا أولاً أن نفهم القاسم المشترك بين مراحل الحب. ولفهم ذلك، يجب علينا أن نعرف من هو الإنسان وما يتكون.

الاطمئنان؛ (٢١) العلم؛ (٢٢) المعرفة؛ (٢٣) المشيئة؛ (٢٤) الخوف؛ (٢٥) الحزن؛ (٢٦) الألم؛ (٢٧) البكاء؛ (٢٨) التغيير؛ (٢٩) القبض؛ (٣٠) البسط؛ (٣١) الحاجة إلى الخلوة؛ (٣٢) الصبر؛ (٣٣) الأمل؛ (٣٤) الغيرة؛ (٣٥) اللقاء؛ (٣٦) المعية؛ (٣٧) قرّة العين.

(ب) المراحل التي تتعلّق بحب الناس لله ﷺ وقد تتعلّق بحب الناس للناس؛ وهي:
(٣٨) الود؛ (٣٩) الشفقة؛ (٤٠) الاستئناس، الأُنس؛ (٤١) السلام؛ (٤٢) الاكتفاء؛ (٤٣) الشكر؛ (٤٤) التوكل؛ (٤٥) انشراح الصدر؛ (٤٦) لين الجلد؛ (٤٧) لين القلب؛ (٤٨) قشعريرة الجلد؛ (٤٩) وجل القلب؛ (٥٠) التبتّل؛ (٥١) الإخبات؛ (٥٢) الإنابة؛ (٥٣) التضخّم؛ (٥٤) التوبة؛ (٥٥) الاستغفار؛ (٥٦) العَجَل للترضية؛ (٥٧) الدعاء؛ (٥٨) التذكّر؛ (٥٩) الاتباع؛ (٦٠) تمحيص القلب؛ (٦١) الشكّ؛ (٦٢) الريب؛ (٦٣) الظن؛ (٦٤) النظر؛ (٦٥) التفكّر؛ (٦٦) التدبّر؛ (٦٧) استعمال العقل؛ (٦٨) التبصر؛ (٦٩) اليقين (علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين)؛ (٧٠) الطمع؛ (٧١) الحاجة إلى الناس، الحاجة إلى الجلوة؛ (٧٢) التآوّه؛ (٧٣) الأوب؛ (٧٤) القنوت؛ (٧٥) القهر؛ (٧٦) الإسلام؛ (٧٧) الإيمان؛ (٧٨) الإحسان؛ (٧٩) الإخلاص.

(ج) المراحل التي تتعلّق بحب الناس للناس وقد تتعلّق بحب الناس لله ﷺ؛ وهي:
(٨٠) المحبة؛ (٨١) وجود الجمال؛ (٨٢) التعارف؛ (٨٣) الميل؛ (٨٤) المودة؛ (٨٥) الرأفة؛ (٨٦) الشهوة؛ (٨٧) الهوى؛ (٨٨) الهمّ؛ (٨٩) المتعة؛ (٩٠) الاستمتاع؛ (٩١) الكرم؛ (٩٢) الرحمة؛ (٩٣) اللطف؛ (٩٤) المغفرة، الغفران؛ (٩٥) العفو؛ (٩٦) الصّفح؛ (٩٧) المعروف؛ (٩٨) المراودة؛ (٩٩) الاستحياء؛ (١٠٠) عدم الإحساس بالخال.

والقرآن الكريم يحدد عناصر ومَلَكات الإنسان المختلفة، وهي: الجسم، النفس؛ "النفس الأمارة بالسوء"؛ "النفس اللوامة"؛ "النفس المطمئنة"؛ العقل؛ قُدرة الإنسان على التعلُّم؛ قُدرة الإنسان على الكلام؛ إرادة الإنسان؛ العاطفة؛ الذاكرة؛ الخيال؛ الإحساس؛ شعور الإنسان؛ إيناس الإنسان؛ البصيرة؛ الصدر؛ القلب؛ الفؤاد؛ اللب؛ والروح. ولا يسعنا أن نشرح كل هذه العناصر والملكات والفروقات بينها بالتفصيل هنا، وسنكتفي بالقول إن للإنسان ثلاثة أبعاد أساسية يرتبط بعضها ببعض: (١) جسم فردي ومادي وله حواس؛ (٢) نفس فردية ولكن لطيفه ولها ملكات مثل الإرادة والعقل والعاطفة، وثلاثة "أنواع" أو "أجزاء" من النفس، وهي: "النفس الأمارة بالسوء"، "النفس اللوامة"، "النفس المطمئنة"؛ (٣) والروح أسمى من النفس الفردية ولكن تشتمل على درجات من "النزول للوصول" إلى "القلب اللطيف". ولكن النفس هي الشاهد الداخلي الفردي للجسم؛ والروح هي الشاهد الداخلي الغير فردي للنفس والجسم سوياً.

ومن هنا يتضح نمط معين: كل مراحل الحبّ ترجع إلى مكونات ومَلَكات الإنسان بأكملها؛ وكل مكونات ومَلَكات الإنسان تنخرط - كل بطريقتها الخاصة وحسب طبيعتها - في الحب. بعبارة أخرى، فإن كل شيء يحدث أثناء الوقوع في الحبّ - من الرجاء إلى الخوف؛ ومن الفرح إلى الغيرة؛ ومن القبض والحاجة إلى الخلوّة إلى البسط والحاجة إلى الناس والحاجة إلى الجلوة؛ ومن الاستهواء والهَمّ والرغب إلى الحزن والألم والبكاء - كلها نتائج مباشرة لعملية قيام جسد ونفس أو روح المُحبّ بالتعلّق والارتباط بالمحجوب. ومن هنا يمكن لنا أن نرى بسهولة ما هو الوقوع في الحب: الوقوع في الحبّ هو "ميل جميع مكونات أو مَلَكات الإنسان إلى الحُسن، من بعد الإعجاب به". أي أن الوقوع في الحبّ هو ميل كل ما في الإنسان إلى المحجوب. يقول الله

ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٦٦﴾ (مریم، ١٩: ٩٦)

ومن هذه الآية الكريمة لا نفهم بالضرورة أن الله ﷻ يكافئ العبد فقط بعد أن يحقق كمّاً أساسياً من الإيمان والأعمال الصالحة (وهذا ممكن أن يحصل، بالتأكيد)، بل نفهم من ذلك أن الإيمان بالله ﷻ (وبالتالي تفعيل العقل بتوجيهه إلى الله ﷻ) والأعمال الصالحة (وبالتالي الإرادة التي تم توجيهها أيضاً إلى الله ﷻ) تؤدي بشكل طبيعي إلى ازدياد عاطفة الحبّ إلى الله ﷻ. فالحب يزداد من خلال ميل المَلَكات الأخرى.

وتوضيحاً لهذا: فإن كل الكتب التي تتناول كيف يمكن تقوية الذاكرة تنصح بالأمر نفسه المتضمن: بناء هياكل منطقية من المعلومات التي يريد أن يتذكرها المرء؛ وشحنها بالعواطف؛ والتأمل بأهمية تذكرها؛ وذكرها كثيراً؛ وتصور قصة من المعلومات؛ وتناول الطعام والشراب أثناء دراستها، ثم أكل أو شرب نفس الشيء قبل الامتحان. أي أن الذاكرة تنمو حين يتم تسخير العقل والعاطفة والإرادة وقدرة الإنسان على الكلام والخيال و/أو الحواس البشرية الأخرى من أجلها. وعلى نقیض ذلك، فإن الذاكرة تضعف إن لم يتم السماح لباقي المَلَكات أن تميل إلى هدف معين. فهذه طبيعة الحبّ، ومن المثير للدهشة كم من الناس - ومنهم الفلاسفة وعلماء النفس والعلماء - لا يفهمون هذا مع أنه أمر يسهل ملاحظته في كل نفس في العالم كل يوم.

(د) الحبّ والسعادة

يوضح لنا القرآن الكريم أنه لا يوجد فرح ولا رضى ولا سلام ولا متعة من غير حبّ بطريقة أو بأخرى. وسبب ذلك أن الفرح والرضى والمتعة هي من أنواع أو مراحل الحب. فكيف يكون فرح بشيء من غير حبه؟ أو رضى بشيء من غير حبه؟ أو يجد السلام في شيء من دون أن يحبه؟ أو متعة

بشيء من غير حبه؟

بالإضافة إلى ذلك، فإنه لا توجد سعادة حقيقة بدون حبّ الله ﷻ تحديداً. فكلمة "السعادة" أتت مرتين فقط في القرآن الكريم (في سورة هود)، وكتاهما تشير إلى الجنة. وهذا يشير إلى أن الحبّ الديني لا يكفي لكي يؤدي إلى درجة السعادة الكاملة، ولا سعادة حقيقة بدون حبّ الله ﷻ. فالحبّ الديني لا يكفي لكي يؤدي إلى السعادة لأنه لا يملأ الإنسان بشكل كافٍ تامٍ كاملٍ دائمٍ وبالتالي لا يكفي ولا يملؤه بشكل كامل إلا حبّ الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وِبرَحْمَتِهِ. فَبِدَلِّكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ (يونس: ١٠٠)

(هـ) الحبّ والموت

عندما تميل ملكات النفس، الواحدة تلو الأخرى، إلى المحبوب، فإنها تصبح أقل ارتباطاً بأنانيتها لدرجة أن الذي يُحب يتوقف عن الاهتمام والتفكير بنفسه، بل يهتم بمحبوبه فقط. إذا استمر هذا، فإن أنانية النفس تموت "في" المحبوب وفي سبيل المحبوب. فنهاية الحبّ هي الموت. والحبّ يؤدي في النهاية إلى موت (جزء) من المحب. وفي معظم اللغات توجد علاقة جذرية بين كلمة "الحب" وكلمة "الموت". ففي اللغة العربية مثلاً هناك علاقة بين كلمة "موت" وكلمة "سكرة" وكلمة "عشق" (التي تأخذ اسمها من نبتة صحراوية من جنس اللبلاب تنمو حول نباتات أخرى حتى تصبح جزءاً منها). فالنهج الذي يأخذه هذا الموت يعتمد على ماهية المحبوب. فالله ﷻ يقول:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

ف" العذاب الشديد" المذكور في نهاية هذه الآية الكريمة إشارة إلى الذي يجب غير الله ﷻ إلى درجة العبادة (والحب الدنيوي غير المنضبط من ضمن ذلك). فطالما تجاهلت هذه النفس حبَّ الله ﷻ، فلا يمكن لها أن تكون بمعية حقيقية مع محبوبها ﷻ، فهي ومحبوبها سيتغيران ويفترقان ويموتان لا محالة. وهنا يكمن صراع كل الذين ذاقوا الحبَّ الدنيوي في التاريخ والذين انتحروا من الحب؛ فهم ينتحرون لأنهم توقفوا عن الحياة في أنفسهم وحرِّموا من محبوبهم: فهم لا يستطيعون تحمُّل الألم و"العذاب الشديد"، فلا يستطيعون الاستمرار بالحياة. الكثير من الناس لديهم نزعة فطرية أن يجدوا مثل هذا الحبَّ جميلاً لأنها قد تكون المرة الوحيدة التي يرون فيها شخصاً يسمو فوق أنانيته بسبب الحبِّ، ولكن إن لم يُعاد دمج هذا الحبِّ في حبِّ الله ﷻ، فسيبقى هذا الحبُّ سراياً عقيماً وليس نعيماً أبدياً.

وعلى نقيض ذلك، فإن الذين تموت أنانيتهم من حبهم لله ﷻ، فيدخلون جنة حبِّ الله. يقول الله ﷻ:

يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢١﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ﴿٢٢﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي

﴿٢١﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٢٢﴾ (الفرج، ٨٩: ٢٧ - ٣٠)

فموت "النفس الأمارة بالسوء" أو الأنانية من خلال حبِّ الله ﷻ هو غاية الحياة الروحية. يقول الله ﷻ:

أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ (التوبة، ٩: ٤١)

٧ يمكننا أن نفهم أن كلمتي "أَمْوَالِكُمْ" و"أَنْفُسِكُمْ" في الآية الكريمة أعلاه تشيران إلى أهواء الناس وأنانيتهم، فالقرآن الكريم يوضح لنا أن هناك نوع من التماثل (كالمرأة) بين عالمي

(٤): الجمال

في هذا الباب سنناقش (أ) طبيعة الجمال، (ب) الذوق، (ج) قدرة الجمال، (د) الحبّ والجمال والرضوان في الجنة.

(أ) طبيعة الجمال

يقول الله ﷻ:

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ^ط ... (السجدة، ٣٢: ٧)

هذه الآية الكريمة تعني أن الجمال موجود بشكل موضوعي في كل شيء طبيعي، حتى وإن كان ذلك فقط في حقيقة أنه حيّ، وبعض الأشياء أجمل من غيرها.

ولكن ما هو الجمال؟ وما هي مكوناته؟

إن صفات المخلوقات تأتي في الأساس من صفات أو أسماء الخالق ﷻ، وإن كان ذلك من بعيد أو بشكل غير مباشر. ويمكن تصنيف أسماء الله الحُسنى إلى صنفين: أسماء الذات الإلهية (مثل: الأحد)، وأسماء الصفات. وقد صُنِّفت أسماء الصفات إلى ثلاثة أصناف، وهي: أسماء جمال (مثل: الرحيم والجميل)، وأسماء جلال (مثل: العزيز والجبار)، وأسماء كمال (مثل: الملك والرّب). وقال سيدنا محمد ﷺ عن آخر آية في سورة الرحمن: ((لكل شيء عروس وعروس القرآن الرحمن)).

الإنسان الداخلي والخارجي (انظر: سورة فُصِّلَتْ، ٤١: ٥٣ وسورة الذاريات، ٥١: ٢٠ - ٢١).

فنرى في هذا الاسم من أسماء الله الحسنى الذي يلخص أسماء الله الجميلة (وبالتالي جذور الجمال) أن مكونات الجمال هي: وجود الجلال والإكرام والتوفيق بينهما، وبالتالي الكمال.

(ب) الذوق

إن كان الجمال هو حقيقة موضوعية، فكيف تختلف آراء الناس حول ما يجدونه جميلاً؟ الجواب هو أن النفوس تختلف قليلاً من شخص لآخر وبالتالي يتمتعون بحالات روحية مختلفة، فينظرون إلى نفس الشيء بطرق تختلف قليلاً عن بعضهم البعض. فالجمال موضوعي، ولكن معظم الناس غير موضوعيين قليلاً، وبالتالي فإن الذوق غير موضوعي. فليس الجمال هو الذي في عين الناظر، بل الذوق في عين الناظر. يقول الله ﷻ:

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ (الإسراء، ١٧: ٨٤)

(ج) قدرة الجمال

للجمال قدرة كبيرة جداً. فالجمال الفئان يستطيع أن يلهي من يشهده عن كل ما هو فيه، وحتى عن نفسه، وحتى عن حواسه وعن الألم وحتى الموت. يقول الله ﷻ (بالإشارة إلى زوجة العزيز ونساء المدينة وسيدنا يوسف عليه السلام):

فَمَا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ (يوسف، ١٢: ٣١)

فسوة المدينة انجذبين وانسحرون بمجرد رؤية سيدنا يوسف عليه السلام، وقطعن أيديهن من غير شعورهن بمالهن. وهكذا الجمال يوقف من يُدركه، ويقطع عمله (والأيدي رمز للعمل) ويُلهيه عن أي شيء غيره، حتى الألم. هكذا هي قدرة الجمال.

ويمكن للجمال أن يؤثر على من يُدركه بطريقتين مختلفتين: الطريقة الأولى هي: سحب من يُدركه خارج ذاته، وبالتالي جذبُه إلى حبّ الشيء الجميل، وإلى حبّ امتلاكه - وذلك ربما حتى بقوة وبعنف، أو الطريقة الثانية هي: رجوع من يُدركه إلى ذاته الداخلية الحقيقية، بعيداً عن الدنيا وعن الشهوات، وبذلك يحوّل العالم الخارجي نفسه إلى تذكيرٍ و"بُرْهَنَ رَبِّهِ". ونرى هاتين الطريقتين في زوجة العزيز وفي سيدنا يوسف عليه السلام. يقول عليه السلام:

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ^ط وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ^ع كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ^ع إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢﴾ (يوسف، ١٢: ٢٤)

فجمال سيدنا يوسف عليه السلام أثر على زوجة العزيز بحيث جعلها تُريد أن تزني معه، وحتى تُريد أن تُجره على الزنى معها. أمّا بالنسبة لسيدنا يوسف عليه السلام، فقد استبطن جمال زوجة العزيز بشكل كامل فأصبح جماها "بُرْهَنَ رَبِّهِ"، و"صرف" عنه "السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ". أي أن الجمال - حتى الجمال الخارجي - هو سيف ذو حدين: يمكنه دفع من يجذبه إلى داخل نفسه (أي روحه) أو جذب من يُدركه إلى خارج نفسه؛ يمكنه تشتيت النفس أو جمعها؛ يمكنه التسبب بالفحشاء أو بالسكينة؛ ويمكنه أن يكون جسدي أو روحي. ولذلك فإن الجمال نفيس ولذلك يُصرّ الإسلام على حراسة الجمال من خلال الاحتشام في اللباس.

(د) الحبّ والجمال والرضوان في الجنة

يوجد في الجنّة كل ما يُحبه أهل الجنة، وكل من يحبونهم - بدون أي حرمان أو حدود - ولكن غير المسلمين يبالغون بالجوانب المادية لهذه المتّع في الجنة. والقرآن الكريم لا يتجاهل العلاقة الزوجية في الحياة الدنيا - كما ناقشنا - ولكن لا ذكر للعلاقات الجسدية في الجنة. وكذلك لا ذكر للاستمتاع الجسدي بالنوم والأكل والشرب، بل إن الإشارات إليها تصف العرفان والشكر والحمد الذي يشعر به أهل الجنّة لله ﷻ. باختصار، إن الجمال والحبّ في الجنّة يختلفان عن الحبّ في الدنيا، ففي الجنّة هما مصدر للسعادة والسكون والتأمل بدون شائبة أو حاجة أو عذاب أو قبض كالحب في الدنيا. يقول الله ﷻ:

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ (الواقعة، ٥٦: ٢٥-٢٦)

وأكبر نعمتين في الجنّة هي نعمة النظر إلى الله ﷻ ونعمة رضوانه. يقول الله ﷻ:

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٤﴾ (القيامة، ٧٥: ٢٣-٢٤)

وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

﴿٧٢﴾ (التوبة، ٩: ٧٢)

ف"الرضوان" من "الرضا" - وبالتالي من الحبّ - ولكنه أعظم من الرضا. والله ﷻ يُجِلُّ على عبده "الرضوان"، فهو نهاية الآخرة التي لا نهاية لها، وهو نهاية الحبّ الذي لا ينتهي.

يقول الله ﷻ:

خاتمة واستنتاج

الله ﷻ هو الرحمن، الرحيم، الودود. خَلَقَ الْعَالَمَ مِنَ الرَّحْمَةِ وَمِنَ الْحُبِّ. وبالْحُبِّ يَعُودُ الْإِنْسَانُ بِالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ إِلَى اللَّهِ ﷻ بِأَجْمَلٍ وَأَيْسَرِ طَرِيقَةٍ.

الحب في القرآن الكريم باب المقدمات

١. باب المقدمات؛ الفصل الأول:
تمهيد: أهداف ومنهج هذه الرسالة

المطلب الأول: الأهداف

لنا في هذه الرسالة إن شاء الله ﷻ خمسة أهداف، والله المستعان.

(١) الهدف الأول:

القرآن الكريم حق. يقول الله ﷻ:

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٧﴾ (البقرة، ٢: ١٤٧)

وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ... (الكهف، ١٨: ٢٩)

والذي أنزل القرآن الكريم أنزله بالحق:

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَزَلَّ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ

﴿٣١﴾ (البقرة، ٢: ١٧٦)

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْنَا وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ (الإسراء، ١٧: ١٠٥)

وبكونه الحق فهو الحق الكامل:

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨١﴾

(الإسراء، ١٧: ٨٩)

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ^٤ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ

جَدَلًا ﴿٥٤﴾ (الكهف، ١٨: ٥٤)

وَلَقَدْ صَرَّتْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ۖ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْتَطِلُونَ ﴿٥٤﴾ (الروم، ٣٠: ٥٨)

وَلَقَدْ صَرَّتْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا عَجِزِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥٨﴾ (الزمر، ٢٧-٢٨)

وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ۗ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ ۗ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٦٦﴾ (النحل، ١٦: ٨٩)

وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ (يونس، ١٠: ٣٧)

وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٧﴾ (الأعراف، ٧: ٥٢)

لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٨﴾ (يوسف، ١٢: ١١١)

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ ۗ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِيَتَّبِعُوا فَضْلًا ۗ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۗ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿٦٩﴾ (الإسراء، ١٧: ١١٢)

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ ۗ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٦٩﴾ (الأنعام، ٦: ٣٨)

وهكذا يوضح الله ﷻ لنا أن القرآن الكريم هو الحق الكامل. بل أكثر من ذلك، إذ يخبرنا الله ﷻ أنه ضرب في القرآن الكريم " مِنْ كُلِّ مَثَلٍ "، وأنه قال ﷻ " وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ "، وقال ﷻ إن

القرآن الكريم هو "تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ"، "وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ"، وأن الله ﷻ قال: "مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ"^٤. وقد اختلف العلماء والمفسرون في

معنى هذه الآيات. فيفهم الطبري من "وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ" التالي:
"تفصيل كل ما بالعباد إليه حاجة من بيان أمر الله ونهيه، وحلاله وحرامه، وطاعته ومعصيته"^٥.

وفهم الفخر الرازي من "تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ" أن المقصود جميع أصول علوم الدين:

"من الناس من قال: القرآن تبيان لكل شيء وذلك لأن العلوم إما دينية أو غير دينية، أما العلوم التي ليست دينية فلا تعلق لها بهذه الآية، لأن من المعلوم بالضرورة أن الله تعالى إنما مدح القرآن بكونه مشتملاً على علوم الدين فأما ما لا يكون من علوم الدين فلا التفات إليه، وأما علوم الدين فإما الأصول، وإما الفروع، أما علم الأصول فهو بتمامه موجود في القرآن، وأما علم الفروع فالأصل براءة الذمة إلا ما ورد على سبيل التفصيل في هذا الكتاب، وذلك يدل على أنه لا تكليف من الله تعالى إلا ما ورد في هذا القرآن، وإذا كان كذلك كان القول بالقياس باطلاً، وكان القرآن وافياً ببيان كل الأحكام، وأما الفقهاء فإنهم قالوا: القرآن إنما كان تبيناً لكل شيء، لأنه

^٤ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ٧/ ٣٢٥.

وربما يكون هنالك فرق لطيف بين معنى العبارة الكريمة "وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ" كما جاء في القرآن الكريم في سورة يوسف (١٢: ١١١) عن القرآن الكريم والعبارة الكريمة "وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ" كما جاء في القرآن الكريم عن ألواح سيدنا موسى ﷺ في سورة الأنعام (٦: ١٥٤) وفي سورة الأعراف (٧: ١٤٥). وربما قوله ﷻ: "وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ" يعني أن الله ﷻ جعل صورة كاملة للأشياء في القرآن الكريم، بينما قوله ﷻ: "وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ" يعني أن الله ﷻ جعل وصف الأشياء بأكملها في ألواح سيدنا موسى ﷻ، والله أعلم.

يدل على أن الإجماع وخبر الواحد والقياس حجة، فإذا حكم بحكم من الأحكام بأحد هذه الأصول كان ذلك الحكم ثابتاً بالقرآن^٩.

ويَفهم الزمخشري في الكشف من قوله ﷺ " **تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ** " أن المقصود جميع العلوم الدينية حيث يقول:

"المعنى أنه بين كل شيء من أمور الدين، حيث كان نصاً على بعضها وإحالة على السنة في البعض الآخر، حيث أمر فيه باتباع رسول الله ﷺ وطاعته"^{١٠}.

ولكننا نقول إن في كتاب الله جميع علوم ومبادئ الفلسفة^{١١} أيضاً.

٩ الإمام الرازي، التفسير الكبير، ٢٥٨/٧. ويقول الفخر الرازي أيضاً:

"قال تعالى: ... **مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ** ... (الأنعام: ٦٣٨) وفي المراد بالكتاب قولان: القول الأول: المراد منه الكتاب المحفوظ في العرش وعالم السماوات المشتمل على جميع أحوال المخلوقات على التفصيل التام، كما قال عليه السلام: «**جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة**». والقول الثاني: أن المراد منه القرآن، وهذا أظهر لأن الألف واللام إذا دخلا على الاسم المفرد انصرف إلى المعهود السابق، والمعهود السابق من الكتاب عند المسلمين هو القرآن، فوجب أن يكون المراد من الكتاب في هذه الآية القرآن". (الإمام الرازي، التفسير الكبير، ٥٢٦/٤).

ويقول الفخر الرازي كذلك:

"وفيه قولان: الأول: المراد وتفصيل كل شيء من واقعة يوسف عليه السلام مع أبيه وإخوته، والثاني: أنه عائد إلى القرآن، كقوله: ... **مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ** ... فإن جعل هذا الوصف وصفاً لكل القرآن ألبق من جعله وصفاً لقصة يوسف وحدها، ويكون المراد: ما يتضمن من الحلال والحرام وسائر ما يتصل بالدين". (الإمام الرازي، التفسير الكبير، ٥٢٣/٦).

١٠ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشف، ص ٥٨٦.

١١ كلمة "فلسفة" أصلها من اللغة اليونانية، وهي مركبة من كلمتين: "فايلو"، وهي تعني "الحب"؛ و"سوفيا"، وسوفيا تعني "الحكمة". فـ"الفلسفة" حسب أصلها اللغوي تعني "حب الحكمة". وعلما المسلمين عرفوا الفلسفة بعدة تعاريف. ولكننا نقصد نحن هنا من كلمة "الفلسفة" التالي: "الحكمة التي هي دون العقيدة ودون التشريع"، وبمعنى آخر كل

حكمة ومعرفة باستثناء العقيدة (والكلام) والفقه. فعلى سبيل المثال الحبّ موضوع فلسفي، وعلم المنطق موضوع فلسفي، وعلم النفس موضوع فلسفي إلى آخره. وربما يكون جانب تشريعي في هذه المواضيع أو جانب عقائدي، ولكن الفهم الذي هو محايّد بالنسبة للعقيدة أو الشريعة يعتبر علماً فلسفياً، شريطة أن يكون مفيداً فكرياً أو روحياً ولا يُدخل الإنسان في الكفر أو في المعصية. ولذلك عُرِّفَت الفلسفة قديماً بتعريف في اللاتيني "انسلا ثيولوجيا"، وتعني هذه "خادمة العقيدة أو علم الكلام". والحكمة - ولعلها ليست مرادفاً للفلسفة ولكنها يجب أن تتضمن الفلسفة - تتمتع بمكانة مرموقة في القرآن الكريم. يقول ﷺ:

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ

إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (البقرة، ٢: ٢٦٩)

^{١٢} من غير الخوض في النقاشات اللاهوتية والأشعرية المعقدة عن الوضع الفلسفي لكـ"شيئية" وعن إن كان "لا شيء" هو "شيء"، سنكتفي بالقول إنه يمكن حلّ هذه المسألة بسهولة من خلال فهم الاشتقاق اللغوي - وبالتالي معنى - كلمة "شيء": "فكـ"شيء" ليس مجرد حقيقة، أو تفصيل، أو فكرة، أو معلومة: بل هو:

هو الذي يصح أن يعلم ويُخبر عنه، وعند كثير من المتكلمين هو اسم مشترك المعنى إذا استعمل في الله وفي غيره، ويقع على الموجود والمعدوم. وعند بعضهم: الشيء عبارة عن الموجود وأصله: مصدر شاء ... وإذا وصف به غيره فمعناه المشيء، وعلى الثاني قوله تعالى: ... **قُلْ**

اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ... (الرعد، ١٣: ١٦) (الراغب الأصفهاني، المفردات في

غرائب القرآن، ص ٤٧١)

إذاً فإن الـ"شيء" هو شيء أشاءه الله ﷻ وبالتالي قد خلقه ﷻ أو أمر البشر أن يصنعوه أو أوصاهم أن يعلموه. وآخر هذه الأشياء تتضمن الحكمة في القرآن الكريم حيث يذكرها الكتاب الكريم كأحد الأسباب الأربعة التي نزل من أجلها القرآن الكريم نفسه (بالإضافة إلى تلاوة وفهم آياته والتركية). يقول الله ﷻ:

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ
 وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ (الك
 عمران، ٣: ١٦٤)

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
 وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ (الجمعة، ٦٢: ٢)

فلهذا السبب نقول إنه بما أن القرآن الكريم " ... تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ... " (النحل، ١٦: ٨٩)،
 إذاً فلا بد أنه يحتوي على كل شيء من أمور الدين وجميع علوم ومبادئ الفلسفة أيضاً.
 وقد يعترض البعض (وقد اعترض فعلاً بعض علماء الإسلام) على فهم قوله ﷺ
 " ... لِكُلِّ شَيْءٍ ... " بشكل حرفي، وهم يرون أنه يجب فهمها بشكل غير حرفي (أي بشكل
 بلاغي كاستعارة أو مجاز) كما في الآية الكريمة:

فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أُوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ
 بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٦٥﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا
 مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٦٥﴾ (الأحزاب، ٤٦: ٢٤ - ٢٥)

وجواب هذا هو: أولاً، هناك فرق بين الاستعارة والمجاز (التبديل الرمزي، مثلاً
 "العرش" بدلاً من "الملك وحكومته") من جهة والمجاز المرسل الكلّي أو الجزئي (استبدال
 جزء بالكل، أو استبدال الكل بالجزء، مثلاً: "وجه" بدلاً من "شخص") من جهة أخرى.
 وثانياً، في الآيات الكريمة المذكورة، لا داعي لافتراض أي مجاز إطلاقاً لأن القرآن الكريم في
 غاية الدقة والتحديد ويعطينا الاستثناء نفسه ("مَسَكِنُهُمْ" وكل ما هو متعلق بها).
 بالإضافة إلى ذلك، وكما ذكرنا سابقاً بالنسبة لكل شيء من أمور الدين، فإن القرآن
 "تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ" (سوف، ١١٢: ١١١) وانظر أيضاً الإسراء، ١٧: ١٢) ولا تُذَكِّرُ هذه
 الآيات الكريمة أي استثناءات وبالتالي لا يمكن أن نفهمها مجازياً. وعلى سبيل المثال قول الله
 ﷻ: "وَمَن كَانَتْ فِي هُدَاهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا" (الإسراء، ١٧: ٧٢)
 لا يعني أن الكفبيين لا يدخلون الجنة لكن يعني أن القلب له رؤية حقيقية (ولو روحية)

وهذا من إعجاز القرآن الكريم؛ فلا يمكن لأي كتاب بشري أن يحتوي على جميع العلوم الفلسفية في كتاب واحد مثل ما هو الحال مع القرآن الكريم. فكما يوجد في القرآن الكريم إعجاز لغوي وبلاغي وربما أيضاً إعجاز علمي، فإنه يوجد في القرآن الكريم إعجاز فلسفي كذلك:

أَمْ يَقُولُونَ نَقَوْلُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾
(الطور، ٥٢: ٣٣-٣٤)

قُلْ لِيْنَ أَجْتَمَعَتِ الْآلِئْسُ وَالْحِجْنُ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ (الإسراء، ١٧: ٨٨)

أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مَفْتَرِينَ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَضَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ فَإِلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ مَا أَنْزَلَ يَعْلَمُ اللَّهُ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ (هود، ١١: ١٣-١٤)

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٦٤﴾ (البقرة، ٢: ٢٣-٢٤)

وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٦٤﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ

كما للرأس له أعين، كما أوضحه الله ﷻ في قوله: أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّمَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٦٤﴾ (الحج، ٢٢: ٤٦)، والله أعلم.

وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٧﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَا إِلَهُهُمْ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٨﴾ (يونس، ١٠: ٣٦-٣٩)

أَمْ يَقُولُونَ تَقْوَاهُ^٤ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٦﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٧﴾ (الطور، ٥٢: ٣٣-٣٤)

ولذلك هدفنا الأول في هذه الرسالة أن نبيّن أن كل ما يمكن أن يقال بالنسبة للحب هو في كتاب الله، وأنه مفصل وليس مجملاً، ولذلك تقتصر هذه الرسالة فقط على الحبّ في القرآن وليس الحبّ في الحديث الشريف، أو في السنة، أو عند العلماء، والعارفين بالله، والفلاسفة.

(ب) الهدف الثاني:

إن الهدف الثاني هو الاستفادة مما قيل قبلنا عن الحبّ في القرآن الكريم في كتاب واحد - بقدر الاستطاعة - مع إضافة ما يهبه الله ﷻ لكشف بعض الأسرار التي عُرفت من قبل ولكن لم تكتب - حسب علمنا - في مرجع واحد عن موضوع الحبّ في القرآن الكريم. ومن الجدير بالذكر أن كثيراً من الفلاسفة عندما ناقشوا الحبّ لم يستشهدوا بآية واحدة من القرآن الكريم ومنهم - مع الأسف - ابن سينا في رسالته (رسالة في العشق). وبعض علماء المسلمين الآخرين كالإمام الغزالي في كتابه: (إحياء علوم الدين/ كتاب المحبة، والشوق، والأنس، والرضا) الباب رقم ٣٦، ومحبي الدين بن عربي في كتابه: (الفتوحات المكية) الفصل ١٧٨ (رسالة في الحب)، وابن حزم في (طوق الحمامة)، فإنهم أحياناً كانوا يستدلون من القرآن والحديث معاً، وأحياناً من القرآن وحده، وأحياناً من الحديث وحده. ونحن في هذه الرسالة الفلسفية الحية بمشيئة الله ﷻ نأمل أن نعطي شرحاً كافياً عن الحبّ ومنهجنا هنا

الاستدلال بالقرآن وحده دائماً، حيث نجعله الأساس في بناء النقاط. وأما الأحاديث فإذا أوردناها فإنما هي لتعزيز المعنى وزيادة الإيضاح.

(ج) الهدف الثالث:

الهدف الثالث هو الشرح الكافي والوافي للحب وأساره من القرآن الكريم فقط. ولا يمكن لنا أو لغيرنا أن نقول كل ما يمكن أن يقال في هذا الموضوع وهو: الحب في القرآن الكريم. فكيف نستفد كلام الله الذي يقول:

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا

بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٤﴾ (الكهف، ١٨: ١٠٩)

والذي يقول ﷻ:

وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أُخْرٍ مَا نَفِدَتْ

كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ (لقمان، ٣١: ٢٧)

(د) الهدف الرابع:

إن الهدف الرابع في هذه الرسالة هو أن نفيد - بإذن الله تعالى - القارئ في بعض أسرار وعجائب الحب، لأن الحب ربما يكون أكبر سر في عالمنا المعاصر، فمعظم أفعال الناس وأمانيتهم من أجل الحب والسعادة. والسعادة هي وليدة الحب - كما سنرى إن شاء الله تعالى - ولكن معظم الناس لا يعلمون شيئاً عن الحب وبالتالي لا يعلمون شيئاً عمّا يعملون. لكن الذي يعلم عن الحب بإمكانه أن يُنمّي حباً معيناً، أو يوقفه. ولذلك يمكن لهذه الرسالة إن شاء الله أن تعود بالفائدة الكبيرة على الناس في مساعدة أنفسهم في حب الخير، والابتعاد عن حب الشهوات. وقد سعينا أن نبسط هذا الموضوع في فصول قصيرة ومستقلة، عسى أن تنفع هذه الفصول لتكون مواد

صالحة للتعليم في الجامعات أو دونها، ... وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ

أُنَيْبٌ (هود، ١١: ٨٨)

(هـ) الهدف الخامس:

يوجد عند كثير من غير المسلمين لبس شائع عن موضوع الحبّ في الإسلام وفي القرآن الكريم: فكثير من غير المسلمين - مفكريهم وعامتهم - يظنون أنه لا يوجد ذكراً للحب أو اعتناء به في القرآن الكريم، وإن وُجد اهتمام في الإسلام بالحب، فهذا الاهتمام إنما يأتي من المتصوفين أو أحياناً من بعض الأحاديث الشريفة (التي يُشككون أصلاً في صحتها)، وليس من القرآن الكريم. فالهدف الخامس في هذه الرسالة هو أن نبين أن القرآن الكريم ذكّر وأوضح كل ما يمكن للإنسان أن يعرفه أو يفهمه عن الحبّ فهو موجود في كتاب الله ﷻ - القرآن الكريم.

المطلب الثاني: المنهج في هذه الرسالة

إن المنهج في هذه الرسالة استدلالِي يستند إلى قاعدتين في تفسير كتاب

الله ﷻ.

القاعدة الأولى هي: القرآن يفسر بعضه بعضاً،

والقاعدة الثانية هي: لا ترادف في القرآن.

وفي القاعدة الأولى جاء في الدر المنثور للسيوطي ما يلي:

"أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: (مثنائي)

قال: القرآن يشبه بعضه بعضاً، ويُرد بعضه إلى بعض. وأخرج عن جرير وابن

المنذر عن سعيد بن جبّير رضي الله عنه في قوله: (متشابهاً) قال: يفسر بعضه بعضاً،

ويدل بعضه على بعض " ١٣ .

والقاعدة الثانية وهي أن لا ترادف في القرآن مُستنبطة من قول الله ﷻ:

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿١٢٧﴾

(النساء، ٤: ٨٢)

كُتِبَ أَحْكَمَتْ أَيْنْتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١١٠﴾ (هود، ١: ١)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١٨٠﴾ (الكهف، ١: ١٨)

قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨٠﴾ (الزمر، ٣٩: ٢٨)

٢. باب المقدمات؛ الفصل الثاني:

مقدمة: سِرُّ الحُبِّ

يقول الحق ﷻ:

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالتَّبِينِ وَالتَّقَنُّطِ الْمَقْتَضِرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ وَالتَّخِيلِ الْمُسَوِّمَةِ وَالتَّلَاعِمِ وَالتَّحْرَثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ

عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَقَابِلِ ﴿١٤﴾ (آل عمران: ١٤)

إن معظم ما يتعلق بحياة الإنسان المذكور في هذه الآية الكريمة، فالناس العاديون يقضون حياتهم إما طالبين للجنس، أو الذرية، أو العز، أو المال، أو الأملاك، وإما طالبين لحب الله، والآخر. فمعظم الموسيقى والأفلام الحديثة موضوعها الحب الجنسي، ومعظم عمل الإنسان هو لكسب المال، وسد حاجة أسرته، ومعظم العلاقات الاجتماعية هدفها طلب العز. وكل العبادة هدفها الجنة ووجه الله ﷻ. يُضاف إلى هذا أن معظم الذي نقوله أو نفكر فيه هو من أجل شيء نريده، وبالتالي من أجل شيء نحب، وهذا ينطبق حتى على الطعام والشراب، وينطبق على طلب الانبساط، والراحة، وعلى السعي في الفلاح في العمل، وعلى التعبير عن أحوالنا وعواطفنا. والمقصود في معظم ما نقوله ونفعله شيء نريده، وبالتالي نحب، أو شيء لا نريده فنفر منه وبالتالي لا نحب. فكم منا يدرك أن وراء كل نية يقصدها الإنسان إما حب النفس وإما حب الجسم وإما حب الشهوة وإما حب الآخر وإما حب الله ﷻ. حتى السعادة التي نبحت عنها ما هي إلا الرضا بامتلاك شيء نحب - كما سنرى إن شاء الله تعالى- فالحب هو القصد وراء معظم الأشياء إن لم يكن وراءها كلها. ولكن ما هو الحب؟ ولماذا نحن كبشر ملزمون، بل محكومون، بالحب؟ ومن أين يأتي الحب؟ وإلى أين يذهب؟ وما هو هدفه؟

وكيف يصل إلى هذا الهدف؟ كم من شاب بكى، أو انتحر نتيجة الحب؟ كم من مُسن بكى أو تألم نتيجة الخوف من مفارقة من يُحب؟ وكم من إنسان قادر على أن يرى ويصف ماذا يحدث له في الحب؟ وكم من إنسان يمتلك أو يسيطر بعقله على الذي يجب أن يجبه؟ لا مبالغة إن قلنا إنَّ معظم نشاط وجهود الحياة هو طلب للحب من غير أن ندرك ماذا نعمل ولِمَ؟ فالיום ليس على وجه الأرض - حسب علمنا - مدرسة أو جامعة تقدم مادة في الحب، وبالتالي تُعلِّم الناس بماذا سيقضون حياتهم مما يجعلهم:

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ دَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي

ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بِكُمْ عَمَى فَمَنْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ (البقرة، ٢: ١٧-١٨)

وبمشيئة الله ﷻ من خلال هذه الرسالة سننقل ما جاء في كلام الله ﷻ عن الحب وهو أكبر سر في الحياة، التي تشغل الكل فيها والقليل هم الذين يعلمون عنها شيئاً:

يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٣٠﴾ (الروم، ٣٠: ٧)

٣. باب المقدمات؛ الفصل الثالث:

تعريف الحب

بطبيعة الحال لا يمكن تعريف الحب بشكل قطعي، لأن الحب مثل الألم فيه شيء لا يُحدد ولا يُعرف من خلال وصفه، فالحب يختلف عن الشيء الملموس، فمن الممكن أن أعرف كرسياً، أو أسداً من خلال اسمه، ولكن لا يمكن أن أعرف حقيقة الحب عن طريق وصفه، ولهذا قال البعض إن الحب لا يُعرّف. ومع هذا يمكن لنا أن نستنبط تعريفاً معيناً يصف الحب وصفاً قريباً من الحقيقة من كلام الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۗ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا
كَالْمَعْلُوقَةِ ۗ ... (النساء، ٤: ١٢٩)

ويقول الله ﷻ:

لَا تَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعَجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ...
(الأحزاب، ٣٣: ٥٢)

تصف الآية الكريمة الأولى الحبّ بعد أن ينضج ويتطور. أمّا الآية الكريمة الثانية فتصف بداية الحب. وسوياً، تصف الآيتان بداية وتطور ونضوج الحب. ووصف بداية وتطور ونضوج أمر ما يعني وصفه بالكامل. فمن خلال وضع هاتين الآيتين الكريميتين سوياً، يمكننا وصف الحب. ولكن هاتان الآيتان كلمات الله ﷻ وليست كلمات بشر، وبالطبع بما أن الله ﷻ يعلم كل شيء، فيمكننا أخذ هذا الوصف للحب على أنه تعريف. إذاً فيمكننا أن نعرّف الحبّ على أنّه: "ميل، من بعد الإعجاب، إلى الحسن". وهذا التعريف الذي استنبطناه من كلام الله ﷻ مباشرة لا يختلف في جوهره

عما قاله كثيرٌ من العلماء في تعريف الحب^{١٤}.

تعريف العلماء للحب والمحبة

١٤

أقوال علماء المسلمين في الحبّ عموماً على قسمين. فأما القسم الأول فهم الذين يقولون إنه ليس للحب تعريف دقيق لكونه لا يوصف ولكن توصف آثاره فقط. أما القسم الثاني من العلماء فهم يصفون الحبّ كنوع من أنواع الميل إلى شيء جميل أو مُراد، علماً بأن الميل مُحال على الله ﷻ فالحب عند الله ﷻ هو نوع من تفضيله لبعض عباده. وأحياناً يخلط بعض العلماء بين هذين النوعين من التعريف.

قال **الجاحظ** (توفي سنة ٢٥٥هـ) منشداً قول أحد الشعراء:

"العين تُبدي الذي في نفس صاحبها ... من المحبة أو بغض إذا كانا
والعين تنطق والأفواه صامتة ... حتى ترى من ضمير القلب تبيانا"
(الجاحظ، كتاب البيان والتبيين، مجلد ١، ص ٦٢).

قال الإمام **الكلاباذي** (توفي سنة ٣٨٠هـ): "قال **الجنيد**: المحبة ميل القلوب. معناه: أن يميل قلبه إلى الله وإلى ما لله من غير تكلف. وقال غيره: المحبة: هي الموافقة، معناه: الطاعة له فيما أمر، والانتفاء عما زجر، والرضا بما حكم وقدر. قال محمد بن علي الكتاني: المحبة: الإيثار للمحبوب. قال غيره: المحبة: إيثار لمن تحب ... فمحبة العبد لله تعظيم يحل الأسرار، فلا يستجيز تعظيم سواه، ومحبة الله للعبد: هو أن يُبليه به فلا يصلح لغيره. وهو معنى قوله تعالى: **وَأَصْطَفَعْتُكَ لِنَفْسِي** ﴿٤١﴾. ومعنى لا يصلح لغيره: أن لا يكون فيه فضل لمراقبة الأغيار ومراعاة الأحوال ... إن للقوم عبارات تفرّدوا بها، واصطلاحات فيما بينهم لا يكاد يستعملها غيرهم، نخبر ببعض ما يحضر، ونكشف معانيها بقول وجيز. وإنما نقصد في ذلك إلى معنى العبارة دون ما تتضمنه العبارة، فإن مضمونها لا يدخل تحت الإشارة فضلاً عن الكشف، وأما كنهه أحوالهم فإن العبارة عنها مقصورة وهي لأربابها مشهورة".

(الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ص ١٠٩-١١١)

وقال ابن سينا (توفي سنة ٤٢٨هـ): "لأن العشق ليس في الحقيقة إلا استحسان الحسن والملائم جداً". (ابن سينا، رسالة في العشق، ص ٥٢).

وقال ابن حزم (توفي سنة ٤٥٦هـ) في تعريف الحب: "الذي أذهب إليه أنه اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع". (ابن حزم، طوق

الحمامة، ص ٧). وقال ابن حزم في تعريفه أيضاً: " الحب اتصال بين النفوس في أصل عالمها العلوي". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ٢٧).

وقال **القشيري** (توفي سنة ٤٦٥هـ): " المحبة حالة شريفة، شهد الحق سبحانه بها للعبد، وأخبر عن محبته للعبد، فالحق سبحانه يُوصف بأنه يُحب العبد، والعبد يُوصف بأنه يحب الحق سبحانه، والمحبة على لسان العلماء هي الإرادة، وليس مراد القوم بالمحبة الإرادة، فإن الإرادة لا تتعلق بالقديم، اللهم إلا أن يُحمل على إرادة التقرب إليه والتعظيم له، ونحن نذكر من تحقيق هذه المسألة طرفين إن شاء الله تعالى، فمحبته الحق سبحانه للعبد إرادته لإنعام بخصوص عليه، كما أن رحمته له إرادة الإنعام، فالرحمة خاص من الإرادة، والمحبة أخص من الرحمة، فإرادة الله تعالى لأن يوصل إلى العبد الثواب والإنعام، وتسمى رحمة، وإرادته لأن يخصه بالقربة والأحوال العلية وتسمى محبة، فإرادته سبحانه صفة واحدة، فبحسب تفاوت متعلقاتها تختلف أسماؤها، فإذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضباً، وإذا تعلقت بعموم النعم تسمى رحمة، وإذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة ... وقال قوم من السلف: محبته من الصفات الخبرية فأطلقوا اللفظ وتوقفوا عن التفسير، فأما ما عدا هذه الجملة مما هو في العقول من صفات محبة الخلق كالميل إلى الشيء والاستئناس بالشيء، وكحالة يجدها المحب مع محبوبه من المخلوقين، فالقديم سبحانه يتعالى عن ذلك، وأما محبة العبد لله تعالى فحالة يجدها من قلبه تلتطف عن العبارة، وقد تحملت تلك الحالة على تعظيمه، وإيثار رضاه، وقلة الصبر عنه، والاهتياج إليه، وعدم القرار من دونه، ووجود الاستئناس بدوام ذكره له بقلبه ... وعبارات الناس عن المحبة كثيرة، وقد تكلموا في أصلها في اللغة، فبعضهم قال: الحب اسم لصفاء المودة ... وأما أفاويل الشيوخ فيه: فقال بعضهم: المحبة الميل الدائم بالقلب الهائم. وقيل: المحبة إيثار المحبوب على جميع المصحوب. وقيل: موافقة الحبيب في المشهد والمغيب. وقيل: محو الحب لصفاته، وإثبات المحبوب بذاته. وقيل: مواطاة القلب لمرادات الرب. وقيل: خوف ترك الحرمة مع إقامة الخدمة. وقال أبو يزيد البسطامي: المحبة استقلال الكثير من نفسك، واستكثار القليل من حبيبك. وقال سهل بن عبد الله: الحب معانقة الطاعة، ومباينة المخالفة. وسئل **الجنيد** عن المحبة فقال: دخول صفات المحبوب على البديل من صفات المحب. أشار بهذا إلى استيلاء ذكر المحبوب حتى لا يكون الغالب على قلب المحب إلا ذكر صفات المحبوب، والتغافل بالكلية عن صفات نفسه والإحساس بها. وقال أبو علي أحمد الروذباري: المحبة الموافقة. وقال أبو عبد الله القرشي: حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت،

فلا يبقى لك منك شيء. وقال دلف الشبلي: سُميت المحبة محبة لأنها تمحو من القلب ما سوى المحبوب ... " إلى آخره. (أبو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٣١٧-٣٢٧).

وقال الغزالي (توفي سنة ٥٠٥هـ): "بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى لم يُتصور أن يتصف بالحب جماد بل هو خاصية الحي المدرك فالحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء المُلدِّ، فإن تأكد ذلك الميل وقوي سُمي عشقاً والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملائم، وهذا إنما يُتصور في نفس ناقصة فإنها تميل إلى ما لا يوافقها فتستفيد بنيله كمالاً فتلتذ بنيله وهذا مُحال على الله تعالى فإذا محبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه، وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه. وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى درك هذا الكمال الذي هو مُفلس عنه فاقد له، فلا جرم يشتاقي إلى ما فاته، وإذا أدرك منه شيئاً يلتذ به، والشوق والمحبة بهذا المعنى مُحالٌ على الله تعالى". (الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، مجلد ٤، ص ٣٧٨-٤٥٤).

وقال ابن العريف (توفي سنة ٥٣٦هـ): "وأما المحبة فهي أول أودية الفناء، والعقبة التي يُتحدَّرُ منها على منازل المحو، وهو آخر منزل تلتقي فيه مقدمة العامة بساقاة الخاصة". (ابن العريف، النفائس ومحاسن المجالس، ص ٦٩٥).

وقال ابن الجوزي (توفي سنة ٥٩٧هـ): "اعلم أن الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه، وهذا الميل قد خُلِقَ في الإنسان لضرورة بقائه، فإنه لولا ميله إلى المطعم ما أكل، وإلى المشرب ما شرب، وإلى المنكح ما نكح، وكذلك كل ما يشتهي، فالهوى مستجلب له ما يفيد، كما أن الغضب يدفع عنه ما يؤذي، فلا يصلح ذمُّ الهوى على الإطلاق، وإنما يُذمُّ المفرط من ذلك، وهو ما يزيد على جلب المصالح ودفع المضار". (ابن الجوزي، ذم الهوى، ص ١٨).

وقال الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي (توفي سنة ٦٣٨هـ) في الباب الثامن والسبعين ومئة في معرفة مقام المحبة: "اعلم وفقك الله أن الحبَّ مقام إلهي فإنه وصَفَ به نفسه وتسمَّى بالودود ولهذا المقام أربعة ألقاب: منها الحبَّ وهو خلوصه إلى القلب وصفائه عن كدورات العوارض فلا غرض له ولا إرادة مع محبوه. واللقب الثاني: الودَّ وله اسم إلهي وهو الودود، والودَّ من نعوته وهو الثابت فيه، وبه سمِّي الودَّ ودأً لثبوته في الأرض. واللقب الثالث: العشق وهو إفراط المحبة، وكنى عنه في القرآن بشدة الحبَّ في قوله: (... وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ...) (البقرة، ٢: ١٦٥) وهو قوله: (... قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ...) (يوسف، ١٢: ٣٠)

وهذا الوصف ينطبق على الإنسان لأنه ينطبق على رسول الله ﷺ.

أي صار حبّ يوسف على قلبها كالشغاف وهي الجلدة الرقيقة التي تحتوي على القلب فهي ظرف له محيطة، وقد وصف الحق نفسه في الخبر بشدة الحبّ غير أنه لا يطلق على الحق اسم العشق، والعاشق والعشق التفاف الحبّ على المحب حتى خالط جميع أجزائه، واشتمل عليه اشتمال الصماء مشتق من العشقة. واللقب الرابع: الهوى وهو استفراغ الإرادة في المحبوب والتعلّق به في أول ما يحصل في القلب وليس لله منه اسم، ولحصوله سبب، نظرة أو خبر أو إحسان، وأسبابه كثيرة، ومعناه في الخبر الإلهي الصحيح حبّ الله عبده إذا أكثر نوافل الخيرات، وكذلك اتباع الرسول فيما شرع، وهذا منزلته فينا مسمّى الهوى واختلف الناس في حدّه فما رأيت أحداً حدّه بالحدّ الذاتي بل لا يتصوّر ذلك، فما حدّه من حدّه إلاّ بنتائج وآثاره ولوازمه، ولا سيما وقد اتصف به الجناب العزيز وهو الله. وأحسن ما سمعت فيه ما حدثنا به غير واحد عن أبي العباس ابن العريف الصنهاجي قالوا: سمعناه يقول وقد سئل عن المحبة فقال: الغيرة من صفات المحبة والغيرة تأتي إلاّ السرّ فلا تحدّ. واعلم أن الأمور المعلومات على قسمين: منها ما يحد، ومنها ما لا يحد، والمحبة عند العلماء بها، المتكلمين فيها، من الأمور التي لا تحد، فيعرفها من قامت به ومن كانت صفته ولا يعرف ما هي ولا ينكر وجودها إن الحبّ تعلق خاص من تعلقات الإرادة". (الشيخ ابن عربي، الفتوحات المكية، مجلد ٢، ص ٣١٧-٣٢٢).

وقال ابن قيم الجوزية (توفي سنة ٧٥١هـ): "فصل: لا تُحدّ المحبة بحدٍ أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاءً وجفاءً، فحدها وجودها، ولا توصف المحبة بوصفٍ أظهر من المحبة. وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدا وثمراتها وأحكامها، فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة، وتنوعت بهم العبارات، وكثرت الإشارات، بحسب إدراك الشخص ومقامه وحاله، ومُلكه للعبارة. وهذه المادة تدور في اللغة على خمسة أشياء: أحدها: الصفاء والبياض الثاني: العلو والظهور الثالث: اللزوم والثبات الرابع: اللبّ وهو أصل الشيء ومادته وقوامه. الخامس: الحفظ والإمسك ولا ريب أن هذه الخمسة من لوازم المحبة". (ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، مجلد ٣، ص ١٠).

ولكن لا نعلم هل يجوز لفظ "الإعجاب" ولفظ "الميل" على حبّ الله ﷻ.
يقول الإمام الغزالي - كما ذكرنا بعضه في الحاشية السابقة - :

"والحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملائمتي، وهذا إنما يُتصوّر في نفس ناقصة فإنها تميل إلى ما لا يوافقها فتستفيد بنيله كما لا فتلتدّ بنيله، وهذا مُحال على الله تعالى فإذا محبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه، وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه. وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى درك هذا الكمال الذي هو مُفلس عنه فاقد له، فلا جرّم يشقاق إلى ما فاته، وإذا أدرك منه شيئاً يلتدّ به، والشوق والمحبة بهذا المعنى مُحالٌ على الله تعالى" ١٥.

فالإمام الغزالي يصف محبة الله للعبد بأنها "تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه"....". والغزالي هنا يستعمل كلمة "المحبة"، وقد يكون هنالك فرق بين كلمتي "المحبة" و"الحب" كما سنرى لاحقاً إن شاء الله. ولكن كيف نصل إلى فهم حب الله ﷻ من القرآن الكريم؟

كما سنرى لاحقاً (في فصل "حب الله ﷻ للناس") فإن الله ﷻ يحب - وبالتالي يعطي - كل الناس بل كل الخلق أفضالاً لا حصر لها وذلك من رحمة الله وحبه. ولكن الله ﷻ يحدد ثمانية أو تسعة أصناف من الناس يحبهم بشكل خاص (منهم "الصابرين" و"المتقين" و"المحسنين"، إلخ). والقاسم المشترك بين هؤلاء الناس هو الجمال الخلقى وحلية النفس. ولهذا يمكن القول إنه في حين أن الله ﷻ يحب كل شيء خلقه بشكل عام، إلا أنه يحب الجمال الخلقى وحلية النفس بشكل خاص. والله ﷻ وضع الجمال في كل ما خلقه، يقول الله ﷻ:

١٥ الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، مجلد ٤، ص ٣٧٨-٤٥٤.

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۗ وَوَدَّأَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ (السجدة، ٣٢: ٧)

إذاً، يمكن القول إن الله ﷻ يحب الجمال الخلقي وحلية النفس بشكل خاص ويحب الجمال العام بشكل عام. أي أن الله ﷻ يحب الجمال أو الجمال بحسب درجته.

ولكن بما أن الله ﷻ خلق كل شيء - بما في ذلك كل الجمال الذي في الوجود - فإن ذلك يعني أنه أعطى كل شيء خلقه كهدية منه ﷻ. وحين سأل فرعونُ سيدنا موسى ﷺ عن الله ﷻ، حدث النقاش التالي:

قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿١٢﴾

(طه، ٤٩: ٥٠)

إذاً فالله ﷻ هو الذي يعطي كل شيء خلقه ثم يهدي كل شيء (وفي حالة الإنسان فهي هدية الجمال الخلقي وحلية النفس). إذاً فإن حبَّ الله ﷻ بالنسبة للناس هو أولاً أنه أعطى الوجود لكل مخلوق وأفضال كثيرة أخرى (من بينها الجمال بأنواعه المختلفة)، وثانياً حبَّ الجمال. ويمكن اختصار كل هذا في الحديث الشريف التالي:

«إن الله جميل يحب الجمال»^{١٦}.

إن الله جميل - أو بالأحرى: هو "الجميل" في حديث شريف آخر^{١٧} -

١٦ رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر، رقم ٩١.

١٧ عن أبي هريرة ؓ، أن رسول الله ﷺ قال: "إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً إنه وتر يجب الوتر من حفظها دخل الجنة، وهي: الله، الواحد، الصمد، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الخالق، البارئ، المصور، الملك، الحق، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الرحمن، الرحيم، اللطيف، الخبير، السميع، البصير، العليم، العظيم، البار، المتعال، الجليل، الجميل، الحي، القيوم، القادر، القاهر، العلي، الحكيم، القريب، المجيب، الغني، الوهاب، الودود، الشكور، الماجد، الواجد، الوالي، الراشد، العفو، الغفور، الحليم، الكريم، التواب، الرب، المجيد، الولي، الشهيد، المين، البرهان، الرؤوف، الرحيم، المبدئ، المعيد، الباعث، الوارث، القوي، الشديد، الضار، النافع، الباقي، الواقي، الخافض، الرافع،

يعني أن الجمال كله هدية من عند الله ﷻ وبالتالي فإن الله ﷻ هو معطي^{١٨} الوجود ومعطي أفضلًا لا تحصى لكل مخلوق. أن الله " يحب الجمال " يعني أن حبَّ الله ﷻ هو حبَّ الجمال (دون أن ننسى أن كل الجمال المخلوق من عنده ﷻ). وهذا يؤكد وصفنا السابق لحب الله ﷻ. ويمكن أن نستنتج تعريفًا مشابهًا لرحمة الله^{١٩} ﷻ.

القابض، الباسط، المعز، المذل، المقسط، الرزاق، ذو القوة، المتين، القائم، الدائم، الحافظ، الوكيل، الفاطر، السامع، المعطي، المحيي، المميت، المانع، الجامع، الهادي، الكافي، الأبد، العالم، الصادق، النور، المنير، التام، القديم، الوتر، الأحد، الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد". رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب أسماء الله عز وجل، رقم ٣٨٦١؛ وهناك حديث مشابه - ولعله معروف بشكل أوسع - يذكر فيه سيدنا محمد ﷺ مجموعة مختلفة قليلاً من أسماء الله الحسنى، رواه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب أسماء الله الحسنى، رقم ٣٥٠٧؛ ولكن هذه المجموعة لا تتضمن اسم "الجميل".

١٨ " المعطي " من أسماء الله الحسنى.

١٩ خلق الله ﷻ البشرية والكون من رحمته، فكما سنرى في تفصيل أكبر في فصل " الحب أصل الخلق " يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: **الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ**

أَلْبَانَ ۝ (الرحمن، ٥٥: ١-٤)، ويقول ﷻ:

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ... (هود، ١١: ١١٨-١١٩).

ولكن يجب الالتفات إلى أنه في حين أن رحمة الله ﷻ " وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ "، إلا أنها

" مكتوبة " فقط **" لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَاقِبَتِنَا يُؤْمِنُونَ "** :

وَأَكْمَلْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ قَالِ عَدَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ ۗ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْمِلُنَّهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَاقِبَتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝ (الأعراف، ٧: ١٥٦)

وهكذا فإن رحمة الله ﷻ تتجلى أولاً في خلق كل شيء وإعطاء كل شيء خلقه (وأفضال أخرى لا تحصى)، وثانياً، نرى رحمة الله ﷻ تجاه الذين **يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ**

تعريف الحبّ الإلهي على أنه: "أولاً، أنه أعطى الوجود وأفضلاً
أخرى لا تحصى (من ضمنها الجمال بأنواعه المختلفة) إلى كل مخلوق، وثانياً،
حبّ الجمال، وهو تعريف لا يتعارض في معناه مع تعريف الحبّ البشري
على أنه "الميل إلى الحسن" أو الجمال، إلا أنه يجب ان تذكر أن الله ﷻ خلق
كل شيء وأن كل الجمال هو هدية من الله ﷻ ولا يمكن القول إن الله ﷻ
"يميل" والله أعلم.



ويؤكد وصفنا السابق للحب الأصل اللغوي للكلمة فالحب من الحبّ،
والحبّ هو الذي يقع في الأرض، ثم ينمو، ثم يأتي بنبتة جميلة جديدة. فقد
أوضح الله ﷻ في كتابه الكريم هذا الأمر في قوله ﷻ:

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُنْبِتَتْ سَعَةٍ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ
مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ (البقرة، ٢: ٢٦١)

فالحبّ مثل الحبّ، يأتي بنبتة يضاعفها الله كيف يشاء، لمن يشاء. وقد
أكد العلماء هذا الأصل اللغوي لكلمة "الحب"، وذكروا أصولاً أخرى

وَالَّذِينَ هُمْ بِهَا يُؤْمِنُونَ. فيمكننا القول إن رحمة الله ﷻ هي أولاً أنه أعطى الوجود لكل شيء
في الخلق ومن ثم رحمة الله ﷻ التي يكتبها للبشر الذين يقبلون رحمة الله ويهتدون اليه ﷻ.
وهكذا يمكن تعريف رحمة الله ﷻ - أو على الأقل معرفتها - بشكل مشابه لحب الله
ﷻ (كما ناقشنا أعلاه). وبالطبع فإن هذا أمر متوقع لأن الحبّ الإلهي هو صفة إلهية لا
يمكن فصلها عن الرحمة الإلهية، كما سنرى لاحقاً في فصل "الله ﷻ والحب". يقول الله ﷻ:

وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ (هود، ١١: ٩٠)

وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿٨٥﴾ (الروح، ٨٥: ١٤)

لكلمة الحبّ قد تكون مشتقة منها أيضاً^{٢٠}.

مسألة: ما الفرق بين الحبّ والرحمة؟

كما سنرى لاحقاً، فإن الرحمة نوع من أنواع الحبّ (انظر: الباب الرابع، الفصل الأول: أنواع الحبّ) وأيضاً مرحلة من مراحل الحبّ بين البشر (انظر: الباب الرابع، الفصل الثاني: مراحل الحبّ). ولكن هناك عدة اختلافات مهمّة - أو لعلها فروقات - بين الحبّ والرحمة في القرآن الكريم.

أولاً، إن الرحمة تجاه ما هو مرتبط بالمحبوب من أجل المحبوب هي نتيجة حتمية للحب. ولكن الحبّ ليس نتيجة حتمية للرحمة، يقول الله ﷻ:

٢٠ قال القشيري: "وعبارات الناس عن المحبة كثيرة، وقد تكلموا في أصلها في اللغة، فبعضهم قال: الحبّ اسم لصفاء المودة، لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها حبب الأسنان. وقيل الحُبّاب ما يعلو الماء عند المطر الشديد، فعلى هذه المحبة غليان القلب وثورانه عند العطش، والاهتياج إلى لقاء المحبوب. وقيل: إنه مشتق من حَبَاب الماء بفتح الحاء وهو معظمه، فسمي بذلك: لأن المحبة غاية معظم ما في القلب من المهمات. وقيل: اشتقاقه من اللزوم والثبات، يقال: أحب البعير وهو أن يترك فلا يقوم، فكأن المحب لا يبرح بقلبه عن ذكر محبوبه. وقيل: الحبّ مأخوذ من الحبّ وهو القَرَط، قال الشاعر:

تبيت الحية النضناض منه مكان الحبّ يستمع السرارا

وسمي القَرَط حَباً: إما للزومه للأذن أو لَلَقَلْبِهِ، وكلا المعنيين صحيح في الحُب. وقيل: هو مأخوذ من الحبّ، والحبّ جمع حَبّة، وحَبّة القلب ما به قوامه، فسمي الحبّ حُباً باسم محله. وقيل: هو مأخوذ من الحِبّة بكسر الحاء، وهي بزور الصحراء، فسمي الحبّ حِباً لأنه لباب الحياة، كما أن الحبّ لباب النبات. وقيل: الحبّ هي الخشبات الأربع التي توضع عليها الجرة، فسميت المحبة حِباً لأنه يتحمل عن محبوبه كل عز وذل. وقيل: هو من الحبّ الذي فيه الماء، لأنه يمسك ما فيه فلا يسع فيه غير ما امتلأ به، كذلك إذا امتلأ القلب بالحب فلا مساغ فيه لغير محبوبه". (القشيري، الرسالة القشيرية، ص ٣٢٠).

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ... (الفتح، ٤٨: ٢٩). ف "الذين مع" رسول الله ﷺ هم الذين يحبون الله ﷻ بالدرجة الأولى. وحبهم لله ﷻ مرتبط بالرحمة تجاه بعضهم بعضاً لأنهم يدركون أنهم جميعاً يحبون الله ﷻ وإن الله ﷻ يحبهم. إذاً فالحبّ أكمل من الرحمة وهو يشملها.

ثانياً، إن رحمة الله ﷻ **"وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ..."** (الأعراف، ٧: ١٥٦)، ويذكر الله

ﷻ في القرآن الكريم أنه يحبّ أصنافاً معينة من البشر بشكل خاص. ومع ذلك فإن "الودود" من أسماء الله الحسنى واستعمل في القرآن الكريم بالإشارة إلى كل الخلق (أي عرشه تحديداً) وليس لجزئيات من الخلق، يقول الله ﷻ: **وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٠١﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٠٢﴾** (البروج، ٨٥: ١٤ - ١٥). إذاً فإن حبّ الله ﷻ ينطبق على الأمور الكلية وليس على الجزئيات: فالإنسان هو كليّة (وكما سنناقش لاحقاً في الهامش رقم ٨١ في الباب الثالث: حبّ الإنسان، المطلوب الرابع: حبّ ما يذكر بالله ﷻ)، فإنّ الإنسان قد يحمل في مكنونه أن يكون انعكاساً للخلق كله - ومن الواضح أن "الخلق كله" - كليّة. يقول الله ﷻ: **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ...** (البقرة، ٢: ١٦٥).

فرحمة الله ﷻ، كما نرى في هذه الآية الكريمة، تنطبق على أمور معينة - وعلى كل الأمور المعينة - وحتى على أمور غير مكتملة. إذاً فالحبّ يتطلّب محبوباً "كلياً"، أما الرحمة فلا تتطلّب ذلك.

ثالثاً، في حين أن الله ﷻ قد يحبّ ويرحم البشر في الوقت ذاته فإن البشر يمكنهم أن يحبوا الله ﷻ - كما في قوله ﷻ: **... بِقَوْمٍ نُحِبُّهُمْ وَنُحِبُّونَهُ ...** (المائدة، ٥: ٥٤). - ولكن لا يمكنهم أن يشعروا بالرحمة تجاهه ﷻ. وطبعاً فإن الله ﷻ لا يحتاج إلى رحمة البشر أو حبهم - بل على العكس، **وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ...** (محمد، ٤٧: ٣٨) - والسبب في هذا هو أنّ الحبّ الحقيقي نفسه يشمل كليّة المحبوب أو المحبّ، بينما لا تشمل الرحمة ذلك. فالله ﷻ يقول: **مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي**

سبق وأن عرفنا الحبَّ البشري على أنه "ميل من بعد الإعجاب بالحُسن"، وعرفنا حبَّ الله ﷻ بأنه: "أولاً، أنه أعطى الوجود لكل مخلوق وأفضال كثيرة أخرى (من بينها الجمال بأنواعه المختلفة)، وثانياً حبَّ الجمال". وبما أننا قد رأينا أن: (١) الحبُّ أكثر اكتمالاً من الرحمة ويشملها و(٢) الحبُّ يتطلَّب محبوباً "كلياً"، في حين أنَّ الرحمة لا تتطلَّب ذلك و(٣) الحبُّ يشمل كليَّة المحبوب أو المحبِّ، أما الرحمة فلا تشمل ذلك، إذاً يمكننا الاستنتاج أنَّ الاختلاف بين الحبِّ والرحمة هي أن الحبَّ يشمل هبة كليَّة بينما تشمل الرحمة هبة جزئية. إذاً قد يمكننا القول بأنَّ الحبَّ يشمل هبة النفس، بينما تشمل الرحمة هبة شيءٍ آخر. والله أعلم.

الباب الأول: الحب الإلهي

٤. الباب الأول؛ الفصل الأول:

الله ﷻ والحب

الحب كصفة إلهية

من الواضح أن الحب حقيقة، لأن الله ﷻ ذكر في القرآن الكريم أنه يحب بعض الأنواع من الناس ومنهم المتوكلون: **فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** (آل عمران، ٣: ١٥٩)

ويؤكد أيضاً أن الحب من صفات الله ﷻ وليس فقط من أفعاله كثير من أسمائه الحسنى (مثل اسمه ﷻ: "اللطيف"، و"الرؤوف"، و"الكريم"، و"الحليم"، و"الوكيل"، و"الولي" و"البر"، و"الغفور"، و"الغفار"، و"التواب"، و"العفو") وبالذات اسمه "الودود" الذي جاء في القرآن الكريم مرتين:

وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (هود، ١١: ٩٠)

وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (البروج، ٨٥: ١٤)

فاسم الله ﷻ الودود يدل على علاقة الحب بالرحمة لأن معنى^{٢١} اسم

٢١ قال الإمام الغزالي (توفي سنة ٥٠٥هـ) في اسم الله الودود: "الودود هو الذي يحب الخير لجميع الخلق فيحسن إليهم ويثني عليهم. وهو قريب من معنى الرحيم، لكن الرحمة إضافة إلى مرحوم، والمرحوم هو المحتاج والمضطرب. وأفعال الرحيم تستدعي مرحوماً ضعيفاً، وأفعال الودود لا تستدعي ذلك، بل الإنعام على سبيل الابتداء من نتائج الود". (الإمام الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، ص ١٢٢).

"الودود" يحتوي على فكرتين: الحبّ والرحمة - كما نرى في اقتران اسم "الودود" باسم "الرحيم" واسم "الغفور" في الآيتين الكريميتين أعلاه - وبالتالي فإنّ الحبّ يأتي مع الرحمة، وإنّ الرحمة تأتي مع الحب.

وأيضاً يمكننا أن نقول إنّ أسماء الله الحسنى الأخرى التي تدل على "الإكرام" أو "الجمال" - مثل "الرؤوف" الذي أتى في القرآن الكريم عشر مرات^{٢٢} وغيره من الأسماء - تشير إلى حبّ ورحمة الله ﷻ معاً. بل أكثر من ذلك فبالإمكان أن نقول: إنّ الرحمة تُؤلّد الحب. فالرحمة من الرحم، ويقول الله ﷻ في الحديث القدسي:

«أَنَا اللَّهُ وَأَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنْ اسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَّئُهُ»^{٢٣}.

وإذا تفكرنا في الرحم نستنتج أن الرحم تلد الحبّ كما يلد الطفل، لأنّ

وقال الإمام الرازي (توفي سنة ٦٠٦هـ) في اسم الله الودود: "قال تعالى (وهو الغفور الودود) والود هو الحبّ، وفيه وجهان. الأول أنه فعول بمعنى فاعل، فالودود بمعنى الواد، أي يجبهم كما قال "... لِحُبِّهِمْ وَنَحْوُونَهُ..." (المائدة: ٥٤) ومعنى قولنا: أنه تعالى يجب عبده أي يريد إيصال الخيرات إليه. واعلم أن الودّ بهذا التفسير قريب من الرحمة، لكن الفرق بينهما أن الرحمة تستدعي مرحوماً ضعيفاً، والود لا يستدعي ذلك، بل الإنعام على سبيل الابتداء من نتائج الود. الثاني: أن يكون معنى كونه ودوداً أن يوددهم إلى خلقه، كما قال: "... سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا" (مريم: ٩٦) الثالث: أن يكون فعول بمعنى المفعول، كما قيل: رجل هيبوب بمعنى مهيب، وفرس ركوب، بمعنى مركوب، فالله سبحانه وتعالى مودود في قلوب أوليائه، لكثرة وصول إحسانه إليهم". (الرازي، شرح أسماء الله الحسنى، ص ٢٧٣-٢٧٤).

٢٢ البقرة ٢: ١٤٣، والبقرة ٢: ٢٠٧، وآل عمران ٣: ٣٠، والتوبة ٩: ١١٧، والنحل ١٦: ٧، والنحل ١٦: ٤٧، والمؤمنون ٢٣: ٦٥، والنور ٢٤: ٢٠، والحديد ٥٧: ٩، والحشر ٥٩: ١٠.

٢٣ رواه الترمذي، رقم ١٩٠٧، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في قطيعة الرحم.

الحب في القرآن الكريم

الطفل يولد من الرحم ومعه حبّ أمه، وهذه قاعدة طبيعية: الرحمة تولد الحبّ ولكن للحب خصوصية على الرحمة.

ولا تقتصر العلاقة الطبيعية بين الحبّ والرحمة على صلة الرحم. فالله ﷻ وضع علاقة المودة - التي هي نوع من أنواع الحبّ كما سنرى لاحقاً إن شاء الله - بالرحمة في الآية التالية:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ (الروم: ٣٠)



الحب والرحمة باعتبارهما من الذات الإلهية

قد اقترن اسمه ﷻ "الرَّحْمَنُ" باسم الجلالة "الله" في قوله سبحانه:

قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿١٧﴾ ... (الإسراء: ١٧)

فهذا يعني أن الرحمة من الذات الإلهية من غير تشبيه^{٢٤}. ويؤكد هذا

^{٢٤} من المهم التفكير بعناية بمعنى ما يشير إليه لفظ "نفس الله ﷻ" ولفظ "وجه الله ﷻ" المذكوران بدقة البالغة في القرآن الكريم ("نفس" - كما سنناقش في الباب الثالث؛ الفصل السابع إن شاء الله - تعني [في السياق البشري] "الروح" بالإضافة إلى "النفس". عند الإنسان، الروح هو الإنسان نفسه ولا يمكن رؤيتها بالعين ولكن صفاتها تتضح على وجه الإنسان (ويمكن لوجه الإنسان أن يستر هذه الصفات). وفي القرآن الكريم فإن نفس الله ﷻ لا يمكن علمها، حتى علم المسيح ﷺ الذي يقول في القرآن الكريم:

... تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٦﴾ (المائدة: ١٦)

ويقول الله ﷻ في القرآن الكريم:

... وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴿٣٠﴾ ... (آل عمران: ٣٠؛ ٢٨: انظر أيضاً ٣٠: ٣٠)

ومن جهة أخرى، بالنسبة للفظ "وجه الله ﷻ"، يقول الله ﷻ في القرآن الكريم:

الطرح قول الله ﷻ:

... كَتَبَ عَلَيَّ نَفْسِيهِ الرَّحْمَةَ ... (الأعراف، ٦٦: ١٢)

وقوله ﷻ:

... كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَيَّ نَفْسِيهِ الرَّحْمَةَ ... (الأعراف، ٦٦: ٥٤)

وهذا يعني أيضاً أن الله ﷻ ألزم نفسه الرحمة؛ أي أن الرحمة الإلهية هي من الذات الإلهية وبالتالي إنها تَسَع كل شيء. ويؤكد ذلك قوله ﷻ:

... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ... (الأعراف، ٧: ١٥٦)

وهذا ما أكدته الملائكة وهم يستغفرون للذين آمنوا:

... رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ... (غافر، ٤٠: ٧)

ولا يفوتنا أيضاً أن نذكر أن جميع سور القرآن الكريم تبدأ بـ "بسم الله الرحمن الرحيم"، باستثناء سورة التوبة وأن العلماء قالوا بأن "البسملة" التي لم تذكر في أولها موجودة في سورة النمل في قوله ﷻ:

... وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (النمل، ٢٧: ٣٠)

فبما أن كل شيء في القرآن يبدأ بـ "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" فهذا

... فَأَيُّمَّا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ... (البقرة، ٢: ١١٥)

و:

❖ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَا تُفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ ۗ وَمَا تُفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۗ وَمَا تُفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَنْظُرُونَ ۗ

(البقرة، ٢: ٢٧٢)

إذاً فإن هذه الآيات ترينا بوضوح الفروق المحددة الموحاة من الإشارات في القرآن الكريم لنفس ووجه الله ﷻ.

يدل أيضاً على الاقتران بين اسم " الله " والرحمة^{٢٥}.

فكل ذلك لنقول إن الرحمة ومعها الحب من صفات الله ﷻ ومن أسماء الذات الإلهية. ونرى هذا في آية الكرسي التي تتحدث عن الذات الإلهية وصفات الله ﷻ^{٢٦}. وقال سيدنا محمد ﷺ عن آية الكرسي إنها أعظم آية في القرآن الكريم^{٢٧}. يقول الله ﷻ:

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَلَا

٢٥ يشير العالم عبد الكريم الجلي (توفي سنة ٨٠٥هـ) إلى أن الرحمة أصل أسماء وصفات الله ﷻ وأن أسماء الله تنبثق من صفة الرحمانية، وهذا نصه من كتابه الإنسان الكامل: "الرحمانية: هي الظهور بجقائت الأسماء والصفات، وهي بين ما يختص به في ذاته كالأسماء الذاتية، وبين ما لها وجه إلى المخلوقات كالعالم والقادر والسميع وما أشبه ذلك مما له تعلق بالحقائق الوجودية والاسم الظاهر في المرتبة الرحمانية هو الرحمن، وهو اسم يرجع إلى أسمائه الذاتية وأوصافه النفسية، وهي سبعة: الحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر واختصاص هذه المرتبة بهذا الاسم للرحمة الشاملة لكل المراتب الحقيقية والخلقية، فإن بظهوره في المراتب الحقيقية ظهرت المراتب الخلقية، فصارت الرحمة عامة في جميع الموجودات من الحضرة الرحمانية ". (الشيخ الجلي، الإنسان الكامل، ص ٧٣).

٢٦ لقد حرصنا كل الحرص على استعمال لغة القرآن الكريم ولغة الحديث هنا (التفويض): فقلنا إن الرحمة ومعها الحب من صفات الله ومن أسماء الذات الإلهية ولم نقل إن الذات الإلهية "هي" الرحمة (أو الحب). ومن دون الخوض في جدل ديني سنقول إن الحاشيتين السابقتين تكفي لشرح الأسباب لهذا.

٢٧ عن أبي بن كعب؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم. قال: فضرب في صدري وقال: «والله ليهنك العلم أبا المنذر». رواه مسلم في صحيحه، ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، رقم ٨١٠.

يُحِطُّونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ (البقرة، ٢: ٢٥٥)

بعد ذكر اسمين من أسماء الله الحسنى ("الحي" و"القيوم") وبعض الصفات الإلهية، يقول الله ﷻ: **مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ**. الشفاعة وظيفة من وظائف الرحمة وانعكاساً لها، فنفهم من هذه الآية الكريمة أن الرحمة الإلهية هي من الذات الإلهية وأن الرحمة كلها - حتى رحمة مخلوقات الله ﷻ تجاه بعضها بعضاً - هي من عند الله ﷻ بكونها **"بِإِذْنِهِ"**. يقول الله ﷻ:

﴿ وَكَرَّمْنَا مَلَكًا فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ (النجم، ٥٣: ٢٦)

وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَاوِيٌّ وَلَا شَافِعٌ لَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ (الأنعام، ٦: ٥١)

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَاوِيٍّ وَلَا شَافِعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤١﴾ (السجدة، ٣٢: ٤)

أَمْ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٣٩﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ (الزمر، ٣٩: ٤٤-٤٤)



واختلف العلماء والمفسرون في الفرق بين "الرحمن" و"الرحيم" لكنهم أكدوا جميعاً أن اسم "الرحمن" لا يحتاج مفعولاً به، بينما اسم

"الرحيم" يحتاج إلى مفعول به لكي يرحمهم. فهذا يعني أن الرحمن رحمن بذاته، وأن الرحيم رحيم بفعله. بما أن الحب يأتي مع الرحمة، وبما أن الرحمة تأتي في كل من الاسمين الكريمين: "الرحمن" و "الرحيم" ^{٢٨} فالحب إذاً

اسمًا الله "الرَّحْمَنُ" و "الرَّحِيمُ"

٢٨

إن أقوال العلماء في بيان معنى اسمي الله تعالى "الرَّحْمَنُ" و "الرَّحِيمُ" كثيرة، اخترنا منها ما يلي:

قال ابن كثير: "الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ" اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، ورحمن أشد مبالغة من رحيم ... عن عيسى عليه السلام أنه قال: والرحمن رحمن الدنيا والآخرة، والرحيم رحيم الآخرة ... قال أبو علي الفارسي: الرحمن اسم عام في جميع أنواع الرحمة يختص به الله تعالى، والرحيم إنما هو في جهة المؤمنين، قال الله تعالى: ... وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٣١﴾ (الأحزاب: ٣٣-٤٣)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، أي أكثر رحمة ... وقال ابن المبارك: الرحمن إذا سئل أعطى، والرحيم إذا لم يسأل يغضب، وهذا كما جاء في الحديث ... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من لم يسأل الله يغضب عليه»، ... سمعت العزومي يقول: الرحمن الرحيم، قال: الرحمن لجميع الخلق، الرحيم قال: بالمؤمنين، قالوا: ولهذا قال: ... ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ ... (الفرقان: ٢٥: ٥٩) وقال: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴿٣١﴾ (طه: ٢٠٥: ٥) فذكر الاستواء باسمه الرحمن ليعم جميع خلقه برحمته، وقال: ... وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٣١﴾ (الأحزاب: ٣٣-٤٣) فخصهم باسمه الرحيم، قالوا: فدل على أن الرحمن أشد مبالغة في الرحمة لعمومها في الدارين لجميع خلقه، والرحيم خاصة بالمؤمنين ... واسمه تعالى الرحمن خاص به لم يُسمَّ به غيره ... وأما الرحيم فإنه تعالى وصف به غيره، حيث قال: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ (التوبة: ٩: ١٢٨) . (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص ٦٥-٦٦).

وقال الغزالي: "الرحمن الرحيم اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمة تستدعي مرحوماً، ولا مرحوم إلا وهو محتاج، والذي ينقضي بسببه حاجة المحتاج من غير قصد وإرادة وعناية للمحتاج لا يسمى رحيماً، والذي يريد قضاء حاجة المحتاج ولا يقضيها فإن كان قادراً على قضائها لم يسمَّ رحيماً، إذ لو تمت الإرادة لوفى بها، وإن كان عاجزاً فقد يسمى رحيماً باعتبار ما اعتوره من الرقة، ولكنه ناقص، وإنما الرحمة التامة إفاضة الخير على المحتاجين

مفهوم ضمناً في الاسمين الكريمين بالإضافة إلى ذكر الرحمة الإلهية مرتين في بداية كل سورة من سور القرآن باستثناء سورة التوبة (والتي عُوِّصَتْ في سورة النمل. في قوله ﷻ: **إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴿٣٠﴾

(النمل، ٢٧: ٣٠)

وإرادته لهم عناية بهم، والرحمة العامة هي التي تتناول المستحق وغير المستحق، ورحمة الله عز وجلّ تامة وعامة. أما تمامها، فمن حيث أنه أراد قضاء حاجات المحتاجين وقضاها. وأما عمومها فمن حيث شمولها المستحق وغير المستحق، وعمّ الدنيا والآخرة، وتناول الضرورات والحاجات والمزايا الخارجة عنهما. فهو الرحيم المطلق حقاً". (الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، ص ٦٢).

وقال **الرازي**: "أيهما أكثر مبالغة: الرحمن أم الرحيم: روى أبو صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ أنه قال: الرحمن الرحيم اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر؛ ولم يبين أيهما أرق. وقال الحسين بن الفضل البلخي: هذا وهم من الراوي، لأن الرقة ليست من صفات الله تعالى، قال النبي ﷺ: **«إن الله رقيق يجب الرفق، ويعطى عليه ما لا يعطى على العنف»**، واعلم: أنه لا شك أن الرحمن الرحيم كل واحد منهما مشتق من الرحمة وإن لم يكن أحدهما أشد مبالغة من الآخر، كانا لفظين مترادفين من جميع الوجوه من غير تفاوت في المعنى، وذلك بعيد، فوجب القطع بكون أحدهما أكثر مبالغة من الآخر، ثم اختلفوا فقال الأكثرون: الرحمن أكثر مبالغة من الرحيم، واحتجوا عليه بوجوه". (الرازي، شرح أسماء الله الحسنى، ص ١٦٢).

والقاسم المشترك لكل هذه التعريفات هو: أولاً: أن الرحمن يطلق على الله ﷻ فقط بينما الرحيم يطلق على الله وعلى البشر؛ ثانياً: أن اسم الرحمن لغوياً يدل على زيادة المعنى؛ وثالثاً: أن الرحيم يحتاج إلى مرحوم بينما الرحمن لا يحتاج إلى مرحوم؛ ورابعاً: أن الرحمن يأتي قبل الرحيم كما هو الحال في كل ما ذكر في الاسمين؛ وسادساً: أن الرحمن شبه مرادف لاسم الله ﷻ: **"قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى"** (الإسراء: ١٧: ١١٠)؛ وسابعاً وأخيراً: بما أنه **"كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ... (الأنعام: ٦٢: ١٢)**، وبما أن الرحمن أشد مبالغة من الرحيم ولا يحتاج لمرحوم، فالرحمن اسم من أسماء ذات الله، بينما الرحيم من أسماء صفاته، والله أعلم.



مسألة: إذا كانت رحمة الله ﷻ وسعت كل شيء (" **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ")، وإذا كان الله ﷻ " **كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ** "، وإن كانت رحمة الله ﷻ سبقت غضبه (كما جاء في الحديث الشريف " إن رحمتي سبقت غضبي ")، فكيف يعذب الله ﷻ المذنبين بذنوبهم عذاباً أليماً وغلظاً؟ يقول الله ﷻ:

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ رَبُّهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (المائدة: ١٨)

وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُوهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (النساء: ٤٠)

قال الفخر الرازي عن هذه الآية:

" وقوله (" **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ") فيه أقوال كثيرة. قيل المراد من قوله (" **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ") هو أن رحمته في الدنيا عمّت الكل وأما في الآخرة فهي مختصة بالمؤمنين وإليه الإشارة بقوله: (" **فَسَأَلْتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ** ")^{٢٩}.

وكذلك قال القرطبي في تفسيره عن هذه الآية:

" قوله (" **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ") عموم، أي لا نهاية لها، أي من دخل فيها لم تعجز عنه، وقيل: وسعت كل شيء من الخلق، حتى أن البهيمة لها

٢٩ الفخر الرازي، التفسير الكبير مفاتيح الغيب، المجلد ٥، ص ٣٧٩.

رحمة وعطف على ولدها، قال بعض المفسرين: طمع في هذه الآية كل شيء حتى إبليس وقال: أنا شيء، فقال الله تعالى: (**فَسَاكِنُهَا لِلَّذِينَ لَا يَشْقُونَ**) " ٣٠ .

وعلى أية حال، فإن الله ﷻ قال: "**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**" ، ولم يقل "ولطفي وسع كل شيء" ، بل قال: "**اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ**" (الشورى، ٤٢: ١٩). فيلطف الله ﷻ بعباده بشكل عام، و "**يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ**" وليس الكل، فهذا لا يعني أن لطفه وسع كل شيء. وهنالك فرق شاسع بين الرحمة واللطف: فيمكن لنا أن نرحم شيئاً بفعل قاسٍ نحوه لكي نجنبه شيئاً آخر أشق (على سبيل المثال، الطبيب أو البيطري الذي يؤدي عملية جراحية) ولكن ربما لا تكون هذه الرحمة (وبالتالي هذه العملية) لطيفة أو فيها لطف من جميع النواحي. فرحمة الله ﷻ التي "**وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**" لا تعني أن الخلق أو بعضهم لن يعانون شيئاً من الألم أو العذاب أبداً وإنما الله ﷻ يهدي كل شيء في الوجود إلى الطريق الذي سيقوده إلى أقل مقدار من المعاناة، والله أعلم.



٥. الباب الأول؛ الفصل الثاني:

الحب أصل الخلق

خلق الله ﷻ الإنسان من رحمته، فالله ﷻ يقول:

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ (الرحمن، ٥٥: ١-٤)

ويقول الله ﷻ:

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١٥٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۗ
وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ... (هود، ١١: ١١٨-١١٩)

يقول الإمام فخر الدين الرازي في تفسير قوله ﷻ " **وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ** ":

" وفيه ثلاثة أقوال: القول الأول: قال ابن عباس رضي الله عنهما: وللرحمة خلقهم، وهذا اختيار جمهور المعتزلة. قالوا: ولا يجوز أن يقال: وللاختلاف خلقهم ويدل عليه وجوه: الأول: أن عود الضمير إلى أقرب المذكورين أولى من عوده إلى بعدهما، وأقرب المذكورين ههنا هو الرحمة، والاختلاف بعدهما. والثاني: أنه تعالى لو خلقهم للاختلاف وأراد منهم ذلك الإيمان لكان لا يجوز أن يعذبهم عليه، إذ كانوا مطيعين له بذلك الاختلاف. الثالث: إذا فسرنا الآية بهذا المعنى، كان مطابقاً لقوله ﷻ: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا**

لِيَعْبُدُونِ ﴿٥١﴾ (الذاريات، ٥١: ٥٦). فإن قيل: لو كان المراد وللرحمة خلقهم لقال: ولتلك خلقهم ولم يقل: ولذلك خلقهم. قلنا إن تأنيث الرحمة ليس تأنيثاً حقيقياً فكان محمولاً على الفضل والغفران كقوله: **قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي** ... (التكليف، ١٨: ٩٨)

وقوله: ... **إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴿٥١﴾ (الأعراف، ٧: ٥٦). والقول الثاني: إن المراد وللاختلاف خلقهم. والقول الثالث: وهو المختار أنه خلق أهل

الرحمة للرحمة وأهل الاختلاف للاختلاف" ٣١.

ونحن نقول إن قول ابن عباس رضي الله عنهما هنا هو الموافق لظاهر الآية، لأنه لا يمكن لنا أن نتجاهل رأي ابن عباس رضي الله عنهما - الذي تعلم القرآن الكريم من ابن عمه سيدنا محمد ﷺ - ولو اختار الرازي خلافه، ولأن القول الثالث الذي ذكره الرازي صحيح من ناحية اللغة، لأنه يصح تأنيث وتذكير الرحمة. يمكن القول - لاستيعاب رأي الفخر الرازي - إن الله ﷻ خلق أهل الرحمة للرحمة وأهل الاختلاف للاختلاف - أي أن الله ﷻ يريد الرحمة للجميع ولكنه خلق الجميع أحراراً وبالتالي سمح لهم أن يختاروا رحمة ﷻ أو لا. ولكن يبدو أن هذا جدال معقد مع تفسير ابن عباس ولا داعي له. وإضافة إلى ذلك فإن الله ﷻ كتب على نفسه الرحمة:

... كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۗ ... (الأعراف: ٥٤)

وهذه الرحمة مرتبطة أصلاً بمخلق السموات والأرض ومن فيهن:

قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ (الأعراف: ١٢)

وقال رسول الله ﷺ:

«لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه "إن رحمتي سبقت غضبي"» ٣٢.

فكيف يُقال إن الله خلق "أهل الاختلاف للاختلاف"، أي للبعد عن الرحمة؟ فالله ﷻ خلق الناس للرحمة حسب ما كتبه على نفسه، ولكن بعضهم اختلفوا وبسبب اختلافهم أغلقوا باب الرحمة عن أنفسهم، وهذا بالرغم من

٣١ الرازي، التفسير الكبير، مجلد ٦، ص ٤١٢.

٣٢ رواه البخاري، رقم ٧٤٥٣، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى "ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا

المرسلين".

الحب في القرآن الكريم

أن رحمته واسعة (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) (الأعراف، ٧: ١٥٦) ٣٣

وإضافة إلى ذلك، كيف نقول إن الله ﷻ خلق أهل الاختلاف للاختلاف وقد ذكر الله ﷻ لنا سبب الخلق بقوله:

" وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥١﴾ " (الذاريات، ٥١: ٥٦)

فعبادة الله ﷻ رحمة تؤدي إلى الرحمة، ولم يذكر الله ﷻ أنه خلق بعض الإنس والجن للعبادة وبعضهم الآخر لغير ذلك (أي للاختلاف). وفي القرآن الكريم أكثر من خمس وعشرين آية تدل على أن الله ﷻ خلقنا للرحمة ولما

٣٣ ولا يفوتنا هنا أيضاً أن نذكر حديث:

«كنت كنزاً لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرّفت إليهم فعرّفوني».

قال العلامة المحدث العجلوني:

" قال ابن تيمية ليس من كلام النبي ﷺ ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف وتبعه الزركشي والحافظ ابن حجر في اللآلئ والسيوطي وغيرهم، وقال القاري: لكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى: {وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون} أي: ليعرفوني، كما فسره ابن عباس رضي الله عنهما، والمشهور على الألسنة: (كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت خلقاً في عرفوني) وهو واقع كثيراً من كلام الصوفية واعتمده وبنوا عليه أصولاً لهم". (العلامة المحدث العجلوني، كشف الخفاء، المجلد: ١، ص ١٣٢).

لكن قال الشيخ ابن عربي إن الحديث "صحيح كشافاً"، وهذا نصه من كتاب

الفتوحات المكية:

"ورد في الحديث الصحيح كشافاً الغير الثابت نقلاً عن رسول الله ﷺ عن ربه ﷻ أنه

قال ما هذا معناه:

«كنت كنزاً لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرّفت إليهم فعرّفوني».

(الشيخ ابن عربي، الفتوحات المكية، المجلد: ٢، ص ٣٩٣).

ونحن هنا لا نود الخوض في صحة الحديث أو ضعفه، وإنما نقول بأن الحديث صحيح المعنى كما قال المحدث علي القاري. فهذا يعني أن الله خلق الإنسان أولاً من حبه ("فأحببت أن أعرف") وثانياً من رحمته كما ذكرنا أعلاه، ولا تناقض هنا بين حبه ورحمته لأن الحب يقتضي الرحمة كما سنرى لاحقاً إن شاء الله، والله أعلم.

يؤدي إلى الرحمة.

فالله ﷻ: "خلقنا لتتقيه"، قال الله ﷻ:

يَتَّيِبُهَا لِلنَّاسِ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ (البقرة، ٢)

(٢١):

والله ﷻ: "خلقنا لأنه يمكن لنا أن نعلم الأسماء كلها"، قال الله ﷻ:

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾
وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَأِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ (البقرة، ٢: ٣٠-٣١)

ولكي "يجزينا بالحسنى"؛ قال الله ﷻ:

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ الَّذِينَ اسْتَوُوا بِمَا وَعَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ
أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى ﴿٢٤﴾ (النجم، ٥٣: ٣١)

ولكي "يلونا أننا أحسن عملاً"؛ قال الله ﷻ:

الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢٥﴾ (الملك، ٦٧: ٢٤)

ولكي "يجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط"؛ قال الله ﷻ:

إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا
كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٢٦﴾ (يونس، ١٠: ٤)

وكذلك "لعلنا نوقن ببقاء الله ﷻ"؛ قال الله ﷻ:

اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۗ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ ۗ كُلٌّ لِّأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ

تُوقِنُونَ ﴿٢٧﴾ (الرعد، ١٣: ٢)

وكذلك " لنبتغي من فضله ونشكره ونتفكر بآياته ونعقلها ونهتدي "؛ قال الله ﷻ:

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٤﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ وَاللَّا تَعْمَرَ خَلْقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفٌّ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَكُمْ فِيهَا حِمَالٌ حِينَ تَرْجُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَحْمِلُ أَوْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِلَيْغِهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ وَالنَّخِيلَ وَالْأَيْغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَابِرٌ وَلَوْ شَاءَ هَدَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٠﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجْرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿٣١﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿٣٤﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَهْبَاتٌ وَسُبُلًا لِّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٣٦﴾ وَعَلَّمَتِ وَيَالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ (النحل: ١٦-٣-١٦)

وكذلك " لنذكّر ونشكر "؛ قال الله ﷻ:

هُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٢٢﴾ (الفرقان،

٦٢: ٢٥)

وكذلك " لندعوه "؛ قال الله ﷻ:

قُلْ مَا يَدْعُوا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾ (الفرقان، ٢٥،

٧٧):

وكذلك " ليتوب على المؤمنين والمؤمنات " ؛ قال الله ﷻ:

لِيَعْدِبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٧٢)

وكذلك " لنبلغ أجلاً مسمى ولنعقل " ؛ قال الله ﷻ:

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا^٤ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ^٥ وَلِتَبْلُغُوا أَجْلاً مُمَّسًى^٦ وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧﴾ (غافر، ٤٠: ٦٧)

وكذلك " لنبغى من فضل الله ﷻ ونشكره ونتفكر في آياته ونكون ممن يتفكرون " ؛ قال الله ﷻ:

اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ أَلْفُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ^{١١} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٢﴾ (الجنانية، ٤٥: ١٢-١٣)

و " لتجزى كل نفس بما كسبت " ، قال الله ﷻ:

وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ (الجنانية، ٤٥: ٢٢)

وكذلك " لتعارف " ؛ قال الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا^{١٤} إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ^{١٥} إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ (الحجرات، ٤٩: ١٣)

وكذلك " لتبصر ونكون من أصحاب الذكرى والإنابة " ؛ قال الله ﷻ:

تَبْصِرَةٌ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ (ق، ٥٠: ٨)

وكذلك " لتقيم الوزن بالقسط ولا تطغى أو نخسر في الميزان " ؛ قال الله ﷻ:

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

يُحْسِبَانِ ﴿١٠﴾ وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ ﴿١١﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿١٢﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿١٣﴾ وَأَقِيمُوا الزُّنْتَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿١٤﴾ (الرهن، ٥٥: ١-٩)

وكذلك "لنهندي للسبيل ونكون شاكرين لله ﷻ"؛ قال الله ﷻ:

إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٥﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿١٦﴾ (الإنسان، ٢: ٣-٢)

وكذلك "خلق الأرض وجعلها لنا متاعاً"؛ قال الله ﷻ:

ءَأَنْتُمْ أَشْدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَيْنَاهَا ﴿١٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿١٨﴾ وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿١٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٢٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٢١﴾ وَأَجْبَالَ أَرْضَهَا ﴿٢٢﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَعْيُنِكُمْ ﴿٢٣﴾ (النازعات، ٧٩: ٢٧-٣٣)

والقاسم المشترك بين هذه الآيات كلها هو أن الله ﷻ خلقنا وأعطانا الحرية وابتلانا في هذه الحياة لكي ننال رحمته، ولو أنه سيعذب بعضنا على عدم الوفاء في سبب خلقه.

وإضافة إلى ذلك كله فإنه يوجد في القرآن الكريم خمس وعشرون آية أخرى يصف الله ﷻ فيها تفصيل حكمته في خلق أجزاء من الخلق (وليس الخلق كله) لخدمة الإنسان في الغاية من حياته وهي نيل رحمة الله ﷻ من خلال عبادته، وعلى سبيل المثال قوله ﷻ:

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۗ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٠٠﴾ (الملك، ٦٧: ١٥) ٣٤.

٣٤ وانظر أيضاً إلى: (البقرة، ٢: ١٨٥-١٨٧؛ والأنعام، ٦: ١٦٥؛ والأعراف، ٧: ١٥٦؛ ويونس، ١٠: ٥؛ و١٤: ٦٧؛ وإبراهيم، ١٤: ٣٢-٣٤؛ والحجر، ١٥: ١٦-٥٠؛ والنحل، ١٦: ٧٨-٨١؛ وطه، ٢٠: ١٥؛ والحج، ٢٢: ٦٥؛ والمؤمنون، ٢٣: ٧٨-٨٠؛ والفرقان، ٢٥: ١٠؛ والنمل، ٢٧: ٦٠-٦٤؛ و٨٦؛ والقصاص، ٢٨: ٧٠-٧٣؛ والروم، ٣٠

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ
وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ (غافر، ٤٠)

(٦٤:

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٦٥﴾ (التغابن، ٦٤: ٣٠)
يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَكَ رِبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَّلَكَ ﴿٦٧﴾ فِي أَيِّ
صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٦٨﴾ (الانفطار، ٨٢: ٦-٨)

ولكن هذا لا يعني أن الله ﷻ الذي خلق الإنسان " فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ " يُحِبُّهُ بعدما يصبح " أَسْفَلَ سَفَلَيْنِ "، عن أبي هريرة ؓ قال رسول الله ﷺ:
«كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...»^{٣٦}.
وعن عياض المجاشعي قال رسول الله ﷺ:

«يقول الله تعالى: " ... وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وأنهم أتتهم
الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ... "»^{٣٧}.

فهذا يعني أن الله ﷻ خلق الإنسان من الرحمة ولكن جعله حراً، يختار
ما يشاء من الخير أو من الشر. يقول الله ﷻ:

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٦٩﴾ (الإنسان، ٧٦: ٣)

وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿٧٠﴾ (البالد، ٩٠: ١٠)

وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٧١﴾ (فصلت، ٤١، ١٧٠)

٣٦ رواه البخاري، رقم ١٣٨٥، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ورواه مسلم،
رقم ٢٦٥٨، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.

٣٧ رواه مسلم، رقم ٢٨٦٥، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة
وأهل النار.

فإذا اختار الإنسان طريق الخير وكان من المحسنين أو ما شابه ذلك، فإن الله ﷻ سيحبُّه. وإذا اختار الإنسان طريق الشر والسوء وأغلق نفسه عن باب هداية الله، فإنه لا ينال رحمة ورضا الله ﷻ. فالله ﷻ خلق الإنسان حراً وذلك من حبِّ الله ورحمته ﷻ ولكن بعض الناس يستعملون هذه الحرية ليختاروا عدم قبول رحمة الله ﷻ وحبِّه. لكي يكون الإنسان حراً يجب أن يكون حراً لاختياره للشر الذي سيؤدي إلى رفض رحمة الله ﷻ. يقول الله ﷻ عن سيدنا نوح عليه السلام:

قَالَ يَنْقَوْمِ آرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَيْهِ مِنْ رَبِّيٰ وَأَتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كِرِهُونَ ﴿٢٨﴾ (هود، ١١: ٢٨)

فالمسألة ليست أن الله ﷻ لا يحب الظالمين والكافرين والأفعال الشريرة، بل هي أن الظالمين والكافرين استعملوا حريتهم ليرفضوا حبَّ الله ﷻ، والله أعلم.



٦. الباب الأول؛ الفصل الثالث:

الكون والحب

ما الفرق بين التسبيح والحمد؟ التسبيح يدرك الإنسان فيه عظمة الله ﷻ وصفاته الجلالية لأن التسبيح هو تنزيه الله ﷻ، والحمد - وهو الشكر العام^{٣٨} - يدرك فيه صفاته الجمالية، أو "الإكرامية"، ويحمده عليها. وكل ما في السماوات وما في الأرض يَسْبِحُ بحمد الله تسيحاً وحمداً فطرياً:

تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٢١﴾ (الإسراء، ١٧، ٤٤: ٣٩)

فهذا الحمد يضم حبَّ المخلوقات الفطري الطبيعي لله ﷻ. فالكون كله يحب الله ﷻ. نحن لا نرى أثر هذا الحب ولا نفقه تسيح الكون لله ﷻ؛ كما قال الله ﷻ: **«وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ»**. لكن رسول الله ﷺ كان يفقه ويسمع حبَّ الجماد - الذي ليس له قلب - لله ﷻ وحبه أيضاً له ﷻ. وهذا واضح في أحاديث "حنين الجذع" التي جاءت في صحيح البخاري:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ - أَوْ رَجُلٌ - يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَجْعَلُ لَكَ مِئْبَرًا قَالَ: «إِنْ شِئْتُمْ» فَجَعَلُوا لَهُ مِئْبَرًا. فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَى الْمِئْبَرِ فَصَاحَتْ النَّخْلَةُ صِيحَاخَ الصَّيْبِ ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ

٣٨ قال ابن كثير في تفسيره، ص ٦٧: "وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (الحمد لله) كلمة كل شاعر وقد استدلل القرطبي لابن جرير بصحة قول القائل: (الحمد لله) شكراً... فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه".

٣٩ وهذا ما يُسمى بـ "التسبيح بالخال"، أما تسيح العبد لله ﷻ بشكل واع ومتعمد، فيسمى "التسبيح بالقول".

فَضَمَهُ إِلَيْهِ؛ تَبَيَّنُ أَيْنَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسْكَنُ قَالَ: «كَانَتْ تُبْكِي عَلَيَّ مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذُّكْرِ عِنْدَهَا»^{٤٠}.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما:

«كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع فأتاه فمسح يده عليه»^{٤١}.

ويؤكد هذه الحقيقة ملكية الخالق ﷻ للخلق، فهو الملك والمالك:

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَنْبِئَنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

(يونس، ١٠: ٥٥)

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ^{٤٢} ... (يونس، ١٠: ٦٦)

ويؤكد هذه الحقيقة أيضاً قنوت الخلق لله:

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَنُوتُونَ^{٤٣} (الروم، ٣٠: ٢٦)

كما يؤكد هذه الحقيقة تسليم الخلق لله:

أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ

يُرْجَعُونَ^{٤٤} (آل عمران، ٣: ٨٣)

وكذلك يؤكد هذه الحقيقة سجود الخلق - باستثناء الإنسان العاصي -

لله ﷻ:

قال الله ﷻ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ

يُبِينُ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ^{٤٥} (الحج، ٢٢: ١٨)

وقال الله ﷻ:

٤٠ رواه البخاري رقم ٣٥٨٤، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

٤١ رواه البخاري رقم ٣٥٨٣، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا لَّهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾

(الرعد، ١٥)

وأخيراً، نرى تأكيد هذه الحقيقة في أن كل شيء في الوجود يسأل ويرجو الله ﷻ بطريقته. وهذا معنى اسمه ﷻ: "الصمد".

قال الله ﷻ:

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ (الإخلاص، ١١٢: ١-٢)

ويؤكد هذا ما جاء في تفسير الجلالين أن معنى هاتين الآيتين هو أن الله ﷻ "هو المقصود في الحوائج على الدوام".

وقال ﷻ:

يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٢﴾ (الرحمن، ٥٥: ٢٩).

في كل الخلق، وبين جميع المخلوقات، فقط الإنسان العاصي لا يجب الله ﷻ في نفسه العاصية لكن كل أجزائه المُسَبَّحة تحمد الله ﷻ وبالتالي تحبه، أي أن عدم حبه لله ليس بكيانه - لأن كيانه يجب الله ﷻ - وهذا معنى من معاني قول الله ﷻ:

... وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ... (الإسراء، ١٧: ٤٤)

ودليلنا على أن الإنسان يجب الله سبحانه بكيانه حتى لو كانت نفسه عاصية هو أن جلود البشر وحواسهم تشهد عليهم.

قال الله ﷻ:

يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ (النور، ٢٤: ٢٤)

وقال الله ﷻ:

الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢٥﴾

(يس، ٣٦: ٦٥)

وقال الله ﷻ:

حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٦﴾

وَقَالُوا لَجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ (فصلت، ٢٠-٢١)

فالكون كله يجب الله ﷻ، وكيف لا؟ وهو خالقه، وبارؤه ومصوره.

قال الله ﷻ:

هُوَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ الْبَارِيَّ الْمُصَوِّرَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ (الحشر، ٥٩: ٢٤).

أما بالنسبة لحب الله لخلقه فقد ذكرنا سابقاً أن الله ﷻ قال:

... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴿١٥٦﴾ (الأعراف، ٧: ١٥٦).

ومع أن الله سبحانه لا يجب فئات الظالمين والكافرين والمشركين
والمنافقين - كما سنرى إن شاء الله - وباستثناء هذه الفئات فالله ﷻ يجب
كل شيء وهذا لا يعني بطبيعة الحال أنه سيلطف بكل شيء دوماً، فقال:
" وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ " ولم يقل ولطفي وسع كل شيء، ولكن قال:

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٤٢﴾ (الشورى، ٤٢: ١٩).

فالله يرزق اللطف لمن يشاء، ولكن رحمته أوسع. والدليل على أن الله
يجب كل شيء خلقه (باستثناء الكافرين والظالمين والمشركين والمنافقين) هو
أن الجمال موجود في كل شيء خلقه، قال ﷻ:

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿٣٢﴾ ... (السجدة، ٣٢: ٧)

فالله ﷻ يجب الجمال الموجود في الخلق الذي أحسنه والذي هو من
جماله، لأنه «يجب الجمال».

ولا يعني هذا أن حب الله مثل الحب الإنساني لأنه قال:

... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٤٢﴾ (الشورى، ٤٢: ١١)

فالخلاصة هي أن الله ﷻ يجب الكون والإنسان لما وضعه فيهما من

الحب في القرآن الكريم

جمال. إذا فالله يحب جماله ﷻ في الكون، وبالتالي يحب الكون لما وضعه هو فيه من جمال. ولكن البشر يحبون الله (أو يجب أن يحبوا الله ﷻ) ليس لذاتهم وإنما لذات الله ﷻ وحده، فالله ﷻ يقول:

... وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ... (محمد، ٤٧: ٣٨)

ويقول الله ﷻ:

يَتَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ (فاطر، ٣٥: ١٥)

فألخُلِقَ يحبون الله ﷻ لذاته ولجماله، ولجمال الكون والإنسان - وهذا الجمال لا يعود لهم إنما هو من الله ﷻ - والله أعلم.

٧. الباب الأول؛ الفصل الرابع:

حب الله ﷻ للناس

المطلب الأول: فضل الله ﷻ وحبه للناس عامة

فضل الله شيء من رحمته، والرحمة - كما رأينا سابقاً - تأتي مع الحب، فينبغي لنا هنا أن نذكر أن فضل الله ﷻ الذي يعطيه للإنسان من غير شروط هو شيء من عموم حبه.

فبعد أن خلق الله ﷻ الإنسان من تراب، نفخ فيه من روحه:

فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٥﴾ (ص: ٣٨، ٧٢)

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۗ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ جَعَلْ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿١٥﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ۗ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٦﴾ (السجدة، ٣٢: ٧-٩)

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٣٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٤٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ ۗ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٤٣﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٤٤﴾ (الحجر، ١٥: ٢٨-٣٤)

وخلق الله ﷻ الإنسان في أحسن صورة:

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ۖ وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ۗ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۗ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ ۗ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ (غافر، ٤٠)

(٦٤:

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ ۖ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ۗ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٦٤﴾ (التغابن، ٦٤: ٣)

يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَمَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦٠﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٦١﴾ فِي أَيِّ
صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٦٢﴾ (الانفطار، ٨٢: ٦-٨)

وخلق الله ﷻ الإنسان أيضاً في أحسن تقويم:

وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ﴿٦٣﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٦٤﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٦٥﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٦٧﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦٨﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ ﴿٦٩﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٧٠﴾
(التين، ٩٥: ١-٨)

وخلق الإنسان على فطرة حنيفة:

بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا هُمْ مِنْ
نَّاصِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ
لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٢﴾ (الروم، ٢٩: ٣٠-٣١)

فبروح الله، وبأحسن صورة، وبأحسن تقويم، وبالفطرة الحنيفة، فضل
الله ﷻ الإنسان تفضيلاً على كثير من الخلق:

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ
عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٣﴾ (الإسراء، ٧٠: ٧٠)

فبهذا الفضل، كرم الله ﷻ الإنسان حتى على الملائكة وجعله خليفته
في الأرض:

وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ

لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ (الأعراف، ٧: ١١)

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٥﴾ قَالَ يَتَّبِعُونَ آدَمَ مَا يَنْطَقُ بِهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ ۗ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿١٦﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾ (البقرة، ٢: ٢٩-٣٤) ٤٢

فيهذا كله تسلّم الإنسان أمانة أكبر من أن تحملها السماوات والأرض والجبال:

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ تَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ۗ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٧٢)

وأخيراً لا يفوتنا أن نذكر أنه بالإضافة إلى الفضل غير المشروط الذي كرّم الله ﷻ به كل إنسان بشكل عام، فإنه أيضاً كرّم كل إنسان كفرّد. يقول الله ﷻ:

٤٢ انظر أيضاً إلى: الأعراف، ٧: ١٢-٢٧؛ الإسراء، ١٧: ٦١-٦٥؛ الكهف، ١٨: ٥٠؛ طه، ٢٠: ١١٥-١١٦؛ ص، ٣٨: ٧١-٨٥؛ يونس، ١٠: ١٤؛ الأنعام، ٦: ١٦٥؛ فاطر، ٣٥: ٣٩؛ الأحزاب، ٣٣: ٧٣.

وَأَنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾ (النحل، ١٦: ١٨)

وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿١٧﴾ (النحل، ١٦: ٥٣)

وَأَتَّكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿١٧﴾ (ابراهيم، ١٤: ٣٤)

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً

وَبَاطِنَةً ﴿١٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١٧﴾ (لقمان، ٣١: ٢٠)

كُلًّا نُّمِدُّ هُنُوًا وَهَنُوءًا وَمِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ (الإسراء، ١٧: ٢٠)



المطلب الثاني: حبّ الله ﷻ الخاص للفاضلين

كما رأينا، فضل الله ﷻ للإنسان بشكل عام وبشكل فردي تفضيلاً عظيماً على باقي المخلوقات. والفضل من الرحمة، ولا يمكن فصل الرحمة عن الحب. ففضل الله الكبير ﷻ على الإنسان هو نتيجة حبّ الله للإنسان بشكل عام.

إضافة إلى ذلك، أشار الله ﷻ إلى محبته للناس في حالة أتباعهم للرسول

ﷺ:

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ (آل عمران، ٣: ٣١)

وذكر الله ﷻ قوماً قد يأتون في المستقبل، ويتحلون بصفات معينة:

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ مُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ
ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ (المائدة: ٥٤)

لكن ذَكَرَ اللهُ ﷻ ثمانية أصناف من الناس يحبهم ويفعل مضارع، كما يلي:

١. " المتوكلين " :

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ
عَنَّهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٦﴾ (آل عمران: ١٥٦)

٢. " المتطهرين " أو " المطهرين " :

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أذى فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ
حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ
الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ (البقرة: ٢٢٢)

لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُبَسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ
رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾ (البقرة: ١٠٨)

٣. " التوابين " :

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أذى فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ
حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ
الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ (البقرة: ٢٢٢)

٤. "المقسطين":

سَمِعُونَ لِكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ
وَإِنْ تَعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٣﴾ (المائدة: ٤٢)

وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى
الْأُخْرَى فَاقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ
وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٤﴾ (الحجرات: ٤٩)

لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ
وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٥﴾ (المتحنة: ٦٠)

٥. "الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص":

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ ﴿٤٦﴾ (الصف: ٦١)

٤٣ للوهلة الأولى قد يبدو شمول "الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ" في قائمة
الذين يجبههم الله ﷺ أمراً محيراً؛ خاصة حين نتفكر في الفضائل الواضحة للفئات السبع الأخرى. ولكن
الأمر يتضح حين نتذكر الآيتين اللتين سبقتا هذه الآية. يقول الله ﷻ:
يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ ﴿٤٨﴾ (الصف: ٦١-٤٢)

فالقتال في سبيل الله صفاً كالبنيان المرصوص متصل بوفاء والتزام الإنسان بعمل ما قال إنه
سيفعله، كما جاء في الآية الكريمة؛ أي أنه متصل بالصدق والإخلاص دون تردد أو نفاق وبالتالي
كأنهم نفس واحدة. فالـ"صف" و"البنيان المرصوص" حاضران أولاً في نفوسهم. يقول الله ﷻ:

• أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَتَكُنُونَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٩﴾ (البقرة: ٢٤٤)

٦. " الصابرين " :

وَكَايِن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِثْيُونًا كَثِيرٌ مَّمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ (آل عمران، ٣: ١٤٦)

٧. " المتقين " :

بَلَىٰ مَن أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ ۖ وَأَتَقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٤٧﴾ (آل عمران، ٣: ٧٦)
 إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٤٨﴾ (التوبة، ٩: ٤)
 كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ ۖ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۗ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا هُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٤٩﴾ (التوبة، ٩: ٧)

٨. " المحسنين " :

وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٠﴾ (البقرة، ٢: ١٩٥)
 الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُتَّامِينَ الْعَيْطِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥١﴾ (آل عمران، ٣: ١٣٤)

فَقَاتِلْهُمْ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٢﴾ (آل عمران، ٣: ١٤٨)
 فِيمَا نَقُضُوا مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۖ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ

فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ (المائدة: ١٣٠)

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا
وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

(المائدة: ٩٣) ﴿٤٥﴾

ما هو القاسم المشترك بين هذه الأصناف الثمانية من الناس؟ الجواب
أنهم جميعاً يتحلّون بأنواع من فضائل النفس. فالتوكّل، والطهارة، والتوبة،
والقسط، والقتال في سبيل الله، والصبر، والتقوى، والإحسان، كلها فضائل
وبالتالي كلها من جمال النفس، الجمال "الداخلي" في الإنسان^{٤٤}. ولذلك
ذكرنا سابقاً (في فصل "تعريف الحب") أن حبّ الله ﷻ هو "حب الجمال"
كما جاء في الحديث الشريف:
«إن الله جميل يحب الجمال»^{٤٥}.

لكن "الإحسان" أكثر من فضيلة واحدة: بل يشمل جميع الفضائل.
وهذا واضح من حديث جبريل عليه السلام:

«الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^{٤٦}.

العبادة المخلصة - "كأننا نرى الله ﷻ" - تحتاج إلى جميع فضائل
النفس؛ فالإنسان لا يمكن أن يعبد الله ﷻ كأنه يراه من دون أن يسخر قلبه
وعقله ونفسه لله. فالوصول إلى معرفة وحدانية الله ﷻ وحقيقته المطلقة

٤٤ ولذلك فإن الله ﷻ يحب الإتيان. قال رسول الله ﷺ:

«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه». (رواه الطبراني في المعجم الأوسط،
١/٢٧٥).

فإن الإتيان هو عمل النفس الجميلة، أو العمل الجميل من قِبَل نفسٍ جميلة، والله أعلم.

٤٥ صحيح مسلم، رقم ٩٩، كتاب الإيمان.

٤٦ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، حديث رقم ١.

يستلزم حضور النفس بكليتها وجميع فضائلها. وهذا هو أصل معنى كلمة "الإحسان"، ف "الإحسان" من "الحسن"، والحسن جمال، وهو "نقيض القبح"^{٤٧}. فالإحسان جمال النفس، أو الجمال الداخلي للإنسان. وهذا يتفق مع وصف حبّ الله الذي استنبطناه من الحديث الشريف أن حبّ الله هو "حب الجمال". ففي كل الآيات المذكورة آنفاً كان الله ﷻ يقول إنه يجبُ الذين يتحلّون بالنفوس الجميلة بدرجات معينة، والله أعلم.

هذا هو ما نفهمه أيضاً من الآية الكريمة التالية:

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴿آل عمران، ٣١: ٤٨﴾

فالله ﷻ "يُحِبُّ" - أي يحبهم "يُحِبُّ" أي مزيداً من الحب^{٤٨} - الذين أتبعوا سنة رسول الله ﷺ، والذين يتبعون سنة رسول الله ﷺ هم الفاضلون والمحسنون بالضرورة لأن الرسول ﷺ كان على "خلق عظيم":

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤٨﴾ (القلم، ٦٨: ٤)

وقد أفاد قوله ﷻ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ أن الله ما وعد أحداً محبه الأعظم والأشد إلا رسول الله ﷺ، أما بقية الناس فإنه وعدهم محبه إذا اتبعوا السنة وذلك من غير أن يعدهم بالنجاح الكامل في هذا. وربما يكون هنالك - والله أعلم - سرٌّ عظيمٌ وهو أن الوحيد الذي

٤٧ الزبيدي، تاج العروس، مجلد ١٨، ص ١٤٠.

٤٨ والأصناف الثمانية الذين يحبهم الله ﷻ هم المتبعون لسيدنا رسول الله ﷺ وهم مجموعون بالإجمال في هذه الآية الكريمة.

٤٩ قال الإمام الراغب الاصفهاني:

"وحببت فلاناً يُقال في الأصل بمعنى أصبت حبة قلبه نحو شغفته وكبدته وفأدته". (المفردات في غريب القرآن، ص ١١٢).

يجب الله، والله يحبه، بشكل تام، هو رسول الله ﷺ. والذي يؤكد هذا الأمر أنه لا يوجد ذكر لإنسان " يجب الله والله يحبه " في القرآن الكريم بصيغة الحاضر، وإنما الحالة الوحيدة التي جاءت بهذا الوصف إنما تُخبر عن المستقبل، وهو في الآية الكريمة التالية (وقد ذكرناها سابقاً):

يَتَأْتِي الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَزْدَدَ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (المائدة: ٥٤)

وسياأتي الكلام - إن شاء الله - في موضوع حبّ الله لرسوله ﷺ في الفصل القادم فيكفي الإشارة لهذا الموضوع هنا.



المطلب الثالث: الترتيب الهرمي للفاضلين

يبدو أنه يوجد بين أصناف المؤمنين المذكورين أعلاه تفاوت في الدرجات والتفضيل: فقد ذكر الله ﷺ المحسنين في كتابه العزيز (خمس مرات)، ثم المتقين والمقسطين (ثلاث مرات)، ثم الأصناف الخمسة الأخرى (مرة واحدة).

ومن ناحية أخرى فإن المحسنين والمتقين والصابرين هم الذين يخصهم الله ﷺ بمعبيته °، و "معية الله" أمر شائك اختلف العلماء في معناه، وقد ذكر

٥٠ طبيعة الحال هذه المعية تعتبر نوعاً خاصاً من أنواع الحب. فرسول الله ﷺ وضع علاقة الحب بالمعية في قوله:

«المرء مع من أحب». (رواه البخاري، ٦١٦٨ في كتاب الأدب، باب علامة حبّ الله).

وقوله: لمن قال له ما أعددت للساعة من شيء إلا أني أحب الله ورسوله، فقال له:

١. "المعية العامة" وهي أن الله ﷻ مع كل شيء:

فَلْتَقْصَنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمِهِ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ (الأعراف: ٧)

ومع كل مجموعة من الناس:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ (المجادلة: ٥٨، ٥٩)

وحتى مع المذنبين:

يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿٥٨﴾ (النساء: ٤٠، ٤١)

٢. "المعية الخاصة" وهي أن الله ﷻ مع الأنبياء والمرسلين والمؤمنين:

إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٩﴾ (الأنفال: ١٩)

«أنت مع من أحببت». (رواه البخاري، ٣٦٨٨ في كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب).

٥١ قال الإمام القشيري في كتابه الرسالة القشيرية، ص ٤٦: "وسأل ابن شاهين الإمام الجنيد عن معنى: (مع) - أي المعية - ، فقال: (مع) على معنيين: مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة، قال الله تعالى: {إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى} . ومع العامة بالعلم والإحاطة، قال الله تعالى: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ} ، فقال ابن شاهين: مثلك يصلح أن يكون دالاً للامة على الله تعالى.

وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَوَعَّظْنَا مِنْهُمْ آثِقِي عَشْرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمْهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ (المائدة: ١٢)

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ۗ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۗ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ (الحديد: ٥٧: ٤)

فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمُ أَعْمَلِكُمْ ﴿٣٥﴾ (صمد: ٤٧: ٣٥)

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٩٠﴾ (التوبة: ٩٠: ٤٠)

ومع موسى وهارون:

قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِفَاتِنَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ (الشعراء: ٢٦: ١٥)

قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿١٦﴾ (طه: ٢٠: ٤٦)

ومع موسى بشكل خاص:

قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٢٢﴾ (الشعراء: ٢٦: ٦٢)

فكذلك نتميز درجتين من "المعية"، وإلا ما معنى قول رسول الله ﷺ "لا تحزن إن الله معنا" إذا كان المقصود أن لا فرق بين معية الله ﷻ لرسوله ولأبي بكر ﷺ في غار ثور وبين معية الله ﷻ للكفار الذين كانوا يحاولون أن

يقتلوهما عند غار ثور؟ وما معنى كلمة سيدنا موسى ﷺ "كلا" إذا كان المقصود هنا أنه لا فرق بين معية الله ﷻ لسيدنا موسى ﷺ ولفرعون وجنوده؟

ولهذا فإننا نُميّز بين الأصناف الخمسة الذين يحبهم الله ﷻ المذكورين آنفاً من غير ذكر معية (وهم الذين وصفوا بـ "المتوكلين"، "المتطهرين" أو "المطهرين"، "التوايين"، "المقسطين"، "والذين يقاتلون في سبيل الله صفاً كأنهم بنيان مرصوص") والأصناف الثلاثة الذين يحبهم الله والله معهم وهم:

١. "الصابرين" ٥٢:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٥٢﴾ (البقرة، ٢: ١٥٣)

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا اللَّهَ كَم مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ؕ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٥٢﴾ (البقرة، ٢: ٢٤٩)

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتزَعَبُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ؕ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٥٢﴾ (الأفال، ٨: ٤٦)

أَلْفَن حَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ؕ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٥٢﴾ (الأفال، ٨: ٦٦)

٥٢ ربما يكون في ذكر معية الله ﷻ للصابرين أربع مرات في القرآن الكريم إشارة إلى أن الصبر يحتاج إلى جلد قبل أن يصل الصابر إلى درجة المحسن، والله أعلم.

٢. "المتقين":

الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ
بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٥﴾ (البقرة، ٢: ١٩٤)

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ۚ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ۚ وَقَتِلُوا
الْمُشْرِكِينَ ۚ كَافَّةً ۚ كَمَا يُقْتَلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٦﴾ (التوبة، ٩:

٣٦:

يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ (التوبة، ٩: ١٢٣)

٣. "المحسنين":

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٨﴾ (المنكوت، ٢٩: ٦٩)

والله ﷻ ذكر المحسنين والمتقين، وأشار إلى الصابرين معاً في الآيات

التالية:

وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٢٩﴾
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿٣٠﴾ (الحل، ١٦: ١٢٧-١٢٨)

قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ ۚ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۚ إِنَّهُ مَن
يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣١﴾ (يوسف، ١٢: ٩٠)

فهذا يعني - والله أعلم - أن ثلاثة أصناف من المؤمنين الذين يحبهم

الله (" الصابرين " و " المتقين " و " المحسنين ") يتميزون على خمسة أصناف من المؤمنين الذين يحبهم الله (" المتوكلين "، " المتطهرين " أو " المطهرين "، " التوابين "، " المقسطين "، " والذين يقاتلون في سبيل الله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ").

والقرآن الكريم يؤكد هذا حين يذكر الله ﷻ الذين يكافئهم سبحانه " بغير حساب " - أي بلا حد ومن دون قياس الخير الذي قاموا به - ومن الواضح أن هذه المكافأة تدل دلالة مهمة على فضل الله ﷻ وحبه. والله ﷻ يذكر المكافأة " بغير حساب " ست مرات في القرآن الكريم:

رُئِنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ (البقرة، ٢: ٢١٢)

تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمْتِ وَتُخْرِجُ

الْمَمْتِ مِنَ الْحَيِّ ۗ وَتَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٧﴾ (آل عمران، ٣: ٢١٧)

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ۗ قَالَ يَنْمَرِمُ أَيُّ لِكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِن عِنْدِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ (آل عمران، ٣: ٣٧)

رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ (النور، ٢٤: ٣٧ - ٣٨)

قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ (الزمر، ٣٩: ١٠)

مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ۗ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَىٰ وَهُوَ

مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ (غافر، ٤٠: ٤٠)

الآية الأولى تشير إلى "الذين اتقوا"؛ والآية الثانية لا تحدد الذين يحظون بمكافأة "بِغَيْرِ حِسَابٍ"؛ والآية الثالثة تتحدث عن السيدة مريم العذراء عليها السلام؛ والآية الرابعة تشير إلى الذين يذكرون الله ﷻ بشكل مستمر؛ والآية الخامسة تشير إلى "الصابرين" و"المتقين" و"المحسنين" - الفضائل الثلاث التي دُكرت سابقاً في آية واحدة؛ أما الآية السادسة فتشير إلى "من عمل صالحاً"، ولعل هذا يشير إلى "الصالحين" في أعمالهم. باختصار، فإن الفضائل التي يكافئها الله "بِغَيْرِ حِسَابٍ" والتي دُكرت تحديداً هي الفضائل الثلاث نفسها التي سبق ذكرها وهي: "الصبر" و"التقوى" و"الإحسان"؛ فأصحاب هذه الفضائل ("الصابرين" و"المتقين" و"المحسنين") هم النخبة ممن يجهم الله ﷻ.

ولكن توجد درجات حتى بين الصابرين والمتقين والمحسنين، حيث إن المتقين والمحسنين أعلى درجة من الصابرين. يمكننا أن نرى هذا في حقيقة أن الوعد الأخير الذي أخذه الله ﷻ على نفسه "وَعَدًا مَّسْئُولًا" في القرآن الكريم هو وعد للمتقين، يقول الله ﷻ:

قُلْ أَذَلِكِ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ؕ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٦﴾ هُمْ

فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ﴿١٦﴾ كَانِ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ﴿١٦﴾ (الفرقان، ٢٥: ١٥-١٦)

وهذا أمر مهم يذكرنا بقول الله ﷻ أنه "كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ" (الأنعام، ٦: ١٢؛ وانظر أيضاً الأنعام، ٦: ٥٤)؛ فكما رأينا في فصل "الله ﷻ والحب" فإن الرحمة من الذات الإلهية نفسها. وبعبارة أخرى فإن الله ﷻ يجب

"المتقين" لدرجة أن مكافأتهم بـ "جَنَّةُ الْخُلْدِ" أمر تتطلبه الذات الإلهية^{٥٢}.

ومن جهة أخرى، نرى أهمية الإحسان لأن الله ﷻ استعمل كلمة "مَعَ" في الآية الكريمة: "وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ" (العنكبوت، ٢٩: ٦٩)، والتي تؤكد أن الله مع المحسنين. ولا يفوتنا أن نذكر أن "الْمُحْسِنِينَ" انفردوا في القرآن الكريم بقربهم من رحمة الله ﷻ:

وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ
مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ (الأعراف، ٧: ٥٦)

وهذا يؤكد أصلاً تعريفنا "للإحسان" أنفاً كجامع لفضائل النفس. فالله ﷻ يجب من كانت نفسه جميلة ومحسب درجة جمال نفسه، فيقول الله ﷻ:

يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ (الشعراء، ٢٦: ٨٨-٨٩)



المطلب الرابع: عطاء الله ﷻ لكل الناس

مع أن الله ﷻ يجب الصابرين والمتقين والمحسنين، فرحمته وسعت كل

٥٣ يقول الفخر الرازي في "مفاتيح الغيب"، ٥٣/٢٤ إن وعد الله "وَعْدًا مَسْئُولًا" ويعود إلى دعوة المؤمنين والملائكة:

رَبَّنَا وَإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا نَحْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿٤٠﴾ (آل عمران، ٣: ١٩٤)
... رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٤١﴾ رَبَّنَا
وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ (غافر، ٤٠: ٧-٨)

والملفت في هذه الآيات الكريمة أن الله ﷻ يذكر وعده في القرآن الكريم وهذا يثبت أن الله ﷻ ألزم نفسه سبحانه بهذا الوعد، والله أعلم.

شيء، كما ذكرنا. يُضاف إلى ذلك أن عطاء الله ﷻ الكريم يصل إلى كل شيء بغض النظر عن هل تستحق ذلك أم لا، هبة منه ﷻ بلا مقابل:

كَلَّا نُمَدُّ هُنُوْلًا ۖ وَهُنُوْلًا ۖ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۗ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ (الإسراء، ١٧)

(٢٠:

وحتى مع المؤمنين الفاضلين لا يوجد هناك ربط بين نعمة الله واستحقاق الناس لها:

وَأَتَانَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَطَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ (إبراهيم، ١٤: ٣٤)

وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ (النحل، ١٦: ١٨)

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجٰدِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣١﴾ (لقمان، ٣١: ٢٠)

وحتى الكفار والظالمين والمشركين والمنافقين فالله ﷻ يمهّلهم برحمته:

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلٰكِن يُؤٰخِزُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ فِإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَجْرِبُونَ سَاعَةً ۗ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿١٦﴾ (النحل، ١٦: ٦١)

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهِا مِنْ دَابَّةٍ وَلٰكِن يُؤٰخِزُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ فِإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾ (فاطر، ٣٥: ٤٥)

فالحمد لله،

وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ۗ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ (الفصص، ٢٨: ٧٠)

(الفصص، ٢٨: ٧٠)

٨. الباب الأول؛ الفصل الخامس:

حب الله ﷺ لرسله وأنبيائه

المطلب الأول: الأنبياء

فَضَّلَ اللهُ ﷺ أَنْبِيََاءَهُ وَرَسُولَهُ عَلَى كُلِّ الْخَلْقِ (بِمَا فِيهِمْ أَوْلِيَاؤُهُ):

وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ (الأنعام: ٦٠)

وأرسل الله ﷺ إلى كل أمة رسولا أو نذيرا:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ

وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَيْرٌ

هُنَالِكَ الْمُبْتَلُونَ ﴿٧٨﴾ (غافر: ٤٠)

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ (فاطر: ٣٥)

وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٨﴾ (الشعراء: ٢٦)

تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ وَرَثَةُ يَوْمِهِمْ وَلَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ (التحل: ١٦)

مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدَّ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤١﴾

(فصلت: ٤١)

قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ

وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٩٠﴾ (الحقاف: ٤٦)

وذكر الله ﷺ أسماء خمسة وعشرين من الأنبياء والمرسلين في القرآن

الكريم، ثمانية عشر منهم في الآيات التالية:

وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ

عَلِيمٌ ﴿١٢٤﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِن

ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ

﴿٤٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَأُولَآئِئَا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٧﴾ (الأنعام: ٨٣-٨٧)

والسبعة الباقون الذين لم يذكروا في الآيات أعلاه ولكنهم ذُكروا بالاسم في القرآن الكريم هم: إدريس عليه السلام، ذو الكفل عليه السلام، شعيب عليه السلام، هود عليه السلام، صالح عليه السلام، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. واختلف العلماء في الخضر - وهو المذكور مع موسى عليه السلام (في سورة الكهف، ١٨: ٦٠-٨٢) - هل كان نبياً أو ولياً.

المطلب الثاني: الرُّسُل

إن كل رسول نبي ولكن ليس كل نبي رسولاً. قيل في الأحاديث المختلفة إنه كان عبر التاريخ أربعة وعشرون ومائة ألف نبي وخمسة عشر وثلاثمائة رسولاً^{٥٤}. والرسول هو الذي يأتي بشريعة جديدة والنبي هو الذي ينبيئ الناس نبأً من الله عن شريعة جاءت مع رسول^{٥٥}. نعلم أن الله جل جلاله أكد

٥٤ جاء في الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه قال:

يا رسول الله: كم الأنبياء؟ فقال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً» فقال: كم المرسلون منهم؟ قال: «ثلاثمائة وخمسة عشر، جماً غفيراً». (رواه أحمد في المسند، ٥/ ٢٦٥-٢٦٦، وابن حبان في صحيحه، ٢/ ٧٧).

٥٥ قال ابن أبي شريف: "وقد تحصل في معنى النبي والرسول ثلاثة أقوال: الفرق بينهما بالأمر بالتبليغ وعدمه وهو الأول المشهور، والفرق بأن الرسول من له شريعة وكتاب أو نسخ لبعض شريعة متقدمة على بعثته، وكونهما بمعنى واحد وهو الذي عزاه للمحققين، وهو يقتضي اتحاد عدد الأنبياء والرسول". (ابن أبي شريف، المسامرة في العقائد، ص ١٩٤). وقال الأستاذ عبد القاهر البغدادي أثناء سرده للأمور التي اتفق عليها أهل السنة والجماعة في كتاب (الفرق بين الفرق) في تعريف الرسول والنبي: "أن كل من نزل عليه الوحي من الله تعالى على لسان ملك من الملائكة وكان مؤيداً بنوع من الكرامات الناقضة

أن اثني عشر من الأنبياء الذين سماهم في القرآن الكريم هم رسل أيضاً،
وخمسة منهم المذكورون في الآية الكريمة التالية:

للعادات فهو نبي، ومن حصلت له هذه الصفة وخصَّ أيضاً بشرع جديد أو بنسخ بعض
أحكام شريعة كانت قبله فهو رسول". (الأستاذ عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق،
ص ٣٤٢).

فالتعريف الصحيح والدقيق في تعريف كل من النبي والرسول والفرق بينهما، أن
الرسول هو: "مَنْ أُوْحِيَ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ جَدِيدٍ وَأَمْرٍ بِتَبْلِيغِهِ"، والنبي هو: "مَنْ أُوْحِيَ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ
رَسُولٍ وَأَمْرٍ بِتَبْلِيغِهِ"، فكل منهما بُعِثَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﷻ وَمَأْمُورٌ بِالتَّبْلِيغِ، لقوله ﷻ:

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ
ثُمَّ يُخَيِّكُمُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ (الحج، ٢٢: ٥٢)

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قُرْيَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالتَّبَاسُءِ ۗ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٧٠﴾ (الأعراف، ٧٠: ٩٤)

ولا أدل على ذلك أيضاً من قوله ﷻ:

وَأَذْكُرُ فِي التَّكْوِينِ مُوسَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا ۚ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿١٠٠﴾ وَتَذَكِّرُنَا مِنَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْتَنَا نَجِيًّا ﴿١٠١﴾
وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿١٠٢﴾ وَأَذْكُرُ فِي التَّكْوِينِ إِسْمَاعِيلَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا
نَّبِيًّا ﴿١٠٣﴾ (مریم، ١٩: ٥٤-٥١)

بَيَّنَّ اللَّهُ ﷻ هُنَا الْفَرْقَ بَيْنَ وَظِيفَةِ الرَّسُولِ وَوِظِيفَةِ النَّبِيِّ: فَسَيَدُنَا مُوسَى ﷺ هُوَ
الرَّسُولُ الَّذِي أُرْسِلَ بِشَرِيعَةٍ جَدِيدَةٍ وَهِيَ فِي التَّوْرَةِ، وَسَيَدُنَا هَارُونَ ﷺ هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي أَمْرٌ
بِتَبْلِيغِ التَّوْرَةِ وَشَرِيعَةِ سَيَدُنَا مُوسَى ﷺ أَيْضًا، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ ﷻ أَكْرَمَ سَيَدُنَا هَارُونَ ﷺ بِشَيْءٍ
مِنْ وَظِيفَةِ الرِّسَالَةِ، وَذَلِكَ بِطَلْبِ أَخِيهِ مُوسَى ﷺ، فَاللَّهُ ﷻ يَقُولُ:

وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٠١﴾ وَهَمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٠٢﴾ قَالَ كَلَّا ۗ
فَآذِهِمَا بِمَا نَبِيَّتُنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٠٣﴾ (الشعراء، ٢٦: ١٣-١٥)،

والدليل القاطع على أن سيدنا هارون ﷺ كان له شيء من الرسالة لما أرسل مع
سيدنا موسى ﷺ هو قول الله ﷻ:

فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ ۗ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا
مَنْ أَتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٢٥﴾ (طه، ٢٠: ٤٧).

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقْبِئُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۗ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿٤٢﴾ (الشورى، ٤٢: ١٣)

وهؤلاء هم - أولو العزم من الرسل - وهم خمسة (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام)، أخبرنا الله ﷻ أن الأنبياء المذكورين تالياً هم رسل أيضاً:

١. هود عليه السلام:

إِذْ قَالَ هُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢١﴾ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٢﴾ (الشعراء، ٢٦: ١٢٤-١٢٥)

٢. صالح عليه السلام:

إِذْ قَالَ هُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢١﴾ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٢﴾ (الشعراء، ٢٦: ١٤٢-١٤٣)

٣. لوط عليه السلام:

إِذْ قَالَ هُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢١﴾ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٢﴾ (الشعراء، ٢٦: ١٦١-١٦٢)

٤. إسماعيل عليه السلام:

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ (مريم، ١٩: ٥٤)

٥. يوسف عليه السلام:

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ۚ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ۚ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ

مُرْتَابٌ ﴿٤٠﴾ (غافر، ٤٠: ٣٤)

٦. شعيب عليه السلام:

إِذْ قَالَ هُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ (الشعراء، ٢٦: ١٧٧-١٧٨)

٧. إِيَّاسَ الطَّلِيلَةَ ^{٥٦}:

وَإِنَّ إِيَّاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ (الصافات، ٣٧: ١٢٣)

٨. يُونُسَ الطَّلِيلَةَ:

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٨﴾ (الصافات، ٣٧: ١٣٩)

٩. هَارُونَ الطَّلِيلَةَ:

فَأَتِيَاهُ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ ^ط قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّكَ ^ط وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ ^ط الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ (طه، ٢٠: ٤٧).

١٠. دَاوُدَ الطَّلِيلَةَ ^{٥٧}:

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ^ع وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ^ع وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا ﴿٣٨﴾ (النساء، ٤: ١٦٣)

وَرَبِّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ^ط وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ^ط وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا ﴿٣٩﴾ (الإسراء، ١٧: ٥٥)

٥٦ سيدنا إِيَّاسَ وسيدنا يونس عليهما السلام كانا من الرسل، لأن كلمة "الْمُرْسَلِينَ" تعني رسولا.

٥٧ ليس واضحاً لنا هل كان سيدنا داود الطَّلِيلَةَ نبياً أم رسولاً، وهذا يعتمد على أنه هل كان كتابه "الزبور" مستقلاً عن شريعة سيدنا موسى الطَّلِيلَةَ أم مقررراً ومؤكداً لها؟ وربما يُقال إن سيدنا داود الطَّلِيلَةَ إذا كان نبياً فقط أنه هو النبي الوحيد الذي نعلم أن الله ﷻ آتاه كتاباً وهو "الزبور"، وربما يكون في الآية الكريمة التالية إشارة إلى هذا التفضيل الإلهي بين الأنبياء:

وَرَبِّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ^ط وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ^ط وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا ﴿٣٩﴾

(الإسراء، ١٧: ٥٥)

وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمْ وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ (البقرة: ٢٥٣)

فإنه ﷺ ذكر "أولي العزم" من الرسل:

فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ۗ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ۗ بَلِّغْ ۗ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٥٤﴾ (الأحقاف: ٤٦، ٣٥)

وقد ورد في حديث صحيح^{٥٨} أن "أولي العزم" من الرسل هم الرسل الخمس المذكورون في الآيتين التاليتين:

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۗ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۗ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ (الشورى: ٤٢، ١٣)

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۗ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ (الأحزاب: ٣٣، ٧)

فهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل، وهم صفوة صفوة البشر وصفوة صفوة الخلق. وذكر الله ﷻ ما يشير إلى حبه لكل واحد منهم بطريقة مختلفة كما سنبين فيما يلي:

١. سيدنا نوح ﷺ:

ذكر الله ﷻ أن نوحاً ﷺ بأعينه، كما أنه ﷻ ذكر أن نوحاً صنع الفلك بناءً على الوحي:

فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَوَحَيْنَا . . . (المؤمنون: ٢٣، ٢٧)

٥٨ رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحین (برقم ٤٠٠).

وَأَصْنَعُ الْفُلَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا . . . (هود، ١١: ٣٧)

٢. سيدنا إبراهيم عليه السلام:

ذكر الله جل جلاله أنه أتى إبراهيم صحفًا:

إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١١٠﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١١١﴾ (الأعلى، ٨٧: ١٨-١٩)

وذكر الله جل جلاله أن إبراهيم عليه السلام خليله:

. . . وَأَخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ (النساء، ٤: ١٢٥)

وكان إبراهيم عليه السلام بدوره أواه في حبه لله:

. . . إِنْ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ (التوبة، ٩: ١١٤)

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٦﴾ (هود، ١١: ٧٥)

٣. سيدنا موسى عليه السلام:

ذكر الله جل جلاله أنه أتى موسى صحفًا عليه السلام والواحًا وتوراةً:

إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١١٠﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١١١﴾ (الأعلى، ٨٧: ١٨-١٩)

أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾ (النجم، ٥٣: ٣٦)

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ^ط وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ^ط قَالَ ابْنُ أُمَّ إِنْ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلِنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

﴿١٥٠﴾ (الأعراف، ٧: ١٥٠)

وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ^ط وَفِي نُحُوتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ

لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ (الأعراف، ٧: ١٥٤)

نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣٠﴾ (آل

وذكر الله ﷺ أن موسى ﷺ نجيته:

... وَفَرَّيْتَهُ نَجِيًّا ﴿٢٤﴾ (مرهم، ١٩: ٥٢)

وأنه كان عند الله ﷺ وجيهاً:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ

وَجِيهًا ﴿٢٦﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٦٩)

وأن الله ﷺ ألقى عليه محبته وأنه اصطنعه على عينه:

... وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٢٦﴾ (طه، ٢٠: ٣٩)

وأن الله ﷺ اصطفى موسى لنفسه:

وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ (طه، ٢٠: ٤١)

ولهذا كان موسى ﷺ بدوره " أول المؤمنين ":

... وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ (الأعراف، ٧: ١٤٣)

وكما رأينا سابقاً ذكر الله ﷺ أنه كان مع موسى وهارون عليهما

السلام، ومع موسى ﷺ بشكل خاص:

قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِبَايْتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ (الشعراء، ٢٦: ١٥)

قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٢٢﴾ (الشعراء، ٢٦: ٦٢)

٤. سيدنا عيسى ﷺ:

ذكر الله ﷺ أنه أتى سيدنا عيسى ﷺ الإنجيل، قال الله ﷺ:

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَءَاتَيْنَاهُ
الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ

﴿٤١﴾ (المائدة، ٥: ٤٦)

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ
الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۗ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ
وَالْإِنْجِيلَ ۗ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۗ وَتُبْرِئُ
الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۗ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۗ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ
عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾

(المائدة: ١١٠)

ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي
قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ
رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۗ فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۗ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ
فَسِقُونَ ﴿١١٧﴾ (الحديد: ٥٧، ٢٧)

وذكر الله ﷺ أنه جعل عيسى ﷺ مثلاً لبني إسرائيل:

إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠١﴾ (الزخرف: ٤٣، ٥٩)

وكذلك ذكر الله ﷺ أنه أعطى عيسى ﷺ آيات منه، كما أعطى بعض
الأنبياء والرسل من قبله ٥٩:

وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَإِلَاحِلًا لِّكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ
وَجِئْتَكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۗ ﴿١٠٣﴾ (آل عمران: ٣٠، ٥٠)

٥٩ ذكر الله ﷺ أن بعض الرسل (والأنبياء) جاءوا بآيات ياذن الله ﷺ (انظر إلى: الرعد، ١٣:
٣٨؛ غافر، ٤٠، ٧٨)، فمهمهم صالح ﷺ (انظر إلى: الأعراف، ٧، ٤٣؛ هود، ١١، ٦٤)،
وزكريا ﷺ (انظر إلى: آل عمران، ٣، ٤١؛ مريم، ١٩، ١٠)، ونوح ﷺ (انظر إلى:
العنكبوت، ٢٩، ١٥)، وإبراهيم ﷺ (انظر إلى: آل عمران، ٣، ٩٧)، وموسى وهارون
عليهما السلام معاً (انظر إلى: طه، ٢٠، ٤٧). ولكن موسى ﷺ أعطى أكثر من آية (انظر
إلى: الإسراء، ١٧، ١٠١؛ طه، ٢٠، ٢٢؛ الأعراف، ٧، ١٣٣). وربما تكون أعظم آية هي التي
أعطيت لسيدنا محمد ﷺ وهي آية شق القمر (انظر إلى: القمر، ٥٤، ١-٢).

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوْلَادِنَا
وَأَخْرِنَا وَءَايَةً مِنْكَ وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴿١١٤﴾ (المائدة: ١١٤)

ولكن بينما أعطي بعض الرسل والأنبياء آية أو آيات، جعل الله ﷺ
عيسى ﷺ نفسه آية، هو وأمه:

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾
(الأنبياء، ٢١: ٩١)

وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَهُمَا إِلَى رَوْتَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ (المؤمنون، ٢٣: ٥٠)

وإضافة إلى ذلك، فإن الله ﷻ جعل عيسى ﷺ آية للناس ورحمة منه:

قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا
مُقْضًى ﴿١٩﴾ (مريم، ١٩: ٢١)

وذكر الله ﷻ أيضاً أن عيسى ﷺ هو المسيح وكلمة الله وروح منه:

... إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ
... (النساء، ٤: ١٧١)

وذكر الله ﷻ أن عيسى ﷺ وحيه في الدنيا والآخرة ومن المقربين
(وهو الوحيد من البشر الذي سمي بالاسم كأحد من "المقربين" في القرآن
الكريم):

إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٢٠﴾ (آل عمران، ٣: ٤٥)

وذكر الله ﷻ أنه ﷺ محميٌ وأمه، من الشيطان الرجيم:

فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ
وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١٦﴾

يَقُولُ حَسَنٍ وَأُنْبِتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَلَهَا زَكْرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكْرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٠﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٢١١﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢١٢﴾ (آل عمران، ٣: ٣٦-٣٩)

وَذَكَرَ اللَّهُ ﷻ أَنَّهُ رَفَعَ عِيسَى النَّاصِرَةَ إِلَيْهِ:

بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ (النساء، ٤: ١٥٨)

وربما نجد في الآية التالية إشارة إلى تفضيل عيسى ﷺ على الرسل من قبله:

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ . . . (البقرة، ٢: ٢٥٣)

٥. سيدنا محمد ﷺ:

سيدنا محمد ﷺ هو خامس الرسل "أولي العزم" (انظر القسم التالي).

المطلب الرابع: حبيب الله ﷺ

إن الله ﷻ أتى سيدنا محمد ﷺ القرآن الكريم:

وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ (الحجر، ١٥: ٨٧)

فسيدنا محمد ﷺ، هو خاتم الأنبياء والمرسلين:

. . . وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ . . . (الأحزاب، ٣٣: ٤٠) (انظر إلى: الأنعام، ٦: ١٩؛

يوسف، ١٢: ٣؛ طه، ٢٠: ٢؛ ١١٤؛ القصص، ٢٨: ٨٥؛ الإنسان، ٧٦: ٢٥)

"الخاتم" يعني "الأخير" ولكن المقصود أيضاً "القمة"، لذلك فسيدنا محمد ﷺ هو الأول أيضاً - "أول من أسلم"، و"أول المسلمين"، و"أول العابدين":

... **أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ** ... (الأعراف، ٦: ١٤)

... **أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** (الزمر، ٣٩: ١٢)

... **أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ** (الزخرف، ٤٣: ٨١)

وهذا الفضل كله دليل على محبة الله ﷻ لسيدنا محمد ﷺ، فإذا كان الله ﷻ قد قال عن سيدنا موسى عليه السلام (**... وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**) (طه، ٢٠: ٣٩) ولسيدنا نوح **العليه** (**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا** ...) (هود، ١١: ٣٧) فإنه قال لسيدنا محمد ﷺ (**... فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا** ...) (الطور، ٥٢: ٤٨) من غير تحديد^{٦٠}.

وأضاف إلى ذلك صلاة خاصة من الله وملائكته على سيدنا محمد ﷺ: **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** (الأحزاب، ٣٣: ٥٦)

وكان الله معه ومع صاحبه، كما رأينا سابقاً، بـ"المعية الخاصة" في غار ثور:

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ

٦٠ وما يُبين التفاضل بينهما عليهما الصلاة والسلام قول سيدنا موسى لله ﷻ كما جاء في القرآن الكريم: **وَعَجَلْتَ إِلَيْكَ رَبِّ لَتَرْضَىٰ** (طه، ٢٠: ٨٤) لكن سيدنا محمداً ﷺ قال له رب العزة سبحانه: **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ** (الضحى، ٩٣: ٥). فهذا يعني أنه كان على سيدنا موسى **العليه** طلب الرضا، بينما كان الرضا وهب إلهي لسيدنا محمد ﷺ.

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ (التوبة: ٤٠)

ورفع الله ﷻ ذكره:

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٩٤﴾ (الشرح، ٩٤)

وفضله الله ﷻ وأنزل عليه الكتاب والحكمة وعلمه علماً جديداً:

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ هَمَّتْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ۗ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ ۚ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ

تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿٣٣﴾ (النساء: ١١٣)

ووصفه ﷻ بأنه "كريم":

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٩﴾ (الحاقة، ٤٩)

ومدحه ﷻ لخلقه:

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٦٨﴾ (القلم، ٦٨)

لدرجة أن نوره ﷻ كان يسطع:

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٤﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا

﴿٤١﴾ (الأحزاب، ٣٣-٤٥)

وأنه ﷻ كان نوراً:

يَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿٥٥﴾

(المائدة: ٥٥)

ووصفه الله أنه "أسوة حسنة" لمن كان "يرجو الله" (والرجاء يتضمن

معنى الحب):

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأحزاب، ٢١)

ويلاحظ أن الحالة الأخرى التي وصف الله ﷻ في القرآن الكريم غير سيدنا محمداً ﷺ بأنه " **أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ** " هو سيدنا إبراهيم عليه السلام وأصحابه (ولكن سيدنا محمداً ﷺ انفرد بوصف " **أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ** " لوحده):

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ۗ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۗ رَبَّنَا عَلَيكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١١٠﴾ (الممتحنة، ٦٠: ٤)

وخصَّ سيدنا محمد ﷺ بتسميته " **ذُكْرُ اللَّهِ** " :

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۗ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠٩﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۗ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١٠﴾ (الطلاق، ٦٥: ١٠-١١)

وفسر الراغب الأصفهاني هاتين الآيتين كالتالي:

" قوله: ﴿ **قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا** ﴾ فقد قيل الذكر هاهنا وصف للنبي ﷺ كما أن الكلمة وصف لعيسى عليه السلام من حيث إنه بُشِّرَ به في الكتب المتقدمة، فيكون قوله ﴿ **رَسُولًا** ﴾ بدلاً منه. وقيل ﴿ **رَسُولًا** ﴾ مُتَّصِبٌ بقوله ﴿ **ذِكْرًا** ﴾ كأنه قال قد أنزلنا إليكم كتابا ﴿ **ذِكْرًا** ﴾ رسولاً يتلوا...^{١١٠} ."

ومن ذلك فإن بيعته ﷺ هي بيعة الله ﷻ، ومن وضع يده بيده، فإن يد الله ﷻ فوق أيديهم:

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۗ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا

٦١ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ١٨٤.

يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ۗ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسْيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ (التفتح، ٤٨: ١٠)

ولذلك فإن رسول الله ﷺ رحمة للعالمين:

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢١٠﴾ (الأنبياء، ٢١٠: ١٠٧)

ولذلك كان وجوده مجد ذاته يحمي الكفار.

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

(الأنفال، ٨٠: ٣٣)

وأخيراً يبيّن الله حبه لرسوله محمد ﷺ في الآية التالية كما ذكرنا سابقاً:

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

﴿٣١﴾ (آل عمران، ٣: ٣١)

فمن هذه الآية نفهم أن سيدنا محمداً ﷺ هو "حبيب الله" وهو الوحيد الذي يوصف بوصف "الإحباب" - وهو "الحب" أو شدة الحب كما رأينا سابقاً - بشكل قطعي دون أن يكون مشروطاً بشيء. وهذا التفسير يشبهه الحديث الشريف المعروف:

«أنا حبيب الله ولا فخر»^{٦٦}.

فإنه ﷺ فضّل الرسل والأنبياء على العالمين، وفضّل الرسل على الأنبياء وفضّل أولي العزم من الرسل في محبته الخاصة على سائر الرسل، وجعل سيدنا محمداً ﷺ حبيبه.

٦٢ رواه الدارمي في سننه رقم ٤٧ في المقدمة، والترمذي في سننه رقم ٣٦١٦ في كتاب

المناقب.

٩. الباب الأول؛ الفصل السادس:

الذين لا يحبهم الله ﷻ

خلق الله ﷻ الإنسان من رحمته ومن أجل رحمته ﷻ. وعلى الرغم من ذلك ومن فضل الله ﷻ على الإنسان بشكل عام، فإنه يوجد في القرآن الكريم ذكر اثني عشر صنفاً من الناس لا يحبهم الله ﷻ. ولكن يُلاحظ أن الله ﷻ لا يقول أبداً إنه لا يحب هؤلاء كأشخاص بحد ذاتهم، وإنما لا يحبهم كأشخاص يتمثلون بخصال سيئة. والاثنا عشر صنفاً من الناس الذين لا يحبهم الله ﷻ هم:

١. " الكافرين " :

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ (آل عمران، ٣: ٣٢)

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ (الروم، ٣٠)

(٤٥:

٢. " كل كفار أثيم " :

يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿١٧٦﴾ (البقرة، ٢: ٢٧٦)

٣. " المعتدين " :

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ (البقرة، ٢: ١٩٠)

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ (المائدة، ٥: ٨٧)

أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ (الأعراف: ٥٥)

٤. "المختال الفخور" أو "كل مختال فخور":

وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۗ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ (النساء: ٣٦)

وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ
فَخُورٍ ﴿٣٧﴾ (القمان: ٣١، ٣٨)

لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ
﴿٣٨﴾ (الحديد: ٥٧، ٥٨)

٥. "الخوآن الأثيم":

وَلَا تُجَدِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿٣٧﴾
(النساء: ٤، ١٠٧)

٦. "كل خوآن كفور":

إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ (الحج: ٢٢، ٣٨)

٧. "الخائنين":

وَأِمَّا خَوَّافٌ ۖ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ ﴿٣٩﴾
(الأفقال: ٨، ٥٨)

٨. "المفسدين":

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي

الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ (المائدة: ٦٤)

وَأَتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِنَ ۚ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٥﴾

(القصص: ٢٨، ٧٧)

٩. "المسرفين":

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرِ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالزُّمَامَ مُمْتَشِبًا وَغَيْرِ مُتَشَبِهٍ ۚ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ ۖ وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٦٧﴾ (الأعراف: ٦٧، ١٤١)

يَنْبَغِي ءَادَمَ حُدُودًا زَيْتُونًا عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

الْمُسْرِفِينَ ﴿٦٨﴾ (الأعراف: ٧، ٣١)

١٠. "الفرحين":

إِنَّ قُرُونَكَ مِنَ قَوْمٍ مَوْسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَأَتَيْنَهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوتُ بِالْعِصْبَةِ ۚ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَ اللَّهُ لَعْنَةً قَدِيمَةً ۚ لَئِيْلًا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ لَا يَفْقَهُوْنَ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٦٩﴾

(القصص: ٢٨، ٧٦)

١١. "الظالمين":

وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ

﴿٥٧﴾ (آل عمران، ٣: ٥٧)

إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۗ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ

اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ (آل عمران، ٣: ١٤٠)

وَحَزَبًا سَيِّفَةً سِيفَةٌ مِثْلُهَا ۗ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ

﴿٥٩﴾ (التورى، ٤٢: ٤٠)

١٢. "المستكبرين":

لَا جَرَمَ أَنْ اللَّهُ يَعْلَمَ مَا يُسْرُونَ ۗ وَمَا يُعْلِنُونَ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٦٣﴾

(النحل، ١٦: ٢٣)

وإضافة إلى ذلك لا يجب الله الأعمال السيئة:

لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوْءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿٦٤﴾ (النساء، ٤٨: ١٤٨)

... وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٦٥﴾ (البقرة، ٢: ٢٠٥) ٦٣

فإنه ﷻ لا يجب اثني عشر صنفاً من الناس الذين يتمثلون بخصال سيئة وهو يجب ثمانية أصناف من الناس الذين يتمثلون بالفضائل. والقاسم المشترك بين الأصناف الاثني عشر هو قبح النفس المتمثل في ارتكاب المعاصي وعدم الانقياد لله ﷻ ومخالفة أمره. والقاسم المشترك بين الأصناف الثمانية

٦٣ ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن الله لا يرضى بعض الأمور مثل الكفر:

... إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۗ ... (النساء، ٤: ١٠٨)

... وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۗ ... (الزمر، ٣٩: ٧)

... فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٦٦﴾ (التوبة، ٩: ٩٦)

من المؤمنين هو جمال النفس. فهل هذا يعني أن الله ﷻ يكره أكثر مما يجب؟ أو هل هذا يعني أنه يوجد تماثل بين حبّ الله للمؤمنين وكرهه للظالمين؟ كلا! لأن انعدام الحبّ شيء محايد، ونقيض الحبّ هو الكره، فعدم الحبّ للكافرين والظالمين على اختلاف أنواعهم لا يعني أن الله يكرههم ولا يعني أنه يوجد أي تماثل بين محبة الله للمؤمنين الفاضلين وعدم حبه للكافرين والظالمين. فالله ﷻ لم يذكر مرة واحدة في القرآن الكريم أنه يكره أحداً أو أي صنف من الكافرين. الله ﷻ يكره فقط العمل السيء، أو شره. وأقرب ما يصل إلى كرهه الله ﷻ هو فعل معين ويخص المنافقين الذين هم ... **فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ** ... (النساء، ٤: ١٤٥).

وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاتِهِمْ فَتَبَطَّهْمُ وَقِيلَ أَعْدُوا مَعَ الْفَجْعِيِّينَ (التوبة، ٩: ٤٦)

وكذلك ذكر الله ﷻ أن "سيئة" بعض الأعمال هي "مكروهة" عنده.

يقول الله ﷻ:

لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَحْدُولًا ﴿١١﴾ * **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا** ﴿١٢﴾ **وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** ﴿١٣﴾ **رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا** ﴿١٤﴾ **وَأَتَتْ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينُ وَآبَنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا** ﴿١٥﴾ **إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا** ﴿١٦﴾ **وَأَمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا** ﴿١٧﴾ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا** ﴿١٨﴾ **إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا**

﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةً ۖ اِمْلَقِ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا
 ﴿٣٦﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٧﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ
 اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَيْهِ سُلْطٰنًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ۗ
 إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٨﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۗ
 وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٩﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنْتُمْ بِالْقِسْطَاسِ
 الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٤٠﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ
 وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٤١﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَنْ
 تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٤٢﴾ كُلُّ ذٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا
 ﴿٤٣﴾ ذٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي
 جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿٤٤﴾ (الإسراء، ١٧: ٢٢-٣٩)

ويلاحظ أن في نص الآية الكريمة: "كُلُّ ذٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا" ﴿٤٣﴾ درجتين من البعد عن فكرة كره الله ﷻ للظالمين والكافرين بأعينهم: الدرجة الأولى هي أن سيئة المعاصي هي المكروهة عند الله ﷻ وليست المعاصي بعينها، والدرجة الثانية هي أن الله ﷻ قال إن سيئة المعاصي "مكروهة" عنده ولم يقل إنه يكره المعاصي، والله أعلم.

فالله ﷻ بيّن في القرآن الكريم أنه لا يكره أحداً بل ويجب كل شيء باستثناء الكافرين والظالمين والمشركين والمنافقين وبعض أعمالهم، وهذا صحيح حتى في شدة إنكار الله ﷻ لأسوء أعمال الكافرين، وعند لعنه لهم:

وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٤٤﴾ (النساء، ٤: ٩٣)

قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذٰلِكَ مُثَوِّبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ ۗ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ

الْقَرْدَةَ وَالْحَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّنْفُوتَ ۚ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾

(المائدة: ٦٠)

وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنًّا ۚ
السَّوَاءُ عَلَيْهِمْ ذَاتُ الرُّسُوِّ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ

مَصِيرًا ﴿٦١﴾ (الفتح: ٤٨، ٦١)

فإنه يوجد في كل هذا لعن إلهي، وغضب إلهي، وعذاب شديد، وعدم حبّ لهم من قبل الله ﷻ، ولكن لا يوجد كره من الله ﷻ للكافرين بذواتهم. فيما أنّ الله ﷻ لم يذكر أنه يكره الكافرين، فلا يجوز لنا أن نقول ذلك^{٦٤}.

٦٤ بعض العلماء خالفوا هذا الرأي، وقالوا إن الله يكره الكافرين. ومنهم مفتي الديار المصرية الأسبق الشيخ حسين محمد مخلوف رحمه الله، حيث يقول في كتابه: " كراهة الله تعالى لعبده: ومعنى كراهة الله تعالى لعبده غضبه عليه ومقتة له وسخطه عليه وعدم رضاه عنه والختم على قلبه وسمعه وبصره، والطبع عليه، ولعنته ونقمته، وإذلاله وإهانته، وتعذيبه في الآخرة وعقوبته، وحرمانه في الدنيا من هدايته وتوفيقه، ومن الإنعام عليه والإحسان إليه والعون له - إلا إملاءً واستدراجاً - وذلك جزاء كفره أو نفاقه، أو فسوقه وعصيانه، أو إفساده أو طغيانه، أو ظلمه وعدوانه، أو تعاطفه وتجبره، أو اختياله وتكبره، ونحو ذلك من المعاصي والموبقات والآثام والمنكرات آيات فيمن يكرههم الله تعالى: وكذلك جاء في القرآن العظيم فيمن يكرههم الله تعالى من عباده ويمقتهم ويلعنهم ويغضب عليهم ويعاقبهم جزاء كفرهم وعصيانهم وجحودهم حقوق ربهم ومحاربتهم إياه آيات كثيرة ... " (الشيخ حسين محمد مخلوف، من وحي القرآن الكريم، فيمن يحبهم الله تعالى، وفيمن يكرههم الله تعالى من عباده، ص ٥).

ولكن بالنسبة لنا نقول: بما أنه لم يرد أن الله ﷻ ذكر في القرآن الكريم أنه يكره أحداً، لا يليق للعبد أن يصف الله ﷻ بما لم يرد. فالله ﷻ ذكر وجهاً في قوله ﷻ: " وَبَيْنَى وَجْهِ رَبِّكَ ذُو الْجَنَّةِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٦١﴾ " (الرحمن: ٥٥: ٢٧) " فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَنَّمَّ وَجْهَ اللَّهِ " (البقرة: ٢: ١١٥) وذكر يداً في قوله ﷻ: " يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ " (الفتح: ٤٨: ١٠٠)، وذكر أعيناً في قوله ﷻ: " وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا " (الطور: ٥٢: ٤٨) - بغض النظر عن كيفية فهمنا لهذه الألفاظ الكريمة - وقد ذكر الله ﷻ لفظ كلماته في قوله ﷻ: " وَحَقُّ اللَّهِ الْحَقُّ بِكَلِمَتِهِ " (يونس: ١٠: ٨٢) وفي آيات أخرى، فهل يجوز أو

يقول الله ﷻ:

فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ (النحل، ١٦: ٧٤)

يليق بالعبد أن يقول بأن الله ﷻ له فم؟ حاشى لله سبحانه وتعالى! فالله ﷻ ذكر أنه لا يجب الكافرين ويكره بعض أعمالهم ويغضب عليهم ويلعنهم وأعد لهم جهنم وأعد لهم عذاباً عظيماً، ولكن مع هذا كله لم يذكر أنه يكره الكافرين بعينهم، فَلَمَّ نطقه على الله ﷻ ولم يرد في كتابه؟ ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن هذه قد تكون تهمة ضد الإسلام: فالبعض يتهمون الإسلام أنه دين كره وأن رب المسلمين يكره الناس، فَلَمَّ نجر هذه التهمة على الإسلام، علماً بأن الله كان قادراً أن يذكر أنه يكره الكافرين في القرآن الكريم لو أراد ذلك. وكما ذكرنا أعلاه، فإن الله ﷻ يقول:

فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ (النحل، ١٦: ٧٤)

وهناك مسألة ثانية في هذا الموضوع: كما رأينا سابقاً، فإن رحمة الله ﷻ وسعت كل شيء، وإن رحمته سبقت غضبه، فكيف يكره الله ﷻ الناس بأعينهم؟ وكما سنرى لاحقاً إن شاء الله ﷻ في فصل "تقيضا الجمال والحب"، فإن الكره هو "نفور"، فإن كان النفور محال على الله ﷻ، فكيف تنفر رحمة الله من شيء (كما نتوقع في حالة كرهه لشيء بعينه) ويبقى هذا الشيء في الوجود؟ أي بمعنى آخر لو أن الله ﷻ كره شيئاً فكيف يبقى هذا الشيء ووجوده أصلاً رحمة من الله ﷻ؟ وبتعبير آخر، نقول إذا قطع الله ﷻ رحمته عن شيء فكيف يبقى وكيف يحدث؟ وربما نرى هذه القاعدة في قوله ﷻ:

وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاتِهِمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ أَفَعُدُّوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿١٥﴾
(التوبة، ٩: ٤٦)

فهنا كرهه الله ﷻ انبعاث المنافقين ولذلك ثبطهم، ولم يحدث الأمر الذي يكرهه الله ﷻ. وإن قيل كرد على هذا إن المعاصي تحدث وأن الله ﷻ يقول:

وَلَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَحْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿١٠٤﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿١٠٥﴾ (الإسراء، ١٧: ٣٧-٣٨)

فترد أن الله ﷻ قال إن سيئات المعاصي عنده مكروهة وليس المعاصي بأعينها، ولذلك قد تحدث، والله أعلم.



كذلك لم يذكر الله ﷻ في القرآن الكريم أنه يبغض أحداً أو حتى فعلاً معيناً، مع أنه ذكر البغضاء في القرآن الكريم:

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَبْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۗ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ (المائدة: ٩١)



أما بالنسبة للمقت - والمقت كالبغض من نقائص الحب - فقد دُكرَ مقتُ الله أربع مرات في القرآن الكريم:

كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣٠﴾ (الصف: ٦١، ٣٠)

الَّذِينَ تَجِدُونَهُمْ فِي آيَاتِ اللَّهِ يَغَيِّرُ سُلْطَنًا أَنَّهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٥٠﴾ (غافر: ٤٠، ٣٥)

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ۖ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ (فاطر: ٣٥، ٣٩)

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠٠﴾ (غافر: ٤٠، ١٠٠)

فيلاحظ - كما هو الحال مع الحب - أنه لم يذكر في القرآن الكريم أن الله ﷻ يمقتُ أحداً. فالله ﷻ يمقت أعمالاً معينة فقط، وإذا كان كُفر الكافرين يزيدهم عند الله مقتاً، لكنه لم يذكر أنهم يصلون بكفرهم إلى حالة

مقت الله بشكل قطعي^{٦٥}. فهذا أيضاً من رحمة الله ﷻ وربما في كل ذلك درس

٦٥ وهذا كله بالرغم من أن الكافرين يؤذون الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ (الأحزاب: ٥٧)

ويجادون الله ﷻ ورسوله ﷺ:

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُخَادِقُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٩٠﴾ (التوبة: ٩٠)

إِنَّ الَّذِينَ يُخَادِقُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَسْخَوْا كَمَا كَبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ^{٦٦} وَقَدْ أَرْسَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلَكِنَّ كَافِرِينَ عَذَابٍ مُّهِينٍ ﴿٥٨﴾ (المجادلة: ٥٨)

لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٨﴾ (المجادلة: ٥٨)

ويشاقون الله ﷻ ورسوله ﷺ:

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ^{٦٧} وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٩﴾ (الجن: ٥٩)

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ^{٦٨} وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٨﴾ (الأنفال: ٨)

ويشاقون رسول الله ﷺ:

وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ^{٦٩} جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٤٠﴾ (النساء: ٤٠)

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَصُورُوا^{٧٠} اللَّهُ شَيْئًا وَسَيُحِبُّ أَعْمَلَهُمْ ﴿٤٧﴾ (محمد: ٤٧)

ويقاتلون ويحاربون الله ﷻ ورسوله:

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُم وَلَا تَعْتَدُوا^{٧١} إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٠﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ^{٧٢} وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ^{٧٣} وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ^{٧٤} فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ^{٧٥} كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٥١﴾ (البقرة: ١٩٠-١٩١)

إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ^{٧٦} وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا^{٧٧} أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ^{٧٨} مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا^{٧٩} مِنَ الْأَرْضِ^{٨٠} ذَلِكَ لِهَؤُلاءِ خِزْيٍ فِي الدُّنْيَا^{٨١} وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٥٢﴾

(المائدة: ٥٠)

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضُرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَاجًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يُشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ (التوبة، ٩: ١٠٧)

وأن الله ﷻ يجارب الكافرين:

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَإِنْ تُبْتغُوا فَالْكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿١٠٨﴾ (البقرة، ٢: ٢٧٩)

وأن الله ﷻ قال عن المشركين والمنافقين "فَتَلَّهُمُ اللَّهُ ۗ":

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرِيُّ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيهِمْ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ۗ قَتَلَهُمُ اللَّهُ ۗ أَنْ يُوَفَّقُوا لَكُورًا ﴿٣٠﴾ (التوبة، ٩: ٣٠)

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۗ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ۗ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدٌ ۗ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَحْوَةٍ عَلَيْهِمْ ۗ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۗ قَتَلَهُمُ اللَّهُ ۗ أَنْ يُوَفَّقُوا لَكُورًا ﴿٦٣﴾ (المنافقون، ٦٣: ٤)

وأن الله ﷻ قتل الكافرين والمشركين:

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۗ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۗ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٨٠﴾ (الأفقال، ٨: ١٧)

فكل هذه المشاققة والأذى والحاربة من قبل الكافرين والمشركين لله (ومحاربة ومقاتلة وقتل الله ﷻ لهم) لا تعني أن الله ﷻ يكره الكافرين بأعينهم وبشكل قطعي، كما رأينا أعلاه.

وربما يكون سر هذا الوضع هو أن الله ﷻ يجاربهم ويقاتلهم من قبل حربهم لله ﷻ، لأن أسوأ جزاء يجازي الله الكافرين به أن يسمح لهم أن يشاقوه ويؤذوه ويجاربه:

تُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا تُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَكُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ (البقرة، ٢: ٩)

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا ۗ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٠﴾ (النساء، ٤: ١٤٢)

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ (الأعراف، ٧: ١٨٢)

فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ ۗ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨١﴾ (القلم، ٦٨١: ٤٤)

فمحاربة الكافرين والمشركين لله ﷻ هي مجد ذاتها في الحقيقة حرب من الله ﷻ عليهم ولكنهم لا يشعرون، فليس الله ﷻ الذي يكرههم ولكن هم الذين يكرهون أنفسهم

غازي بن محمد بن طلال

عظيم للبشر أن لا يجبوا خِصالاً معينة، وأن يكرهوا أعمالاً معينة، وأن لا يكرهوا أحداً بشكل قطعي.

بدون علم، فالحرية البشرية التي وهبها الله للإنسان - كما سبق - تتضمن حرية أن يختار المرء إيذاء نفسه.

الباب الثاني: حب الرسول ﷺ

١٠. الباب الثاني؛ الفصل الأول:

حب الرسول ﷺ لله ﷻ

قد ذكرنا سابقاً أن رسول الله ﷺ ... **أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ** ... (الأَنْعَامُ: ٦، ١٤) ... **أَوَّلَ**

الْمُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ (الزُّمَرُ: ٣٩، ١٢) ... **أَوَّلَ الْعَبِيدِينَ** ﴿٣﴾ (الزُّمَرُ: ٤٣، ٨١) ، وهذه الصفات التي ذكرها الله ﷻ تشكل دليلاً قاطعاً على حبِّ رسول الله ﷺ المطلق لله ﷻ. إضافة إلى هذه الصفات فقد ذكرنا سابقاً أيضاً رجاء الرسول ﷺ لله ﷻ (وإن الرجاء من الحب):

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأَحْزَابُ: ٢١، ٣٣)

لكن أوضح برهانٍ لحالة حبِّ رسول الله ﷺ لربه ﷻ تأتي في الآيات

الجميلة التالية:

قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٠﴾ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴿١٠١﴾ **لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** ﴿١٠٢﴾ **قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ بَنِي رَبِّي وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۗ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۗ وَلَا تَرْرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** ﴿١٠٣﴾ (الأَنْعَامُ: ١٦١-١٦٤)

فإن كانت صلاة الرسول ﷺ ونسكه وحياته ومماته لله فهذه أعظم درجة في الحب، وبها فاق حبه العواطف، وفاق حتى حالة "الحب الأشد" التي ذكرها الله ﷻ في الآية الكريمة: ... **وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** ... (البَقَرَةُ: ٢، ١٦٥) ،

لأنه غارق تماماً في بحر حبّ الله ﷻ. ولهذا كان الله ﷻ يقول بعد تأكده أن الرسول ﷺ " **أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** " وأن الرسول ﷺ أصبح غير قادر على أن يبغى أو يريد غير الله: " **قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ** " .

فكما رأينا أن الرسول ﷺ حبيب الله، فنرى هنا أن الله ﷻ حبيب رسوله، وينطبق على الرسول ﷺ وعد الحبّ المتبادل كما جاء في الآية الكريمة: **يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴿٥٤﴾ (المائدة، ٥٤) .

من هنا يمكن لنا أن نفهم الحديث المعروف:

«حُبُّ إِلَهِي مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثَ طَلِيبٍ وَالنِّسَاءَ وَجَعَلَتْ قِرَةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^{٦٦} .

فالطيب والنساء يذكران الرسول ﷺ بالجنة (كما جاء في سورة الواقعة، ٥٦: ٢٢ و ٥٦: ٨٩) وبالتالي بقرب الله ﷻ بينما الصلاة ذكر الله ﷻ مباشرة. فكان رسول الله ﷺ كله حباً لله.

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥١﴾ (الأحزاب، ٥٦) .

٦٦ رواه البيهقي في السنن الكبرى ٧/٧٨. ورواه النسائي في السنن الصغرى رقم ٣٩٣٩ و ٣٩٤٠ في كتاب عشرة النساء، بلفظ: «حُبُّ إِلَهِي مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثَ طَلِيبٍ وَالنِّسَاءَ وَجَعَلَتْ قِرَةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»، ورواه أحمد ٣/١٢٨ و ١٩٩ .

١١. الباب الثاني؛ الفصل الثاني:

حب الرسول ﷺ للمؤمنين

جعل الله ﷻ رسوله شاهداً ومبشراً ونذيراً للناس:

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٨﴾ (الأحزاب: ٣٣، ٤٥)

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٩﴾ (الفتح: ٤٨، ٤٩)

وأمر رسوله أن يستغفر للمؤمنين وللمسلمين:

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

مُتَقَلِّبِكُمُ وَمَتَوْلَكُمْ ﴿٥٠﴾ (محمد: ٤٧، ٤٨، ٤٩)

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُنْفِرْنَ بِاللَّهِ شَيْعًا وَلَا يَسْرِقْنَ

وَلَا يَزِينْنَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا

يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعُهُنَّ وَاسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥١﴾ (الممتحنة: ٦٠، ٦١)

فَبِمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۗ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ

عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۗ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿٥٢﴾ (آل عمران: ٣، ١٥٩)

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ

يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ۗ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

وَرَسُولِهِ ۗ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ ۗ

إِنِّ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ (البقرة: ٢٤، ٦٢)

وخير الله ﷻ رسوله بالاستغفار للمنافقين:

اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ

كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٤٥﴾ (التوبة: ٩، ٨٠)

واختار رسول الله ﷺ أن يستغفر للمنافقين أكثر من سبعين مرة، قائلاً:
 "«أسمع ربي قد رخص لي فيهم، فوالله لاستغفرن أكثر من سبعين مرة، لعل
 الله أن يغفر لهم!» فقال الله من شدة غضبه عليهم: **سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ
 أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٤٥﴾** ٦٧
 (المنافقون: ٦٣: ٦٤)
 بل أكثر من ذلك، كاد رسول الله ﷺ أن يهلك نفسه الشريفة همماً على
 الناس:

لَعَلَّكَ بِنِخْعِ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٤٦﴾ (الشعراء: ٢٦، ٣)

أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ فَلَا
 تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٤٦﴾ (فاطر: ٨٠: ٣٥)
 كاد رسول الله ﷺ أن يهلك نفسه الشريفة همماً لأنه أراد أن يؤمن
 الناس بالله ﷻ بل وكاد أن يهلك نفسه الشريفة همماً على الناس حتى حين لم
 يؤمنوا وكان يعرف ﷺ أنهم لن يؤمنوا:

فَلَعَلَّكَ بِنِخْعِ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ ۗ إِنَّ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٤٧﴾ (الکهف: ١٨، ٦)

وهذه نقطة غير مباشرة ولكنها جميلة: ظلّ رسول الله ﷺ يهتم لأمر
 الناس ويشعر بالرحمة تجاههم حتى حين كانوا يرفضونه. ولم يكن الرسول ﷺ
 يهتم لأمرهم فقط كمؤمنين مُحْتَمَلِينَ: بل كان يهتم لأمرهم حتى حين ظلوا
 في كفرهم (ويُفْتَرَضُ في حالة عداوة مع الرسول ﷺ) لدرجة أنه كاد أن
 يهلك نفسه الشريفة همماً عليهم - أي كاد أن يموت همماً - لاهتمامه بأمرهم.

٦٧ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير القرآن، مجلد رقم ١٠، صفحة ٢٠٠.

فهذا كله يدل على^{٦٨} رحمة رسول الله ﷺ بالناس جميعاً وليس بالمؤمنين

^{٦٨} أي أن رسول الله ﷺ كان يحب حتى أعدائه. إذاً هل كان يحبهم وهم يقاتلون ضدَّ سبيل الله ﷻ؟ يقول ﷺ: لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٨﴾ (المجادلة، ٥٨: ٢٢).

ونلاحظ أن الوداد (يُوَادُّونَ) نوع محدد من الحبِّ ويرتبط بشكل وثيق بكلمة (المودة)، وليس الحبُّ بطريقة عامة أو الرحمة. ولكن حين يحاول المرء أن يدافع عن نفسه أو عن دينه، فمن الضروري أن يحب الله ﷻ أولاً، وبعد ذلك أن يحافظ على نفسه قبل أن يهتم لأمر عدوه. ولكن لعله يمكننا القول أن سيدنا محمد ﷺ ربما كان يحب أعدائه حتى عندما كان يقاتلهم (وقد أمر الله ﷻ الرسول ﷺ في القرآن الكريم أن يقاتل الذين قاتلوه) - ومن الواضح أن الرسول ﷺ لم يكن يحبهم من حيث أنهم أعداء الله ﷻ بل من حيث أنهم بشر. فكل الناس - إلى حين أن يموتوا ويتركوا الحياة الدنيا - لديهم القدرة أن يتغيروا وأن تصبح أنفسهم جميلة وبالتالي يمكن أن يصبحوا أشخاصاً جديرون بالحب. فكم من الكفار الأعداء دعا لهم رسول الله ﷺ فأصبحوا مهتدين وعلى رأسهم عمر بن الخطاب على سبيل المثال: عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب» (رواه الترمذي رقم ٣٦٨١ وصححه في كتاب المناقب باب مناقب عمر بن الخطاب ﷺ). (يقول الله ﷻ:

• عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَادِيَةً مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٠﴾ (المنحة، ٦٠: ٧).

وهذا يتفق مع تعريفنا للحب البشري: "ميلٌ من بعد الإعجاب إلى الحُسن": فهناك إمكانية لحسن وجمال النفس في كل الناس إلا ما ندر وهو أمر يمكن إدراكه بوضوح. وهذا يوضح لِمَ كان سيدنا محمد ﷺ دائماً رحيماً قدر الإمكان تجاه أعدائه (وأعداء الله ﷻ)، حتى حين كان يحاول أن يدافع عن نفسه وعن المسلمين منهم. كما أن هذا يوضح جزئياً كيف أن الرسول ﷺ كان ... رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٢١٠٧﴾. على أي حال يمكننا القول أن رسول الله ﷺ لم يكره أحداً لأسباب شخصية وأن سَنَّتَهُ كانت أن يحب كل الناس من حيث أنهم بشر ولكن ليس من حيث أنهم أعداء الله ﷻ (ويقاتلون ضدَّ سبيل الله) والله أعلم.

فقط. وتأكيداً لهذا أشار الله ﷻ إلى أنه أرسل الرسول ﷺ رحمةً للعالمين:

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ (الأنبياء، ٢١: ١٠٧)

وبطبيعة الحال كان الرسول ﷺ رحمة خاصة للذين آمنوا:

وَمِنَهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ (التوبة، ٩: ٦١)

وكانت صلواته أيضاً سكوناً للمؤمنين:

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٢﴾ (التوبة، ٩: ١٠٣)

وأمره الله ﷻ بالرأفة نحو المؤمنين:

لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ (الحجر، ١٥: ٨٨)

وَأخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٥﴾ (الشعراء، ٢٦: ٢١٥)

وأشار الله ﷻ أنه رؤوف ورحيم بالمؤمنين:

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ (التوبة، ٩: ١٢٨)

فأشاد الله ﷻ بجنان قلب رسوله نحو المؤمنين:

فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٧٤﴾ (آل عمران، ٣: ١٥٩)

وكان الرسول ﷺ يحنُّ على المؤمنين لدرجة أنه كان يستحيي منهم:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ
 نَظِيرِ بْنِهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعِينِينَ لِحَدِيثٍ
 إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ وَإِذَا
 سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا
 كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زُجُجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ
 ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٥٣)

فهذا الاستحياء من المؤمنين وتفضيلهم على نفسه الشريفة دليل قاطع
 على حب رسول الله ﷺ للمؤمنين، لأن الله ﷻ ربط الحب بالتفضيل على
 النفس ولو كان بها خصاصة:

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمِثْلَهُمْ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي
 صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ
 شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ (الحشر، ٥٩: ٩٠)

وهذا كله يدل على أن رسول الله ﷺ كان يحب المؤمنين بخاصة والناس
 جميعاً بعامة حباً عظيماً.

الباب الثالث: حبّ الإنسان

١٢. الباب الثالث؛ الفصل الأول:

حب الإنسان لله ﷻ

المطلب الأول: لِمَ يجب على الإنسان أن يحب الله ﷻ؟

قد ذكرنا سابقاً (في فصل "الكون والحب") أنّ كل شيء يجب الله ﷻ. فيضاف إلى هذا الحبّ الطبيعيّ الفطريّ حبّ خاص من الإنسان لجمال الله ﷻ وأسمائه وصفاته. يقول الله ﷻ:

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٢٠﴾ (طه، ٢٠: ٨)

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ (الاعراف، ٧: ١٨٠)

قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۗ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا فِيهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٧٠﴾ (الاسراء، ١٧: ١٧٠)

فالحسن هو الجمال ولا بد للإنسان إذا أحب الجمال أن يحب الجمال المطلق الكامل الذي هو في صفات وأسماء الله ﷻ.

وكذلك من السهل والطبيعيّ للإنسان أن يحب الله ﷻ أيضاً لرحمة الله ﷻ عليه وخلق الإنسان من رحمة الله ﷻ كما ذكرنا سابقاً (في فصل "الحب أصل الكون") ولفضل الله ﷻ وكرمه عليه كما ذكرنا سابقاً (في فصل "حب الله ﷻ للناس"). ونضيف إلى ذلك أنه من الطبيعيّ للإنسان أن يحب الله ﷻ لكل نِعَم الله ﷻ عليه، فالله ﷻ أسع على الإنسان نِعَمه ظاهرة

وباطنة:

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ
وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ ﴿٢٠﴾

(لقمان، ٢٠)

ولا بُدَّ لِلإِنسَانِ أَن يُحِبَّ اللَّهَ ﷻ أَيْضًا لِطُفْهِ عَلَى عِبَادِهِ:

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ (الشورى، ٤٢: ١٩)

ولا بُدَّ لِلإِنسَانِ أَن يُحِبَّ اللَّهَ ﷻ لِأَنَّهُ هُوَ الْوَدُودُ:

وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿١٤﴾ (هود، ١١: ٩٠)

﴿١٤﴾ (البروج، ٨٥: ١٤)

وكما أنه لا بُدَّ لِلإِنسَانِ أَن يُحِبَّ اللَّهَ ﷻ لمغفرته لِلإِنسَانِ وَعَفْوِهِ عَنْهُ

وتوبته عليه لجميع ذنوبه ما دون الشرك:

يَبِئْسَ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ (الحجر، ١٥: ٤٩)

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صٰلِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿١٥﴾

(الاسراء، ١٧: ٢٥)

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ ۗ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ (النصر، ١١٠: ٣)

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو

مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ (الرعد، ١٣: ٦)

وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٥﴾

وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَالْكَٰفِرُونَ هُمْ

عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٦﴾ (الشورى، ٤٢: ٢٥-٢٦)

وَأَخْرُونَ ۗ أَعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صٰلِحًا وَعَأْخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ

ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ

صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ هُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٤٦﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٧﴾ (التوبة: ٩، ١٠٢-١٠٤)

وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٤٨﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٩﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن قُدْرَةٍ أَن يَأْتِيَنَّكَ جَزَاؤُهُم مِّن مَّغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجْرِي مِنَ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ وَبِعَمَلٍ جَمِيلٍ ﴿١٥٠﴾ (آل عمران: ٣، ١٣٣-١٣٦)

وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥١﴾ (النساء: ٤١٠)

قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْتَفْرُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۗ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٢﴾ وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ۗ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١٥٣﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۖ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ (الزمر: ٣٩، ٥٣-٥٥)

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿١٥٥﴾ (النساء: ٤٨)

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٥٦﴾ (النساء: ٤، ١١٦)

٦٩ انظر أيضاً إلى آيات أخرى في هذا المعنى مثل: البقرة، ٢: ٣٧ و ١٦٠-١٦٢ و ١٨٧ و ٢٢١ و ٢٦٨؛ النساء، ٤: ١٧-١٨ و ٢٨-٢٩ و ٣١؛ الأنعام، ٦: ١٦٥؛ الأنفال، ٨: ٣٨؛ التوبة، ٩: ٧٤ و ١١٨؛ طه، ٢٠: ٨٢؛ غافر، ٤٠: ٣؛ الذاريات، ٥١: ٥٠؛ النجم، ٥٣: ٣٥؛ الحديد، ٥٧:

وإضافة إلى رحمة الله ﷻ للإنسان ومغفرته له لا بد للإنسان أن يجب
الله ﷻ لأنه يجيب له دعواته:

وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ
كَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ ۗ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ (يونس، ١٠)

(١٢:

بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ (الانعام، ٦: ٤١)

وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۗ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٤٢﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ
عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ (النحل، ١٦: ٥٣-٥٤)

أَمَّن تُحِيبُ الْمَضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ
قَلِيلًا مَّا تَدَّكَّرُونَ ﴿٣٧﴾ (النمل، ٢٧: ٦٢)

بل أكثر من ذلك، فإن الله ﷻ يطلب من الإنسان أن يدعوه لكي
يعطيه. يقول الله ﷻ:

وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۗ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا آكْتَسَبُوا ۗ
وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا آكْتَسَبْنَ ۗ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ (النساء، ٤: ٣٢)

وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۗ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ
جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ (غافر، ٤٠: ٦٠)

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۗ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۗ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي
وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿٣٦﴾ (البقرة، ٢: ١٨٦)

١٣؛ التحريم، ٦٦، ٨؛ وهناك آيات كثيرة أخرى في القرآن الكريم عن مغفرة الله ﷻ
للإنسان لم نذكرها هنا.

ويلاحظ هنا قرب الله ﷻ من الإنسان. ودَكَرَ اللهُ ﷻ هذا القرب أيضاً في الآية الكريمة:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسَّوسُ بِهِءِ نَفْسُهُ ۗ وَخَنُّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنَّ حَبْلِ الْوَرِيدِ

﴿١٦﴾ (ق، ٥٠: ١٦)

وهذا القرب هو بالرغم من غنى الله ﷻ عن العالمين كلهم. يقول الله ﷻ:

فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا قَامَ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾

(آل عمران، ٣: ٩٧)

وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦٠﴾

(العنكبوت، ٦٠: ٦٠)

وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٥١﴾

(إبراهيم، ١٤: ٨)

إِن تَكْفُرُوا فَأِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۗ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۗ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۗ إِنَّهُ

عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧٠﴾ (الزمر، ٣٩: ٧٠)

وهذا القرب هو بالرغم أيضاً من غنى الله ﷻ عن الناس وفقر الناس لله ﷻ:

يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٣٥﴾

(فاطر، ٣٥: ١٥)

هَاتَانِثُمْ هٰٓؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُمْ مَّن يَبْخُلُ ۗ وَمَن يَبْخُلْ

فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَّفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ۗ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا

غَيْرِكُمْ ۗ ثُمْ لَا يَكُونُوا ءَامِنًا ﴿٣٨﴾ (محمد، ٤٧: ٣٨)

لكن بالرغم من غنى الله ﷻ عن الناس وفقر الناس لله ﷻ فإن الله ﷻ يجيب من كل دعوات الناس الصادقة. يقول الله ﷻ:

وَأَتٰنَكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۗ وَإِن تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ

لظُلُومٌ كَفَّارٌ ﴿١٤﴾ (إبراهيم، ١٤: ٣٤)

فالله ﷻ يَعِدُ الإنسانَ الصالحَ الذي يدعوهُ حياةً طيبةً:

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ

أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ (النحل، ١٦: ٩٧)

وأن ينجيه عند الكرب:

ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ (يونس، ١٠: ١٠٣)

وأن ينصره:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِآلٰئِنٍ فَآتَنَّاكَ مِنَ الَّذِينَ

أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ (الروم، ٣٠: ٤٧)

فخلاصة الأمر هنا هي أن الإنسان يجب الله ﷻ لجماله وللينعم التي

أنعم الله ﷻ بها على الإنسان مثل الرحمة والمغفرة والخير والفضل

والاستجابة للدعاء. ومن صفات الله ﷻ الجمال المطلق والرحمة المطلقة

والكرم المطلق وقد أنعم الله على الإنسان بنعم لا تُعد ولا تُحصى والله يجب

دعاء الإنسان، فكيف لا يجب الإنسانُ الله ﷻ؟ يقول الله ﷻ:

وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿١٦﴾ (النحل، ١٦: ٥٣)

✱

المطلب الثاني: كيف يجب على الإنسان أن يحب الله ﷻ؟

لكل ما ذكرناه أعلاه فإن الله ﷻ لا يقبل من الإنسان عاطفة الحبِّ

فقط. يقول الله ﷻ:

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

﴿٣١﴾ (آل عمران، ٣: ٣١)

فالله ﷻ يطلب من الإنسان - إذا كان يحب الله حقيقةً - أن يتبع الرسول ﷺ. واتباعه يعني أنه ينبغي للإنسان أن يحب الله ﷻ بكل وجدانه أو كيانه وبكل أعماله كما رأينا:

قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٥﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٦﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢٧﴾ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ وَجْهًا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٨﴾ (الأعراف، ١٦٦-١٦٤)

ولكي يصل الإنسان لهذه الدرجة من الحب المخلص والتفاني ينبغي له أن يتبع الرسول ﷺ في (أ) أخلاقه وفي (ب) أعماله.

(أ) أما بالنسبة للأخلاق، فكما رأينا، كان الرسول ﷺ على خلق عظيم:

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤١﴾ (القلوب، ٦٨، ٤١)

و"الخلق العظيم" يتضمن إتمام الفضائل التي يحبها الله ﷻ (وهي: التوكل، الطهارة، التوبة المستمرة، القسط، والقتال في سبيله، والتقوى، والصبر، وخاصة الإحسان - كما رأينا سابقاً).

(ب) أما بالنسبة للعمل فخير العمل ذكرُ الله ﷻ - لأنه ... وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ...

(العنكبوت، ٢٩، ٤٥) - وأسوة رسول الله ﷺ في العمل هي "رجاء الله" و"الذكر

الكثير":

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأحزاب، ٣٣، ٢١)

فإذا اتبع المؤمن الرسول ﷺ في أخلاقه وأعماله (وخاصة الذكر الكثير) يصبح من الذين يحبون الله حقيقةً ومن هم "أحب" إلى الله ﷻ. ولهذا أكد الله ﷻ أن أداء الصلاة من غير أن يُصَحِّي المؤمن من أجل الآخرين لا يكفي:

وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٥٦﴾ (الإنسان، ٧٦: أ)

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَخْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾ (الماعون، ١٠٧: ١-٧)

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبَّى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى
الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُونَ بَعْتَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ
الْبَأْسِ ۗ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۗ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٧٧﴾ (البقرة، ٢: ١٧٧) ٧٠

٧٠ قال فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير: "اختلفوا في أن الضمير في قوله: "عَلَىٰ حُبِّهِ" إلى ماذا يرجع؟ وذكروا فيه وجوهاً الأول: وهو قول الأكثرين أنه راجع إلى المال، والتقدير: وآتى المال على حبِّ المال ... وهذا يتفق مع القول الثاني: أن الضمير يرجع إلى الإيتاء كأنه قيل: يعطي ويحب الإعطاء رغبة في ثواب الله ... القول الثالث: أن الضمير عائد على اسم الله تعالى، يعني يعطون المال على حبِّ الله أي على طلب مرضاته ... " (فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، المجلد ٣، ص ٥٢). والقول الثالث في غاية الأهمية لأنه يؤكد أنه يجب أن يكون حبُّ الله ﷻ هو القصد وراء كل الأفعال الحسنة وأن النموذج لهذا هو سيدنا محمد ﷺ - كما ذكرنا سابقاً بالنسبة للأنعام، ٦: ١٦٦-١٦٤) - والقول الثالث مهم أيضاً لأنه يوضح أن حبُّ الله ﷻ ينطوي على فعل الخير تجاه الجار. وسناقشه في الفصل السادس حين نتعرض لقول الرسول ﷺ الذي أكد على هذا حين قال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن

وعن هذه الآية الأخيرة جاء في تفسير الجلالين أن المقصود بـ " **أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ** " هو " في الصلاة "، والمقصود بـ " **عَلَى حَيْهٍ** " هو " مع حبه للمال " ^{١١}. وهذا المعنى واضح أيضاً في الآية الكريمة:

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ۝١٠٤

(آل عمران: ٩٢)

فمن خلال اتباع السنة بكيانه وعمله وبالذات من خلال الذكر الكثير يبدأ المؤمن بحب الله ﷻ حقيقةً. وفي هذه الحالة يكون حب الله ﷻ وحب طاعة الله ﷻ أعلى عند المؤمن من كل ما على الأرض:

قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝١٠٥

(التوبة: ٩، ٢٤)

وفي هذه الحالة يسعى المؤمن إلى أن " يقوم " لله ﷻ كفرد أو مع شخص آخر، يقول الله ﷻ:

*** قُلْ إِنَّمَا أُعْطِيكُمْ بِوَاحِدَةٍ ۖ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُونَ ۗ مَا بَصَاحِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝١٠٦** (سبا، ٣٤: ٤٦)

ثم " يفر " المؤمن إلى الله، يقول الله ﷻ:

عبدٌ حتى يحب لجاره أو قال لأخيه ما يحب لنفسه» (رواه مسلم عن أنس بن مالك ﷺ، رقم ٤٥، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير. وفي رواية أخرى عن أنس بن مالك ﷺ قال رسول الله ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**». (رواه البخاري، رقم ١٣، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.)

٧١ جلال الدين المحلي وجمال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص ٣٥.

فَفِرُّوْا إِلَى اللَّهِ إِنَّ لِكُرْمِهِ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ (الذاريات، ٥١: ٥٠)

بعد ذلك يفرغ المؤمن من الشهوات الدنيوية ويرغب إلى الله ﷻ ويتبتل إليه، يقول الله ﷻ:

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧٠﴾ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٧١﴾ (الشرح، ٩٤: ٧٠ - ٧١)

وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴿٧٢﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٧٣﴾ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿٧٤﴾ (الزلزل، ٧٣: ٧٣ - ٧٤)

فالهجر الجميل ليس الاستئذان من الناس بطريقة مؤدبة فحسب، بل يعني أن يكون المرء وحيداً مع الله ﷻ، وأن يتخذ الله وكيلاً بعد الصعوبات التي يواجهها الإنسان حين "ينصب"، وعلى شرط أن يتذكر الله ﷻ بتبتل؛ فتصبح هذه تجربة يستحيل وصف جمالها وعُجبها. هذا هو الجمال الحقيقي وهي الطريقة الحقيقية التي يكون فيها "الهجر الجميل": فالهجر جميل بسبب جمال المقصود بالهجرة. والله ﷻ هو "الجميل" وقد يُنعم الله ﷻ على المؤمن بأن "يرغب" إليه ﷻ أو أن يفهم جماله ﷻ أو أن يدوق نعمته ﷻ. فإذا أتى العبد إلى الله ﷻ فرداً وقد ترك كل شيء وكان معدوماً وبحاجةٍ فإن الله ﷻ "يجعل له ودّاً". يقول الله ﷻ:

إِن كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ءَاتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ (مریم، ٩٣: ٩٣ - ٩٦)

وبالتأكيد فإن هذا صحيح في الحياة الدنيا وفي الآخرة؛ فالقرآن الكريم يقول لنا إن سيدنا يوسف عليه السلام قال إن السجن (حيث سيكون هناك وحده منقطعاً بحرية لعبادة الله ﷻ) "أحب" إليه من النساء الجميلات:

قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ

وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ (يوسف، ١٢: ٣٣)

ولكن أوضح صورة في القرآن الكريم لجمال حبّ الله ﷻ وذكره وعبادته تتمثل في السيدة مريم العذراء عليها السلام التي أنعم الله ﷻ عليها بفاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف^{٧٢} ورزقها "بغير حساب" نعمة منه حين كانت تتعبّد وحدها في المحراب وهي طفلة.

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنْمَرِمُ أَيُّ لِكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٤﴾ (آل عمران، ٣: ٣٧)

بالطبع لا يُرزق كل مؤمن بتذوق نِعَم خارقة للطبيعة كالتّي رُزقت بها السيدة مريم العذراء عليها السلام، ولكن كل مؤمن يمكنه بإذن من الله ﷻ أن يشعر باطمئنان القلب والسكينة من خلال حبّ الله وذكره وعبادته ﷻ، يقول الله ﷻ:

الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ (الرعد، ١٣: ٢٨)
هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤٨﴾ (الفتح، ٤٨: ٤٤ وانظر الفتح، ٤٨: ١٨ و ٢٦ والنوبة، ٩: ٢٦)

فحين يتبتل العبد إلى ربه تبتلياً يكون المؤمن راضياً تماماً بما آتاه الله

٧٢ أبو الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، صفحة ٣٦٣. وحتى حين رحلت السيدة مريم العذراء عليها السلام عن المحراب، ظلّ الله ﷻ يُنعم عليها كما سنرى في الآيات التالية (فلا أحد، ناهيك عن امرأة تعاني آلام المخاض، من القوة بمكان أن يهز شجرة نخيل لدرجة أن تتساقط ثمارها)، يقول الله ﷻ:

فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَسِيًّا ﴿٣٥﴾ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا نَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ هَٰذَا سَرِيًّا ﴿٣٦﴾ وَهَزِيْ اإِلَيْكِ يَجْذَعُ النَّخْلَةُ فُتَسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا حَبِيًّا ﴿٣٧﴾ (مريم، ١٩: ٢٣)

ﷺ. يقول الله ﷻ:

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ (التوبة: ٥٩)

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ^ط وَخَوَّفُونَكَ بِالَّذِينَ^ع مِنْ دُونِهِ^ع وَمَنْ يَضِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ
هَادٍ ﴿٣٦﴾ (الزمر: ٣٦)

وهذه هي الحالة - والله أعلم - التي وصفها الله ﷻ بأنه اشترى فيها
نفس المؤمن كاملة مقابل الجنة ومقابل " الفوز العظيم ":

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْتُلُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ^ط وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ^ع
وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ^ع مِنَ اللَّهِ^ع فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ^ع وَذَلِكَ هُوَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ (التوبة: ١١١)

وفي هذه الحالة يكون المؤمن من الذين اتبعوا الرسول ﷺ لدرجة أنه
أصبح " مع الرسول " ﷺ:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ^ع وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ^ط تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا^ط سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ^ع ذَلِكَ مَثَلُهُمْ
فِي التَّوْرَةِ^ع وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرِجٍ أَخْرَجَ شَطْفَهُ^ط فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ
سُوْقِهِ^ع يَعِجِبُ الْزَّرَّاعُ لِيَغِيظَ^ط بِهِمُ الْكُفَّارُ^ع وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ (الفصح: ٤٨)

وفي هذه الحالة يستطيع المؤمن أن يحب الله " الحب الأشد " كما ينبغي
للعبد أن يحب ربه. وهذا الحب لا يستطيع غير المؤمن أن يصل إليه أو إلى
درجته " الأشد ". فالله ﷻ قال:

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ^ط وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ

حُبًّا لِلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ (البقرة، ٢: ١٦٥)

والله ﷻ لخص هذا الحب كله في الآية الكريمة:

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَجَّلُوا لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٦٦﴾ (مريم، ١٩: ٩٦)

والإيمان والعمل الصالح هما بالدرجة الأولى أتباع الرسول ﷺ، وبعد اتباعه ﷺ يُكرّم الرحمن عبده بـ "الود". ولا يستطيع أي عبد أن يصل إلى هذه الدرجة من الودّ من غير الإيمان والعمل الصالح لأن هذا "الود" "جعل رحماني" وليس عملاً بشرياً. فحب الإنسان لله ﷻ يبدأ كعاطفة، ومن خلال اتباع الرسول ﷺ بالعمل الصالح وبالخلق الحسن يُصبح جزءاً لا يتجزأ من نفس وكيان المؤمن. وفي هذه الحالة يفوز المؤمن بالجنة و"الفوز العظيم"، ويذوق حقيقة حبّ الله ﷻ الموصوف بـ "جعل رحماني". وهذا الحبّ أشدّ وأقوى من أي حبّ دنيوي آخر، وأشدّ وأقوى من أي حبّ يمكن لغير المؤمن أن يتذوّقه أو حتى يتخيّله. قال الله ﷻ:

... وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ

جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ (البقرة، ٢: ١٦٥)

فلذلك علّمنا الرسول ﷺ الدعاء التالي:

«اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد»^{٧٣}.

وعلّمنا أيضاً الدعاء التالي:

«اللهم ارزقني حبك وحبّ من ينفعني عندك، اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب، اللهم وما زويت عني مما أحب فاجعله فراغاً لي

٧٣ رواه الترمذي، رقم ٣٤٩٠، في كتاب الدعوات.



المطلب الثالث: النوايا والدوافع التي يجب أن تكون لدى الإنسان
في حبّ الله ﷻ

يحدّر الله في القرآن الكريم من العبادة غير المخلصة:

وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً ۚ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ

تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ (الأضال، ٨: ٣٥)

وقال الرسول ﷺ: "إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ

٧٤ رواه الترمذي برقم (٣٤٩١) في كتاب الدعوات، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد.

جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ. " ٧٥

ولهذا فعلينا أن نسأل: "ما الذي يجعل العبادة صادقة ومخلصة؟" و"ما الذي يجعل العبادة مقبولة عند الله ﷻ؟" فأبي شيء يفعل الإنسان فإن الله ﷻ يعلم ما يدور في داخله:

أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥١﴾ (هود، ١١: ٥٠)

ثم إن الله ﷻ يحكم على الإنسان حسب ما في نفسه:

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ (البقرة، ٢: ٢٨٤)

فنوايا الإنسان الخفية هي التي ينظر إليها الله ﷻ في أي شيء يفعلها:

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٢٥٦﴾ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٥٧﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَن خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿٢٥٨﴾ (الملك، ٦٧: ١٢-١٤)

ولهذا السبب، يجب أن تكون عبادة الله ﷻ - وخاصة حبَّ الله -
مخلصة. يقول الله ﷻ:

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢٠٠﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۗ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٢٠١﴾

(الزمر، ٣٩: ٢-٣)

قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿٤٠﴾ (الزمر، ٣٩: ١٤)

فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٤١﴾ (غافر، ٤٠: ١٤)

هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴿٤٢﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾
٧٦ (غافر، ٤٠: ٦٥)

وقال الرسول ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»^{٧٧}.
يقول الله ﷻ:

وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٤٤﴾ وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٥﴾ (الحجم، ٥٣: ٣٩-٤٠)

فعلينا أن نسأل: "ما هي النوايا والدوافع التي يجب أن تكون لدى الإنسان عندما يقوم بالعبادة (وغيرها من الأفعال الصالحة) ليقبلها الله ﷻ؟" وعبارة أخرى: "ما هي الدوافع والنوايا التي ليست مجرد عبث ونفاق؟" بالنسبة للحب - وهو أمر يشعر به الإنسان شخصياً وبالتالي يعرف أنه موجود (إلى حد ما على الأقل) - يصبح السؤال: "كيف يستطيع الإنسان الذي يجب أن يعرف إن كان حبه صادقاً وخلصاً، وبالتالي مقبولاً عند الله ﷻ؟" وعبارة رابعة: "ما هي الدوافع والنوايا التي يجب أن تكون لدى الإنسان في حبِّ الله ﷻ؟" الله ﷻ يجب عن هذه الأسئلة عدّة مرات في القرآن الكريم:

إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٢﴾ اذْعُوا رَبَّكُمْ ضَرْعًا وَخَفِيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ

٧٦ انظر أيضاً: ٢: ١٣٩، ٤: ١٤٦، ٧: ٢٩، ١٥: ٤٠، ٣٧: ٤٠، ٧٤، ١٢٨، ١٦٠، ١٦٩، ٣٨: ٨٣ و ٩٨: ٥.

٧٧ صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، رقم ١؛ صحيح مسلم، كتاب الإمارة، رقم ١٩٠٧.

رَحِمْتَ اللَّهُ قَرِيبٌ مَنِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٥﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۗ وَالَّذِي خُبَّتْ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا ۗ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ (الأعراف، ٥٤: ٥٤ - ٥٨)

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٥٧﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٨﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٩﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۗ لَّا يَسْتَوُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾ (السجدة، ٣٢: ١٥ - ١٩)

أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٦٢﴾ (الزمر، ٣٩: ٩)

وَرَكَرِبًا ۗ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٦٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ۗ وَوَهَبْنَا لَهُ ۗ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ ۗ زَوْجَهُ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۗ وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٦٤﴾ (الأنبياء، ٢١: ٨٩ - ٩٠)

من الأشياء الملفتة في هذه السور الأربعة هي الطريقة التي تصف فيها الآيات أعلاه نفس الدوافع الثلاثة للعبادة المخلصة - وإن كانت من منظور مختلف في كل سورة. هذه الآيات تصف دافعين بشكل واضح وصریح. وأما الدافع الثالث فهو مذكور بطريقة أقل مباشرة. فنرى أنه في الآيات المقتبسة

من سورة الأعراف، يقول الله ﷻ " **خَوْفًا وَطَمَعًا** " بعد " **تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً** " ^{٧٨} . وفي الآيات من سورة السجدة يذكر الله ﷻ الخوف والطمع: " **خَوْفًا وَطَمَعًا** " . وفي الآيات من سورة الزمر يذكر الله ﷻ الحذر والرجاء، يقول الله ﷻ: " **تَحَذَّرْ** **الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ** " ، (وبالتالي الخوف والرجاء). وفي الآيات من سورة الأنبياء والتي تصف سيدنا زكريا عليه السلام وسيدنا يحيى عليه السلام وزوجة سيدنا زكريا عليه السلام وأم سيدنا يحيى عليه السلام - واسمها (إليصابات) - يتعمق " الخوف " ليصير " **رَهَبًا** " ، ويتعمق الرجاء ليصير " **رَغَبًا** " .

أما الدافع الثالث فهو المذكور بطريقة خفية. ففي الآيات المقتبسة من سورة الأعراف يصف الله ﷻ بعض ظواهر الكون العظيمة ثم يسأل بشكل بلاغي إن لم يكن ذلك يقتضي ضمناً وبالضرورة أن الله ﷻ خلقها (وبالتالي) أن له سلطان على الخلق. ثم يذكر الله ﷻ كيف ينبغي للبشرية أن تعبده، ابتداءً بالتضرع والخفية، وهما حالتان تفرضهما معرفة الله ﷻ أو الوعي بعظمته على نفس الإنسان، وبالتالي الوعي بعظمة أن يكون الإنسان قادراً على أن يعبد الله ﷻ. ثم يذكر الله ﷻ الخوف والرجاء، وبعد ذلك يذكر ظواهر الكون ابتداءً بـ " **الرِّيحِ بُشْتًا** " وانتهاءً بالثمار. وهكذا فإن قبل العبادة توجد حقيقة الله ﷻ، ونراها من خلال خلقه، وبعد العبادة هناك

٧٨ كما يذكر الله ﷻ التضرع والخوف معاً في آخر آيتين من سورة الأعراف الكريمة: " **وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً** " ويقول: " **وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ** " ويحذر من الاستكبار: " **إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ** " ؛ (بهذه الطريقة يكون الإنسان واعياً ومحباً لله ﷻ) وإن انتهى التحذير بالإشارة إلى (الملائكة) " **الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ** " .

وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً وَتُؤَدُّونَ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٧٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٧٩﴾ (الأعراف: ٧٨-٧٩، ٢٠٥-٢٠٦)

بشرى من ثمار خلقه. إذاً فالمعرفة تأتي قبل الخوف والرجاء وبعدهما ولكنها غير موصولة بهما.

وهذا يتضح أكثر في الآيات المقتبسة من سورة السجدة. فبعد ذكر المؤمنين وخوفهم ورجائهم وجزائهم، يسأل الله ﷻ هل يستوي المؤمنون والفاسقون ثم يقول لنا ﷻ إنهم لا يستون. فالإيمان بالله ﷻ هو طريقة من طرق معرفة وجود الله ﷻ (حسب درجة اليقين والتنور التي وراء هذا الإيمان). والأفعال الصالحة هي برهان على الإيمان واليقين. لذا يذكر الله ﷻ جزاء الذين يؤمنون ويقومون بالأعمال الصالحة.

في الآيات المقتبسة من سورة الزمر تتضح العلاقة بين الخوف والرجاء والمعرفة أكثر: فبدأ الله ﷻ بمقارنة المؤمن المخلص وحذره ورجائه؛ ثم نجد حذفاً بلاغياً (وهذا الحذف يعبر عن أن أعمال غير المؤمنين عقيمة غير مثمرة) ، ثم يسأل الله ﷻ: " هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ "؟ وفي النهاية يقول الله ﷻ: " إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ". وهكذا فإن المعرفة متصلة بشكل واضح بالخوف والرجاء.

وفي الآيات المقتبسة من سورة الأنبياء والتي تصف حالة الأنبياء السامية، يتعمق الإيمان والمعرفة ليصبحا " الخشوع " أمام الله ﷻ: والإيمان الحقيقي بالله ومعرفته بشكل حقيقي يجلبان بالضرورة معرفة أن الإنسان لا شيء أمام الله ﷻ وبالتالي يخشع الإنسان أمامه ﷻ.

مما تقدم نقول إن الله ﷻ لا يقبل عبادة البشر له إلا بثلاثة دوافع أو نوايا فقط:

(١) أنهم يخافونه ويخافون أن يُعاقب آثامهم - وهذا الخوف يؤدي إلى الرهبة من الله ﷻ؛ (٢) أنهم يرجون الله ﷻ ويرجون أن يغفر لهم ذنوبهم - وهذا الرجاء يؤدي إلى الرغب وبالتالي إلى الحب لأنهم لا يستطيعون أن يرجوا

ويرغبوا إلا بما يحبونه؛ وكما سنرى إن شاء الله في فصل "أنواع الحب" وفي فصل "مراحل الحب"، فإن الطمع مرحلة من مراحل الحب والرغب نوع من أنواع الحب؛ (٣) أنهم يؤمنون بالله ﷻ أو يعرفونه. حين يعرف البشر ما هي البشرية ويعرفوا أن الله ﷻ هو الله فكيف لهم ألا يعبدوه ﷻ ويخشعوا أمامه؟



فالخوف والرجاء والمعرفة هي النوايا التي يقبلها الله ﷻ للعبادة لأنها تحث وتؤثر على ملكات النفس البشرية الرئيسية الثلاث والتي خلقها الله ﷻ لعبادته. وهذه الملكات الثلاثة هي: الإرادة والعاطفة والعقل. وخلق الإرادة من أجل حرية الاختيار؛ وخلق العاطفة من أجل حب الخير والجمال، وخلق العقل لاستيعاب الحقيقة. ونرى هذا في سورة الفاتحة الكريمة والتي قال عنها سيدنا محمد ﷺ إنها «أعظم سورة في القرآن»^{٧٩} والتي في نصفها الثاني الدعاء التالي:

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿١﴾ أهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٢﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٣﴾ (الفاتحة، ١: ٥ - ٧)

"إِيَّاكَ نَعْبُدُ": هذا دعاء ينبع من العبودية والحب. "وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ": هذا دعاء ينبع من الخوف والإرادة. "أهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٢﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ": هذا دعاء ينبع من حقيقة ومعرفة. والفاتحة يرددها المصلي في كل ركعة من كل صلاة من

٧٩ رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، رقم ٤٤٧٤؛ ورواه البخاري أيضاً: في كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب، رقم ٥٠٠٦.

الصلوات الخمس - أي على الأقل سبعة عشرة مرة كل يوم من قِبَل كل مسلم ملتزم. ونصفها الثاني (أعلاه) هي جوهر الدعاء والصلاة البشرية. وبالتالي فإن إسنادها على العاطفة والإرادة والعقل ترينا أن الدوافع الوحيدة التي يقبلها الله ﷻ من البشر هي الخوف والحبّ (أو الرجاء) والمعرفة.

وسنرى لاحقاً إن شاء الله (في فصل "الوقوع في الحب") كيف أن الملكات الثلاثة مرتبطة بالضرورة في الوقوع في الحبّ، وكيف تؤدي هذه الملكات إلى مراحل معينة من الحبّ وهي تميل إلى المحبوب. وهذا بديهي لأنه في الحبّ الحقيقي كل شيء في القلب والنفس والعقل والإرادة أو القوة - الإنسان كله وملكاتة كلها - يجب أن يكون مرتبطاً ومتفاعلاً. ولكن هذا يعني أيضاً أنه لا يوجد حبّ حقيقي لله ﷻ من غير شيء من الخوف منه ﷻ، أو من غير بعض المعرفة به ﷻ. وبالطبع يمكن أن تكون نقطة البداية لعبادة الله ﷻ هي أي من الدوافع الثلاثة (أو أي اثنين منها)، ولكن حين تصبح عبادة الله ﷻ حباً حقيقياً راسخاً لله ﷻ، يجب أن يشمل ذلك الخوف والمعرفة. وهذا يشرح لنا لِمَ حبّ الله ﷻ (مع العاطفة) يعني اتباع الرسول ﷺ وطاعته (بالإرادة) وأن لا يكون المرء غير مؤمن (بالعقل). يقول الله ﷻ:

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾
 قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۗ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ (آل عمران، ٣١-٣٢)



المطلب الرابع: حبّ ما يُدكّر بالله ﷻ

حب العبد لله ﷻ يتطلب - ويؤدي بالضرورة - إلى حبّ ما يُدكّر بالله ﷻ، وهذا يعني حبّ الرسول ﷺ (كما سنرى في فصل لاحق إن شاء الله)،

و(أ) حبّ الدين والعبادة بشكل عام، و(ب) حبّ الصلاة والدّكر بشكل خاص، و(ج) حبّ القرآن، و(د) حبّ الطبيعة، التي يرى العبد فيها أعمال ومخلوقات الله ﷻ، و(هـ) حتى حبّ القدر الذي يرى فيه العبد مشيئة الله ﷻ.

(أ) فأما بالنسبة لحب الدين والعبادة بشكل عام، فيقول الله ﷻ:

قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾

(التوبة، ٩: ٢٤)

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾

(آل عمران، ٣: ٣١)

ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَةَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٢٢﴾ (الحج، ٢٢: ٣٢)

ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآتَاعُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۗ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٢٢﴾ (الحج، ٢٢: ٣٠)

(ب) وأما بالنسبة لحب الصلاة والدّكر بشكل خاص، فيقول الله ﷻ:

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٢١)

أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۗ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٢٩﴾ (العنكبوت، ٢٩: ٤٥)

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٨﴾ (الأنفال، ٨: ٢)

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ (الأعراف، ٦: ١٦٢)

وكما ذكرنا سابقاً، فقد قال الرسول ﷺ:

«حُبُّ إِلَهِي مِنْ دُنْيَاكُمْ [ثلاث] النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة»^{٨٠}.

(ج) وأما بالنسبة لحب القرآن، فيقول الله ﷻ:

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ۗ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۗ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۗ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ (الزمر، ٣٩: ٢٢-٢٣)

إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۗ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿٣١﴾ (الأعراف، ٧: ١٩٦)

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٠﴾ (الأنفال، ٨: ٢٠)

وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ ۗ إِيمَانًا ۗ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٦٤﴾ (التوبة، ٩: ١٢٤)

رُسُلًا مُّبِينِينَ وَمُنذِرِينَ لَعَلَّ يُكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ۗ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۗ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ۗ

وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ (النساء، ٤: ١٦٥-١٦٦)

٨٠ رواه البيهقي في السنن الكبرى ٧/٧٧٨. ورواه النسائي في السنن الصغرى رقم ٣٩٣٩ و٣٩٤٠ في كتاب عشرة النساء، بلفظ: «حُبُّ إِلَهِي مِنَ الدُّنْيَا وَالنِّسَاءِ وَالطَّيِّبِ وَجَعَلَتْ قَرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»، ورواه أحمد ٣/١٢٨ و١٩٩.

(د) وأما بالنسبة لحب الطبيعة التي يرى العبد فيها أعمال ومخلوقات الله ﷻ، فيقول الله ﷻ:

فَأَنْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحِي الْمَوْتِ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ (الروم، ٣٠: ٥٠)

وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٣٥﴾ (آل عمران، ٣: ١٨٩-١٩١)

فَلِ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْطَىٰ الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ (يونس، ١٠: ١٠١)

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرَىٰ فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٠١﴾ (البقرة، ٢: ١٦٤-١٦٥)

(انظر أيضاً إلى: الروم، ٣٠: ٢٠-٢٧؛ الرحمن، ٥٥: ١-١٣).

فالطبيعة تُذَكِّرُ بخالقها ولذلك فمن الطبيعي أن يحب العبد الطبيعة

ويرى فيها آيات الله ﷻ كما يرى آيات الله ﷻ في نفسه. يقول الله ﷻ:

وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ (الذاريات، ٥١: ٢٠٠-٢٠١)

سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥١﴾ (فصلت، ٤١: ٥٣) ^{٨١}

(هـ) وأما بالنسبة لحب القدر الذي يرى فيه العبد مشيئة الله ﷻ، فيقول الله ﷻ:

الَّذِينَ إِذَا أَصَابْتَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٠٦﴾ (البقرة، ٢: ١٥٦)

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ

وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَىٰ اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ (التوبة، ٩: ٥٩)

وهذا كله لنقول إن حبَّ الله ﷻ يوجب حبَّ ما يؤدي الى الله ﷻ أيضاً، وذلك من باب التقدير والشكر والامتنان على الأقل.

^{٨١} نلاحظ أن هذه الآيات في القرآن الكريم التي تُظهر أن هناك نوع من التماثل (كالمرآة) بين آيات الله في الكون وآيات الله في البشر وبالتالي التماثل مع القرآن الكريم نفسه - الذي يسرد هذه الآيات - توحى أن الكون (الكون الأكبر) هو بمثابة انعكاس كوني ضخم للإنسان (الكون الأصغر). فالله يقول في القرآن الكريم: **لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْبَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴿٥٧﴾ (غافر، ٤٠: ٥٧). وكلمة "أكبر" قد تعني "أعظم" ولكن قد تعني أيضاً "أضخم" مما يوحي معنى "نفس الشيء ولكن أضخم"؛ أي أن "الإنسان كون صغير والكون هو إنسان كبير"؛ فالكون يُسمى أحياناً "كتاب الله المنظور"؛ والإنسان يُسمى "كتاب الله المقدور" والقرآن يُسمى "كتاب الله المستور"، والله أعلم.

١٣. الباب الثالث؛ الفصل الثاني:

حب المؤمن للرسول ﷺ

كما ينبغي للإنسان أن يحب الله ﷻ لجماله ولنعمة ﷻ عليه، فينبغي للمؤمن أيضاً أن يحب الرسول ﷺ لجمال نفسه ﷻ ولاهتمامه بالمؤمنين وحبهم لهم حسب ما رأينا في الفصل الحادي عشر ("حب الرسول ﷺ للمؤمنين"). ونستذكر هنا رأفة ورحمة الرسول ﷺ بالمؤمنين:

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ (التوبة: ٩، ١٢٨)

وهذه الرأفة والرحمة هي التي تجعل الرسول ﷺ يشفع للمؤمنين يوم القيامة أكثر من أي رسول آخر. هكذا جاء في تفسير "المقام المحمود" الذي أشار إليه الله ﷻ في الآية الكريمة:

وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿١٧٩﴾ (الإسراء: ١٧٩)

فقد نقل ابن كثير في تفسيره عن الإمام أحمد بن حنبل الحديث المعروف التالي في "المقام المحمود":

"حديث أنس بن مالك ﷺ: قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، حدثنا قتادة، عن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «يجتمع المؤمنون يوم القيامة، فيُلهمون ذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، فأراحنا من مكاننا هذا. فيأتون آدم فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقتك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول لهم آدم: لست هناكم، ويذكر ذنبه الذي أصاب، فيستحي ربه ﷻ من ذلك، ويقول: ولكن اتوا نوحاً، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض. فيأتون نوحاً فيقول: لست هناكم، ويذكر

خطيئة سؤاله ربه ما ليس له به علم، فيستحيي ربه من ذلك، ولكن اتوا إبراهيم خليل الرحمن. فيأتونه فيقول: لست هناكم، ولكن اتوا موسى، عبداً كلمه الله، وأعطاه التوراة. فيأتون موسى فيقول: لست هناكم، ويذكر لهم النفس التي قتل بغير نفس، فيستحيي ربه من ذلك، ولكن اتوا عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته وروحه، فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم، ولكن اتوا محمداً عبداً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني. فأقوم فأمشي بين سماطين من المؤمنين حتى أستأذن على ربي، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً لربي، فيدعني ما شاء الله أن يدعني. ثم يُقال: ارفع محمد، قل يسمع، واشفع تشفع، وسل تعطه. فأرفع رأسي، فأحمده بتحميد يُعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حداً، فأدخلهم الجنة، ثم أعود إليه الثانية فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً لربي، فيدعني ما شاء الله أن يدعني. ثم يُقال: ارفع محمد، قل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع. فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يُعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حداً، فأدخلهم الجنة، ثم أعود في الثالثة، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً لربي، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يُقال: ارفع محمد، قل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يُعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة. ثم أعود الرابعة فأقول: يارب ما بقي إلا من حبسه القرآن». فحدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فيخرج من النار من قال: "لا إله إلا الله" وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: "لا إله إلا الله" وكان في قلبه من الخير ما يزن بُره، ثم يخرج من النار من قال "لا إله إلا الله" وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة». أخرجاه في الصحيح من حديث سعيد، به. وهكذا رواه الإمام أحمد، عن عفان، عن حماد بن سلمه، عن ثابت، عن أنس بطوله ^{٨٢}.

٨٢ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص ١١٣١-١١٣٢.



وإضافة إلى هذا الفضل للرسول ﷺ على المؤمنين، ينبغي للمؤمن أن يحب الرسول ﷺ أيضاً لجماله ﷺ الخُلُقِي المشهود له من قِبَل الله ﷻ:

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤١﴾ (القلم، ٦٨: ٤١)

فعدم حبّ - أو نقص حبّ - المؤمن للرسول يعني أن المؤمن لم يدرك جمال الرسول ﷺ الخُلُقِي وفضائله التامة. وهذا بدوره يعني أن المؤمن لم يدرك ولم يفهم بشكل صحيح معنى قيمة الخُلُق الحَسَن والفضائل بشكل عام. وعلى هذا الحال يكون في نفس المؤمن عيباً وفي إيمانه نقصاً. قال رسول الله ﷺ:

«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»^{٨٣}.

وقال رسول الله ﷺ:

«ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان إن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار»^{٨٤}.

والله ﷻ وضح هذا الأمر في الآية الكريمة التالية:

الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَمَرُوا بِالْقَوْلِ الْغَيْرِ الْمُبِينِ ۗ وَسَخَّرْنَا لِقَاءِ آلِ أَبِي سَلَمَةَ الْيَهُودِ إِذْ تَبَرَّأُوا إِلَيْهِمْ غَنَابًا ۗ وَكَانُوا كَافِرِينَ ﴿٤١﴾ (البقرة، ١٧٧: ٤١)

الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَمَرُوا بِالْقَوْلِ الْغَيْرِ الْمُبِينِ ۗ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٤٢﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٦٠)

٨٣ رواه البخاري، كتاب الإيمان، رقم ١٥؛ ورواه مسلم، في كتاب الإيمان، رقم ٤٤.

٨٤ رواه البخاري، رقم ١٦، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، ومسلم، رقم ٤٣، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان.

مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ۗ ذَٰلِكُمْ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا يَخَمَصُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ (التوبة: ٩، ١٢٠)

وهكذا ينبغي للمؤمن أن يحب الرسول ﷺ - الذي اكتملت الفضائل ومكارم الأخلاق في نفسه الشريفة - أكثر من حبّ المؤمن لنفسه المليئة بالعيوب والذنوب. فتوقير المؤمن للرسول ﷺ يعكس مدى فهم المؤمن لحالة نفسه أمام الله ﷻ، وحين يبجلّ المؤمن الرسول ﷺ فهذا يعكس مدى حبّ المؤمن للخير وبالتالي لله ﷻ والذي هو "البرّ" (انظر إلى سورة الطور، ٥٢: ٢٨)، وبالتالي فالله ﷻ هو مصدر الخير كله. وبعبارة أخرى فإن فهم وحبّ الرسول ﷺ هما الخطوة الأولى لفهم وحبّ الفضائل والخلق الحسن، لأن الرسول ﷺ كان يجسّد الإحسان ومكارم الأخلاق، وفهم وحبّ الفضائل هما الخطوة الأولى لممارسة الفضائل والتحلي بمكارم الأخلاق والخلق الحسن. وقال رسول الله ﷺ: "بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ" ٨٥.



وحبّ المؤمن لرسول الله ﷺ بذاته قد لا يكون كافياً. فالله ﷻ أمر المؤمنين بأمر عظيم بدأ به بنفسه وثنى بملائكته وهو الصلاة على النبي ﷺ، وخصّ المؤمنين بالصلاة والسلام عليه أيضاً:

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا

٨٥ رواه البيهقي، في السنن الكبرى، ١٠/١٩١؛ انظر أيضاً: أحمد ابن حنبل، في مسنده، ٢/٣٨١؛ الحاكم، في المستدرک، ٢/٦١٣.

ومعلوم أن الحسنه بعشر أمثالها:

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا

يُظْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ (الأنعام، ٦٠: ١٦٠)

ولكن حسنة الصلاة على النبي ﷺ تُكَافَأُ بعشر صلوات من الله ﷻ.

قال الرسول ﷺ:

«(من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً)»^{٨٦}.

والصلاة المستمرة على النبي ﷺ تُكَافَأُ بغفران جميع الذنوب:

"عن أبي بن كعب ؓ قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال:

«يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت

بما فيه جاء الموت بما فيه» قال أبي: قلت يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك

فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: «ما شئت»، قال: قلت الربع؟ قال: «ما

شئت فإن زدت فهو خير لك» قلت: النصف؟ قال: «ما شئت فإن زدت فهو

خير لك» قال: قلت: فالثلثين؟ قال: «ما شئت فإن زدت فهو خير لك»

قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: «إِذَا كُفِيَ هَمُّكَ وَيُغْفَرَ لَكَ ذَنْبُكَ»^{٨٧}.

والصلاة المستمرة على النبي ﷺ تجعل المؤمن "مع" النبي ﷺ يفكره.

وعلى هذا الحال يكون كما جاء في الآية الكريمة:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا

يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۗ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ

فِي التَّوْرَةِ ۗ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّعٍ أَخْرَجَ شَطْفَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ

٨٦ رواه مسلم، في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي بعد التشهد، ٣٠٦/١،

رقم ٤٠٨.

٨٧ رواه الترمذي، كتاب صفة يوم القيامة، ٤/٦٣٦-٦٣٧، رقم ٢٤٥٧.

سُوقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٤﴾ (الفتح، ٤٨: ٢٩)

ففي حالة المعية مع النبي ﷺ لا يتبغي المؤمن مغفرة الله ﷻ فحسب، ولكن رضوان الله ﷻ أيضاً كما جاء في الآية أعلاه. وهذا من معاني قول رسول الله ﷺ:

«أنت مع من أحببت»^{٨٨}.

لذلك ينبغي للمؤمن أن لا يتعدى أي حدٍّ من حدود الأدب مع رسول الله ﷺ:

يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَآ تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٠﴾
يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَآ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ ۗ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٠١﴾
إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ۚ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٢﴾
إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٤﴾ (الحجرات، ٤٩: ١٠٤-٥)

فمحببة رسول الله ﷺ واحترامه والصلاة والسلام عليه امتحان عظيم لتقوى القلوب، كما توضح الجملة الكريمة: "أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ۚ". فحب رسول الله ﷺ واجب ضروري على كل مؤمن وليس كعاطفة فقط ولكن كحالة فهم لحقيقة رسول الله ﷺ وفضله على المؤمنين. ولهذا فالصلاة والسلام عليه واجبة أيضاً. وأكد الله ﷻ هذا الأمر، ولخص مسألة حب رسول الله ﷺ أو على الأقل المودة له في الآية الكريمة:

٨٨ رواه البخاري، كتاب الأدب، رقم ٦١٦٧.

الحب في القرآن الكريم

ذَلِكَ الَّذِي يُبَيِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا
إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٤٢﴾

(الشورى، ٤٢: ٢٣)

اللهم صلِّ على سيِّدنا محمد وسلِّم تسليماً كثيراً.

حب قربي الرسول ﷺ وأهل بيته الأطهار

يقول الله ﷻ:

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۗ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ

(الشورى، ٤٢: ٢٣)

وهذا يعني أمرين: (١) أنه يجب على قريش أن يحبوا رسول الله ﷺ بحكم قرابته ﷺ منهم، و (٢) أنه يجب على المؤمن أن يحب من هو من قرابة رسول الله ﷻ:

قال ابن كثير: "وقوله عز وجل **"قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي**

الْقُرْبَىٰ" أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش لا أسئلكم على هذا البلاغ والتصح لكم ما لا تُعطونه وإنما أطلب منكم أن تكفوا شركم عني وتذروني أبلغ رسالات ربي إن لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة ... ولا تنكر الوصاة بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض، فخراً وحسباً ونسباً، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجليلة، كما كان عليه سلفهم، كالعباس وبنه، وعلي وأهل بيته وذريته، رضي الله عنهم أجمعين. وقد ثبت في الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال في خطبته بعديير خُم: "إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، وإنهما لم يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض" ^{٨٩}.

٨٩ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/١٤٢.

وقال القرطبي بعد أن ذكر مثل قول ابن كثير: "وقيل: القربى قرابة الرسول ﷺ، أي لا أسألكم أجراً إلا أن تودّوا قرباتي وأهل بيتي، كما أمر بإعظامهم ذوي القربى. وهذا قول علي بن حسين وعمرو بن شعيب والسدي" ٩٠.

وقال الفخر الرازي: "والحاصل أن هذه الآية تدل على وجوب حب آل رسول الله ﷺ وحب أصحابه" ٩١.

فمن هم قربى^{٩٢} رسول الله ﷺ؟ هم درجات في القرآن الكريم:
(١) أهل كساء رسول الله ﷺ (وهم علي كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء

٩٠ القرطبي، الجامع لاحكام القرآن الكريم، ٢٠/١٦.

٩١ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ٤٣٣/١٣.

٩٢ ومن الجدير بالذكر أن "القرباة" (ونقصد هنا علاقة الدم والرحم) لرسول الله ﷺ لا تعني "القربى" (ونقصد هنا ما جاء في آية الشورى، ٤٢: ٢٣ كما هو مذكور أعلاه) منه بالضرورة، لأن الله ﷻ يقول:

وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ يَبْنَوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٧﴾ (هود، ٤٥-٤٦)

وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَبْتَاعُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ (البقرة، ٢: ١٢٤)

وَلَا تَرَوْا وَارِثَةً وَرَثَةً أَخْرَجَتْ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى جِهْلِهَا لِاتِّخَامِهَا مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَرَكْنَا فَاِنَّمَا يَتَرَكُنَّ لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ (فاطر، ٣٥: ١٨)

ولا يفوتنا أن نذكر أن أبا لهب وهو عم الرسول ﷺ (أخو أبيه) دخل النار بسبب كفره. يقول الله ﷻ:

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾ (المسد، ١١: ٥-١)

فقربى رسول الله ﷺ هم قرابته في الرحم وفي الود والأخلاق والمقام أيضاً.

الحب في القرآن الكريم

والحسن والحسين ﷺ جميعاً).

(ب) أهل بيت رسول الله ﷺ بمن فيهم زوجاته.

(ج) أقرب الصحابة إلى رسول الله ﷺ (ومنهم زيد وأبو بكر ﷺ).

(د) الصحابة الذين هم " مع " رسول الله ﷺ.

(هـ) المهاجرون والأنصار.

(و) قريش بشكل عام.

(ز) العرب بشكل عام.

(ح) المؤمنون جميعاً (كما سنرى في فصل لاحق إن شاء الله).

(١) فأما بالنسبة لأهل كساء رسول الله ﷺ (وهم علي كرم الله وجهه وفاطمة

الزهراء والحسن والحسين ﷺ جميعاً، فيقول الله ﷻ:

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ
وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ

(آل عمران، ٣: ٦١)

وأهل الكساء هم في طبيعة الحال أهل بيت رسول الله ﷺ بالدرجة

الأولى.

وعن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ

غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ

جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدْخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ

قَالَ: " إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا " (٣)

(الأحزاب، ٣٣: ٩٣)

٩٣ رواه مسلم، ٢٤٢٤، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ.

وعن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ قال: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ " **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴿٣٣﴾ (الأحزاب: ٣٣) " فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ فَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَجَلَّلَهُمْ بِكِسَاءٍ وَعَلِيٌّ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَجَلَّلَهُ بِكِسَاءٍ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا» قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنَا مَعَهُمْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْتِ عَلَيَّ مَكَانِكَ وَأَنْتِ إِلَيَّ خَيْرٌ»^{٩٤}.

ويقول ﷺ في حق السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها:

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَخِّرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ (الكوثر،

١٠٨: ١-٣)

قال الفخر الرازي:

" القول الثالث: الكوثر أولاده قالوا: لأن هذه السورة إنما نزلت رداً على من عابه عليه السلام بعدم الأولاد، فالمعنى أنه يعطيه نسلاً يقون على مر الزمان، فانظر كم قُتل من أهل البيت، ثم العالم ممتلىء منهم، ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يعاب به، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام والنفس الزكية وأمثالهم " ^{٩٥}.

وفي حق سيدنا علي كرم الله وجهه، يقول الله ﷻ:

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾

(المائدة: ٥٥-٥٦)

قال الفخر الرازي:

٩٤ رواه الترمذي، ٣٧٨٧، كتاب المناقب، باب أهل بيت النبي ﷺ.

٩٥ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ٤٣٣/١٣.

في قوله ﷺ " **وَالَّذِينَ آمَنُوا** " قولان: الأول: أن المراد عامة المؤمنين، ... القول الثاني: أن المراد من هذه الآية شخص معين، وعلى هذا ففيه أقوال: روى عكرمة أن هذه الآية نزلت في أبي بكر ﷺ. والثاني: روى عطاء عن ابن عباس أنها نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام. روي أن عبدالله بن سلام قال: لما نزلت هذه الآية قلت يا رسول الله أنا رأيت علياً تصدق بخاتمته على محتاج وهو راعع، فنحن نتولاه. وروي عن أبي ذر ﷺ أنه قال: صليت مع رسول الله ﷺ يوماً صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهد أنني سألت في مسجد الرسول ﷺ فما أعطاني أحد شيئاً، وعلي عليه السلام كان راععاً، فأوماً إليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم بمرأى النبي ﷺ^{٩٦}.
وعن أبي الطفيل ﷺ قال رسول الله ﷺ:

«من كنت مولاه فإن هذا مولاه - يعني علياً - ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^{٩٧}.

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال رسول الله ﷺ لعلي كرم الله وجهه:
«ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي»^{٩٨}.

ويقول الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٧﴾ (البقرة، ٢)

(٢٠٧:

٩٦ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ٤/٣٨٣.

٩٧ متواتر. رواه ابن حبان، ١٥/٣٧٦، وأحمد في المسند، ٤/٣٧٠، والنسائي في الخصائص، ٩٣، ورواه أحمد (عن اثني عشر رجلاً من الصحابة)، ١/١١٩، ولذلك هو من الأحاديث المتواترة، كما نص على ذلك عدة من الحفاظ منهم الذهبي في سير أعلام النبلاء، ٨/٣٣٥.

٩٨ رواه البخاري، ٤٤١٦، كتاب المغازي. ومسلم، ٤٤١٦، كتاب فضائل الصحابة.

قال الفخر الرازي: " في سبب النزول روايات ... والرواية الثالثة: نزلت في علي بن ابي طالب، بات على فراش رسول الله ﷺ ليلة خروجه إلى الغار " ٩٩ .

وقال سيدنا رسول الله ﷺ في الحسن والحسين رضي الله عنهما:

«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»^{١٠٠}.

وبالنسبة للحسن والحسين رضي الله عنهما فقد اعتبرا "إبنا" رسول الله ﷺ في آية المباهلة المذكورة فيما سبق (آل عمران، ٣: ٦١) وهذا لا يتناقض مع كلام الله ﷻ (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٤٠) لأنهما لم يكونا الحسن والحسين رجال (بل طفلين) في تلك اللحظة والآية الشريفة تحدد "رِجَالِكُمْ".

(ب) وأما بالنسبة لأهل بيت رسول الله ﷺ بمن فيهم زوجاته، فقد كرم الله ﷻ أهل بيت رسول الله ﷺ بذكرهم في كتابه العزيز، فقال الله ﷻ:

وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا لَّحْنُ نَزْرُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿١٣٢﴾ (طه، ٢٠: ١٣٢)

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣١﴾ (آل عمران، ٣: ١٣١)

وذكر الله ﷻ أنه يريد أن يذهب الرجس عن أهل بيت رسول الله ﷺ.

فقال ﷻ:

وَقَرَنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ

٩٩ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ٢/ ٣٥٠.

١٠٠ رواه أحمد في مسنده، ٣٩١/٥، والترمذي، ٣٧٦٨، كتاب المناقب، وقال: "حسن صحيح" باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما. والحديث متواتر عند المحدثين.

الرِّزْقَ وَالزَّكَاةَ وَأَطَعَنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٣٣)

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ:

«إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^{١١١}.

وعن أبي جحيفة قال: قلت لعلي بن ابي طالب هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلا كتاب الله أو فهم أعطه رجل مسلم أو ما في هذه الصحيفة، قال: العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر^{١١٢}.

العقل: تعويض مالي مقدر شرعاً مقابل قتل أو جرح.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «ارْقُبُوا مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ»^{١١٣}.

ويقول بعض العلماء إن أزواجه ﷺ لسنن من أهل البيت، وقد أثبت

القرآن الكريم أنهن من أهل البيت، قال الله ﷻ في زوجة إبراهيم عليه السلام:

قَالُوا اتَّعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٣٣﴾

(هود، ١١: ٧٣)

وعلى أية حال فقد خصّ الله ﷻ زوجات رسول الله ﷺ بأن جعلهن

أمهات للمؤمنين، قال الله ﷻ:

النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ

١٠١ رواه الترمذي، ٣٧٨٨، كتاب المناقب، باب أهل بيت النبي ﷺ. وهو في صحيح مسلم بلفظ قريب منه، ٢٤٠٨، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

١٠٢ رواه البخاري، ١١١، كتاب العلم، باب كتابة العلم.

١٠٣ رواه البخاري، ٣٧١٣، كتاب المناقب، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ.

أُولَىٰ بَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَيَّ
 أُولِيَاءِ بِكُمْ مَعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٣١﴾ (الأحزاب، ٣٣: ١)
 يَنْسَاءَ النَّبِيَّ لَسْتَنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ۗ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي
 فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ
 الْأُولَىٰ ۗ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
 عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٣٢-٣٣)

(ج) وأما بالنسبة لأقرب الصحابة إلى رسول الله ﷺ (ومنهم زيد وأبو بكر
 ﷺ)، فيقول الله ﷻ في زيد بن حارثة ﷺ (وهو الصحابي الوحيد المذكور في
 القرآن الكريم باسمه، وهو الذي أنعم الله ورسوله عليه):

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي
 نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَخَشِيَ النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ۗ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا
 زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا
 ۗ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٣٧)

وعن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي
 سرقت فقالوا من يكلم رسول الله ﷺ ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد
 حب رسول الله ﷺ ١٠٤.

وخصَّ الله ﷻ أبا بكر الصديق ﷺ في معية الله وصحبة رسوله ﷺ في
 الآية الكريمة التالية:

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ

١٠٤ رواه البخاري، ٦٧٨٨، كتاب الحدود، ومسلم، ١٦٨٨، كتاب الحدود.

إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا ۗ فَاَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ (التوبة، ٤٠)

(د) وأما بالنسبة للصحابة الذين هم " مع " رسول الله ﷺ، فيقول الله ﷻ:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۗ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۗ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَعٍ أُخْرِجَ شَطْفَهُ ۖ فَفَازَرَهُ فَاسْتَعْطَفَ فَأَسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ ۖ يُعْجَبُ الزُّرَّاعُ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ (الفتح، ٤٨)

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٠٠﴾ (آل عمران، ١٠٠)

(هـ) وأما بالنسبة للمهاجرين والأنصار، فيقول الله ﷻ:

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۗ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۗ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ (التوبة، ١٠٠)

لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّهُ رُءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾

(التوبة، ١١٧)

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ
 الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا
 وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ
 اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ (الأفعال: ٧٤-٧٥)

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يُبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ
 وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٧٦﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ
 وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا
 وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
 الْمُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا
 الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ
 رَحِيمٌ ﴿٧٨﴾ (الحشر: ٥٩، ٨-١١)

(و) وأما بالنسبة لقريش بشكل عام، فيقول الله ﷻ:

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ لِإِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾
 الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ (قريش: ١٠٦، ١-٤)
 وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢٦﴾ (الشعراء: ٢٦، ٢١٤)

بما أن قريشاً من سلالة سيدنا إبراهيم ﷺ من إسماعيل عليه السلام الذي
 عاش في مكة قرب الكعبة وأقام الصلاة، فيمكن القول إن الله ﷻ جعل
 الناس يحبونهم - أو على الأقل جعل أفئدتهم تهوي إليهم - فالله ﷻ يذكر
 دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام (والذي استجاب الله ﷻ له):

رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا

الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفِيدَةً مِّنَ النَّاسِ يَهْوَىٰ إِلَيْهِمْ وَارْتُفِقُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ

(إبراهيم: ١٤: ٣٧)

وهذا ينطبق على كل المؤمنين من قريش (وأي مؤمنين آخرين ممن يعيشون هناك من سلالة سيدنا إسماعيل عليه السلام)، ولكن ينطبق هذا بالدرجة الأولى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآل بيته.

(ز) وأما بالنسبة للعرب بشكل عام ، فيقول الله صلى الله عليه وسلم:

وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ
وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قُرْبَةً لَهُمُ سَيِّدِ خَلْقِهِمْ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

(التوبة، ٩: ٩٩)

ولا يفوتنا أن نذكر هنا بأن القرآن الكريم أنزل بلغة العرب^{١٠}.

(ح) وأما بالنسبة للمؤمنين جميعاً فسيأتي ما ورد فيهم في القرآن الكريم في فصل لاحق خاص إن شاء الله صلى الله عليه وسلم.

والخلاصة هي أن القرآن الكريم أوجب حبَّ أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته حسب الدرجات المتفاوتة التي ذكرناها آنفاً، فهذا الحبُّ لذوي قربي رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب على كل من يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبالتالي هو واجب على كل من يحب الله صلى الله عليه وسلم.

ولهذا فإن الصلاة على أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جزء لا يتجزأ من صلاة

المسلم:

فعن كعب بن عجرة سأل الصحابة رضي الله عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول

١٠٥ انظر إلى: النحل، ١٦: ١٠٣؛ طه، ٢٠: ١١٣؛ الزمر، ٣٩: ٢٨؛ فصلت، ٤١: ٤٣؛

الشورى، ٤٢: ٧؛ الزخرف، ٤٣: ٣؛ الأحقاف، ٤٦: ١٢.

الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم؟
قال: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم
وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد،
كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»^{١٠٦}.

١٠٦ رواه البخاري، ٣٣٧٠، كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم، ٤٠٦، كتاب الصلاة.

١٥. الباب الثالث؛ الفصل الرابع:

أثر حبّ الله ﷻ على الإنسان

هل يظهر أثر الإيمان بالله على عباده؟ نعم، لأن الإيمان بالله رحمة من الله ^{١٠٧}. يقول الله ﷻ:

فَأَنْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ سُحِّيَ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمَعْلَمٌ الْمَوْتِ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ (الروم: ٣٠، ٥٠)

هذه هي الآية الوحيدة التي ذكر الله ﷻ فيها "آثار رحمته"، ويلاحظ أن الله ﷻ ذكر كلمة "فَأَنْظُرْ": وهذا يعني أن أثر رحمة الله سيُرى بإذن الله. وإضافة إلى ذلك فإن الله ﷻ وصف الإيمان المخلص به بكلمة "صِبْغَةً". يقول الله ﷻ:

قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنِ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا
فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٠٩﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ
أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١١٠﴾ (البقرة: ٢، ١٣٦-١٣٨)

١٠٧ الإيمان رحمة من الله، لأنه لا يؤمن أحد إلا بإذن الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَجَعَلَ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٠﴾ (يونس: ١٠٠)
وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْتَوَاتُ وَخَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
وَلٰكِن كَرِهْتُمْ خَبْرَهُمْ ﴿١١١﴾ (الأنعام: ١١١)

إِن هٰذِهِ تَذٰكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٣١﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا
﴿٣٢﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٣﴾ (الإنسان: ٢٩-٣١)

وجاء في تفسر الجلالين: " (صِبْغَةَ اللَّهِ) مصدر مؤكّد لـ (ءَامَنَّا) ونصبه بفعل مقدر، أي صبغنا الله، والمراد بها دينه الذي فطر الناس عليه لظهور أثره على صاحبه، كالصبغ في الثوب " ١٠٨ .

ووصف الله ﷻ في القرآن الكريم علامات وسمات وحالة المؤمنين وصفاً دقيقاً وجميلاً في عدة آيات. يقول الله ﷻ:

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَسَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ (المؤمنون، ١١-١٠)

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ حَشِيَّةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿١٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَابَتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿١٤﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَيَاتِ وَهُمْ هَاهُنَا سَابِقُونَ ﴿١٦﴾ وَلَا تَكُلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۗ وَلَدَيْنَا مَكْتَبٌ بِالْحَقِّ ۗ وَهُمْ لَا يُظَاهَمُونَ ﴿١٧﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَهُمْ أَغْمَلٌ ۗ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ﴿١٨﴾ (المؤمنون، ١٣-١٧)

ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمَ شَعِيرَةَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿١٩﴾ لَنُكَرِّمَنَّ فِيهَا مَنْفِعَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نَحْمِلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٠﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَسْكَاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِنَّهُمْ كَرِهُوا لَّهُ وَإِذْ فَاهَهُمْ أَشْرَكُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٢١﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢٥﴾ (الحج، ٢٢: ٣٢-٣٥)

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢٧﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٨﴾

(الأفعال، ٨: ٢-٤)

وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

﴿٢٩﴾ (التوبة، ٩: ٧٢)

هل كل مؤمن يُحب الله؟ وبالتالي هل علامات وسمات الإيمان هي نفس علامات وسمات حبّ الله للعبد وعلامات وسمات حبّ العبد لله؟ يقول الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٣١﴾ (مريم، ١٩: ٩٦)

هذه الآية الكريمة تدل على أن كل مؤمن يعمل صالحاً له شيء من الحبّ، وهو "الود". وهذا يعني أن علامات وسمات الإيمان المخلص تدل أيضاً على أثر شيء من حبّ الله للعبد وحبّ العبد لله. لكن يبدو أن الحبّ الخالص لله ﷻ يقتضي شيئاً أكثر من الإيمان والعمل الصالح وحدهما. يقول الله ﷻ:

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ (آل عمران، ٣: ٣١)

في هذه الآية الكريمة يخاطب الله ﷻ المؤمنين^{١٩} بكلمة "إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ

١٠٩ الآيات التي قبل هذه الآية الكريمة تدل على أن الخطاب في هذه الآية (آل عمران، ٣:

٣١) هو خطاب للمؤمنين بشكل خاص. يقول الله ﷻ:

الله "، فهذا يعني أنه ربما لا يصل المؤمنون إلى حبّ الله بشكل تام بمجرد إيمانهم: فكلمة "إن" تعني هنا احتمالين، إما أن تكون حالة ما، وإما أن لا تكون تلك الحالة. ولكن كما رأينا سابقاً هذا لا يعني أن المؤمنين ليس لديهم حبّ لله أصلاً، فهم لديهم حبّ لله ﷻ ولكن لم يصلوا في البداية بعد إلى الدرجات العليا الكاملة من الحب. وإنما من خلال اتباعهم لرسول الله ﷺ فإن حبهم لله يزداد ويزداد إلى أن يجيبهم الله. فوصف الله ﷻ رجاء رسول الله ﷺ بأنه "أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ" للمؤمنين في الآية الكريمة التالية:

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٢١)

ويؤكد كل ما ذكرناه سابقاً الحديث القدسي المشهور ("حديث

لَا يَخِذُ الْمُؤْمِنُونَ بِالْكَافِرِينَ أَزْوَاجًا مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتَةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢١﴾ قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوا يَعْلمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٢﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٣﴾ (آل عمران، ٢٠: ٢٨-٣٠)

ويؤكد الفخر الرازي أن هذا الخطاب في هذه الآيات للمؤمنين، حيث يقول: "إنه تعالى لما ذكر ما يجب أن يكون المؤمن عليه في تعظيم الله تعالى، ذكر بعده ما يجب أن يكون المؤمن عليه في المعاملة مع الناس ولفظ العباد في القرآن، قال تعالى (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) (الفرقان، ٢٥: ٦٣)، وقال تعالى: (عَبِيدًا يَقْتَرِبُونَ بِهَا عِبَادَ اللَّهِ) (الإنسان، ٧٦: ٦٠) فكان المعنى: أنه لما ذكر وعيد الكفار والفساق ذكر وعد أهل الطاعة فقال: والله رؤوف بالعباد، أي كما هو منتقم من الفساق فهو رؤوف بالمطيعين والمحسنين". (فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، المجلد: ٣، ص ١٩١-١٩٧).

١١٠ والرجاء نوع من أنواع الحبّ كما سنرى لاحقاً إن شاء الله في حديثنا عن "أنواع الحب".

النوافل ") حيث بيّن هذا الحديث القدسي أن حبّ العبد لله وحبّ الله للعبد يزداد تدريجياً:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ:

«إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأن أكره مساءته»^{١١١}.



ذكر الله في القرآن الكريم صفات الذين يُحبهم ويحبونه حباً كاملاً وصفاً دقيقاً في قوله عز وجل:

يَتَّيِبُهُا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِۦٓ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ۗ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ تَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ (المائدة: ٥٤)

يلاحظ في هذه الآية الكريمة أنه يوجد أربع صفات للذين "يُحِبُّهُمْ

وَيُحِبُّونَهُ" وهي:

(أ) "أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ"،

(ب) "أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ"،

١١١ رواه البخاري، رقم ٥٦٠٢، كتاب الرقاق، باب التواضع.

(ج) "مُجْتَهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" ،

(د) "وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ" .

(١) أما بالنسبة للوصف الأول "أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ" ، فإن الله يبين معنى وأهمية هذه الخصلة النبيلة في آيات أخرى (وبالتالي من خلال "التفسير بالتفسير"). فإن من التذلل للمؤمنين الرحمة لهم، ومعية رسول الله في السجود لله، وابتغاء رضوان الله، بحيث يصبح كالزرع الذي يؤتي ثماره:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ^ع وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ^ط تَرْتَهُمُ رُكْعًا سَجْدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ^ط سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ^ع ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ^ع وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرْرَجٍ أَخْرَجَ شَطَنَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ^ط وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ^ط (الفتح، ٤٨: ٢٩)

ومن التذلل للمؤمنين أيضاً إثارة المؤمنين على النفس وعلى الحاجات.

يقول الله ﷻ:

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ^ط سَحِيبُونَ ^ط مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ ^ط عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ^ط وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ^ط (الحشر، ٥٩: ٩)

وهذا الإيثارة يجعل المؤمن راضياً بنصيبه بغض النظر عن نصيب

الآخرين. يقول الله ﷻ:

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ^ط (التوبة، ٩: ٥٩)

وهذا الإيثار يجعل المؤمن قادراً أيضاً على إيتاء " **الْمَالِ عَلَىٰ حُبِّهِ** " ١١٢ .

يقول الله ﷻ:

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبَانَ السَّبِيلِ وَالسَّابِلِينَ فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى
الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفِقَاتِ بَعَثَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا ۗ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَآءِ وَحِينَ
الْبَأْسِ ۗ **أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۗ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴿١٧٧﴾ (البقرة: ١٧٧)

فهذا يؤدي إلى البرّ كله ١١٣ ، لأن البرّ يتطلب التقوى والإنفاق مما نحبه.

١١٢ قال فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير: "التقدير: وآتى المال على حبّ المال، قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما: وهو أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح، تأمل الغنى، وتحشى الفقر، ولا تُمهّل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا...". (فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، المجلد: ٢، ص ٢١٥).

١١٣ ذكر الله ﷻ في سورة الواقعة أصحاب اليمين والمقربين ووصف المقربين بأنهم يشربون من كأس من معين، ولم يصف أصحاب اليمين بذلك فقال: **يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٥﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٦﴾** (الواقعة: ١٥، ١٦-١٨).

أما في سورة المطففين فقد ذكر الله الأبرار والمقربين ووصف الأبرار بأنهم يشربون من عين من تسنيم، والتسنيم هو شراب المقربين في الجنة. وأما الأبرار فوصفهم الله في هذه السورة بأنهم يُسَقُونَ من رحيق مختوم ممزوج - أي مخلوط - من تسنيم، وليس تسنيماً صرفاً. قال الله ﷻ:

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١﴾ وَمَا أَزْكَوٰهُ مَا عُلِّيُّونَ ﴿٢﴾ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴿٣﴾ يَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٥﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ يُنظَرُونَ ﴿٦﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٧﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٨﴾ خِتْمُهُ مِسْكَ ۗ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٩﴾ وَمَرْآجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿١٠﴾ عَيْنًا يُنْزَعُ بِهَا **الْمُخْتَبَرُونَ** ﴿١١﴾ (المطففين: ١٨-٢٨).

يقول الله ﷻ:

... وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَىٰ ... (البقرة، ٢: ١٨٩)

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٠٦﴾

(آل عمران، ٣: ٩٢)

فَمِنْ حَبِّ اللَّهِ ﷻ - وبالتالي من التذلل للمؤمنين - إيثارهم على النفس وإعطاؤهم وتفضيلهم وتكريمهم بالمال وبالنية، لأن الله ﷻ كما ذكرنا آنفاً يقول:

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخَيِّبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يُجَادُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ

شَخَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠١﴾ (الحشر، ٥٩: ٩٠)

فهذا يُفسر أيضاً لماذا يأتي مع حبِّ الله ﷻ الرفق بالناس.

عن جرير بن عبد الله قال رسول الله ﷺ:

«إذا أحب الله عبداً أعطاه الرفق»^{١١٤}.

وفي هذه الحالة فإن الله ﷻ يُحب العبد ويجعل لعبده الذي يُحبه قبولاً عند سائر الناس.

فإنه يتبين لنا من هذه الآيات أن هناك ثلاثة أصناف من أهل الجنة وهم: "أصحاب اليمين"، و"الأبرار"، و"المقربون"، وأعلامهم درجة هم "المقربون"، وأدناهم "أصحاب اليمين"، والأبرار أدنى من المقربين وأعلى من أصحاب اليمين، أي أنهم بين الدرجتين.

فأما بالنسبة للذين قال الله ﷻ فيهم "مُحِبِّهِمْ وَمُحِبُّونَهُ" فقد نالوا البر كله كما ذكرنا أعلاه، فهذا يعني أنهم على الأقل من الأبرار وأعلى من أصحاب اليمين. وسنبحث في نهاية هذا الفصل إن شاء الله ﷻ قضية هل الذين قال الله ﷻ فيهم "مُحِبِّهِمْ وَمُحِبُّونَهُ" من المقربين، وبالتالي هل هم من أولياء الله الصالحين؟

١١٤ رواه الطبراني ورجاله ثقات، كما قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد رقم ١٨/٨.

الحب في القرآن الكريم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«إذا أحب الله عبداً نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه، فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في أهل الأرض»^{١١٥}.

(ب) وأما وصف "أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ"، فإن الله جل جلاله بيّن معناه أيضاً في الآية الكريمة:

حُمِدَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّعٍ كَرَّعٍ أَخْرَجَ شَطَنَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢١﴾ (الفتح، ٤٨: ٢٩)

كما بيّن الله جل جلاله الغلظة التي تقتضيها العزة على الكافرين. يقول الله جل جلاله:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَتَلُوقُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً عظيمة وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٢﴾ (التوبة، ٩: ١٢٣)

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ عظيمة وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ عظيمة وَبئسَ الْمَصِيرُ ﴿٩١﴾ (التحریم، ٦٦: ٩)

(ج) وأما بالنسبة لوصف "مُجْتَهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"، فإن الله ذكر الجهاد في آيات كثيرة.

١١٥ رواه البخاري، رقم ٦٠٤٠، كتاب الأدب.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ
أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۗ فَمَا مَتَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ

(التوبة: ٩، ٣٨)

وقد بيّن الله علاقة الجهاد بالحب بصورة واضحة في الآيات الكريمة
التالية: يقول الله ﷻ:

قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا
وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ
فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٣٨﴾
(التوبة: ٩، ٢٤)

لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ
حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿٣٩﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلْتَ لِيُحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أُجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا
وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٤٠﴾ (التوبة، ٩: ٣٨-٩٢)

في الآية الأولى نرى حبّ كل شيء في الدنيا مقابل حبّ الله ورسوله
ﷺ والجهاد في سبيل الله ﷻ. أما في الآيات المقتبسة بعدها، يذكر الله ﷻ
الصحابة الذين منعهم الفقر من أن يجدوا دواباً يركبونها ليحاربوا وقد بكوا
من شدة محبتهم لله ولرسوله ﷺ وللجهاد في سبيل الله ﷻ. ومن خلال
الإعجاز القرآني تبين بعبارات موجزة بليغة أن القرآن الكريم أوضح في
قوله ﷻ: "أَعَزُّ عَلَى الْكَافِرِينَ" و"تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" بعض صفات
الحب: حبّ الله ﷻ الذي يتجلى في الجهاد في سبيل الله ومعارضة ما يعارض

الله ﷻ. ولكن لا يفوتنا أن نذكر أن الجهاد نوعان: الجهاد بالقرآن الكريم^{١١٦} جهاد النفس وهو الجهاد الأكبر^{١١٧}، والجهاد ضد المعتدين من الكافرين وهو الجهاد الأصغر:

فَلَا تَطْعُ الْكَافِرِينَ وَجَنَّهُدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ (القرآن، ٢٥: ٥٢)

فهذا يعني أن وصف "مُجْتَهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" يتضمّن معنى الجهاد المستمر لإصلاح النفس، وبينما يكون الجهاد ضد الكافرين في أوقات معينة تحت ظروف معينة، الجهاد لإصلاح النفس لا حد له ولا نهاية حتى الموت، فلا يتوقّف ولا ينقطع لحظة واحدة في الحياة. فالله ﷻ حذر من ترك هذا الجهاد. يقول الله ﷻ:

وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٥١﴾ (الزخرف، ٤٣: ٣٦) ^{١١٨}

١١٦ قال الطبري: "ولكن جاهدكم بهذا القرآن جهاداً كبيراً". (الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٩٨/٩).

وقال ابن كثير في تفسيره: "وجاهدكم به، يعني بالقرآن، قاله ابن عباس رضي الله عنهما" (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص ١٣٦٠).

١١٧ عن جابر رضي الله عنه قال: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ غَزَاةٍ لَهُ فَقَالَ لَهُم:

«قدمتم خير مقدّم، قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»، قالوا: وما الجهاد الأكبر يا رسول الله، قال: «مجاهدة العبد هواه». (رواه البيهقي وقال: وهذا فيه ضعف وذلك في كتاب الزهد الكبير، ص ١٦٥، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ١٣/٥٢٣).

وعن فضالة بن عبيد قال رسول الله ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه». رواه الترمذي (١٦٢١) في كتاب فضائل الجهاد باب ما جاء في فضل من مات مرابطاً، وقال: وحديث فضالة حديث حسن صحيح. وابن حبان في صحيحه (١٠/٤٨٤) وغيرهما.

١١٨ من الجدير بالذكر أن الله ﷻ يحمي المؤمن الذي يحبه ويجاهد في سبيله من الدنيا بالرغم من خطورة جهاده. فعن قتادة بن النعمان قال رسول الله ﷺ:

«إذا أحب الله عبداً حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيم الماء». (رواه الترمذي وحسنه، رقم ٢٠٣٦، كتاب الطب).

(د) وأما بالنسبة لوصف " **وَلَا تَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ^ع** " ، فهي تدل على الإخلاص لله ﷻ وعدم الالتفات إلى ما دون الله ﷻ. فيقول الله ﷻ:

وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ^ط مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (الأنعام: ٥٢) ﷻ

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ^ط وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا^ط وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (الكهف: ١٨، ٢٨) ﷻ

فهذا هو حال المخلصين الذين لا يلتفتون لغير الله ﷻ: يدعون الله بالغدو والآصال، ويذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم. يقول الله ﷻ:

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (آل عمران: ٣، ١٩١) ﷻ

ولهذا فإن رسول الله ﷺ وصف حال المخلصين الذين ... " **لَا تَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ^ع** " بقوله ﷺ:

«أكثرُوا ذِكْرَ اللَّهِ حَتَّى يَقُولُوا مَجْنُونٌ»^{١٢٠}.

فهذا هو حال الذين يُحبهم الله ويحبونه، فهم: " **أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ مُجْتَهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ^ع** " (المائدة: ٥٤). وهم المؤمنون الأبرار الذين يتواضعون ويتذللون للمؤمنين ويعتزون بإيمانهم أمام

١١٩ يقول الله ﷻ أيضاً: " **فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ^ع فَإِذَا أطمأننتم فأقيموا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْفُوتًا** " (النساء: ٤، ١٠٣).

١٢٠ رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري، مجلد: ٣، ص ٩٩.

الحب في القرآن الكريم

الكافرين، ويجاهدون جهاداً مستمراً ضد النفس بإخلاص ولا يلتفتون إلى ما دون الله^{١٢١}. وبالإمكان أن نعرفهم من خلال هذه الصفات. لأن الله ﷻ قال:

"... سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ...".



قال الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ^٢ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ (المائدة: ٥٤)

وفي الخلاصة فإنه يوجد في الأوصاف الأربعة المذكورة في الآية الكريمة خلاصة دقيقة عن كل ما يمكن أن يقال في الذين يحبهم الله ويحبونه كما ذكرنا سابقاً. ويوجد في هذه الآية أيضاً مُجمل ما قاله الله ﷻ في القرآن الكريم في الذين يحبهم الله ويحبونه كما رأينا في حديثنا هذا كله. وهذه الأوصاف لا بد لها من أن تظهر كخصال يمكن تمييزها لأنهم مستغرقون في حبِّ الله ﷻ، فحتماً ستكون هذه الخصال ظاهرة متجلية.



١٢١ ولهذا وصف رسول الله ﷺ حلاوة الإيمان بقوله فيما رواه أنس بن مالك ؓ قال رسول الله ﷺ:

«ثلاث من كُنْ فيه وجد حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا الله عز وجل، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقى في النار». (رواه البخاري، رقم ٢١، كتاب الإيمان).

مسألة: هل الذين قال الله ﷻ فيهم " ... تُحِبُّهُمْ وَتُحِبُّونَهُمْ ... " يعتبرون من " أولياء الله ؟ " فإن كان الجواب نعم، فما الدليل على ذلك؟
وصف الله ﷻ أولياءه في قوله ﷻ:

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٣٧﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣٨﴾ وَلَا تَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٩﴾ (يونس، ١٠٠-١٠٦-٦٥)

فأولياء الله ﷻ هم الذين " لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " وبالتالي فإن الله ﷻ يقول لرسوله ﷺ: " وَلَا تَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ". فنفهم من ذلك أن الرسول ﷺ هو سيد أولياء الله الذين لا يحزنون^{١٢٢}، وأنه سيد الذين هم أعزة على الكفار، لأن العزة لله وبالتالي لرسوله: يَقُولُونَ لِنَ رَبِّعَنَّا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنَّا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ (المنافقون، ٦٣: ٨)

فهذا يعني أنه يوجد تطابق ما بين " أولياء الله " وبين الذين قال الله فيهم ﷻ " ... تُحِبُّهُمْ وَتُحِبُّونَهُمْ ... ": فكلاهما لا يخافون وكلاهما أعزة على الكافرين بعزة الله ﷻ. وإضافة إلى ذلك فإن الله ﷻ ذكر تعريفاً آخر لأوليائه

١٢٢ عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ:

«أنا سيد الناس يوم القيامة...». (رواه البخاري، رقم ٤٧١٢، كتاب تفسير القرآن، باب ذرية من حملنا مع نوح، ورواه مسلم، رقم ١٩٤، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها). وفي رواية أخرى:

«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر... آدم فمن دونه تحت لوائي ولا فخر». (مسند أحمد، ١/ ٢٨١، وصحيح ابن حبان، ١٤/ ٣٩٨).

بقوله ﷺ:

قُلْ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾

(الجمعة، ١٢: ٦-٧)

فهاتان الآيتان تدلان على أن ولي الله هو من يتمنى الموت^{١٢٣}، لأنه مطمئن لأعماله. ويبيّن الله ﷻ في هذا التعريف حالة أوليائه (وحالة من هم

١٢٣ هنالك شيء في الإنسان يستطيع أن يتمنى الموت صدقاً. يقول الله ﷻ:

وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٢٤﴾ (آل عمران، ٣: ١٤٣)

وهناك مثل واقعي لهذا في سيرة رسول الله ﷺ في قصة عمير ابن الحمام الأنصاري:

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال ... [في بداية معركة أحد]:

«قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض»، قال عمير ابن الحمام الأنصاري يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: «نعم»، قال: يخ، يخ، فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك يخ يخ؟» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها»، فأخرج تمرات من قرّبه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى أكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان من التمر ثم قاتلهم حتى قتل». (رواه مسلم، رقم ١٩٠١، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد).

لكن جاء في حديث آخر أنه يوجد في الإنسان شيء آخر يكره الموت:

قال رسول الله ﷺ:

«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»، قيل يا رسول الله: كراهية لقاء الله في كراهية لقاء الموت، فكلنا يكره الموت، قال: «لا، إنما ذلك عند موته إذا بُشر برحمة الله ومغفرته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإذا بُشر بعذاب الله كره لقاء الله وكره الله لقاءه». (رواه مسلم، رقم ٢٦٨٥، كتاب الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله، وهذا لفظ ابن ماجه، رقم ٤٢٦٤، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له).

فتقول ربما يكون في الإنسان عنصران: أحدهما من طبيعته يكره الموت دوماً، والآخر يحب الموت ويتمناه (إذا كان الإنسان من الأولياء الصالحين)، وربما يكون العنصر الأول هو النفس والثاني هو الروح، والله أعلم.

ليسوا بأوليائه) في قوله ﷺ:

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٢٥﴾
وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٦﴾

(البقرة، ٢: ٩٤-٩٦) ١٢٤

وكذلك بيّن الله ﷻ حالة الإخلاص عند بعض عباده، إذ ينتظر الموت من غير تأثير إذ قال الله ﷻ:

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٣٣﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٢٣)

فهذا هو حال أولياء الله يفضلون لقاء الله ﷻ والآخرة على الدنيا بسبب إيمانهم وأعمالهم ولا يبدلون عن ذلك تبديلاً. وهذا الوصف ربما ينطبق على بعض الذين قال الله ﷻ فيهم " ... تَحِبُّهُمْ وَتُحِبُّونَهُمْ ... "، لأنه جاء في الحديث الشريف عن عبادة بن الصامت قال رسول الله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب لقاءه، ومن كره لقاء الله كره لقاءه»^{١٢٥}.

١٢٤ وربما يكون في الآيات الكريمة التالية إشارة أيضاً إلى الأولياء:

فَلْيَقْتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَمْشُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ (النساء، ٤: ٧٤)

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ (التوبة، ٩: ١١١)

١٢٥ رواه البخاري، رقم ٦٥٠٧، كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله عز وجل، ورواه مسلم، رقم ٢٦٨٣، كتاب الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله.

الحب في القرآن الكريم

فخلاصة القول هنا هو أنه إن لم يكن التطابق كاملاً بين أولياء الله ومن
قال فيهم " ... **تُحِبُّهُمْ وَتُحِبُّونَهُمْ** ... " ، فإن درجة الحبّ التي وصفها الله بكلمته
" ... **تُحِبُّهُمْ وَتُحِبُّونَهُمْ** ... " هي درجة قريبة من درجة أولياء الله الصالحين، والله
أعلم.



١٦. الباب الثالث؛ الفصل الخامس:

الحب العائلي

وصَفَ اللهُ ﷺ وحدد ونظَّم العلاقات والحقوق العائلية^{١٦} والحَبَّ العائلي بين الأَقارب في آيات كثيرة من القرآن الكريم. وكل هذه العلاقات والحقوق والحَبَّ يمكن أن توصف بمبدءٍ عام واحد وهو "المَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى":

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾

(الشورى، ٤٢: ٢٣)

وسبب هذا المبدأ - والله أعلم - هو أنَّ "أُولَ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ

بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ":

النَّبِيِّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولَ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ

١٦٦ ومن الجدير بالذكر أن الله ﷻ جعل تشريعاً لـ "الأهل":

وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَن يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّن فَتْيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفَحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَن تَصْيرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾

(النساء، ٤: ٢٥)

وإنَّ خِفَتَهُ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْتَغُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمَا مِّنْ أَهْلَيْهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٥﴾ (النساء، ٤: ٣٥)

كما أن الله ﷻ أشار إلى حقوق القريب بشكل عام:

وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ نَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنْ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِرَبِّهِ لَكُفُورًا ﴿٢٧﴾ (الإسراء، ١٧: ٢٦-٢٧)

أُولِيَابِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكِ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٣٣﴾ (الأحزاب: ٣٣)

وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ

بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ (الأنفال: ٨٠: ٧٥)

لكن جعل الله ﷻ القرابة في الأرحام درجات مختلفة، وحدد وكرّم هذه

الدرجات بتسميتهم في الآيات الكريمة التالية:

وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً

وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٥﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ

وَخَالَاتُكُمْ وَبنَاتُ الْأَخِ وَبنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ

الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنَ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم

بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ

أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا

رَحِيمًا ﴿٣٧﴾ * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَتَّبِعُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِينَ غَيْرِ مُسْفِحِينَ ﴿٣٨﴾ فَمَا

أَسْتَمَعْتُمْ بِهِ مِنْهُمْ فَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ

مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٩﴾ (النساء: ٤٤: ٢٢-٢٤)

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضَضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَمُحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا

ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ

ءَابَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي

إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولَىٰ

الْإِرْتَبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ

بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ۗ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ

تَفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ (النور، ٢٤: ٣١)

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ حَلَائِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ أَيْمَانُهُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۗ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۗ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً ۗ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ (النور، ٢٤: ٦١)

و أعطى الله ﷺ حقوقاً لمن كانوا في درجة مطلق القرابة:

لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبَى السَّبِيلِ وَالسَّالِفِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۗ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٧﴾ (البقرة، ١٧٧)

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۗ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّذِينَ وَاللَّذِينَ الْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبَى السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فإِنَّ اللَّهَ بِهِمُ عَلِيمٌ ﴿٣٨﴾ (البقرة، ٢: ٢١٥)

وَأَتَىٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَأَبَى السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ أَتِيغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِّسُورًا ﴿٤١﴾ (الإسراء، ١٧: ٢٦-٢٨)

أما بالنسبة للأقارب الأقربين، فالله ﷻ ثبَّت ووطَّد حتى قرابة النسب

والمصاهرة:

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَنَاتًا فَجَعَلَهُنَّ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ (الفرقان، ٢٥: ٥٤)

فالأزواج - الذي هو أصل وسبب قرابة النسب والمصاهرة - يجعل بنين وحنفدة، وبالتالي درجة مباشرة من القربى:

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ۖ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنًا وَحَفَدَةً ۗ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ۗ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ (النحل، ١٦: ٧٢)

وخصَّ اللهُ ﷻ الأولاد - الذكور منهم والإناث - بالذكر في القرآن الكريم، وأكد أنهم هبة منه:

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ تَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۗ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٥١﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا ۗ وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٢﴾ (الشورى، ٤٢: ٤٩-٥٠)

وبطبيعة الحال جعل للأولاد حقوقاً على آبائهم:

وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِ الرِّضَاعَةَ ۗ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۗ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ ۗ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا ءَاتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٢٧﴾ (البقرة، ٢: ١٢٧)

ومن أجمل أوصاف المحبة المشروعة بين الأولاد والآباء هي كلمة "طَوْفُوبٌ" في الآية التالية التي تشير إلى الخدمة والمحبة المتبادلة بينهم، ولذة القرب، والتي تُذكّرنا بمحبة الحاج وطوافه حول الكعبة المشرفة وهي بيت الله العتيق:

١٢٧ انظر أيضاً إلى: الأنعام، ٦: ١٤٠؛ الأنعام، ٦: ١٥١؛ الأنفال، ٨: ٣١؛ الممتحنة، ٦٠: ١٢؛ التكوين، ٨١: ٨-٩.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَفِدِّنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ۚ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ (النور: ٢٤)

يقول ابن كثير في تفسيره، لهذه الآية:

" **طَوَّافُونَ**) عليكم، أي: في الخدمة وغير ذلك، ويغتفر في الطوافين ما لا يغتفر في غيرهم؛ ولهذا روى الإمام مالك وأحمد بن حنبل وأهل السنن أن رسول الله ﷺ قال في المرة:

«إنها ليست بنجس؛ إنها من الطوافين عليكم والطوافات.» ١٢٨

وكما خصَّ الله ﷻ الأولاد بالذكر في القرآن الكريم، خصَّ الآباء أيضاً وأمر بتكريمهم:

وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۗ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ (النساء: ٤٠)

وَيُتَيْنَا اللَّهُ ﷻ أَنْ هَذَا التَّخْصِيسُ وَالتَّكْرِيمُ كَانَ موجوداً أيضاً في

التوراة:

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ

١٢٨ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص

تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٣﴾ (البقرة، ٢: ٨٣)

وعلم الله ﷻ المؤمنين أجمل دعاء للوالدين:

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا فُجْرًا وَلَا تَهْزُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ (الإسراء، ١٧: ٢٣-٢٥)

وفي هذا الدعاء " وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا " يُذَكِّرُ اللهُ ﷻ

المؤمنين برحمة آبائهم عليهم - مهما كان التقصير في الجزئيات - لأن كل إنسان حي إنما يحيى بفضل الله ﷻ ورحمته ثم برحمته من آبائه، لأن كل مولود ما كان ليحيى لولا أن رباه أبواه ورحمأه وهو صغير، بدءاً من أمه التي غذته من جسمها وولده بصعوبة. ولذلك مَيَّزَ اللهُ ﷻ الأم على الأب في الآيات التالية:

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَاتَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿٣١﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۗ وَصَاحِبَيْهِمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۗ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۗ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ (لقمان، ٣١-٣٢)

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۗ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۗ وَمَمْلُوءٌ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ۗ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٣٤﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ

أَفِ لَكُمْ أَتَعِدَانِي أَنْ أُحْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعِغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ
ءَامِينَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧٩﴾ أَوْلَيْتِكَ الَّذِينَ حَقَّ
عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿١٨٠﴾

(الأحقاف، ٤٦: ١٥-١٨) ١٢٩

و "دعاء بلوغ الأربعين" - وهو سن "أشدّه" وهذا يعني أن "كمال
قوته وعقله ورأيه" ١٣٠ - الذي يجمع فيه بين المحبة والعرفان للآباء والمحبة
والأمل للأولاد، كما ينبغي. والله ﷻ ينبهنا في آية أخرى على أننا لا ندري
أياً منهم أقرب لنا نفعاً:

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ
ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّمَّهَا الشُّدُسُ مِمَّا
تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَوَلَدٌ فَإِن لَمْ يَكُنْ لَهُ وَوَلَدٌ وَوَرِثَةٌ ۚ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ
فَلِأُمِّهِ الشُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينٍ ۚ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمُ
أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٨١﴾ (النساء، ٤: ١١)

فالله ﷻ جعل لكل منهم حقوقاً ومكانة، وجعل أهمية هذه الحقوق
والمكانة مباشرة بعد حقه (بعدم الشرك به)، وفوق أي حق آخر، الأمر الذي

١٢٩ ولذلك فقد جاء في الحديث ما يلي:

عن أبي هريرة قال: قال رجل يا رسول الله من أحق الناس بحسن الصحبة، قال:
«أملك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبوك، ثم أذنك أذنك». (رواه مسلم، ٢٥٤٨، كتاب البر
والصلة، باب بر الوالدين وأنها أحق به). وفي رواية أخرى: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ
فقال يا رسول الله: من أحق الناس بحسن صحابي قال:

«أملك» قال ثم من؟ قال: «ثم أمك» قال ثم من؟ قال: «ثم أمك» قال ثم من؟ قال: «ثم
أبوك». (رواه البخاري، ٥٩٧١، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة).

١٣٠ جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص ٦٦٨.

يدل على أهمية حبّ الوالدين والأولاد عند الله ^{١٣١} ﷺ. يقول الله ﷻ:
قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ أُمَّلِكُمْ إِنَّهُنَّ لَفِي سَعْيِكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَلَّيْتُ بِهِمْ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (الأنعام، ٦: ١٥١)



كما أمر الله ﷻ بمحبة الوالدين واحترام حقوقهما، وحذر الله ﷻ مبيئاً أن هذه الحقوق تنتهي عند حقوقه هو ﷻ. وحقه الأول على العبد هو أن لا يُشرك به. فحذر ﷻ المؤمن من خطورة احترام الوالدين إلى درجة أن يُطيعهما في أن يُشرك بالله ﷻ:

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (العنكبوت، ٢٩: ٨)

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلُهَا فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ (٩) **وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَتُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ**

^{١٣١} من المُلْفِت أن حبّ الأقارب حسب درجة قرابتهم لنا - إن لم يكن يعني حبهم حسب جاهلهم (الداخلي) الذي يظهره لنا (ظاهرياً على الأقل) بالتأكيد - سيكون حسب معرفتنا نحن بجاهلهم الداخلي، لأننا نعرف الأقرب إلينا بشكل أفضل. وبعبارة أخرى فإننا نحب الجمال والخير حتى في الحبّ العائلي: فيشكل عام نحن نحب الأقرب إلينا أكثر من غيرهم لأنهم يظهرون لنا الحبّ والخير بشكل أكبر (أو من المفترض أن يكون ذلك هو الحال بشكل عام).

مَرْجِعُكُمْ فَأَنْتُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ (لقمان، ١٤: ١٥٠)

وبالتالي وضَّحَ اللهُ ﷻ أنه يجب على الإنسان أن يحب الله ﷻ أكثر مما يحب أي شيء آخر في الدنيا حتى الوالدين:

قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤١﴾
(التوبة، ٩: ٢٤)

يَتَأْتِي الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۗ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ۗ وَإِنْ تَلَوْنَا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٤٢﴾ (النساء، ٤: ١٣٥)

وبطبيعة الحال إذا كان الوالدان مشركين فمن الصعب للمؤمن أن يجهما محبة صادقة بالرغم من أفضالهما عليه:

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۗ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۗ وَدَخَلَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۗ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٤٣﴾
(المجادلة، ٥٨: ٢٢)

ولهذا وضَّحَ اللهُ ﷻ أن استغفار إبراهيم عليه السلام الأواه والحليم لأبيه كان من الوفاء وليس من الحب للمشركين:

وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَّوْعِدَةٍ وَعَدَاةٍ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۗ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١٤٤﴾ (التوبة، ٩: ١١٤)



ربما يكون في الاحترام الزائد للوالدين ومحبتهما الزائدة خطر على حق الله ﷻ (بالشرك به)، وربما الخطر الذي يأتي من محبة الأولاد غير ذلك. وربما يأتي الخطر من المحبة الزائدة لهم والتباهي بهم بروح دنيوية:

أَمْالٌ وَالْبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْالًا ﴿٤٦﴾ (الكهف، ١٨: ٤٦)

أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ غِيثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٥٧﴾ (الحديد، ٥٧: ٢٠)

ولهذا حذر الله ﷻ من فتنة الأولاد:

وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ (الأفال، ٨: ٢٨)

وهذه الفتنة هي نفسها عدو للإنسان تجذبُه إلى الدنيا وهي ضد مصلحته في الآخرة:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن أَوْلَادِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ عَدُوٌّ لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفُوا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٦٠﴾ (التغابن، ٦٤: ١٤-١٥)

ولهذا وصَّى الله ﷻ الإنسان أن لا ينسى ذكر الله ﷻ بسبب أولاده:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٠﴾ (المناقرن، ٦٣: ٩٠)

فالله ﷻ بين وُجوب حبّ الأولاد ولكن ضمن إطار معين وحدود معينة كما رأينا.



فخلاصة الأمر هنا هو أن الله ﷻ جعل حباً طبيعياً مشروعاً ومحموداً بين الإنسان وعائلته - وجعل هذا الحبّ حسب درجة القُرب - ولكنه ﷻ أكّد على أنه يجب أن يبقى حبّ الإنسان لربه أكثر وأقوى من كل الحبّ العائلي.



حب الآخرين (الناس جميعاً، وأهل الكتاب، والمؤمنين، والأصدقاء)

المطلب الأول: حبّ الناس جميعاً

لم يقصر الله ﷻ الحبّ والمحبة بين الناس على الأقارب فقط. بل جعل، من رحمته التي "وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ" (الأعراف: ٧٠: ١٥٦) ، رحمة بل محبة بين الناس جميعاً بدرجات مختلفة وضمن شروط معينة. وربما من أسباب هذا هو أنّ كل إنسان قريب في نهاية المطاف إلى كل إنسان. فكل إنسان من سلالة آدم ﷺ وحواء، وبالتالي كل إنسان "ابن آدم" ، وهذه درجة قرابة حتى ولو أنها بعيدة. ويُذكرنا الله ﷻ بهذا في القرآن الكريم، ويُندرننا إن لم نتق الله ﷻ في إخواننا وأخواتنا من رحم أمتنا جميعاً حواء:

يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا

(النساء: ٤: ١)

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ (الأنعام: ٦: ٩٨)

ويُذكرنا الله ﷻ أيضاً أننا خُلِقنا وتُبعت كنفس واحدة نشترك في الختام وليس في الأصل فقط:

مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ (لقمان: ٣١: ٢٨)

١٣٢ وهذا يعني أيضاً في طبيعة الحال أن كل انسان هو في الأصل خليفة الله ﷻ على الأرض الذي نفخ الله ﷻ فيه من روحه (كما رأينا سابقاً في فصل "حب الله ﷻ للناس").

ومع أن الله ﷻ خلق مِنَّا شعوباً وقبائل مختلفة، لكننا جميعاً سواسية عند الله ﷻ، والأمر الوحيد الذي يميز بين شخص وآخر هو تقواه:

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ (الحجرات، ٤٩: ١٣)

فالاختلاف بين الشعوب والقبائل في أشكالهم وألوانهم حكمة إلهية يجب علينا أن نُقدرها ونُحترمها، ويجب علينا أن نَتَفَكَّرَ فيها:

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلَقَ النَّاسَ وَالنَّجْمَ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ (الروم، ٣٠: ٢٢)

ويجب علينا أيضاً أن نُثَمِّنَ وَنُحْتَفِلَ في الفروق بين الناس بشكل عام، وهذا معنى من معاني "لِتَعَارَفُوا"، والله أعلم. وعلى أي حال حَرَّمَ اللهُ ﷻ قتل أي نفس من بني آدم بشكل عام:

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ ... (الإسراء، ١٧: ٣٣)

... وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِمِثْلِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

﴿٣٤﴾ (الأأنعام، ٦: ١٥١)

بل أكثر من ذلك، جعل الله ﷻ قيمة كل البشرية في كل نفس، في إحيائها وفي إمامتها:

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ

﴿٣٥﴾ (المائدة، ٥: ٣٢)

وبالتالي فإن الله ﷻ يأمرنا في القران بعدم الاعتداء على أي فرد من الناس. قال الله ﷻ:

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝

(البقرة، ٢: ١٩٠)

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا خُلُوعًا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْفَلَاحِيَّةَ وَلَا ءَامِينَ النَّبِيِّ الْحَرَامَ يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِمَّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۗ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۗ وَلَا تَجْرِمَنكُمْ سَفَنَانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِن تَعْتَدُوا ۗ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۗ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝

(المائدة، ٢: ٥)

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُبًا قَوْمِي ۗ لِلَّهِ شُهَدَاءُ بِالْقِسْطِ ۗ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ۗ اَعْدِلُوا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝

(المائدة، ٥: ٨)

حتى أن المسلم لا يُسَمَح له أن يعتدي على أحد حتى بالكلام أو باللفظ، يقول الله ﷻ:

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝ (الهمزة، ١٠٤: ١)

كما لا يجوز للمسلم أن يسبَّ معتقدات أحد، حتى وإن كان مشركاً^{١٣٣}، يقول الله ﷻ:

١٣٣ ولكن بالطبع هذا لا يعني أن الإسلام دين يقبل الشرك بأي شكل من الأشكال - فهو يرفض ويدحض ذلك تماماً في شهادة الإسلام: لا إله إلا الله - ولكن الله ﷻ يسمح لكل إنسان أن يختار ديانه مجرية، مهما كانت، فيقول الله ﷻ:

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۗ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۗ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ (البقرة، ٢: ٢٥٦)

وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ... (الكهف، ١٨، ٢٩)

فَلْ يَتَأْتِيَ الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَا أَشْرُ عِبِيدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۝ وَلَا أَشْرُ عِبِيدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝ (الكافرون، ١٠٩: ١ - ٦)

وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ فَيَكْفُرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٠٨﴾ (الأنعام، ٦: ١٠٨)

بل أكثر من ذلك، فإن الله ﷻ يأمر المسلمين بالقسط لكل بني آدم إلا من يُحَارِبنا ويُدَمِّر مساجدنا ويُخْرِجنا من ديارنا (فهذا مبرر كافٍ لحرب دفاعية عادلة في القرآن الكريم) ١٣٤:

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ لَا يَهَنِكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ (المتحة، ٦٠: ٧-٨)

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُتْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الِّمْتَقِينَ ﴿٧﴾ (التوبة، ٩: ٧)

وإضافة إلى ذلك، أوصى الله ﷻ بالرحمة والتعاطف والشعور مع الآخرين بشكل عام ومن غير تحديد بفتنة ما كما في الآية التالية (والتي كان علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام جميعاً سبب نزولها بشكل خاص):

وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٧٦﴾ (الإنسان، ٧٦: ٨)

فَذَرَهُمْ خَوْضًا وَيُلْعَابًا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٧٠﴾ (العارج، ٧٠: ٤٢)

١٣٤ يقول الله ﷻ:

إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٧٠﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٧١﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا زُيْنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صَوَابُكُمْ وَبِيعَ وَصَلَاتُكُمْ وَمَسْجِدُكُمْ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴿٧٢﴾ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٣﴾ (الحج، ٢٢: ٣٨-٤٠)

فيقول الفخر الرازي في تفسيره الكبير:

" المراد من قوله: ﴿يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ ﴿١٠٧﴾ هو ما رويناه أن علياً عليه السلام أطعم المسكين واليتيم والأسير، وأما الذين يقولون الآية عامة في حق جميع الأبرار [فإنهم] قالوا: إطعام الطعام كناية عن الإحسان إلى المحتاجين والمواساة معهم بأي وجه كان، وإن لم يكن ذلك الطعام بعينه " ١٣٥ .

يقول الله ﷻ:

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة، ١٧٧: ٢)

ويقول الله ﷻ:

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ﴿١﴾ فذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يُخْضِ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾ (الماعون، ١٠٧: ١-٧)

وكانه تأكيد على ذلك، ذَكَرَ اللهُ ﷻ دعاءً للمؤمنين يتضمن الرحمة

حتى للكفار:

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَقَدْ كَانَ

لَكُم فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ

الْحَمِيدُ ﴿٦٠﴾ (المتحنة، ٦٠: ٦-٥)

فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ (يونس، ١٠: ٨٥) ١٣٦

يقول الله ﷻ:

وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۗ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ (النساء، ٤: ٣٦)

وقد جاء في تفسير الجلالين أن الجار ذي القربى هو: "القريب منك في الجوار أو النسب"، وأن الجار الجنب هو: "البعيد عنك في الجوار أو النسب" ١٣٧. فبمعنى آخر، حسب تفسير الجلالين، "الجار" هو كل إنسان على وجه الأرض سواء أكان مسلماً أو كافراً. وكذلك جاء في تفسير القرطبي أن الجار ذي القربى هو الجار: "القريب"، والجار الجنب هو الجار: "الغريب" ١٣٨، والله أعلم. وقد أكد رسول الله ﷺ هذا بقوله:

١٣٦ يمكن أن نفهم الآيتين (المتحنة، ٦٠: ٥؛ ويونس ١٠: ٨٥) على أنهما دعاء إلى الله ﷻ ألا يهزم الكفار المؤمنين في القتال. وفيما يلي شرح تفسير الجلالين للآيتين الكريمتين: "عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ": أي لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتنونا بنا. (ص ٤٤٨). "رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا: أي لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتنونا، أي تذهب عقولهم بنا؛ "وَأَعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ": في ملكك وصنعك. (ص ١٥٣).

١٣٧ جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص ١٠٦.

١٣٨ القرطبي، تفسير القرطبي، المجلد ٥، ص ١٧١.

«والذي نفسي بيده لا يؤمن عبداً حتى يحب لجاره أو قال لأخيه ما يجب لنفسه»^{١٣٩}.

وكذلك قال رسول الله ﷺ:

«الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»^{١٤٠}.

وكذلك قال رسول الله ﷺ:

«لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ»^{١٤١}.

والرحمة لجميع الناس، بغض النظر إن كانوا مسلمين أو مؤمنين أو لا. فالرحمة تقتضي أن يغفر المسلمون للناس جميعاً بما فيهم الكفار. يقول الله ﷻ:

قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ ﴿١٤٠﴾ (الجاثية، ٤٥: ١٤)

فَبِمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٤١﴾ (آل عمران، ٣: ١٥٩)

والمغفرة بدورها تعني الصفح عن الناس. يقول الله ﷻ:

١٣٩ رواه مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه، رقم ٤٥، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يجب لأخيه المسلم ما يجب لنفسه من الخير. وفي رواية أخرى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه». رواه البخاري، رقم ١٣، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يجب لأخيه ما يجب لنفسه. ١٤٠ رواه الترمذي، رقم ١٩٢٤، عن عبد الله بن عمرو، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الناس.

١٤١ رواه البخاري، في صحيحه، رقم ٧٣٧٦، من حديث جرير بن عبد الله، كتاب التوحيد؛ باب قوله تعالى: قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ فَاصْفَح

الاصْفَحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ (الحجر، ٨٥: ٨٦-٨٧)

فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَّمَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٧﴾ (الزخرف، ٤٣: ٨٩)

وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٢﴾ (النورى، ٤٢، ٤٣)

والصفح من سنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فسيدينا يوسف عليه السلام

يقول:

قَالُوا أَيْنَ نَكِّ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن

يَتَّقِي وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٤١﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ

عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يُغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ

أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٤٣﴾ (يوسف، ٩٠: ٩٢-٩٣)

وكذلك يقول سيدينا إبراهيم عليه السلام:

رَبِّ إِنِّي أُنذِرُكَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴿٢٦﴾ (إبراهيم، ١٤: ٣٦)

وكذلك قد صَفَحَ رسول الله ﷺ عن أهل مكة يوم الفتح، فقال:

«ما تقولون وما تظنون؟»، قالوا: نقول ابن أخ وابن عمِّ حلیم رحيم، فقال

رسول الله ﷺ: «أقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم

وهو أرحم الراحمين»، قال: فخرجوا كأنما نُشِروا من القبور^{١٤٢}.

والصفح يعني عدم الغضب أيضاً. يقول الله تعالى:

وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ

﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَنِطَرِئِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ

مُحِبِّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٧﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٨﴾ (آل عمران، ٣: ١٣٣-١٣٦)

فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعْ حَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٣٩﴾ وَالَّذِينَ سَخَّتِ بَنُونَ كَثِيرًا أَلِثْمٌ وَالْفَوَاحِشُ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿١٤٠﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٤١﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿١٤٢﴾ وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۗ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٣﴾ وَلَمَنِ اتَّصَرَ بِعَدُوِّهِ فَلَا يَدْعُوا إِلَىٰ سَبِيلِ اللَّهِ ۗ إِنَّهَا أُولَٰئِكَ عَلَىٰ الظَّالِمِينَ يَحْكُمُونَ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَارُ ﴿١٤٤﴾ وَيَعْبُغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤٥﴾ (الشورى، ٤٢: ٣٦-٤٢)

لكن الصفح فقط لا يكفي، فالمطلوب من المسلمين أن يردوا على الشيء السيئ بالشيء الحسن. قال الله ﷻ:

أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ۗ لَنْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ (المؤمنون، ٢٣: ٩٦)

وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۗ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٩٢﴾ وَمَا يُلقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٩٣﴾ (فصلت، ٤١: ٣٤-٣٥)

وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ۗ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٩٤﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٩٥﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۗ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٩٦﴾

سَلِّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَبِعَمِّ عَقْبَى الدَّارِ ﴿٦١﴾ (الرعد، ١٣: ٢١-٢٤)

وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۗ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿٦٢﴾
(النحل، ١٦: ١٢٦)

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا
سَلِّمًا ﴿٦٣﴾ (الفرقان، ٢٥: ٦٣)

وخلاصة القول هنا هو أن الله ﷻ جعل حقوقاً لكل بني آدم، وفرض الاحترام، وعدم الاعتداء، والقسط، والرحمة، والتعاطف والشعور مع الآخرين، والمغفرة، والصفح، وعدم البغض، وحتى أن نحسن لمن أساء إلينا وأن ندفع بالتي هي أحسن لكل إنسان مهما كان ومهما كانت ديانته (وحتى إن لم يكن له دين)، طالما لم يحارب المسلمين.

المطلب الثاني: حب أهل الكتاب

أمر الله ﷻ بالقسط والرحمة والتسامح بشكل عام كما أمر بالإحسان لكل جار، قريب أو بعيد، حتى ولو كان هذا الجار من غير ديننا بشكل خاص:

وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۗ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْأَجْنَبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٦٤﴾ (النساء، ٤: ٣٦)

وإن ذكرنا سابقاً أن "الجار" يعني كل إنسان، سواء كان قريباً أم بعيداً، حسب تفسير القرطبي وتفسير الجلالين، فإنه من الجدير بالذكر أن ابن كثير يقول في تفسيره التالي:

"روي عن عكرمة، ومجاهد، وميمون بن مهران، والضحاك، وزيد بن أسلم، ومقاتل بن حيان، وقتادة. وقال أبو إسحاق عن نوف البكالي في قوله:

﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾: يعني المسلم ﴿ وَالْجَارِ الْجَنْبِ ﴾ يعني اليهودي والنصراني " ١٤٣ .

ومن الجدير بالذكر أن الله ﷻ قد سمى نصارى نجران " مؤمنين " ، ولعن من عذبهم. يقول الله ﷻ:

قَتَلَ أَصْحَابَ الْأَخْذُودِ ﴿١﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿٢﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٣﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٤﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٥﴾

(البروج، ٨٥: ٤-٨)

وقال القرطبي في تفسيره عن هذه الآية:

" الذين خَدَّدُوا الْأَخَادِيدَ وَقَعَّدُوا عَلَيْهَا يُلقون فيها المؤمنين وكانوا بنجران في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقد اختلفت الرواة في حديثهم والمعنى متقارب " ١٤٤ .

وكذلك أشار الله ﷻ إلى فرح المسلمين عند انتصار نصارى على الفرس المشركين:

الَّذِينَ غَلِبَتِ الرُّومُ ﴿١﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٢﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ ﴿٣﴾ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴿٤﴾ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾

(الروم، ٣٠: ١-٤)

ومن الجدير بالذكر أن الله ﷻ يعلم أن المسلمين سيقاتلون (فيما بعد في معارك كثيرة ومنها معركة مؤتة أثناء حياة رسول الله ﷺ) النصراني أنفسهم الذين فرح المسلمون بنصرهم على المشركين. فإذا كان نصرهم يُفرح

١٤٣ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص ٤٨٠ .

١٤٤ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تفسير القرطبي، ٢٥٧ / ١٩ .
وقصة نصارى نجران المذكورة في صحيح مسلم، حديث رقم ٣٠٠٥ في كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود، قصة الراهب والغلام.

المسلمين، - وإذا كان الله ﷻ يذكرُ نصرهم كوعد حسن للمسلمين - فهذا يعني أن هناك مودة خاصة بين المسلمين والنصارى. وهذا ما يقوله الله ﷻ في الآية التالية:

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۗ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ۚ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَزُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ (المائدة: ٥٠، ٨٢)

وإذا كان الله ﷻ قد حذّر الرسول ﷺ من اليهود في هذه الآية^{١٤٥} - ومدح النصارى - ففي آيات أخرى مدح الله ﷻ بني إسرائيل (أو على الأقل الصالحين منهم) وفضلهم على العالمين (في فترة ما^{١٤٦}):

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ ۗ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣٠﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۗ وَكَانُوا بِبَابِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٣١﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٣٢﴾ (السجدة، ٣٢-٢٣٠)

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠٠﴾ (المائدة: ٢٠٠)

١٤٥ يلاحظ أن الله ﷻ خاطب رسوله ﷺ بشكل فردي في هذه الآية ("لَتَجِدَنَّ") وليس المؤمنين بشكل عام.
١٤٦ فيقول الله ﷻ:

فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفَّرَهُمْ بِنَيْدِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا حَتَّى وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ (النساء: ١٥٥)

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ آَعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً حَسِيَسِينَ ﴿٢٠٠﴾ (البقرة: ٢٠٠)
(وانظر أيضاً إلى: البقرة: ٢، ٧٨ و ٩١؛ المائدة: ٥، ٦٠؛ الأعراف: ٧، ١٦٦ وغيرها من الآيات في هذا الموضوع.)

وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى
 الْعَالَمِينَ ﴿١٦٧﴾ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ
 بَعِيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رِثْكَ يَقْضَى بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٨﴾ (الجنانية، ٤٥،

(١٦٧-١٦٨)

وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦٩﴾ وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلْتَأْؤُا مُبِيتٌ
 ﴿١٧٠﴾ (الدخان، ٤٤، ٣٢-٣٣)

نَبَأُ اللَّهِ ﷺ المسلمين أنه يوجد بين أهل الكتاب بشكل عام بعض
 الصالحين:

لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ
 ﴿١٢٩﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
 وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن
 يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١٣١﴾ (آل عمران، ٣، ١١٣-١١٥)

وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضْعُ أَجْرَ الْمُصَلِّينَ ﴿١٧٠﴾ (الأعراف، ٧،
 (١٧٠:))

فخلاصة القول هنا هو أن الله ﷺ فرض - إضافة إلى الاحترام
 والقسط والرحمة بشكل عام - الإحسان نحو أهل الكتاب بشكل خاص، وببَّه
 على مودة خاصة بين المسلمين والنصارى، والله أعلم.

المطلب الثالث: حبّ المؤمنين

إضافة إلى الاحترام والقسط والرحمة والتسامح والصفح^{١٤٧} والإحسان

١٤٧ يقول الله ﷻ:

وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا
 وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ (النور: ٢٤)

والمودة، فقد فرض الله ﷺ رابطة الأخوة بين المؤمنين بعضهم بعضاً:

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٩٠﴾ (الحجرات، ٤٩)

(١٠٠)

كذلك جعل الله ﷺ المؤمنين إخوة، وذكّرهم بحقوق الإخوة في اللفظ الكريم " **وَاتَّقُوا اللَّهَ** "، وربط رحمته ﷺ بتقوى الله ﷻ في الأخوة بين المؤمنين. وبمعنى آخر فإن الله ﷻ يقول إنه سيرحم من يجب أخاه المؤمن. والأخوة بدورها تعني الحبّ - وليس أقل من الحبّ - بين المؤمنين:

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخَيِّبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩١﴾ (الحشر، ٥٩)

وفي هذه الآية الجميلة بيّن الله ﷻ أن الحبّ المطلوب بين المؤمنين ليس فقط شعوراً لا يلزم المؤمن بشيء، ولكن من الحبّ حالة نفس صادقة تُؤثّر مصلحة الآخرين على ذاتها، وبالتالي تتغلب فيها على " شح النفس " ١٤٨ .

١٤٨ فليس مسموحاً للمسلم أن يحكم على أخلاق المؤمنين، ناهيك عن طرده، يقول الله ﷻ عن سيدنا نوح عليه السلام:

فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَكْتَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَكْتَ تَرْكَ آبَائِكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَزْدَانُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿١٠١﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُ أَرْبَعَةٌ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَشْرَهَا كَرِهُونَ ﴿١٠٢﴾ وَيَتَقَوَّمُونَ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَئِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقُوا بِهِمْ وَلِيَكْفِي أَنْتُمْ قَوْمًا فَجْهَلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَيَتَقَوَّمُونَ مَنْ يَضُرُّنِي مِنْ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٥﴾ (هود، ١١ - ٢٧ - ٣١)

• قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأُدْلُونَ ﴿١٠٦﴾ قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٧﴾ إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٩﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٠﴾ (الشعراء، ٢٦ - ١١١ - ١١٥)

الحب في القرآن الكريم

وخلاصة القول هنا هو أنه بالإضافة إلى الاحترام والقسط والرحمة والمودة والإحسان، يطلب الله ﷻ الحب بين المؤمنين، وهذا هو الحب الذي نسميه أحياناً "الحب في الله".

المطلب الرابع: حب الأصدقاء

ذَكَرَ اللهُ ﷻ في كتابه درجات من الصداقة، بالإضافة إلى أخوة الإيمان التي ذكرناها. فالصحبة أقلُّ درجة من الصداقة. وذكَّرَ اللهُ ﷻ "الصحبة" في آيات كثيرة من القرآن الكريم، وعلى سبيل المثال في الآيتين التاليتين:

قَالَ إِنَّ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٦٦﴾ (الكهف: ١٨)

(٧٦:

يَصْحَبِي السَّجْنَءَ أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٢﴾ (يوسف: ١٢)

عموماً لا تعني كلمة "صحبة" في القرآن الكريم مودة خاصة لكن تعني الرفاق في أمر معين. فأصحاب النار لا يجب بعضهم بعضاً ولكنهم يتصاحبون في النار:

قَالَ أَذْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَيْنَاهُمْ لِأَوْلِيَانَا هَتُولَاءِ ۚ أَضَلُّونَا فَعَابَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۗ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَتْ

ويقول الله ﷻ لسيدنا محمد ﷺ:

وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٤﴾ (الأنعام: ٢٤)

أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ

(الأعراف، ٧: ٣٨-٣٩)

فكلمة "صحبة" تفيد أحياناً معنى "الامتلاك" كما هو الحال في "أَصْحَبِ الْفِيلِ" - جيش أبرهة الحبشي الذي كان يمتلك فيلاً وحاول مهاجمة الكعبة في الجاهلية - يقول الله ﷻ:

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١٠٥﴾ (الفيل، ١٠٥: ١)

وأحياناً تفيد كلمة "صحبة" معنى "الصدقة" أو "مودعة معينة" كما هو الحال في الآيتين التاليتين:

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنِّي آنأ الله مَعَنَا فَانزَل اللهُ سَكِينَةً عَلَيْهِ وَأَيْدِيَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ (التوبة، ٤٠: ٤٠)

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا ﴿١٨٠﴾ (الكهف، ١٨٠: ٩٠)

بعد "الصحبة" تأتي "الصدقة"، وهي تعني درجة ثابتة من المحبة الخاصة والأخوة. والله ﷻ بَيَّنَّ وكرَّم ووطَّد هذه العلاقة الخاصة حتى في تشريعها:

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ حَلَائِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُم مَفَاحِهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۖ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى

أَنْفُسِكُمْ نَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبِرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ (النور، ٢٤: ٦١)

وفوق " الصداقة " يمكننا أن نُميّز " الصداقة الحميمة " ، فالله ﷻ يقول:

قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ يُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ
أَنْ يَأْتِيَهُمْ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا يَخْلَىٰ ﴿٦٢﴾ (ابراهيم، ١٤: ٣١)

وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿٦٣﴾ (الشعراء، ٢٦: ١٠١) ١٤٩

وأخيراً هناك درجة من الصداقة أعلى حتى من " الصداقة الحميمة " وقد سماها الله ﷻ: " الخلة " ١٥٠ ، يقول الله ﷻ:

الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٤﴾ (الزخرف، ٤٣: ٦٧)

فخلاصة القول هنا هو أن الله ﷻ ذكرَ في القرآن الكريم وشرَّع وبارك أربع درجات مختلفة من " الصداقة " والتي هي فوق الحبّ الموجود بين المؤمنين وهي: (١) الصحبة، (٢) الصداقة، (٣) الصداقة الحميمة، (٤) الخلة. وقد ذكرناها بالترتيب التصاعدي وتشكّل السلسلة الكاملة للصداقة بين المؤمنين وأعلى درجات الحبّ (غير الجنسي) بين الذين لا تربطهم صلة

١٤٩ انظر أيضاً إلى وصف " الحميم " في الآيات التالية: غافر، ٤٠: ٤١؛ فصلت، ٤١: ٤٣؛ الحاقة، ٦٩: ٣٥؛ المعارج، ٧٠: ١٠.

١٥٠ يمكن وصف هذه الصداقة بـ " الوليجة " - وهي صداقة حميمة أو حرفياً " صداقة مداخلة " - وهي ملائمة بين المؤمنين فقط (كما سنناقش لاحقاً في فصل أنواع الحب)، يقول الله ﷻ:

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ
وَلِجِئَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٥﴾ (التوبة، ٩: ١٦)

١٥١ يُلاحظ أننا نكوّن الصداقات وفقاً للخير والجمال الداخلي الذي نراه في الآخرين - في حال كانت الصداقة صادقة ومخلصة - وبناء على الوقت الذي نمضيه مع أصدقائنا (وبالتالي بناء على ما نختبره من جمالهم الداخلي وما يجتبرونه من جمالنا الداخلي).

١٨. الباب الثالث؛ الفصل السابع:

الحب الزوجي والحب الجنسي

خلقنا الله ﷻ جميعاً من نفس واحدة، وخلق من هذه النفس - وهي نفس آدم ﷺ - زوجةً (وهي حواء أمنا جميعاً)، وخلق كل الناس من آدم ﷺ وحواء معاً:

يَتَأْتِي النَّاسَ أَنْتَقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَنْتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا

﴿النساء، ٤: ١﴾

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ... (الزمر، ٣٩: ٦)

وخلقنا (عموماً^{١٥٢}) زوجين، الذكر والأنثى^{١٥٣}:

وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿١٥٤﴾ (النجم، ٥٣: ٤٥)

١٥٢ قلنا "عموماً" لأنه ربما يكون في قوله ﷻ: "أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَتَجْعَلُ مِنْ نِشَاءٍ عَاقِبَةً" إِنْهُ عَلَيْهِمْ قَدِيرٌ ﴿١٥٤﴾ (الشورى، ٤٢: ٥٠) إشارة إلى وجود "الخنثى" الذي يجمع بين الذكر والأنثى في شخص واحد، أو إلى وجود الشخص الذي لا يعتبر ذكراً أو أنثى.

١٥٣ قال الراغب الأصفهاني في كلمة "زوج": "يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة "زوج"، ولكل قرينين فيها وفي غيرها "زوج"، كالخف والنعل، ولكل ما يقترن بأخر مماثل له أو مضاد زوج، قال تعالى: فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿١٥٤﴾ (القيامة، ٧٥: ٣٩) وقال: ... أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ... (البقرة، ٢: ٣٥) . (الراغب الأصفهاني، المفردات، ص ٢٢٠).

فهكذا يقال لكل من الذكر والأنثى "زوج"، وهذا يدل على احتياج كل من الذكر والأنثى بعينه إلى زوجه حسب التعريف في اللغة العربية. ويقول الله ﷻ:

سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ (يس، ٣٦: ٣٦)

﴿جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (القيامة، ٧٥: ٣٩)

سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ

﴿٣٦﴾ (يس، ٣٦: ٣٦)

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْتَابًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ
الذَّكُورَ ﴿٣٦﴾ أَوْ يَزْوَاجَهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنْتَابًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾

(الشورى، ٤٢: ٤٩-٥٠)

وفي خلق الزوجين، الذكر والأنثى، ذكرى للناس:

﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات، ٥١: ٤٩)

ومن ناحية، ميّز الله ﷻ الذكر:

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ
أَمْوَالِهِمْ ﴿٤٦﴾ فَالصَّالِحَاتُ قَنِبَتْنَ حَفِظَتْنَ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴿٤٦﴾ وَاللَّتِي تَخَافُونَ
نُشُوزَهُنَّ فِعْظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا
تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٤٨﴾ (النساء، ٤: ٣٤)

ومن ناحية أخرى، ميّز الله ﷻ الأنثى:

فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِنَّ الذَّكَرَ كَأْلَ أُنْثَىٰ
وَإِنِّي سَمِيئَةٌ مَرِيئَةٌ وَإِنِّي أَعِيدُهَا بِلَكَ وَذُرِّيَّتُهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ (آل عمران، ٣: ٣٦)

وقد أعطى الله ﷻ شهادة المرأة في الدفاع عن نفسها ثقلاً أكبر من

شهادة زوجها:

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ
شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٤٩﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعَنَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ
الْكَاذِبِينَ ﴿٥٠﴾ وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ
الْكَاذِبِينَ ﴿٥١﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥٢﴾ (النور، ٢٤: ٦-٩)

ولكن جعلنا - الذكر والأنثى - بعضنا من بعض:

فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ ۖ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ۗ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿٥٥﴾ (آل عمران، ٣: ١٩٥)

وهكذا فإن مكافأة الله ﷻ للذكر تتساوى مع مكافأته ﷻ للأنثى:

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِينَ وَالْقَنَاتِاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَنَافِظِينَ وَالْحَنَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٥٦﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٣٥)

ولذلك فلدى - الذكر والأنثى - طبيعة إنسانية مشتركة بالرغم من الفروقات التي بيننا: فكل واحد منا له أب وله أم (باستثناء سيدنا عيسى عليه السلام) إذ ليس له أب وله أم، وسيدنا آدم عليه السلام الذي ليس له أب ولا أم، وكل واحد منا (إذا كانت صحته أو صحتها طبيعية) يمكن له أن يُنجب ذكراً أو أنثى.



فالتبيعة المشتركة بيننا تعني أيضاً أننا لسنا مكتملين من دون بعضنا البعض. الذكر يحتاج الأنثى والأنثى تحتاج الذكر، وعموماً نبقى بحالة نقص دون بعضنا البعض. وهذه الحاجة إلى بعضنا البعض والنقص من دون ذلك، واضحة في ثلاثة أمور رئيسة: (أ) في حاجة الذكور والإناث بعضهم لبعض

في النسل؛ (ب) في الحبّ الزوجي غير الجسماني والحاجة النفسية بين الزوجين، (ج) وفي الحبّ الزوجي والجنسي بين الزوجين. (ومن الجدير بالذكر أنه يمكن لهذه الحاجات الثلاث أن تتزامن في علاقة ما، ويمكن لها أن تنفرد عن بعضها).

المطلب الأول: حاجة الزوجين لبعض في النسل

وبطبيعة الحال، لا يستطيع أحد منا أن يُنجِبَ من غير زوج أو زوجة:

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنًا وَحَفْذَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبِطْلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعِمَّتِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٦﴾ (النحل، ١٦: ٧٦)

وهذا أمر واضح حتى في أيامنا هذه مع "أطفال الأنابيب" لأنه حتى في أطفال الأنابيب فإنهم يحتاجون إلى "ماء دافق" يجتمع فيه ما يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٤٠﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٤١﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤٢﴾ (المؤمنون، ٢٣: ١٤-١٤)

أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢٠١﴾ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٠٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٠٣﴾ (المرسلات، ٧٧: ٢٠-٢٣)

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِنْ مِمَّ خُلِقَ ﴿٨٦﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٨٧﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٨٨﴾ (الطارق، ٨٦: ٧-٧)

ففي هذه الآيات الأخيرة جاء في تفسير الجلالين:

"(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ) نظر اعتبار (مِمَّ خُلِقَ) من أي شيء. جوابه (خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ) ذي اندفاق من الرجل والمرأة في رحمها. (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ) للرجل

﴿وَالترَّابِ﴾ للمرأة وهي عظام الصدر " ١٥٤ .

المطلب الثاني: الحبّ الزوجي غير الجسماني و "أزواج النفس"
نحتاج بعضنا بعضاً ليس للنسل فقط، ولكن من ناحية نفسية طبيعية
أيضاً:

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّيْهَا
حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا
لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٥٤﴾ (الأعراف، ٧: ١٨٩)

ويلاحظ في هذه الآية الكريمة أن الله ﷻ قال: "لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا" وليس
"ليسكن معها" أو "ليسكن عندها"، الأمر الذي يدل على أنه يوجد في
السكن مع الزوجة سُكُونٌ وَسَكِينَةٌ أيضاً، وتلك حاجات نفسية. والله ﷻ يبيّن
هذا السكون في الدعاء المشترك بين الزوج والزوجة:
"لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٥٤﴾".
والله ﷻ قال في آية أخرى:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً
وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ (الروم، ٣٠: ٢١)

هذه الآية تحتوي على أسرار كثيرة كما تُشير لنا الكلمات الكريمة
التالية: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾"؛ وستدبرها فيما يلي:

(١) يُخْبِرُنَا اللَّهُ ﷻ أَنَّ أَزْوَاجَنَا مِنْ "أَنْفُسِنَا". وفي القرآن الكريم معنيان

لكلمة "أنفسكم": المعنى الأول هو "أنتم"، ففي هذه الحالة "من أنفسكم" تعني فقط "منكم". المعنى الثاني لكلمة "أنفسكم" تعني "من نفوسكم": فالله ﷻ يذكر "النفس" كحقيقة الإنسان غير الجسدية، وبالتالي الخالدة. وعلى سبيل المثال، ذكر الله ﷻ: "النفس الأمارة بالسوء" (يوسف، ١٢: ٥٣)؛ و"النفس اللوامة" (القيامة، ٧٥: ٢)، و"النفس المطمئنة" (الفجر، ٨٩: ٢٧).

فما معنى اللفظ الكريم "خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا" بالتعريفين لكلمة "نفس"؟ ويأتي هذا اللفظ الكريم بكلمة "جَعَلَ" أيضاً في الآية الكريمة التالية:

فَاطُرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۗ يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٤٢﴾ (الشورى، ٤٢: ١١)

فالمعنى الأول لـ "مِنْ أَنْفُسِكُمْ" واضح، وهو أن الله ﷻ خَلَقَ لنا زوجات أو أزواجاً مثلنا من سلالة آدم ﷺ وحواء.

المعنى الثاني - وهو معنى لطيف - هو أن لكل نفس زوجة أو زوجاً معيناً مخلوقاً له أو لها خاصة (كـ "خلق" إلهي)، أو كـ "جَعَلَ" إلهي خاص فيما بعد الخَلْق، وفي هذه الحالة يمكن لنا أن نتعرف عليها أو عليه في هذه الحياة الدنيا - أو قد لا نتعرف عليها أو عليه أبداً - ولكن في الاحتمالين هذه الزوجة أو هذا الزوج مخلوق أو موجود (وفي هذا الحال يكون، "الخلق" الإلهي أتم من "الجعل" الإلهي، والله أعلم). وحسب هذا المعنى لـ "مِنْ أَنْفُسِكُمْ" يكون في اللفظ الكريم "وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا" إشارة إلى الأبدان: الأنعام تُشبه أجسام الناس في اقتصارها على وظائف الحياة الطبيعية كالمأكول والمشرب (وبالتالي تشبه أيضاً الكفار الذين ليس لهم همٌّ إلا إشباع رغبات أجسامهم). يقول الله ﷻ:

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ۗ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ
 أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ
 هُمُ الْعَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ (الأعراف، ٧: ١٧٩)

... وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ (محمد، ٤٧: ١٢)

فإذاً في زواج الأنعام إشارة إلى الزواج بين الناس الذين يغلب عليهم إشباع رغبات الأجسام، ولم يكن فيهم حب حقيقي أو قلوب تفقه وتذكر الله ﷻ. وفي هذه الحالة يكون في اللفظ الكريم "يَذَرُوكُمْ فِيهِ" (الشورى، ٤٢: ١١) إشارة إلى وضع النفوس والأرواح في أجسام الناس: بمعنى آخر يُفهم من هذا أن الله ﷻ ذرأ الأرواح والنفوس التي كانت قبل خلق الأجسام ووضعها في هذه الدنيا في أبدان من مادة تشبه الأنعام، في هذه الحياة الدنيا، والله أعلم.

الفائدة من هذه الإشارة هنا أنه بين بعض الناس وبعض الأزواج والزوجات علاقة تامة بحيث إن الشخصين يكمل بعضهما بعضاً، فكأنهما شخص واحد أو نفس واحدة - وهنا يمكن لنا أن نسميهما "أزواج النفس" - بينما نجد بين بعض الناس سكوناً ومودة ورحمة من دون أن تكون العلاقة علاقة تامة ومكتملة حتى بين زوج وزوجة متزوجين منذ فترة طويلة، والله أعلم.

(ب) يُخْبِرُنَا اللَّهُ ﷻ أَنَا نَسْكُنُ "إلى" أزواجنا، وتطرقنا لمعنى كلمة "إلى" أنفاً، ونزيد هنا أن الفخر الرازي يقول فيها في تفسيره الكبير:

"يُقال "سكن إليه" للسكون القلبي ويقال "سكن عنده" للسكون الجسماني، لأن كلمة "عند" جاءت لظرف المكان وذلك للأجسام و"إلى"

للغاية وهي للقلوب "١٥٥". يقول الله ﷻ:

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّيْهَا
حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَلَاحًا

لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٥٥﴾ (الأعراف، ٧: ١٨٩)

(ج) يُخِيرُنَا اللَّهُ ﷻ أنه جعل بيننا "مَوَدَّة"، وستحدث فيما بعد إن شاء الله
عن معنى "المودة" كنوع من أنواع الحب، ولكن يكفي هنا أن نلاحظ بأن
"المودة" ليست حباً وحاجة جسمانية، بل هي نوع من أنواع "الحب
الودّي". فالله ﷻ يقول:

وَلَئِنْ أَصَبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ
مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ (النساء، ٤: ٧٣)

(د) يُخِيرُنَا اللَّهُ ﷻ أنه جعل بيننا "رَحْمَةً". وقد سبق أن تحدثنا عن معنى
"الرحمة" وعلاقة "الرحمة" بـ"الرَّحِم"، ويكفي هنا القول إن "الرحمة"
أيضاً ليست حباً وليست حاجة جسمانية.

وأخيراً، في الآية الكريمة التالية، التي يصف فيها الله ﷻ الزوجة
الصالحة، ويلاحظ في هذا الوصف أن معظم الصفات هي صفات نفس
الزوجة وطبيعتها غير الجسمانية، الأمر الذي يؤكد على الحب غير الجسماني
في الزواج. يقول الله ﷻ:

عَسَىٰ رَبُّهُدَّ إِن طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُدَّ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ مُتَمَنِّنَةً مِّنْتِ قَدِئْتِ تَبَيَّنَتْ
عَبْدَاتٍ سَتِيحَنَّتِ تَبَيَّنَتْ وَأَبْكَارًا ﴿٦٦﴾ (التحریم، ٦٦: ٥)

فالخلاصة هي إن الله ﷻ في الآية الكريمة أنفة الذكر (من سورة الروم) بين أن في الزواج حباً يمكن له أن يكون مجرداً من كل علاقة جسمانية، وأن الزوجين كليهما بحاجة لهذا الحب من ناحية نفسية طبيعية.

ونرى آثار هذا الحب في دعاء الآية التالية:

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ

إِمَامًا ﴿٧٤﴾ (الفرقان، ٢٥: ٧٤)

كما نرى أيضاً آثار هذا الحب بـ "المعروف" كما في الآية التالية:

أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُمْ لِنَصِيْقُوا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنْ أُولْتِ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِمْ حَتَّىٰ يَضَعَنَّ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمُ فَسْتَرضِعْ لَهُ أٰخْرٰى ﴿٦٥﴾ (الطلاق، ٦٥: ٦٥)

المطلب الثالث: الحب الزوجي الجنسي

ما هو الذي يجعل الحب الزوجي والعلاقة الزوجية مختلفة تماماً عن سائر أنواع الحب الأخرى؟ الجواب هو أنه يوجد في الحب الزوجي مشاركة من جسم بني آدم، سواء كان ذكراً أو أنثى. ففي الحب العائلي وحب المؤمنين والأصدقاء لا توجد مشاركة بين أجسام بني آدم، بينما في الحب الزوجي يتلامس الزوجان ويختلط جسما الزوج والزوجة. وبمعنى آخر، سائر أنواع الحب الأخرى هي حب بين النفوس، بينما الحب الزوجي هو حب بين النفوس والأبدان معاً. والله ﷻ وصف أو أشار إلى مكونات وأسرار هذا الاحتكاك بين الأجسام في العلاقة الزوجية في آيات عدة. ويكفي هنا - بما أن هذا الموضوع له خصوصية معينة - أن نذكر رموز هذه الأسرار. يقول الله ﷻ:

وَلَا تَمْدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَهُمْ فِيهِ وَرِزْقٌ

رَبِّكَ حَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٣﴾ (طه: ٢٠٠) (١٣١)

نفهم من هذه الآية أولاً أن في الزوجة جمالاً - لأن الزهرة جميلة -
وثانياً نفهم من هذه الآية أن في الزواج حباً وبهجة - لأن الزهرة تجذب
الحبّ والبهجة. ونفهم أيضاً من كلمة "مَتَعْنَا" أن في الزواج متعة معيّنة.
يقول الله ﷻ:

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ۖ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا
وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ ۚ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ
فَقَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ ۚ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ (النساء: ٢٤)

ونفهم من هذه الآية أنه يوجد في العلاقة الجنسية، بالإضافة إلى
"المتعة" التي ذكرناها، "استمتاع". ويقول الله ﷻ:

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أذى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ
حَتَّى يَطْهَرْنَ ۚ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ
الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٠٣﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ۚ وَقَدِمُوا لأنفُسِكُمْ
وَأَتَقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوَةٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠٤﴾ (البقرة: ٢٢٢-٢٢٣)

ومن لفظ "حَرْثٌ لَكُمْ" نفهم أمرين: الأمر الأول هو الخصوبة
للزراعة، والأمر الثاني هو الرموز الجنسية في الحرث والأرض التي يحرثها
المحراث. ونفهم من لفظ "أَنَّى شِئْتُمْ" أنه يوجد في العلاقة الجنسية رغبة معيّنة
وحرية معيّنة في إشباعها. ومن هنا تأتي المتعة والاستمتاع اللذان ذكرناهما
أعلاه. وتكون هذه الرغبة بطبيعة الحال قوية، وفي هذه الحالة تكون الرغبة
"هَمًّا". يقول الله ﷻ:

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رءَا بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ

وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ (يوسف، ١٢: ٢٤)

ولشدة هذا "الهم" أحل الله الرث في ليالي رمضان، بعدما كان

الصحابة ﷺ يمتنعون عنه. يقول الله ﷻ:

أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْأَن بَشِرْوهُنَّ وَأَتَّبِعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرْوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَنْكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ

يَتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ (البقرة، ٢: ١٨٧)

ونفهم من كلمة "لباس" أمرين أيضاً: الأمر الأول هو "السترة" التي تأتي مع اللباس، والأمر الثاني هو مس واحتكاك أعضاء الجسم الذي يأتي أيضاً مع اللباس. فإمكانية إشباع الرغبة، وإمكانية المتعة والاستمتاع في العلاقة الجنسية في الزواج، يأتي كـ"لباس" للزوجين يستر حاجتهما الطبيعية. يقول الله ﷻ:

وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا

﴿١٥٦﴾ (النساء، ٤: ٢١)

١٥٦ يقول الإمام الراغب عن كلمة "أَفْضَى":

"الفضاء: المكان الواسع ومنه أفضى بيده إلى كذا وأفضى إلى امرأته في الكناية أبلغ وأقرب إلى التصريح من قولهم خلا بها قال: وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وقول الشاعر:

طعامهم فوضى فضا في رحالهم

أي مُباح كأنه موضوع في فضاء يفيض فيه من يُريده". الراغب الأصفهاني، المفردات

في غريب القرآن، ص ٣٨٣.

فنفهم من اللفظ الكريم " **وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ** " أنه في العلاقة الجنسية أولاً أمر يُفضي الزوج والزوجة (من مائهما)، وثانياً " **فَضَاءٌ** " للزوج والزوجة: بمعنى آخر، العلاقة الجنسية فيها تفرغ وتثمّ انبساط وراحة. والله ﷻ يبيّن أن العلاقة الجنسية تولد صلة معيّنة ولا يمكن إبطال أثرها حتى بعد انتهاء العلاقة نفسها أو الزواج وأن هذه الصلة تستوجب المعروف والاحترام للأبد؛ ومن هنا يسأل الله ﷻ:

وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ ... (النساء، ٢١).

لكن لهذه الأمور - وبالأحرى التعلّق الزائد بهذه الأمور - خطورة معيّنة على العبد الذي ينبغي عليه أن يتذكّر الله ﷻ واليوم الآخر أكثر من الدنيا، فيقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ؕ وَإِنْ

تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ (التغابن، ٦٤: ١٤)

وخلاصة القول هنا هو أن في القرآن الكريم بياناً لطيفاً للحاجات الجسمانية الطبيعية وللرغبة في الحبّ الزوجي، ووصفاً لكثير من أمور العلاقات الجنسية بين الزوج والزوجة. وبالتالي فإن الله ﷻ يأمر بالزواج في الحالات التي يكون فيها ذلك ممكناً؛ يقول الله ﷻ:

وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ؕ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ

اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ؕ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ **وَلَيْسَتَعَفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ**

اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ؕ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ

حَرِيرًا ؕ وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَيْنَاكُمْ ؕ وَلَا تَكَرَّهُوا فَتَبَيْتِكُمْ عَلَىٰ الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ

حَخْصًا لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ؕ وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴿٢٥﴾ (النور، ٢٤: ٢٢ - ٢٣)



المطلب الرابع: الحبّ الزوجي الروحي

هل في العلاقات الجنسية والجماع أمر آخر غير إنجاب الأولاد والمتعة الجسدية؟ بمعنى آخر هل في الجماع ناحية روحية وليس فقط جسدية؟ كان رسول الله ﷺ كله لله:

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ
أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٤﴾ (الأنعام، ١٦٢-١٦٣)

وكان متزوجاً، ويُحب النساء:

«حُبب إليّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة»^{١٥٧}.

ونسأوه ﷺ لسن تماماً كالنساء:

يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لَسْتَنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ۚ إِنَّ أَتَقَيَّتَنَّ فَلَا تَخْضَعَنَّ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي
فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقَلْبَنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٣﴾ (الأحزاب، ٣٣-٣٢)

فهل يفهم من هذا كله أن الرسول ﷺ كان يُحب النساء من أجل النساء فقط، أم هل كان يحبهن (ونسأوه لم يكن "كأحدٍ من النساء") من أجل الله وذكر الله؟
يقول الله ﷻ:

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۗ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّؤءَ

١٥٧ رواه البيهقي في السنن الكبرى ٧/٧٨. ورواه النسائي في السنن الصغرى رقم ٣٩٣٩ و٣٩٤٠ في كتاب عشرة النساء، بلفظ: «حُبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة»، ورواه أحمد ٣/١٢٨ و١٩٩.

وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ (يوسف، ١٢: ٢٤)

ما هو الذي أوقف النبي يوسف عليه السلام عن "الهم" بزوجة العزيز؟ الجواب هو أنه رأى برهان ربه. لكن زوجة العزيز لم تر برهان ربه، وما رأت إلا النبي يوسف عليه السلام وجماله المشهور، وبالتالي همت به بالرغم من أنها متزوجة. لكن زوجة العزيز كانت أيضاً جميلة، فما هو "برهان" رب يوسف عليه السلام الذي رآه يوسف عليه السلام؟ يُفهم من عدم ذكر أي شيء آخر في الآية أن يوسف عليه السلام رأى "برهان ربه" في ذات جمال زوجة العزيز. يقول الله تعالى:

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكَ وَأُنزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿٢٤﴾ (النساء، ٤: ١٧٤)

وكما ذكرنا سابقاً، يقول الله تعالى:

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ (التين، ٩٥: ٤)

ويقول الله تعالى:

فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَى ^ط
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ (الروم، ٣٠: ٥٠)

فهل نظر يوسف عليه السلام إلى جمال زوجة العزيز ورأى في جمالها برهان ربه الذي خلقها في أحسن تقويم، فتذكر الله تعالى فامتنع عن "الهم" بها؟ فإذا كان الجواب "نعم"، فهذا يعني أنه يمكن أن يكون في الجمال الجسمي تذكّر الله يُبعد الذاكر تماماً عن "الهم" الجسمي. وهذا يعني بدوره أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو الأسوة الحسنة "لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا" (الأحزاب، ٣٣: ٢١) - كان يرى "برهان ربه" في زوجاته. والله أعلم، ولكن ربما يكون هنا إشارة في القرآن الكريم إلى أن في النظر إلى جمال الجسم حالة روحية في بعض الأحيان. فربما نفهم هذا تماماً من قول الله تعالى بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ^ط وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ^ط كَأَنْهُمْ خَشَبٌ مُسْنَدَةٌ ^ط

نَحْسِبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنَقَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ (الماضرون، ٦٣: ٤)



يقول الله ﷻ:

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أذى فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٠٣﴾ نِسَاءُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأْتُوا حُرَّتَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠٤﴾ (البقرة، ٢: ٢٢٢-٢٢٣)

يُلاحظ من نصوص القرآن الكريم أن اللقاء مع الله ﷻ هو في الآخرة: ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ (الأنعام، ٦: ١٥٤)

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَبِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٥٨﴾ (يونس، ١٠: ٤٥)

لكن جاء في ثلاث آيات أخرى أنه ليس واضحاً إذا كان اللقاء المقصود هو في الآخرة فقط أم هو في الدنيا أيضاً، والله أعلم. يقول الله ﷻ:

يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْئِقِيهِ ﴿٨٤﴾ (الانشقاق، ٨٤: ٦)

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي

١٥٨ انظر أيضاً إلى: البقرة، ٢: ٤٦؛ التوبة، ٩: ٧٧؛ يونس، ١٠: ٧؛ يونس، ١٠: ١١؛ يونس، ١٠: ١٥؛ هود، ١١: ٢٩؛ الرعد، ١٣: ٢؛ الكهف، ١٨: ١٠٥؛ الكهف، ١٨: ١١٠؛ المؤمنون، ٢٣: ٣٣؛ الفرقان، ٢٥: ٢١؛ العنكبوت، ٢٩: ٥؛ العنكبوت، ٢٩: ٢٣؛ الروم، ٣٠: ٨؛ الروم، ٣٠: ١٦؛ السجدة، ٣٢: ١٠؛ السجدة، ٣٢: ١٤؛ السجدة، ٣٢: ٢٣؛ الزمر، ٣٩: ٧١؛ فصلت، ٤١: ٥٤؛ الجاثية، ٤٥: ٣٤.

وَمَنْ لَمْ يَطْعَمُهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۖ فَتَرَبُّوا مِنِّي إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۗ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلْقُوا بِاللَّهِ كَمَ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ ۗ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٢١﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٢٢﴾ (البقرة: ٢٤٩-٢٥٠)

والآية الثالثة هي الآية التي سبق أن ذكرناها:

نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ۗ وَقَدِمُوا لأنفُسِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلْقَوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٣﴾ (البقرة: ٢٢٣)

القاسم المشترك بين هذه "اللقاءات" الثلاث في هذه الآيات الثلاثة هي أنها مذكورة بعد نوع من أنواع الهلاك: في الآية الأولى الـ "كذح" مذكور قبل لقاء الله ﷻ؛ في الآية الثانية لقاء الله ﷻ مذكور قبل معركة، وفي الآية الثالثة لقاء الله ﷻ مذكور بعد الجماع. فما معنى هذا؟ هل هناك إشارة إلى أنه يوجد في الهلاك لقاء الله ﷻ، وأن في الجماع - وفي نشوة الجماع و"الإفشاء" كما رأينا - نوعاً من أنواع الهلاك؟ وإن لم يكن هناك إشارة لهذا، فلماذا ذكر الله لقاءه بعد الجماع "أَنَّى شِئْتُمْ"؟ وهل هذا كله إشارة إلى أنه يوجد في الجماع أحياناً - وبفضل الله ولمن يشاء - حالة روحية في الجماع؟ على أية حال، لو كان هذا صحيحاً فهذا اللقاء ليس كلقاء الآخرة، لأن الله ﷻ يقول:

فَاطِرُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ۗ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجًا وَمِنَ الْاَنْعٰمِ اَزْوَاجًا ۗ يَذُرُّكُمْ فِيْهِ لَيْسَ كَمِثْلِهٖ شَيْءٌ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٤٢﴾ (الشورى: ٤٢)

ففي هذه الآية يأتي في القرآن الكريم - بعد ذكر الأزواج - نفي شديد لتشبيه الله بخلقه وهو قوله ﷻ: "لَيْسَ كَمِثْلِهٖ شَيْءٌ". وهذا يعني أنه حتى

لو وجدت حالة روحية في الجماع، فهي لا تُشبه اللقاء مع الله في الآخرة، والله أعلم.

وهذا كله لنقول إنه ربما يوجد في القرآن الكريم إشارة إلى حالة ذكر الله ﷻ في النظر المشروع إلى جمال جسم الآخر، كما أنه ربما يوجد في القرآن الكريم إشارة إلى احتمال أو إمكان وجود حالة روحية في الجماع، والله أعلم.



المطلب الخامس: الحفاظ على الحب الزوجي

ناقشنا بشكل مفصل الـ "مَوَدَّة" والـ "رَحْمَةٌ" (الروم، ٣٠: ٢١) التي جعلها الله ﷻ بين الأزواج. يبقى أن نقول إنه يجب رعاية المودة والرحمة والمحافظة عليهما بعناية وتأن. والله ﷻ يذكر في القرآن الكريم دعاء المؤمنين:

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ

إِمَامًا ﴿٢٥﴾ (الفرقان، ٢٥: ٧٤)

إذاً، فيجب على المؤمنين أن يرغبوا في الحفاظ على حبهم الزوجي وفي أن يستمروا بحب أزواجهم (حتى في الآخرة، وسنناقش هذا في الباب الخامس إن شاء الله). وللحفاظ على الحب الزوجي بغض النظر عن الجمال الجسماني (وحتى بعد تلاشي الجمال الجسماني)، فيجب المحافظة على جمال النفس وممارسة الأفعال الجميلة والمواظبة عليها بين الزوج والزوجة. فالجمال الداخلي يمكنه - بل يجب أن يكون - تعويضاً أكثر من كافٍ عن نقص الجمال الجسماني أو عن فقدانه الحتمي مع الزمن.

وفي القرآن الكريم أمر الله ﷻ الأزواج بالالتزام بعشر مبادئ (على الأقل) والحرص عليها: (١) المعروف؛ (٢) الإحسان؛ (٣) الفضل؛ (٤)

التشاور؛ (٥) التراضي؛ (٦) العدل والقسط؛ (٧) لا ضرر؛ (٨) إقامة الحدود التي حددها الله ﷻ ولا اعتداء عليها؛ (٩) لا ضيق؛ (١٠) الولاية. وهذا موضوع واسع ومهم جداً - وله أهمية قصوى في الأداء المتآلف للعائلة المسلمة وللمجتمع الإسلامي. وقد كتب غيرنا الكثير من الكتب المفصلة عن هذا الموضوع المهم فلن نطيل النقاش فيه هنا.

إن التأكيد على المعروف في الزواج - وحتى في الطلاق - الذي أمر به الله ﷻ في القرآن الكريم مهم جداً. في الآيات الكريمة التالية، يذكر الله ﷻ "المعروف" عشر مرات، بالإضافة إلى: (٢) "الإحسان" - مرتين؛ (٣) "الفضل"؛ (٤) "التشاور"؛ (٥) "التراضي" - مرتين؛ (٦) "العدل" و/أو "القسط" - وهذا واضح من خلال المبادئ الموحاة في كلماته ﷻ: "لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا" و"وَهَنٌ مِّثْلُ الَّذِي عَلَيْنَ بِالْمَعْرُوفِ"؛ (٧) "لا ضرر" - مرتين؛ (٨) "إقامة الحدود" التي حددها الله ﷻ "ولا اعتداء عليها" - تسعة مرات؛ (٩) "لا ضيق" - وهذا واضح من خلال المبدأ الموحى في كلماته ﷻ: "فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ...":

وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۗ وَهَنٌ مِّثْلُ الَّذِي عَلَيْنَ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣١﴾
 الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ ۖ فَمِاسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۗ فَإِنْ خِفْتُمَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۗ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٢﴾
 فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۗ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۗ

وَبَلَكَ حُدُودَ اللَّهِ يَبِيئُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبَعْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَحوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تَمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِيَتَعَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ لِيُعْظِمَكُمْ بِهِ ؕ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبَعْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضَلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ؕ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ؕ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرٌ ؕ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ * وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمَّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ؕ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ؕ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ ؕ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ؕ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِثْلَهَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ؕ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ؕ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٠٣﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ؕ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ؕ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ؕ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا ؕ وَلَا تَعْرِمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ؕ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ؕ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠٥﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ ؕ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَيَصِفُ

مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُورَ أَوْ يَعْفُورَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ۚ وَأَنْ تَعْفُورًا أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ (البقرة، ٢: ٢٣٧-٢٣٨)

وهذه المبادئ نفسها واضحة أيضاً في الآيات التالية وغيرها:

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ
لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يُخْرَجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ
اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا
﴿٢٣٨﴾ فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلُهَا فَمَسْكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ
مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ ۚ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ
وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۚ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۚ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّتِي يَسِئْنَ مِنْ
الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِيضْنَ ۚ وَأُولَاتُ
الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۚ ﴿٢٤٠﴾ ذَلِكَ أَمْرٌ
اللَّهُ أَنْزَلَهُ ۚ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ۚ ﴿٢٤١﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ
حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمَلٍ
فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ
بِمَعْرُوفٍ ۚ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَمَسْرُوعٌ لَهُ ۚ أُخْرَىٰ ۚ ﴿٢٤٢﴾ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ۚ وَمَنْ قُدِرَ
عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۚ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ
عُسْرٍ يُسْرًا ۚ ﴿٢٤٣﴾ (الطلاق، ٦٥: ٧-١)

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ۚ وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ
مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ

فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ اسْتَبْدَالَ زَوْجَ مَكَاتٍ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ فِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَنَا خُذُونَهُ بِهْتِنَا وَإِنَّمَا مِئِينَا ﴿٢٢﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذتَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢٣﴾ (النساء، ٤: ١٩-٢١)

والعدالة المتساوية لكلا الزوجين أيضاً واضحة في قواعد التحكيم التالية المذكورة في القرآن الكريم:

وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْتَغُوا حَكْمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٥﴾ (النساء، ٤: ٣٥)

كما ينبغي علينا ذكر الآية الكريمة التي يقول فيها الله ﷻ إنه سمع امرأة تشتكي إلى الله في شأن زوجها (وفي هذا تحذير إلى الأزواج والرجال):

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٥٨﴾ (المجادلة، ٥٨: ١)

وفي الختام نذكر أيضاً "الولاية" بين الرجال والنساء المذكورة في القرآن الكريم والتي تحمي الحب الزوجي والزواج والمجتمع بشكل عام، يقول الله ﷻ إنه سيرحم الذين هم "أولياء بعض":

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ (التوبة، ٩: ٧١)

وقد لخص سيدنا محمد ﷺ كل هذه المبادئ بشكل مقتضب وفصيح

حين قال: «خياركم خياركم لنسائهم»^{١٥٩}

وأيضاً قوله ﷺ :

«أفضل دينار دينارٌ ينفقه الرجل على عياله، ودينارٌ ينفقه على فرسه في سبيل

الله، ودينارٌ ينفقه الرجل على أصحابه في سبيل الله»^{١٦٠}.

١٥٩ رواه ابن حبان في صحيحه (٤٨٣/٩).

١٦٠ رواه ابن حبان في صحيحه (٥٠٣/١٠).

الحب والزنا

هل في الزنا حبّ أم هو إشباع للرغبة فقط؟ هل يمكن لنا أن نُحبّ ما لا يحبه الله ﷻ؟ الزنا أمر مذموم في القرآن الكريم، وهو معاقب عليه بعذاب شديد في الدنيا والآخرة. يقول الله ﷻ:

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٠﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۖ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ۖ وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةٌ أَبَدًا ۖ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ (النور، ٢٤: ١-٥)

ولكن بالرغم من هذا فإنه من المعروف أنه يوجد زنا كثير في العالم، حتى في المجتمعات الإسلامية، وحتى في أيام رسول الله ﷺ. فما هو الدافع للزنا الذي يجعل الزاني لا يبالي بأوامر الله ﷻ ولا بدم الناس ولا بعقوبة الشرع؟ يقول الله ﷻ:

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۖ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُحْصِينَ ﴿٢٤﴾ (يوسف، ١٢: ٢٤)

وبعد "اهم" بيوسف ﷺ، قامت امرأة العزيز بالفعل التالي:

وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ (يوسف، ١٢: ٢٥)

وحتى بعد فُشْلِهَا وفضحها بقيت مصرة على نيتها وبقيت تخطط للأمر
نفسه حتى أمام نسوة المدينة:

قَالَتْ فَذَلِكَ الَّذِي لُمْتَنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ۖ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ
مَاءَ أُمْرَةٍ لِّيَسْجَنَنَّ وَلْيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٢﴾ (يوسف، ١٢: ٢٢)

فستنتج من هذا كله أنه لو وجد "هم" (وبالتالي رغبة جسدية) فما
الذي يدفع امرأة العزيز إلى هذا التصرف؟ هناك شيء آخر أيضاً، لأن الرغبة
الجسدية تخف أحياناً بمرور الزمن ومع الخوف، ولكن تلك المرأة بقيت على
تعلقها بيوسف ﷺ حتى بعدما سُجِنَ ﷺ بضع سنين:

ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴿٥٢﴾ (يوسف، ١٢: ٥٢)

فهذا يعني أنه لا يوجد "هم" ورغبة جسدية فقط تدفع امرأة العزيز؛
بل يوجد كذلك ما يدفعها إلى ذلك وهو شيء من الميل إلى الجمال، وبالتالي
من الحب، حسب تعريفنا. ويقول الله ﷻ:

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا
(النساء، ٤: ٢٧) ﴿٢٧﴾

جاء في تفسير الجلالين، عن هذه الآية الكريمة:

" (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ) كرهه لئبني عليه (وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الشَّهَوَاتِ) اليهود والنصارى أو المجوس أو الزناة (أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا)
تعدلوا عن الحق بارتكاب ما حُرِّمَ عليكم فتكونوا مثلهم "١١١.

فبين الله ﷻ هنا أنه يوجد في الزنا "الشَّهَوَاتِ" و"مَيْلًا عَظِيمًا"،
وبمعنى آخر، يوجد حبّ بالإضافة إلى الشهوة والرغبة الجسمانية في الزنا.
وهذا واضح أيضاً في استعمال كلمة "حب" في قوله ﷻ:

١٦١ جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص ١٠٥.

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسُومَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ
عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ ﴿١٤﴾ (آل عمران، ٣٠: ١٤)

فمن هنا تأتي الخطورة العظيمة في الزنا ("عَظِيمًا"): الزنا ليس فاحشة
فحسب، لكنه حبّ غير مشروع يسحبُ صاحبه بكل شدة الحبّ إلى دائرة
عواطف وأفعال تُبعد الزاني عن الهدى والصراط المستقيم بشكل دائم
ومستمر. والله ﷻ حذّر من هذه الخطورة:

وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿١٧﴾ (الاسراء، ١٧: ٣٢)

من خلال اللفظ الكريم "وَسَاءَ سَبِيلًا"، يؤكد الله ﷻ قوة الحبّ غير
المشروع وخطورته على نفس الزاني (أو الزانية) وآخرفته. ويصبح هذا الحبّ
أحياناً حباً غامراً كأنه عبادة، ومع هذا لا يمكن لهذا الحبّ أن يصل درجة
العبادة الحقيقية لله ﷻ. فيقول الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ
حُبًّا لِلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ (البقرة، ٢: ١٦٥)

فنرى هنا أن الإنسان يمكن أن يُحب شيئاً لا يحبه الله ﷻ، ويمكن أن
يُحب هذا الشيء حباً شديداً، ولو كان شراً له ولحُبوبه^{١٦٦} (وهذا هو حال
الزاني تماماً). يقول الله ﷻ:

... وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ

١٦٦ فالحب غير المشروع يؤدي المحب، ويمكن أن يؤدي - بعواقب أبدية قد تؤثر على حياته
في الآخرة - المحبوب الذي يحبه أو يدّعي بأنه يحبه (وبالتالي ينبغي أن يريد الأفضل له).
وهكذا فليس كل الحبّ يفيد المحبّ أو المحبوب! بعض أنواع الحبّ قد تدمرها أبداً.

يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ (البقرة، ٢: ٢١٦)

" وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ " : فليحذر الزاني من حبه، وليبتعد المؤمن من الإعجاب الذي قد يؤدي إلى الزنا أو إلى ما لا يُرضي الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ^٤ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا أَعْجَبْتُمْ^٥ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا^٦ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا أَعْجَبَكُمْ^٧ أَوْلِيَّكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ^٨ وَيُبَيِّنُ^٩ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ

يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ (البقرة، ٢: ٢٢١)

وأخيراً، فليلتزم الزاني والزانية ما أحبه الله ﷻ لهما، لأن حبَّ الله ﷻ لا يُضِلُّهما عن مصلحتهما الحقيقية، ولكن حبهما يمكن أن يُضِلُّهما. يقول الله ﷻ عن الزوجات:

... وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ^٤ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ

حَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ (النساء، ٤: ١٩)

٢٠. الباب الثالث؛ الفصل التاسع:

الحب والنظر

إن المؤمن قد يظهر لديه حقيقة إنسان آخر إما في وجه هذا الإنسان وإما في قوله. قال الله ﷻ:

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَاعْرِفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ^٤ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ^٥ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

أَعْمَلَكُمْ^٦ (محمد، ٤٧: ٣٠)

وقال رسول الله ﷺ:

«اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»^{١٦٣}.

هذا هو الحال بشكل عام لدى المؤمنين، ولكن هناك شيء خاص وسر عظيم في عيني الإنسان يمكنه أن: (١) يعبر عن الحب، أو (٢) أن يوَلِّد الحبَّ عند الناظر نفسه^{١٦٤}، أو (٣) أن يُولِّد الحبَّ في من ينظر في عيني الآخر. وبمعنى آخر فإنه يمكن أن: (١) يرى الآخرون الحبَّ في عيني الإنسان؛ (٢) أو أن يدخل الحبَّ إلى نفس وقلب الإنسان من خلال عينيه، و(٣) ربما تولِّد العينان حباً في شخص آخر إذا التقت العيون. فقد أشار الله ﷻ إلى كل هذا الموضوع في قوله ﷻ:

يَعْلَمُ خَائِبَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ^٧ (غافر، ٤٠: ١٩)

١٦٣ رواه الترمذي، رقم ٣١٢٧، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحجر.

١٦٤ ونرى أيضاً في قول الله ﷻ أن السعادة واللذة قد تأتي من النظر. يقول الله ﷻ:

قَالُوا آذَعْ لَنَا رَبِّكَ بَيْنَ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ^٨ (البقرة، ٢)

(٦٩:

يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ^٩ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ^{١٠} وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^{١١}

(الزخرف، ٤٣: ٧١)

فالعيون تخون الحبّ الذي في النفس وفي القلب وتظهره، وهذا الحبّ قد يوَلِّدُ حباً آخر عند التّقاء العيون بأعين أخرى. ومن هنا نفهم الحديثين الشريفين:

عن ابن مسعود وحذيفة قال رسول الله ﷺ:

«النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه»^{١٦٥}.

وعن سيدنا علي كرم الله وجهه قال رسول الله ﷺ:

«يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة»^{١٦٦}.

ومن ناحية أخرى فقد جاء عن المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال الرسول ﷺ:

«انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»^{١٦٧}.

ومن هنا قد نفهم أهمية غض البصر^{١٦٨} الذي أمر الله ﷻ المؤمنين والمؤمنات به في قوله ﷻ:

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ

١٦٥ رواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، المستدرک، رقم ٣٤٩/٤، والطبراني في المعجم الكبير، رقم ١٧٣/١٠.

١٦٦ رواه الترمذي، رقم ٢٧٧٧، في كتاب الأدب، باب ما جاء في نظرة المفاجأة وحسنه، ورواه ابن حبان، في صحيحه، رقم ٣٨١/١٢.

١٦٧ رواه الترمذي وحسنه برقم (١٠٨٧) في كتاب النكاح، باب ما جاء في النظر إلى المخطوبة.

١٦٨ تظهر قوة الأعين وخطورتها من ناحية أخرى وهي الحسد أو "العين". فقال الله ﷻ:

وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (الفلق، ١١٣: ٥)

وقال رسول الله ﷺ: «العين حق». (رواه البخاري، رقم ٥٧٤٠، كتاب الطب، باب العين حق).

بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣١﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۗ وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۗ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوَاتِ النِّسَاءِ ۗ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ ۗ مِن زِينَتِهِنَّ ۗ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا ۗ إِنَّهُ الْمُسْتَمِرُّ ﴿٣٢﴾ (النور، ٢٤: ٣٠-٣١)

وكذلك أوصى الله ﷺ رسوله ﷺ بالتالي:

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا لِنَفْسِهِمْ فِيهِ ۗ وَرِزْقُ رَبِّكَ حَازِمٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٦﴾ (طه، ٢٠: ١٣)

لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ۗ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ (الحجر، ١٥: ٨٨)

وأخيراً نقول إن للأعين دوراً خاصاً في الحب يجعلها كنافذة للنفس وللقلب بحيث يدخل ويخرج الحب منها ويظهر هذا الحب عليها كما يظهر حبّ العبد لله على العبد حسب ما ذكرناه سابقاً في باب "أثر حبّ الله ﷻ على الإنسان"، والله أعلم.

الباب الرابع: الحب

٢١. الباب الرابع؛ الفصل الأول:

أنواع الحب

ذَكَرَ اللهُ ﷻ أنواعاً عديدة من الحبِّ في القرآن الكريم^{١٦٩}، (مع اعتبار

أنواع الحبِّ عند العلماء

١٦٩

ما نذكره أعلاه هو تخريج أنواع الحبِّ من القرآن الكريم وتعريفه لغوياً، ولكن لا يفوتنا أن نذكر ما قاله بعض العلماء في أنواع الحبِّ، مع أننا قد ذكرنا بعض ما يلي سابقاً في الهوامش.

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في الإحياء في "كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا" ص (٣٧٩): "فالحبُّ عبارةٌ عن ميل الطبع إلى الشيء المُلدِّ، فإن تأكد ذلك الميل وقوي سُمِّيَ عشقاً".

وقال (ص٤١٤): "اعلم أن من أنكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد وأن ينكر حقيقة الشوق، إذ لا يتصور الشوق إلا إلى محبوب، ونحن نثبت وجود الشوق إلى الله تعالى...".

وقال (ص٤٢١): "فإن الشوق طلب وتشوُّف إلى أمر، والموجود لا يطلب، ولكن بيانه أن الشوق لا يتصور إلا إلى شيء أدرك من وجهه ولم يُدرك من وجهه، فأما ما لا يدرك أصلاً فلا يشقائق إليه.... وقد ذكرنا أن محبة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمجاز، إذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى الشيء الموافق، والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط.... فأما حبُّ الله للعبد فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلاً.... فإذا محبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه، وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه. وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى درك هذا الكمال الذي هو مُفلس عنه فاقد له، فلا جرَم يشقائق إلى ما فاته، وإذا أدرك منه شيئاً يلتذُّ به، والشوق والمحبة بهذا المعنى مُحالٌ على الله تعالى".

وقال (ص٤٣٦): "إذا غلب عليه [المحب] الفرحُ بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصلٌ من الكشف وكان نظره مقصوراً على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت

إلى ما لم يدركه بعد؛ استبشر القلبُ بما يلاحظه فيسمى استبشاره أنساً، وإن كان نظره إلى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر إمكان الزوال والبعد تألم القلبُ بهذا الاستشعار فيسمى تألمه خوفاً. وهذه الأحوالُ تابعةٌ لهذه الملاحظات، والملاحظاتُ تابعةٌ لأسباب لا يمكن حصرها، فالأنسُ معناه استبشار القلب وفرحُه بمطالعة الجمال، حتى أنه إذا غلب وتجرّد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرّقُ إليه من خطر الزوال عظمَ نعيمه ولذته، ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له: أنت مشتاق؟ فقال: لا إنما الشوقُ إلى غائب، فإذا كان الغائب حاضراً فإلى من يشناق؟ وهذا كلام مستغرق بالفرح بما ناله غير ملتفت إلى ما بقي في الإمكان من مزايا الألفاظ .

وقال (ص ٤٤١): "اعلم أن الرضا ثمرة من ثمار المحبة، وهو من أعلى مقامات المقربين، وحقيقة غامضة على الأكثرين، وما يدخل عليه من التشابه والإيهام غير منكشف إلا لمن علّمه الله تعالى التأويل وفهمه وفقّه في الدين". (الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، مجلد ٤، ص ١٤١-٤٤١).

وقد ذكر الشيخ محيي الدين ابن عربي أن الحبّ مقام إلهي له أربعة ألقاب، كما يلي:
 "اعلم وفقك الله أن الحبّ مقام إلهي فإنه وصف به نفسه وتسمّى بالودود ولهذا المقام أربعة ألقاب: منها الحبّ وهو خلوصه إلى القلب وصفاه عن كدورات العوارض فلا غرض له ولا إرادة مع محبوبه. واللقب الثاني: الودّ وله اسم إلهي وهو الودود، والودّ من نعوته وهو الثابت فيه، وبه سمّي الودّ ودّاً لثبوته في الأرض. واللقب الثالث: العشق وهو إفراط المحبة، وكنى عنه في القرآن بشدة الحبّ في قوله: (... وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ...) (البقرة: ١٦٥) وهو قوله: (... قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ...) (يوسف: ١٢: ٣٠) أي صار حبها يوسف عليه السلام على قلبها كالشغاف وهي الجلدة الرقيقة التي تحتوي على القلب فهي ظرف له محيطه، وقد وصف الحق نفسه في الخبر بشدة الحبّ غير أنه لا يطلق على الحق اسم العشق، والعاشق والعشق التفاضل الحبّ على المحب حتى خالط جميع أجزائه، واشتمل عليه اشتعال الصماء مشتق من العشقة. واللقب الرابع: الهوى وهو استفراغ الإرادة في المحبوب والتعلّق به في أول ما يحصل في القلب وليس لله منه اسم، ولحصوله سبب، نظرة أو خبر أو إحسان، وأسبابه كثيرة، ومعناه في الخبر الإلهي الصحيح حبّ الله عبده إذا أكثر نوافل الخيرات، وكذلك اتباع الرسول فيما شرع، وهذا منزلته فينا مسمّى الهوى واختلف الناس في حدّه فما رأيت أحداً حدّه بالحدّ الذاتي بل لا يتصور ذلك، فما حدّه من حدّه إلاّ بتناجه وآثاره ولوازمه، ولا سيما وقد

أن بعضها من درجات الحب أيضاً) حسب المعاني اللغوية لتلك الألفاظ في معاجم العربية المعتبرة، ومنها ما يلي:

اتصف به الجناب العزيز وهو الله. وأحسن ما سمعت فيه ما حدثنا به غير واحد عن أبي العباس ابن العريف الصنهاجي قالوا: سمعناه يقول وقد سئل عن المحبة فقال: الغيرة من صفات المحبة والغيرة تأتي إلاّ الستر فلا تحدّ. واعلم أن الأمور المعلومات على قسمين: منها ما يحد، ومنها ما لا يحد، والمحبة عند العلماء بها، المتكلمين فيها، من الأمور التي لا تحد، فَيَعْرِفُهَا من قامت به ومن كانت صفته ولا يَعْرِفُ ما هي ولا ينكر وجودها إن الحبّ تعلق خاص من تعلقات الإرادة". (الشيخ ابن عربي، الفتوحات المكية، مجلد ٢، ص ٣١٧-٣٢٢).

قال **الأنصاري الهروي** (توفي سنة ٤٨١هـ): "وأما قسم الأحوال فهو عشرة أبواب وهي: المحبة، والغيرة، والشوق، والقلق، والعطش، والوجد، والدّهش، والهيمان، والبرق، والذوق". (الهروي، منازل السائرين، ص ٨٨).

قال **ابن العريف** (توفي سنة ٥٣٦هـ): "وأما محبة العوام فإنها تنبت من مطالعة المنة، وتنبت باتباع السنة، وتنمو على الإجابة للعناية ... وأما محبة الخواص فهي محبة خاطفة، تقطع العبارة، وتدقق الإشارة، ولا تنتهي بالنعوت، ولا تُعرف إلا بالخير والسكوت". (ابن العريف، النفائس ومحاسن المجالس، ص ٦٩٦).

قال **ابن قيم الجوزية** (توفي سنة ٧٥١هـ): "وقد اجتمعت هذه المعاني الثلاثة في الحبّ، فوضعوا له قريباً من ستين اسماً وهي: المحبة، والعلاقة، والهوى، والصبوة، والصباية، والشغف، والمقّة، والوجد، والكلف، والتئيم، والعشق، والجوى، والدنف، والشجوى، والشوق، والخلاية، والبلابل، والتباريح، والسدم، والعمرات، والوهل، والشجن، واللاعج، والاكيتاب، والوصب، والحزن، والكمد، واللذع، والحرق، والسهد، والأرق، واللّهف، والحنين، والاستكانة، والتبالة، واللوعة، والفتون، والجنون، واللّم، والحبل، والرييس، والداء المخامر، والودّ، والخلة، والحلم، والعزام، والهيام، والتدلية، والولة، والتعبّد. وقد ذكر له أسماء غير هذه وليست من أسمائه، وإنما هي من موجباته وأحكامه فتركنا ذكرها". (ابن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص ٢٠).

١. الحب:

الحب حُب، قد ذكرناه سابقاً في فصل "تعريف الحب".

٢. مَحَبَّة:

قال الله ﷻ:

... وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ (طه، ٢٠: ٣٩)

(أ) قال الراغب: " والمحبة إرادة ما تراه أو تظنّه خيراً، وهي على ثلاثة أوجه:

مَحَبَّةٌ لِلدَّةِ كَمَحَبَةِ الرَّجُلِ الرَّأْسَةَ وَمِنْهُ: **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا...**

(الإنسان، ٧٦: ٨)، ومحبة للنعف كمحبة شيء ينتفع به، ومنه: **وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّن**

اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَنَشْرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ (الصف، ٦١: ١٣)، ومحبة للفضل كمحبة أهل العلم

بعضهم لبعض لأجل العلم، وربما فسرت المحبة بالإرادة في نحو قوله ﷻ: ...

فِيهِ رِجَالٌ مُّحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ... (التوبة، ٩: ١٠٨) وليس كذلك، فإن المحبة أبلغ من

الإرادة كما تقدّم آنفاً، فكل محبة إرادة، وليس كل إرادة محبة "١٧٠".

(ب) وقال ابن منظور: " المحبة أيضاً: اسم للحب "١٧١".

(ج) وقال الزبيدي^{١٧٢}: " والحب: الوداد والمحبة "١٧٣".

١٧٠ المفردات، ص ١١٢.

١٧١ لسان العرب، ١/ ٢٨٩.

١٧٢ تاج العروس، ١/ ٣٩١.

١٧٣ مسألة: هل "الحب" و "المحبة" نفس الشيء؟

نستخلص من مراجعة كتب اللغة في مادة "حب" الفرق بين معنى الحب والمحبة، بأن الحب أبلغ من المحبة وأقوى وأعلى بدرجات، قال ابن منظور: "والحُبُّ الوداد والمحبة، وكذلك الحب بالكسر"، (ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٢٨٩). وذكر الإمام الراغب في المفردات أن معنى الحب بكسر الحاء هو "من فرط حبه"، وقال الرازي في مختار الصحاح: "والحب أيضاً المحبة وكذا الحب بالكسر، والحب أيضاً الحبيب". وعرفوا المحبة بأنها: "إرادة

٣. الاستحباب:

قال الله ﷻ:

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الْكَافِرِينَ ﴿١٧٤﴾ (النحل، ١٦: ١٠٧)

(أ) قال الراغب: "وقوله ﷻ: **يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّحِدُوا ءَابَاءَكُمْ**

وَإِحْوَانَكُمْ أُولِيَاءَ إِن اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ

الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ (التوبة، ٩: ٢٣) أي إن آثروه عليه، وحقيقة الاستحباب أن يتحرى

الإنسان في الشيء أن يُحِبَّهُ " ١٧٤ .

(ب) وقال ابن منظور: "واستحبه كأحبه، والاستحباب كالاستحسان" ١٧٥ .

(ج) وقال الزبيدي ١٧٦: "واستحبه كأحبيته، والاستحباب كالاستحسان" ١٧٧ .

ما تراه أو تظنه خيراً" وهي كما ذكروها من ثلاثة أوجه: محبة للذة، ومحبة للنعيم، ومحبة للفضل، أما الحب كما يظهر من كلامهم فهو للذات نفسها. فيتين من هذا كله أن كلمة "الحب" أقوى وأرفع من كلمة "المحبة".

على أن بعض المفسرين ذكروا أن معنى قوله ﷻ: ... **وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي** ... (طه، ٢٠: ٣٩) هو أن الله ﷻ ألقى على سيدنا موسى ﷺ مسحة جمال خاصة تجعل من رآه من الناس يحبونه، قال الفخر الرازي: "وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً حَاصِلَةً مِنِّي وَاقِعَةً بِخَلْقِي فَلِذَلِكَ أَحْبَبْتُكَ امْرَأَةً فِرْعَوْنَ حَتَّى قَالَتْ: ... **فَرُبْتُ عَيْنِي لِي وَلكَ لَا تَقْتُلُونَهُ** ... (القصر، ٢٨: ٩)، ويروى أنه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحه لا يكاد يبصر عنه من رآه ... قال القاضي: .. والمراد أن ما ذكرناه من كفيته في الخلقه يُسْتَحْلَى وَيُعْتَبَطُ فَكَذَلِكَ كَانَتْ حَالُهُ مَعَ فِرْعَوْنَ وَامْرَأَتِهِ فَسَهَّلَ اللَّهُ ﷻ لَهُ مَهْمَا فِي التَّرْبِيَةِ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ". (الفخر الرازي، التفسير الكبير مفاتيح الغيب، ٤٨/٨). وفي هذه الحالة أيضاً فإن المحبة درجة دون الحب، لأن المحبة من الناس أدنى من حب الله ﷻ، والله أعلم.

١٧٤ المفردات، ص ١١٣ .

١٧٥ لسان العرب، ١/ ٢٨٩ .

١٧٦ تاج العروس، ١/ ٣٩٢ .

٤. الرحمة:

وقد ذكرناها سابقاً في فصل " الله ﷻ والحب " .

قال الله ﷻ:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً

وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَكِرُونَ ﴿٢١﴾ (الروم، ٣٠، ٢١)

وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ (هود، ١١، ٩٠)

(أ) قال الراغب: " والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، نحو: رحم الله فلاناً، وإذا وُصف به الباري فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة، وعلى هذا روي أن الرحمة من الله إنعام وإفضال ومن الآدميين رقة وتعطف " ١٧٨ .

(ب) وقال ابن منظور: " الرحمة الرقة والتلطف ... والرحمة في بني آدم عند العرب: رقة القلب وعطفه، ورحمة الله: عطفه وإحسانه ورزقه " ١٧٩ .

(ج) وقال الزبيدي: " الرحمة: الرقة، ... وقال الحرالي: الرحمة نحلة ما يوافي المرحوم في ظاهره وباطنه، أدناه كشف الضر وكف الأذى، وأعلاه الاختصاص برفع الحجاب " ١٨٠ .

١٧٧ مسألة: كيف يعتبر " الاستحباب " نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من تعريف العلماء أعلاه للاستحباب أنه تحريُّ الإنسان في الشيء لكي يحبه وقد جاء في كلام ابن حزم حيث قال: " فترى الناظر لا يطرف، يتنقل بتنقل المحبوب، وينزوي بانزواته، ويميل حيث مال " . (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٣) .

١٧٨ المفردات، ص ١٩٧ .

١٧٩ لسان العرب، ١٢ / ٢٣٠ .

١٨٠ تاج العروس، ١٦ / ٢٧٤ .

٥. الرأفة:

قال الله ﷻ:

ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۗ فَفَاتِنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۗ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ (الحديد، ٥٧: ٢٧)

الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾ (النور، ٢٤: ٢٤)

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ (التوبة، ٩: ١٢٨)

(أ) قال الراغب: "الرأفة الرحمة وقد رُوِّفَ فهو رُوْفٌ ورُوْفٌ ... قال ﷻ: ... وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ... " ١٨١ .

(ب) وقال ابن منظور: "الرأفة الرحمة، وقيل: أشد الرحمة ... ومن صفات الله ﷻ الرؤوف وهو الرحيم لعباده العطوف عليهم بالطفاهم والرأفة أخص من الرحمة وأرق" ١٨٢ .

(ج) وقال الزبيدي ١٨٣: "والرأفة: أشد الرحمة أو أرقها كما في الصحاح، والذي في المجمل: أنها مطلق الرحمة وأخص ولا تكاد تقع في الكراهية، والرحمة قد تقع في الكراهية للمصلحة. وقال الفخر الرازي: الرأفة مبالغة في رحمة مخصوصة ... وما يستدرك عليه: الرؤوف من الأسماء الحسنى هو

١٨١ المفردات، ص ١٨٩ .

١٨٢ لسان العرب، ٩/ ١١٢ .

١٨٣ تاج العروس، ١٢/ ٢٢١ .

الرحيم لعباده العطوف عليهم بألفاظه، وتراءفَ الوالد بولده " ١٨٤ .

٦. الوُد:

قال الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٦١﴾ (مريم، ١٩: ٩٦)

(أ) قال الراغب: " الوُدُّ: حُبَّةُ الشَّيْءِ وَتَمَنِّي كَوْنِهِ، وَيَسْتَعْمَلُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمَعْنِيِّينَ، عَلَى أَنَّ التَّمَنِّيَّ يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الْوُدِّ، لِأَنَّ التَّمَنِّيَّ هُوَ تَشْبُهِي حَصُولِ مَا تَوَدُّهُ " ١٨٥ .

(ب) وقال ابن منظور: " الود مصدره المودة. وقال ابن سيده: الودّ الحبّ يكون في جميع مداخل الخير " ١٨٦ .

(ج) وقال الزبيدي: " الودّ والوداد الحبّ والصدّاقة، ثم استعير للتّمني، وقال ابن سيده: الودّ الحبّ يكون في جميع مداخل الخير " ١٨٧ .

٧. المودّة:

قال الله ﷻ:

وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ (الروم، ٣٠: ٢١)

١٨٤ مسألة: كيف تعتبر "الرأفة" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من كلام العلماء أعلاه وتعريفهم للرأفة أنها: أخصّ من الرحمة وأرقّ، والرحمة رقة تقتضي الإحسان والعطف، وعادة تتلازم الرقة مع المحبّة لأنه يبعد أن يراف الإنسان بمن يكرهه ولا يحبه، بل إن المحبوب للقلب تجد له في القلب رحمة ورأفة.

١٨٥ المفردات، ص ٥٣٢ .

١٨٦ لسان العرب، ٣/ ٤٥٣ .

١٨٧ تاج العروس، ٥/ ٣٠٤ .

... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ... (النورى، ٤٢: ٢٣)

(أ) قال الراغب: "وفي المودة التي تقتضي المحبة المجردة ... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ

أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ... قال بعضهم مودة الله لعباده هي مراعاته لهم " ١٨٨ .

(ب) وقال ابن منظور: "الودّ مصدره المودة ... وقيل إنها سميت بالمودة التي

هي المحبة" ١٨٩ .

(ج) وقال الزبيدي: "سميت بالمودة التي هي المحبة" ١٩٠ .

٨. الوداد:

قال الله ﷻ:

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ
كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ
الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٨﴾

(المجادلة، ٥٨: ٥٨)

(أ) قال الراغب: "الودّ محبة الشيء ... وقوله ﷻ: لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ...، فنهى عن موالاته الكفار وعن

مظاهرتهم" ١٩١ .

(ب) وقال ابن منظور: "قال ابن الأنباري: الودود في أسماء الله عز وجل

١٨٨ المفردات، ص ٥١٧ .

١٨٩ لسان العرب، ٣/ ٤٥٣ .

١٩٠ تاج العروس، ٥/ ٣٤ .

١٩١ المفردات، ص ٥١٦ .

الحُبُّ لعباده من قولك وَدَدْتُ الرجلَ أَوْدَهُ وَدًا ووداداً ووداداً " ١٩٢ .

(ج) قال الزبيدي: " وَدَادَةٌ بكسر الواو كما صرَّحَ به ابنُ السيد في المثلث وحكى غيرُهُم فيه الضَّمُّ أيضاً فيكون مُثَلَّثاً كالوَدَادِ قاله شيخُنَا. قلت: وفي الأفعال لابن القطّاع: وَدَدْتُ الشَّيْءَ وَدًا وودًا: أَحَبَبْتُهُ ولو فَعَلَ الشَّيْءَ وَدَادَةً أَي تَمَنَيْتُهُ هذا كلامُ العَرَبِ ووَادٌ فُلَانٌ فُلَانًا ووداداً وودادَةً فَعَلُ الأثْنينِ. فظَهَرَ منه أَنَّ الوَدَادَ بالكسر والوَدَادَةَ والوَدَادَةَ بالفتح والكسر مصدرُ وَادَهُ أَي بابِ المفاعلة " ١٩٣ .

٩. الإرادة:

قال الله ﷻ:

وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبِعُولَتِهِنَّ أَوْ بَرَدِهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَّمِنَ بِالْعُرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

(البقرة، ٢: ٢٢٨)

(أ) قال الراغب: " والإرادة في الأصل قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل، وجُعِلَ اسماً لنزوع النفس إلى الشيء مع الحكم فيه بأنه ينبغي أن يفعل أو لا يُفعل، والمرادة أن تنازع غيرك في الإرادة فتريد غير ما يريد... قال ﷻ: ... هِيَ رَوَدَّتِي عَنْ نَفْسِي ... وقال ﷻ: ... تَرَوَدُ فَتَنَلَهَا عَنْ نَفْسِهِ ... " ١٩٤ .

(ب) وقال ابن منظور: " وأراد الشيءَ أَحَبَّهُ وعُنِيَ بِهِ " ١٩٥ .

١٩٢ لسان العرب، ٣/ ٤٥٣ .

١٩٣ تاج العروس، ٢/ ٥٢٩ .

١٩٤ المفردات، ص ٢٠٦-٢٠٧ .

١٩٥ لسان العرب، ٣/ ١٩١ .

(ج) وقال الزبيدي^{١٩٦}: " قال ثعلب: الإرادة تكون محبة وغير محبة " ١٩٧ .

١٠. الشَّغْفُ:

قال الله ﷻ:

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْنَهَا عَن نَّفْسِهِ ۗ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۗ إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤١﴾ (يوسف، ١٢: ٣٠)

(أ) قال الراغب: " شغفها حباً أي أصاب شغاف قلبها أي باطنه " ١٩٨ .

(ب) وقال ابن منظور: " الشَّغَافُ غلاف القلب وهو جلدة دونه كالحجاب وسويداؤه ... وشغفه الحبّ يشغفه شَغْفًا وشَغْفًا وصل إلى شغاف قلبه، وقرأ ابن عباس قد شَغَفَهَا حُبًّا قال: دخل حُبُّه تحت الشَّغَافِ " ١٩٩ .

(ج) وقال الزبيدي: " وفي الصَّحاح: شَغَفَهُ الحُبُّ أَي: بَلَغَ شَغَافَهُ، قلتُ: وهو قَوْلُ ابنِ السُّكَيْتِ وقال الفَرَّاءُ: أَي خَرَقَ شَعَافَ قَلْبِهِ وقرأ ابنُ عَبَّاسٍ: قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا قال: دَخَلَ حُبُّهُ تَحْتَ الشَّغَافِ وقال اللِّيثُ: أَي أصَابَ حُبُّهُ شَغَافَهَا " ٢٠٠ .

١٩٦ تاج العروس، ٣٥٨/٢.

١٩٧ مسألة: كيف تعتبر "الإرادة" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص مما قاله العلماء أعلاه في تعريف الإرادة المقترنة بالمحبة أن الإرادة كما قال

ابن منظور: " أراد الشيء أحبه وعني به " . وفي ذلك يقول ابن حزم:

" تجد المحب يستدعي سماع اسم من يحب ويستلذ الكلام في أخباره ويجعلها هجيره (أي: دأبه وعادته) ... فلو أمكن المحب ألا يكون حديث في مكان يكون فيه إلا دُكِرَ من يجبه لما تعدّاه " . (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٥-١٦).

١٩٨ المفردات، ص ٢٦٣.

١٩٩ لسان العرب، ١٧٩/٩.

٢٠٠ تاج العروس، ١٥٧/٦.

١١. الهوى:

قال الله ﷻ:

لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا ^ط كَمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ (المائدة، ٧٠)

أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ﴿٤٣﴾ (الفرقان، ٤٣)

إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ^ع إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ^ط وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴿٣٣﴾ (النجم، ٥٣، ٢٣)

بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ^ط فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ^ط وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ (الروم، ٢٩، ٣٠)

(أ) قال الراغب: "الهوى ميل النفس إلى الشهوة، وقيل سُمِّيَ بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية" ^{٢٠١}.

(ب) وقال ابن منظور: "قال ابن سيده: الهوى العشق يكون في مداخل الخير والشر" ^{٢٠٢}.

(ج) وقال الزبيدي: "والهوى بالقصر العشق، وقال الليث: هوى الضمير، وقال الأزهرى: هو محبة الإنسان للشيء وغلبته على قلبه ومنه قوله ﷻ:

"...وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ" (النازعات، ٧٩، ٤٠) أي عن شهواتها وما تدعو إليه من

المعاصي، قال ابن سيده: يكون في مداخل الخير والشر، وقال غيره: من تكلم بالهوى مطلقاً لم يكن إلا مذموماً حتى ينعت بما يخرج معناه كقولهم هوى حسن وهوى موافق للصواب" ^{٢٠٣}.

٢٠١ المفردات، ص ٥٤٨.

٢٠٢ لسان العرب، ٣٧٣/١٥.

٢٠٣ تاج العروس، ٤١٥/١٠.

١٢. الاستهواء:

قال الله ﷻ:

قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا قُلُوبَ إِبْنِ هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ (الأنعام: ٦٧)

(أ) قال الراغب: "كالذي استهوته الشياطين، أي حملته على اتباع الهوى" ٢٠٤.

(ب) وقال ابن منظور: "واستهوته الشياطينُ ذهب بهواه وعقله وفي التنزيل العزيز "كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ" وقيل استهوته استهامته وحيرته وقيل زينت الشياطينُ له هَواه حَيْرَانٌ في حال حيرته ويقال للمُستهام الذي استهامته الجنُ استهوته الشياطين. القتيبي: استهوته الشياطينُ هَوَتْ به وأذهبتَه جعله من هَوَى يَهْوِي وجعله الزجاج من هَوَى يَهْوَى أي زينت له الشياطينُ هَواه" ٢٠٥.

(ج) وقال الزبيدي: "وقوله ﷻ: ... كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ ... أي ذهب بهواه وعقله، وقال القتيبي: أي هوت به وأذهبتَه، جعله من هوى يهوي، أو استهامته وحيرته أو زينته له هَواه وهذا قول الزجاج جعله من هوى يهوى" ٢٠٦.

١٣. الغوى:

قال الله ﷻ:

٢٠٤ المفردات، ص ٥٤٨.

٢٠٥ لسان العرب، ١٥/٣٧١.

٢٠٦ تاج العروس، ١٠/٤١٥.

وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ (الشعراء، ٢٦٠، ٢٢٤)

(أ) قال الراغب: " قيل معنى غوى فسد عيشه من قولهم غَوِيَ الفصيل وغَوَى نحو هَوِيَ وهَوَى " ٢٠٧ .

(ب) وقال ابن منظور: " وقوله ﷺ: ... وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ... قيل في تفسيره الغاؤون الشياطينُ وقيل أيضاً الغاؤون من الناس قال الرَّجَّاجُ والمعنى أَنَّ الشاعرَ إِذَا هَجَا بما لا يجوزُ هَوِيَ ذلك قومٌ وأحبُّوه فهم الغاؤون " ٢٠٨ .

(ج) وقال الزبيدي^{٢٠٩}: " وقوله ﷺ: ... وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ... جاء في التفسير: أي الشياطين أو من ضل من الناس أو الذين يحبون الشاعر إذا هجا قوماً بما لا يجوز، نقله الرَّجَّاجُ، أو يحبونه لمدحه إياهم بما ليس فيهم ويتابعونه على ذلك " ٢١٠ .

١٤. الهم:

قال الله ﷻ:

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ^ط وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رءَا بُرْهَنَ رَبِّهِ^ع كَذَلِكَ لَنَصَّفَرَ عَنْهُ الشُّعْرَاءُ وَالْفَحشَاءُ^ق إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢١٠﴾ (يوسف، ١٢، ٢٤)

٢٠٧ مفردات، ص ٣٦٩.

٢٠٨ لسان العرب، ١٥ / ١٤٠.

٢٠٩ تاج العروس، ١٠ / ٢٧٣.

٢١٠ مسألة: كيف تعتبر "الغواية" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من تعريف العلماء أعلاه للغواية وخاصة عند تفسيرهم لقوله ﷻ:

وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ (الشعراء، ٢٦٠، ٢٢٤)، " أن الشاعر إذا هجا بما لا يجوز هوى ذلك قوم وأحبوه " كما يقول ابن منظور، إذا يظهر من هذا أن الغواية نوع من أنواع الحب وهي أن يحب بعض الناس الشاعر إذا هجا قوماً بما لا يجوز، أو يحبون هذا الشاعر لمدحه إياهم، كما يقول الزبيدي في تاج العروس. (الزبيدي، تاج العروس، ١٠ / ٢٧٣).

(أ) قال الراغب: "والهم ما هممت به في نفسك" ٢١١.

(ب) وقال ابن منظور: "وسئل ثعلب عن قوله ﷺ: **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ^ط وَهَمَّ بِهَا**

لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ^ط ... ، قال: همت زليخا بالمعصية مصرة على ذلك، وهم يوسف عليه السلام بالمعصية ولم يأتها ولم يصر عليها فبين المهمتين فرق ... وقال أبو عبيد: هذا على التقديم والتأخير كأنه أراد: ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها" ٢١٢.

(ج) وقال الزبيدي: "والهم ما هم به في نفسه أي نواه وأراده وعزم عليه وسئل ثعلب عن قوله ﷺ: **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ^ط وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ^ط** ... قال همت زليخا بالمعصية مصرة على ذلك وهم يوسف عليه السلام بالمعصية ولم يأت بها ولم يصر عليها فبين المهمين فرق وقال أبو حاتم عن أبي عبيدة هذا على التقديم والتأخير كأنه أراد ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها" ٢١٣.

١٥. الرغبة:

قال الله ﷻ:

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ^ط قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَىٰ النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُوهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ آلِؤْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَمَىٰ بِالْقِسْطِ^ط وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ

عَلِيمًا ﴿١٧﴾ (النساء: ٤، ١٢٧)

٢١١ المفردات، ص ٥٤٥.

٢١٢ لسان العرب، ١٢/٦٢٠.

٢١٣ تاج العروس، ٩/١٠٩.

فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي
 الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۗ وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٢١﴾ (الأنبياء، ٢١: ٩٠)

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
 وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٢١﴾ (التوبة، ٩: ٥٩)

وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾ (الشرح، ٩٤: ٨)

(أ) قال الراغب: " والرَّغْبَةُ والرَّغَبُ والرُّغْبَى السعة في الإرادة، قال رحمته: ...
 وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ...، فإذا قيل رغب فيه وإليه يقتضى الحرص عليه قال
رحمته: ... إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ. ٢١٤

(ب) وقال ابن منظور: " رَغَبٌ يَرْغَبُ رَغْبَةً إِذَا حَرَّصَ عَلَى الشَّيْءِ وَطَمِعَ
 فِيهِ، والرَّغْبَةُ السُّؤَالُ والطَّمَعُ وَأَرْغَبَنِي فِي الشَّيْءِ وَرَغَّبَنِي بِمَعْنَى وَرَغَّبَهُ أَعْطَاهُ
 مَا رَغِبَ " ٢١٥.

(ج) وقال الزبيدي: " رغب فيه: ... أراده، ورغب إليه: ... ابتهل " ٢١٦.

١٦. التقارب، المقاربة، القرب:

قال الله رحمته:

وَنَدَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْتُهُ نَجِيًّا ﴿٢١﴾ (مريم، ١٩: ٥٢)

لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۗ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ
 عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْتَرُحُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿٢٧﴾ (النساء، ٤: ١٧٢)

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۗ وَلَتَجِدَنَّ

٢١٤ المفردات، ص ١٩٨.

٢١٥ لسان العرب، ١/ ٤٢٢.

٢١٦ تاج العروس، ١/ ٢٧٣.

أَقْرَبُهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيكَ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ

وَزُهَبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ (المائدة: ٨٢)

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسْتَ تَجِيبُوا لِي

وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ (البقرة: ١٨٦)

(أ) قال الراغب: " القرب والبعد يتقابلان، ... ويستعمل ذلك في المكان وفي الزمان وفي النسبة وفي الحظوة والرعاية ... في الحظوة: الملائكة المقربون، وقال في عيسى عليه السلام: وجهها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ... " ٢١٧ .

(ب) وقال ابن منظور: " وفي الحديث مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَيْبَرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا المراد بقُرب العبدِ من الله عز وجل القُربُ بالذُكْر والعمل الصالح لا قُرب الذاتِ والمكان لأن ذلك من صفات الأجسام والله يتعالى عن ذلك ويتقدَّسُ والمراد بقُربِ الله جل جلاله من العبد قُربُ نعمةٍ وألطافه منه وبره وإحسانه إليه وتُرأفُ مِنه عنده وفيضُ مواهبه عليه " ٢١٨ .

(ج) وقال الزبيدي: " والتَّقَرُّبُ: التَّدْنِي إلى شَيْءٍ والتَّوَصُّلُ إلى إنسان بقُرْبَةٍ أو بحَقٍّ. والإقْرَابُ: الدُّنُو. يُقَالُ: قَرَبَ فُلَانٌ أَهْلَهُ قُرْبَانًا إِذَا غَشِيَهَا " ٢١٩ .

١٧. الغرام:

قال الله جل جلاله:

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٦﴾

(الفرقان: ٦٥)

إِنَّا لَمُعْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ (الواقعة: ٥٦، ٦٦)

٢١٧ المفردات، ص ٣٩٨.

٢١٨ لسان العرب، ١/ ٦٦٧.

٢١٩ تاج العروس، ١/ ٤٢٥.

- (أ) قال الراغب: " قال رحمته: ... **إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا** " ^{٢٢٠} ، من قولهم هو مُغرم بالنساء أي يلازمهن ملازمة الغريم " ^{٢٢١} .
- (ب) وقال ابن منظور: "والغرامُ اللازم من العذاب والشرُّ الدائم والبلاءُ والحبُّ والعشق وما لا يستطيع أن يُتَفَصَّى منه " ^{٢٢٢} .
- (ج) وقال الزبيدي: " الغرام الولوع، وقد أغرم بالشيء أي أولع به، ... والمغرم كمكرم أسير الحبِّ ومثقل الدين، والمراد بالحبِّ حبُّ النساء كما هو نصُّ أبي عبيدة " ^{٢٢٣} .

١٨ . الهيام:

قال الله رحمته:

أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (الشعراء، ٢٦: ٢٢٥)

- (أ) قال الراغب: " يقال رجل هيمان وهائم شديد العطش، وهام على وجهه ذهب، والهيام داء يأخذ الإبل من العطش ويضرب به المثل فيمن اشتد به العشق، وهام ذهب في الأرض واشتد عشقه وعطش " ^{٢٢٤} .
- (ب) وقال ابن منظور: " والهَيَامُ كالجنون وفي التهذيب كالجنون من العشق ... والهائم ... الذاهبُ على وجهه عِشْقًا هَامَ بِهَا هَيْمًا وَهَيْومًا وَهَيْامًا

٢٢٠ قال القرطبي في تفسير قوله رحمته **إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا** (الفرقان، ٢٥: ٦٥): " أي لازماً دائماً غير مفارق، ومنه سُمِّيَ الغريم لملازمته، ويقال: فلان مغرم بكذا أي ملازم له مولع به " .
(تفسير القرطبي، ١٣ / ٧١) .

٢٢١ المفردات، ص ٣٦٠ .

٢٢٢ لسان العرب، ١٢ / ٤٣٦ .

٢٢٣ تاج العروس، ٩ / ٣ .

٢٢٤ المفردات، ص ٥٤٧ .

وهَيْمَاناً وَتَهَيَّمَاً" ٢٢٥.

(ج) وقال الزبيدي: "والهيام بالضم كالجنون من العشق وهو مجاز وقد هام على وجهه يهيم ذهب من العشق" ٢٢٦.

١٩. الخُلة:

قال الله ﷻ:

وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ

اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿٢٢٥﴾ (النساء، ٤: ١٢٥)

الْأَخْلَاءَ ۗ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٢٢٦﴾ (الزخرف، ٤٣: ٦٧)

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا

شَفَعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٦﴾ (البقرة، ٢: ٢٥٤)

(أ) قال الراغب: "والخُلة المودَّة، إما لأنها تتخلل النفس أي تتوسَّطها وإما لأنها تُخلُّ النفس فتؤثر فيه تأثير السهم في الرمية، وإما لفرط الحاجة إليها، يقال منه: خالته خُلةٌ وخلالاً فهو خليل ... فإن الخُلة من تخلل الودَّ نفسه ومخالطته كقوله: قد تخللت مسلك الروح مني وبه سُمِّي الخليل خليلاً" ٢٢٧.

(ب) وقال ابن منظور: "والخُلُّ الودُّ والصَّدِيق ... الخُلة بالضم الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خِلاله أي في باطنه والخليل الصَّدِيق فَعِيل بمعنى مُفَاعِل وقد يكون بمعنى مفعول قال وإنما قال ذلك لأن خُلَّته كانت مقصورة على حبِّ الله ﷻ فليس فيها لغيره مُتَسَّع ولا شَرِكَة من مَحَابِّ الدنيا والآخرة وهذه حال شريفة لا يناها أحد بكسب ولا اجتهاد فإن الطباع

٢٢٥ لسان العرب، ١٢/٦٢٦.

٢٢٦ تاج العروس، ٩/١١٢.

٢٢٧ المفردات، ص ١٥٣.

غالبة وإنما يخص الله بها من يشاء من عباده مثل سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين " ٢٢٨ .

(ج) وقال الزبيدي: "والخلّة أيضاً الصداقة المختصة التي لا خلل فيها تكون في عفاف الحبّ وفي دعارة منه ... والخلُّ بالكسر والضمّ: الصديقُ المُختصُّ أو لا يُضمُّ إلاّ مع وُدّ يُقال: كان لي وُدّاً وخلّاً ... قال الله ﷻ: ... **وَأَخَذَ اللَّهُ** **إِبْرَاهِيمَ حَلِيلًا**. أو قيل: الخليل: الصديقُ عن ابن الأعرابي. وقال الزجاج: هو المحبُّ الذي لا خللَ في محبّته وبه فسّر الآية أي أحبه محبة تامّة لا خللَ فيها" ٢٢٩ .

٢٠. الصداقة:

وقد ذكرناها سابقاً في فصل " حب الآخرين " .

قال الله ﷻ:

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ حَلَائِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مَفَاحِشَهُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۗ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ (النور، ٢٤: ١١)

وَلَا صَدِيقِي حَمِيمٌ ﴿٥٢﴾ (الشعراء، ٢٦: ١٠١)

٢٢٨ لسان العرب، ١١/٢١١ .

٢٢٩ تاج العروس، ٧/٣٠٨ .

(أ) قال الراغب: "والصدّاقة صدق الاعتقاد في المودّة وذلك مختصّ بالإنسان دون غيره" ٢٣٠.

(ب) وقال ابن منظور: "والصدّاقة مصدر الصّدّيق واشتقاقه أنه صدّقه المودّة والنصيحة والصّدّيق المصادق لك والجمع صدّقاء وصدّقان وأصدّقاء وأصدّاق" ٢٣١.

(ج) وقال الزبيدي: "والصدّيق كأمير: الحبيب المصادق لك يُقال ذلك للواحد والجمع والمؤنث" ٢٣٢.

٢١. الصحبة:

وقد ذكرناها سابقاً في فصل "حب الآخرين".

قال الله ﷻ:

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ (التوبة: ٤٠)

(أ) قال الراغب: "الصاحب الملازم، إنساناً كان أو حيواناً أو مكاناً أو زماناً، بين أن تكون مصاحبته بالبدن وهو الأصل، أو بالعناية والهمة ... ولا يقال في العرف إلا لمن كثرت ملازمته" ٢٣٣.

(ب) وقال ابن منظور: "يقال صاحب وأصحاب كما يقال شاهد وأشهاد

٢٣٠ المفردات، ص ٢٧٨.

٢٣١ لسان العرب، ١٠/١٩٣.

٢٣٢ تاج العروس، ٦/٤٠٤.

٢٣٣ المفردات، ص ٢٧٥.

وناصير وأنصار ومن قال صاحب وصُحْبَةٌ فهو كقولك فارِه وفُرْهَةٌ وغلَامٌ رائِقٌ والجمع رُوْقَةٌ والصُّحْبَةُ مصدر قولك صَحِبَ يَصْحَبُ صُحْبَةً وقالوا في النساءِ هنَّ صَواحِبُ يوسف وحكى الفارسي عن أبي الحسن هنَّ صواحيبات يوسف جمعوا صَواحِبَ جمع السلامة كقوله فَهِنَّ يَعْلُكُنَّ حَدَائِدِهَا وقوله جَذِبَ الصَّرَارِيِّينَ بِالْكَرُورِ والصُّحَابَةُ مصدر قولك صَاحَبَكَ اللَّهُ وَأَحْسَنَ صَحَابَتَكَ وتقول للرجل عند التوديع مُعَانًا مُصَاحِبًا ومن قال مُعَانًا مُصَاحِبًا فمعناه أنت معان مُصَاحِبٍ ويقال إنه لمُصَاحِبٍ لنا بما يُحِبُّ" ٢٣٤.

(ج) وقال الزبيدي^{٢٣٥}: "صحبه ... عاشره ... والصُّحْبَةُ مَصْدَرُ قَوْلِكَ: صَحِبَ يَصْحَبُ صُحْبَةً. وقالوا: في النساءِ: هُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ. وحكى الفَارِسِيُّ عَن أَبِي الْحَسَنِ: هُنَّ صَوَاحِبَاتُ يُوسُفَ. جَمَعُوا صَوَاحِبَ جَمْعَ السَّلَامَةِ. والصُّحَابَةُ بِالْكَسْرِ: مَصْدَرُ قَوْلِكَ صَاحَبَكَ اللَّهُ وَأَحْسَنَ صَحَابَتَكَ وَهُوَ مَجَازٌ. وَاسْتَصْحَبَهُ: دَعَاهُ إِلَى الصُّحْبَةِ. وَلَازِمَهُ وَكُلُّ مَا لَازِمٌ شَيْئًا فَقَدْ اسْتَصْحَبَهُ" ٢٣٦.

٢٣٤ لسان العرب، ١/٥١٩.

٢٣٥ تاج العروس، ١/٣٣٢.

٢٣٦ مسألة: كيف تعتبر "الصحبة" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من تعاريف العلماء أعلاه للصحبة أنها تعني الملازمة وهي إما أن تكون ملازمة بالبدن أو بالعناية والهمة، وقالوا في اللغة عن النساء: "هن صواحب يوسف" أي اللاتي أحبينه، ولذا قال ابن حزم في هذا:

"فإنك بينما ترى المحيين قد بلغا الغاية من الاختلاف الذي لا يُقْدَرُ يصلح عند الساكن النفس السالم من الأحقاد في الزمن الطويل ولا ينجبر عند الحنود أبداً، فلا تلبث أن تراهما قد عادا إلى أجمال الصحبة، وأهدرت المعاتبة، وسقط الخلاف وانصرفا في ذلك الحين بعينه إلى المضاحكة والمداعبة، هكذا في الوقت الواحد مراراً. وإذا رأيت هذا من اثنين فلا يخالجك شك ولا يداخلك ريب البتة ولا تمار في أن بينهما سرّاً من الحب دفيناً". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٥).

٢٢. الإيثار:

قال الله ﷻ:

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩١﴾ (الحشر، ٥٩: ٩١)

قَالُوا تَأَلَّفَ لَقَدْ ءَاتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿٩١﴾ (يوسف، ١٢: ٩١)

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٩١﴾ (الأعلى، ٨٧: ١٦)

(أ) قال الراغب: "المآثر ما يروى من مكارم الإنسان، ويستعار الأثر للفضل والإيثار للفضل، ومنه آثرته ... والاستئثار التفرّد بالشيء من دون غيره، وقولهم: استأثر الله بفلان ... تنبيه أنه ممن اصطفاه وتفرّد تعالى به من دون الورى تشريفاً له " ٢٣٧.

(ب) وقال ابن منظور: "أثرتُ فلاناً على نفسي من الإيثار، الأصمعي: أكرثك إيثاراً أي فضلتك وفلان أثيرٌ عند فلان وذو أثره إذا كان خاصاً" ٢٣٨.

(ج) وقال الزبيدي ٢٣٩: "يقال: فلانٌ أثيري أي من خلصائي. وفي بعض الأصول: أي خلصاني. وفلانٌ أثيرٌ عند فلان وذو أثره إذا كان خاصاً. رجلٌ أثيرٌ: مكيّنٌ مكرّمٌ. وفي الأساس: وهو أثيري أي الذي أوثره وأقدمه " ٢٤٠.

٢٣٧ المفردات، ص ١٠.

٢٣٨ لسان العرب، ٥/٤.

٢٣٩ تاج العروس، ٦/٣.

٢٤٠ مسألة: كيف يعتبر "الإيثار" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من تعريف العلماء أعلاه للإيثار أن المحب يؤثر محبوبه ويجعله مقدماً

ومفضلاً عنده على غيره من خاصته وفي هذا يقول ابن حزم:

٢٣. الضلال:

قال الله ﷻ:

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدْيَنَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْنَهَا عَن نَّفْسِهِ ۗ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ (يوسف، ١٢: ٣٠)

قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٤١﴾ (يوسف، ١٢: ٩٥)

(أ) قال الراغب: "وقال ﷻ في يعقوب عليه السلام: ... إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ، وقال أولاده: إن أبانا لفي ضلال مبين، إشارة إلى شغفه بيوسف وشوقه إليه، وكذلك: قد شغفها حباً إنا لراها في ضلال مبين" ٢٤١.

(ب) وقال ابن منظور: "وقد تطلق الضَّالَّةُ على المعاني ومنه: الكلمة الحكيمة ضالَّةُ المؤمن، وفي رواية: ضالَّةُ كل حكيم، أي لا يزال يتطلَّبها كما يتطلَّب الرجلُ ضالَّته" ٢٤٢.

(ج) وقال الزبيدي ٢٤٣: "وقال الرَّاعِبُ: هُوَ الْعُدُولُ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ وَتُضَادُّهُ الْهَدَايَةُ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: "...فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَنَّا ۗ..." (يونس، ١٠: ١٠٨)، ويُقال: الضَّالُّ: لِكُلِّ عُدُولٍ عَنِ الْحَقِّ عَمْدًا كَانَ أَوْ سَهْوًا يَسِيرًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا فَإِنَّ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ الَّذِي هُوَ الْمُرْتَضَى صَعْبٌ جِدًّا، وَلِهَذَا قَالَ ﷻ: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ نُحْصُوا»، وَلِذَا صَحَّ أَنْ يُسْتَعْمَلَ

" ترى الحب يجب أهل محبوه وقربته وخاصته حتى يكونوا أحظى لديه من أهله ونفسه ومن جميع خاصته ". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٢). وهذا دليل على الإيثار بالحب حيث يقدمه كما جاء في قوله ﷻ: ... **وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ... (الحشر، ٥٩: ٩).

٢٤١ المفردات، ص ٢٩٨.

٢٤٢ لسان العرب، ١١/ ٣٩٠.

٢٤٣ تاج العروس، ٧/ ٤١٠.

لَفْظُهُ فَيَمَنُ يَكُونُ مِنْهُ خَطَأٌ مَا وَلَدَكَ مُسَبِّحٌ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ وَإِلَى الْكُفَّارِ وَإِنْ كَانَ بَيْنَ الضَّلَالَيْنِ بَوْنٌ بَعِيدٌ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ فِي النَّبِيِّ ﷺ: "وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى" (الضحى: ٩٣، ٧)، أي غير مهتدٍ لِمَا سَبَقَ إِلَيْكَ مِنَ التُّبُوءِ، وَقَالَ ﷺ فِي يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "... إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ، وَقَالَ أَوْلَادُهُ: "... إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" (يوسف: ١٢، ٨)، إِشَارَةً إِلَى شَعْفِهِ بِيُوسُفَ وَشَوْقِهِ إِلَيْهِ " ٢٤٤.

٢٤. الرضى:

قال الله ﷻ:

قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۗ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۗ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٥﴾ (المائدة: ١١٩)

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۗ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۗ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۗ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٥٤﴾ (البقرة: ١٤٤)

٢٤٤ مسألة: كيف يعتبر "الضلال" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص مما قاله العلماء أعلاه أن معنى الضلال في اللغة هو الشغف بحب المحبوب والشوق إليه، ومنه قوله ﷻ: "... قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٥﴾ (يوسف: ١٢، ٣٠) ويتبين بذلك أن الضلال من أنواع الحب، قال ابن منظور: "قال الفراء: شغفها حباً أي خرق شغاف قلبها". (ابن منظور، لسان العرب، ١٧٨/٩). فالضلال على هذا منزلة ونوع من الحب يصل إلى صميم القلب وشغافه، يقول ابن حزم:

"والأشياء إذا أفرطت في غايات تضادها، ووقفت في انتهاء حدود اختلافها تشابهت، قدرة من الله عز وجل تضل فيها الأوهام. فهذا الثلج إذا أدمن حبسه في اليد فَعَلَّ فعل النار... فنجد المحبين إذا تكافتا في المحبة وتأكدت بينهما تأكيداً شديداً أكثر بهما جدهما بغير معنى". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٥).

تَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ

الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤٥﴾ (التوبة، ٩: ٩٦)

وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٢٤٥﴾ (مريم، ١٩: ٥٥)

(أ) قال الراغب: "يقال: رضي يرضى رضاً فهو مرضي ومرضو، ورضا العبد عن الله أن لا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمراً لأمره ومنتهاياً عن نهيه" ٢٤٥.

(ب) وقال ابن منظور: "الرضا ضد السخط ... قال القحيف العُقَيْلي:

إِذَا رَضِيتَ عَلِيَّ بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجِبْنِي رِضَاهَا
عَدَاهُ بَعْلِي لِأَنَّهُ إِذَا رَضِيتَ عَنْهُ أَحْبَبْتَهُ وَأَقْبَلْتَ عَلَيْهِ" ٢٤٦.

(ج) وقال الزبيدي: "وأشد الأخصس ...

إِذَا رَضِيتَ عَلِيَّ بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجِبْنِي رِضَاهَا
كما في الصحاح. وقال ابن سيده: عَدَاهُ بَعْلِي لِأَنَّهَا إِذَا رَضِيتَ عَنْهُ أَحْبَبْتَهُ
وَأَقْبَلْتَ عَلَيْهِ ... والرضي كغني الضامن ... ووجد في نسخ التهذيب
الضامر، وأيضاً: المُحِبُّ، كل ذلك عن ابن الأعرابي" ٢٤٧.

٢٥. الحنان:

قال الله ﷻ:

وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً ۗ وَكَارِبًا تَقِيًّا ﴿٢٤٦﴾ (مريم، ١٩: ١٣)

(أ) قال الراغب: "الحنين النزاع المتضمن للإشفاق، يقال: حنت المرأة والناقة لولدها، وقد يكون مع ذلك صوت ولذلك يُعَبَّرُ بالحنين عن الصوت الدال

٢٤٥ المفردات، ص ٢٠٣.

٢٤٦ لسان العرب، ٣٢٤/١٤.

٢٤٧ تاج العروس، ٤٦٢/١٩.

على النزاع والشفقة أو متصور بصورته وعلى ذلك حنين الجذع ... ولما كان الحنين متضمناً للإشفاق والإشفاق لا ينفك من الرحمة عُبِّرَ عن الرحمة به في نحو قوله ﷺ: **وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا...** ، ومنه قيل الحنان المنان " ٢٤٨ .

(ب) وقال ابن منظور: " الحنَّانُ من أسماء الله ﷻ قال ابن الأعرابي الحنَّانُ بتشديد النون بمعنى الرحيم قال ابن الأثير الحنَّانُ الرحيم بعباده ... ومنه قوله ﷻ **وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا...** وفي الحديث أنه دخل على أم سلمة رضي الله عنها وعندها غلامٌ يُسَمَّى الوليدَ فقال اتَّخَذْتُمْ الوليدَ حَنَانًا غَيْرُوا اسْمَهُ أَي تَتَعَطَّفُونَ على هذا الاسم فَتُحِبُّونَهُ " ٢٤٩ .

(ج) وقال الزبيدي: " الحنَّان كشداد مَنْ يَجِنُّ إلى الشيء ويعطف عليه والحنان اسم الله تعالى فعال من الحنة وهي الرحمة " ٢٥٠ .

٢٦. الإعجاب:

وقد ذكرناه سابقاً في فصل " تعريف الحب " .

قال الله ﷻ:

وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۗ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۗ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ (البقرة: ٢٢١)

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۗ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ۗ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مِّنْ سِنْدَةٍ ۗ

٢٤٨ المفردات، ص ١٣٣ .

٢٤٩ لسان العرب، ١٣/١٢٩ .

٢٥٠ تاج العروس، ٩/١٨٤ .

تَحْسِبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرَهُمْ قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤٠﴾ (المافقون، ٦٣)

(٤٠)

لَا تَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ مِنْهُنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعَجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا

مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٤١﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٥٢)

أَتَعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٤٢﴾

(هود، ١١: ٧٣)

قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْإِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿٤٣﴾ (الجن، ٧٢: ١٠)

(أ) قال الراغب: "العجب والتعجب حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء ولهذا قال بعض الحكماء: العجب ما لا يُعرَف سببه، ولهذا قيل: لا يصح على الله التعجب إذ هو علام الغيوب لا تخفى عليه خافية، ... ويستعار - العجب - للمؤتق فيقال: أعجبتني كذا أي راقني، ويقال لمن يروقه نفسه فلان معجب بنفسه" ٢٥١.

(ب) وقال ابن منظور: "العُجْبُ والعَجَبُ إنكارُ ما يَرِدُ عليك لِقَلَّةِ اعْتِيادِهِ ... وإن أُسْنِدَ إلى الله فليس معناه من الله كمعناه من العباد ... والعُجْبُ الذي يُعِجِبُ مُحَادَثَةُ النِّسَاءِ ولا يَأْتِي الرِّيبَةُ والعُجْبُ والعَجَبُ والعِجْبُ الذي يُعِجِبُهُ الفُجُودُ مع النِّسَاءِ" ٢٥٢.

(ج) وقال الزبيدي: "وأعجب به مَبْنِيًّا للمَفْعُولِ: عَجِبَ وَسُرَّ بِالضَّمِّ مِنَ السُّرُورِ كَأَعَجَبَهُ الْأَمْرُ إِذَا سُرَّه" ٢٥٣.

٢٧. الميل:

وقد ذكرناه سابقاً في فصل "تعريف الحب".

٢٥١ المفردات، ص ٣٢٢.

٢٥٢ لسان العرب، ١/ ٥٨٠.

٢٥٣ تاج العروس، ١/ ٣٦٨.

قال الله ﷻ:

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا

(النساء: ٢٧)

وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا

كَالْمُعَلَّقَةِ ۗ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (النساء: ١٢٩)

(أ) قال الراغب: "الميل العدول عن الوسط إلى أحد الجانبين، ويستعمل في الجور ... يُقال مِلت إلى فلان إذا عاونته" ٢٥٤.

(ب) وقال ابن منظور: "المَيْلُ: العُدول إلى الشيء والإقبالُ عليه وكذلك المَيْلَانُ ... و تمايل في مشيته تمايلاً واستماله واستمال بقلبه. والتَّمْيِيل بين الشيئين: كالترجيح بينهما ... وفي حديث أبي هريرة عن النبي قال: «صنفان من أهل النار لم أرهما بعد قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون الناس بها ونساء كاسيات عاريات مائلات مُميلات رُؤوسهن كاسنمة البُحْتِ المائلة لا يَدْخُلْنَ الجنة ولا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا» ٢٥٥.

(ج) وقال الزبيدي ٢٥٦: "مالٌ إليه يميلُ مَيْلًا ... عَدَلَ وَأَقْبَلَ عليه ... المائلاتُ: يَمِلْنَ إلى الهوى والعَيُّ عن العفافِ" ٢٥٧.

٢٥٤ المفردات، ص ٤٧٨.

٢٥٥ لسان العرب، ١١/٦٣٥.

٢٥٦ تاج العروس، ٨/١٢٢.

٢٥٧ مسألة: كيف يعتبر "الميل" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من تعريف العلماء اللغويين أعلاه للميل أنه: "العدول إلى الشيء والإقبال عليه" ومن الطبيعي أن نجد الحب يميل إلى محبوه، فمن مراحل الحب التي يمر بها الحب الميل شيئاً فشيئاً إلى محبوه، حتى إنه يصبح كما قال ابن حزم:

"فما يكاد يقبل على سوى محبوه ولو تعمد غير ذلك، وإن التكلف ليستبين لمن يرمقه فيه، والإنصات لحديثه إذا حَدَّث ... ومنها الإسراع بالسير نحو المكان الذي يكون فيه،

٢٨. الشهوة:

قال الله ﷻ:

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَقَابِرِ ﴿١٤﴾ (آل عمران: ٣، ١٤)

إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۗ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ (الأعراف: ٧، ٨١)

(أ) قال الراغب: " أصل الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده، وذلك في الدنيا ضربان صادقة وكاذبة، فالصادقة ما يحتل البدن من دونه كشهوة الطعام عند الجوع، والكاذبة ما لا يحتل من دونه، وقد يُسمى المشتهى شهوة، وقد يقال للقوة التي تَشْتَهِي الشيء شهوة " ٢٥٨ .

(ب) وقال ابن منظور: " شَهَيْتُ الشيء بالكسر ... وشَهَيْتُ الشيء وشَهَاهُ يَشْهَاهُ شَهْوَةً وَاشْتَهَاهُ وَتَشَهَاهُ أَحَبَّهُ وَرَغِبَ فِيهِ " ٢٥٩ .

(ج) وقال الزبيدي^{٢٦٠}: " واشتهاه وتشهاه أحبه ورغب فيه، وفي المصباح: الشهوة اشتياق النفس إلى الشيء والجمع شهوات وأشهية " ٢٦١ .

وتعمد القعود بقربه والدنو منه، واطراح الأشغال الموجبة للزوال عنه، والاستهانة بكل خطب جليل داع إلى مفارقتة والتباطؤ في الشيء عند القيام عنه " . (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٣).

٢٥٨ المفردات، ص ٢٧٠ .

٢٥٩ لسان العرب، ١٤ / ٤٤٥ .

٢٦٠ تاج العروس، ١٠ / ٢٠٥ .

٢٦١ مسألة: كيف تعتبر " الشهوة " نوعاً من أنواع الحب؟

قال الله ﷻ:

قَالَ رَبِّ الْمَسْجِنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۗ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ (يوسف، ١٢: ٣٣)

- (أ) قال الراغب: " صبا فلانٌ يصبو صبواً وصبوةً إذا نزع واشتاق وفعل فعل الصبيان، قال:....أَصْبُ إِلَيْنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ...، وأصابني فصبوت " ٢٦٢ .
- (ب) وقال ابن منظور: " الصَّبْوَةُ جَهْلَةٌ الْفُتُوَّةُ وَاللَّهُوُ مِنَ الْعَزْلِ، ومنه التَّصَابِي والصَّبَا صَبَا صَبُوءاً وَصُبُوءاً وَصَبِيٌّ وَصَبَاءٌ " ٢٦٣ .
- (ج) وقال الزبيدي^{٢٦٤}: " الصبوة جهلة الفتوة، زاد الليث: واللهو من الغزل " ٢٦٥ .

نستخلص مما قاله العلماء اللغويون أعلاه في تعريف الشهوة، أن الشهوة هي المشتهى المحبوب المرغوب فيه، فالشهوة إذاً هي الرغبة إلى المحبوب، وفي قول ابن منظور، التالي: " وتشهاه أحبه ورغب فيه " فمعناه: أن المحبوب مشتهى، فالحب يشتهي محبوبه من جهات عدة ومنها أنه يشتهي الجلوس والحديث معه والنظر إليه حتى أنه كما قال ابن حزم: " والحب أعزك الله داء عياء وفيه الدواء منه على قدر المعاملة، ومقام مستلد، وعله مشتهاة لا يودّ سليمها البرء، ولا يتمنى عليها الإفاقة. يُزَيْنُ للمرء ما كان يأنف منه، ويسهل عليه ما كان يصعب عنده حتى يحيل الطباع المركبة والجبلة المخلوقة ... وإنني لأسمع كثيراً ممن يقول: الوفاء في قمع الشهوات في الرجال دون النساء، فأطيل العجب من ذلك، وإن لي قولاً لا أحول عنه: الرجال والنساء في الجنوح إلى هذين الشئتين سواء " . (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٢).

٢٦٢ المفردات، ص ٢٧٤ .

٢٦٣ لسان العرب، ١٤/٤٤٩ .

٢٦٤ تاج العروس، ١٠/٢٠٦ .

٢٦٥ مسألة: كيف تعتبر " الصبوة " نوعاً من أنواع الحب؟

٣٠. الابتغاء:

قال الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٧﴾ (البقرة، ٢٧)

(٢٠٧:

أَفَغَيْرَ اللَّهِ ابْتِغَىٰ حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۗ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ

الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ (الأنعام، ١١٤)

قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ ابْتِغَىٰ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۗ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۗ وَلَا تَزِرُ

وَأَزْرَهُ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ (الأنعام، ١٦٤)

(١٦٤:

(أ) قال الراغب: "يقال بَغَيْتَ الشيء إذا طَلَبْتَ أكثر ما يجب وابتغيت كذلك ... وابتغيتك أعتك على طلبه ... "٢٦٦".

(ب) وقال ابن منظور: "بَغَى الشيء بِغْوًا: نظر إليه كيف هو ... وبغاه بِغْيًا نظر إليه كيف هو، وبغاه بِغْيًا رَقَبَهُ وانتظره ... وابتغاه و**تَبَّغَاهُ** واستَبَّغَاهُ كل

نستخلص من التأمل في كلام العلماء أعلاه أن معنى الصبا، كما يقول الراغب: "صبا فلان ... إذا نزع واشتاق وفعل فعل الصبيان"، وقد أوضح هذا ابن حزم في كتابه (طوق الحمامة) وفصله فقال واصفًا كيف يفعل الحبِّ بصاحبه:

"فكم بخيل جاد، وقطوب تطلُّق، وجبان تشجع، وغلظ الطبع تطرَّب، وجاهل تأدَّب، وتغلِّق تزيِّن، وفقير تجمل، وذو سنُّ تفتى، وناسك تفتك، ومصون تبدل ... ومن علاقته وشواهدة الظاهرة لكل ذي بصر الانبساط الكثير الزائد ... وكثرة الغمز الخفي، والميل بالالتكاء، والتعمد لِمَسِّ اليد عند المحادثة، ولمس ما أمكن من الأعضاء الظاهرة، وشرب فضلة ما أبقى المحبوب في الإناء، وتحري المكان الذي يقابله فيه". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٤-١٥).

٢٦٦ المفردات، ص ٦٥.

ذلك طلبه " ٢٦٧ .

(ج) وقال الزبيدي^{٢٦٨}: "بغيته أي الشيء ما كان خيراً أو شراً طلبته ... كابتغيته وتبغيته واستبغيته ... وشاهد الابتغاء قوله ﷺ: **فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ** ...، وقال الراغب: الابتغاء خص بالاجتهاد في الطلب، فمتى كان الطلب لشيء محمود فالابتغاء فيه محمود نحو: ... **ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا** ... وقوله ﷺ: **إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى** ، والباغي: الطالب " ٢٦٩ .

٣١. التفضيل:

قال الله ﷻ:

أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ۗ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً (الإسراء: ١٧)

(٢١):

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (الإسراء: ٧٠)

(أ) قال الراغب: "الفضل إذا استعمل لزيادة أحد الشئيين على الآخر فعلى ثلاثة أضرب: فضل من حيث الجنس كفضل جنس الحيوان على جنس النبات، وفضل من حيث النوع كفضل الإنسان على غيره من الحيوان وعلى

٢٦٧ لسان العرب، ١٤ / ٧٥ .

٢٦٨ تاج العروس، ١٩ / ٢٠٤ .

٢٦٩ مسألة: كيف يعتبر "الابتغاء" نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من تعريف العلماء أعلاه لـ "الابتغاء" بأنه: الاجتهاد في الطلب، والحب

مجتهد في طلب محبوبه بلا ريب، حتى قال ابن حزم:

"ومن آياته مراعاة الحب لمحبوبه، وحفظه لكل ما يقع منه، وبخه عن أخباره حتى لا تسقط عنه دقيقة ولا جلييلة، وتتبعه لحركاته". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ٢٠).

هذا النحو قوله ﷺ: ... **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ** ... إلى قوله: ... **تَفْضِيلًا** ... وفضل من حيث الذات كفضل رَجُلٍ على آخر، فالأولان جوهريان لا سبيل للناقص فيهما أن يزيل نقصه ... والفضل الثالث قد يكون عرضياً فيوجد السبيل على اكتسابه ومن هذا النوع التفضيل المذكور في قوله ﷺ: **وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ** ... (النحل، ١٦: ٧١) " ٢٧٠ .

(ب) وقال ابن منظور: "وقوله ﷺ: ... **وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**، قيل تأويله أن الله فضلهم بالتمييز، وقال: ... **عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا** ...، ولم يقل على كل لأن الله ﷺ فَضَّلَ الملائكة فقال: **وَلَا أَلْمَنِيكَهُ الْقَرَّبُونَ** ... وفضلته على غيره تفضيلاً إذا حكمت له بذلك أو صيرته كذلك " ٢٧١ .

(ج) وقال الزبيدي: "الفضل معروف وهو ضد النقص، ... ورجل فاضل ذو فضل ... كثير الفضل والمعروف والخير والسماح، وهي مفضالة ومفضلة ذات فضل سمحة، والفضيلة خلاف النقبصة وهي الدرجة الرفيعة في الفضل، والاسم من ذلك الفاضلة ... وفضله على غيره تفضيلاً مَرَاهُ أَي أثبت له مَرِيَّةً أَي خِصْلَةً تَمِيْزُهُ عن غيره أو فَضْلَهُ حكم له بالتفضيل أو صيرهُ كذلك " ٢٧٢ .

٣٢. الزنا:

وقد ذكرناها سابقاً في فصل "الحب والزنا"، ويكون في الزنا حباً أحياناً.

قال الله ﷻ:

٢٧٠ المفردات، ص ٣٨٣ .

٢٧١ لسان العرب، ١١/٥٢٤ .

٢٧٢ تاج العروس، ٨/٦١ .

وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٣﴾ (الإسراء: ١٧، ٣٢)

(أ) قال الراغب: " الزنا وطءُ المرأة من غير عقد شرعي " ٢٧٣.

(ب) وقال ابن منظور: " الزنا يمد ويقصر، زنى الرجل يزني زنى مقصور وزنا ممدود وكذلك المرأة " ٢٧٤.

(ج) وقال الزبيدي^{٢٧٥}: " زنى الرجل يزني زناً وزناً بكسرهما ... فَجَرَ، وكذلك المرأة ... قال المناوي: الزنا ... شرعاً: إيلاج الحشفة بفرج مُحَرَّم بعينه خال عن شبهة مشتهى " ٢٧٦.

٣٣. الحفاوة:

قال الله ﷻ:

٢٧٢ المفردات، ص ٢٢٠.

٢٧٤ لسان العرب، ١٤/٣٥٩.

٢٧٥ تاج العروس، ١٩/٤٩٧.

٢٧٦ مسألة: كيف يعتبر " الزنا " نوعاً من أنواع الحب؟

نستخلص من تعريف العلماء أعلاه للزنا أنه: اتجاه بالحب بين الجنسين الذكر والأنثى إلى مرحلة وحالة مضادة ومعاكسة للشرائع والدين، ولكنه لولا وجود الحب والرغبة والزيادة على ذلك بالانسياق وراء الشهوة دون ضوابط لا يحصل الزنا ولا يقع. يقول ابن حزم واصفاً هذه العلاقة:

" وكثيرٌ من الناس يطيعون أنفسهم ويعصون عقولهم ويتبعون أهواءهم، ويرفضون أديانهم، ويتجنبون ما حض الله تعالى عليه ورتبه في الألباب السليمة من العفة وترك المعاصي ومقارعة الهوى، ويخالفون الله ربهم ويوافقون إبليس فيما يحبه من الشهوة المعطية فيوافقون المعصية في جهيم.... الرجال والنساء في الجنوح إلى هذين الشئيين سواء، وما رجل عرضت له امرأة جميلة بالحب وطال ذلك ولم يكن ثمَّ مانع إلا وقع في شُرْك الشيطان واستهوته المعاصي واستفزه الحرص وتغوله الطمع، وما امرأة دعاها رجل بمثل هذه الحالة إلا وأمكنته، حتماً مقضياً وحقماً نافذاً لا محيد عنه البتة ". (ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٢٠).

قَالَ سَلَّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيَ إِنَّهُ كَانَتْ بِي حَفِيًّا ﴿٢٧﴾ (مريم، ١٩: ٤٧)

(أ) قال الراغب: "الحفيُّ البرُّ اللطيف قوله ﷺ: ... إِنَّهُ كَانَتْ بِي حَفِيًّا، ويقال أحفيتُ بفلان وتحفيتُ به إذا عنيتُ بذكرانه" ٢٧٧.

(ب) وقال ابن منظور: "والحفاوة بالفتح المبالغة في السؤال عن الرجل والعناية في أمره ... تقول منه: حَفَيْتُ بالكسر حفاوةً وَحَفَيْتُ به أي بالغت في إكرامه وإِطافِهِ" ٢٧٨.

(ج) وقال الزبيدي: "وتحفي به تَحْفِيًّا واحتفي به: بالغ في إكرامه وأظهر السرور والفرح. يُقال: هو حَفِيٌّ أي بَرٌّ مبالغ في الكرامة والتحفِي الكلام واللقاء الحَسَن، وقال الرَّجَاج في قوله ﷺ: ... إِنَّهُ كَانَتْ بِي حَفِيًّا، أي لطيفاً يُقال: حَفِيٌّ فلان بفلان حِفْوَةً إذا بَرَّهُ وَأَلْطَفَهُ" ٢٧٩.

٣٤. الشفقة:

قال الله ﷻ:

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ حَشِيَّتِهِ

مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ (الأنبياء، ٢١: ٢٨)

نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ حَشِيَّةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٣٠﴾

(المؤمنون، ٢٣: ٥٦-٥٧)

(أ) قال الراغب: "الإشفاق عناية مختلطة بِخَوْفٍ لأن المُشْفِق يُحِبُّ المُشْفَقَ عَلَيْهِ وَيَخَافُ ما يلحقه" ٢٨٠.

٢٧٧ المفردات، ص ١٣٢.

٢٧٨ لسان العرب، ١٤/ ١٨٨.

٢٧٩ تاج العروس، ١٩/ ٣٣٠.

٢٨٠ المفردات، ص ٢٦٧.

(ب) وقال ابن منظور: " الشفق الحيفة ... تقول أنا مُشفق عليك أي أخاف ... والشفقة: رقة من نُصح أو حبّ يؤدي إلى خوف " ٢٨١ .

(ج) وقال الزبيدي: " الشفقة حرص الناصح على صلاح المنصوح، يُقال: لي عليه شفقة أي رحمة ورقة وخوف من حلول مكروه به مع نُصح وقد أشفق عليه أن يناله مكروه ... " ٢٨٢ .

٣٥. الولاية:

قال الله ﷻ:

اللَّهُ وَلىُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ
الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۗ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ (البقرة: ٢٥٧)

وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۗ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ
كَأَنَّهُ وَلىٌّ حَمِيمٌ ﴿٤١﴾ (فصلت: ٤١)

(أ) قال الراغب: " الولاية والتوالي أن يحصل شيثان فصاعداً حُصولاً ليس بينهما ما ليس منهما، ويُستعار ذلك للقرب من حيث المكان ومن حيث النسبة ومن حيث الدين ومن حيث الصداقة والتُّصرة والاعتقاد " ٢٨٣ .

(ب) قال ابن منظور: " وقوله ﷻ: " اللهم والِ من والاه " أي أحب من أحبه ... ووالى فلان فلاناً إذا أحبه " ٢٨٤ .

(ج) وقال الزبيدي: " والوليُّ له معانٍ كثيرة: فمنها المُحبُّ، وهو ضد العدو،

٢٨١ لسان العرب، ١٠ / ١٨٠ .

٢٨٢ تاج العروس، ١٣ / ٢٤٤ .

٢٨٣ المفردات، ص ٥٤٧ .

٢٨٤ لسان العرب، ١٥ / ٤٠٩ .

٣٦. الصغى:

قال الله ﷻ:

وَلَتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرْضَوْهُ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ

مُقْتَرِفُونَ ﴿٣٦﴾ (الأنعام: ٦: ١١٣)

(أ) قال الراغب: "الصغو: الميل، يقال: 'صغت النجوم والشمس صغواً: مالت للغروب'، ٢٨٦".

(ب) قال ابن منظور: "صغا إليه يصغى ويصغو صغواً وصغواً وصغاً مال ... وقال ابن السكيت: 'صغيت إلى الشيء أصغى صغياً إذا ملت وصغوت أصغو صغوا ... قال الله تعالى: "وَلَتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ" أي ولتميل وصغوه معك وصغوه وصغاه أي ميله معك، وصاغية الرجل الذين يميلون إليه ويأتونه ويطلبون ما عنده ويغشونه ... وفي حديث ابن عوف: كاتبت أمية بن خلف أن يحفظني في صاغيتي بمكة وأحفظه في صاغيته بالمدينة . هم خاصة الإنسان والمائلون إليه ... وصغا على القوم صغا إذا كان هواه مع غيرهم." ٢٨٧

(ج) وقال الزبيدي: "صغى يصغى صغاً: مال ... وصاغيتك الذين يميلون اليك ويأتونك في حوائجهم" ٢٨٨ .

٢٨٥ تاج العروس، ٢٠ / ٣١٠.

٢٨٦ المفردات، صفحة ٢٨٥.

٢٨٧ لسان العرب، مجلد ١٤، صفحة ٤٦١.

٢٨٨ تاج العروس، مجلد رقم ١٠، صفحة ٢١٠.

٣٧. الوليعة:

قال الله ﷻ:

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ (التوبة، ١٦)

(أ) قال الراغب: "الوليعة: كل ما يتخذه الإنسان معتمداً عليه، وليس من أهله، من قوهم: فلان وليجة في القوم: إذا لحق بهم وليس منهم؛ إنساناً كان أو غيره. قال تعالى: "وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ" (التوبة، ١٦: ٩) وذلك مثل قوله: "يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ" (المائدة، ٥: ٥١) ٢٨٩.

(ب) قال ابن منظور: "ووليعة الرجل: بطانته وخاصته ودخلته؛ وفي التنزيل: "وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ". قال أبو عبيدة: الوليعة البطانة، وهي مأخوذة من ولج يلج ولوجاً ولجة إذا دخل، أي ولم يتخذوا بينهم وبين الكافرين دخيلة مودة؛ وقال أيضاً: وليجة: كل شيء أوجلته فيه وليس منه، فهو وليجة؛ والرجل يكون في القوم وليس منهم، فهو وليجة فيهم، يقول: 'ولا يتخذوا أولياء ليسوا من المؤمنين دون الله ورسوله' ٢٩٠.

(ج) وقال الزبيدي: "قال أبو عبيدة: الوليعة: البطانة والدخيلة وخاصتك من الرجال، تطلق على الواحد وغيره. وفي العناية في آل عمران: استعيرت لمن اختص بك بدليل قوهم: لبست فلاناً، إذا اختصصته. قلت: فهو إذن مجاز. الوليعة: من تتخذه معتمداً عليه من غير أهلِكَ" ٢٩١.

٢٨٩ المفردات، صفحة ٥٣٣.

٢٩٠ لسان العرب، مجلد ٢، صفحة ٣٩٩.

٢٩١ تاج العروس، مجلد ٦، صفحة ٢٦٢.

قال الله ﷻ:

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٦٣﴾ (آل عمران، ٣: ١٠٣)

وإن يُريدُوا أَن تَخَدَّعُواكَ فَإِنِّ حَسْبَكَ اللَّهُ ۗ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٣﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۗ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۗ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ (الأفقال، ٨: ٦٢ - ٦٣)

(أ) قال الراغب: "والإلفُ اجتماعٌ من الثام، يقال: ألفتُ بينهم، ومنه الألفةُ، ويقال للمألوف: إلفٌ وألفٌ، قال تعالى: إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ" (آل عمران، ٣: ١٠٣)، وقال لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ (الأفقال، ٨: ٦٣).

وفي الكلام يقول الراغب عن المودة: "ودد: الودّ محبة الشيء وتمني كونه، ويُستعمل في كلِّ واحد من المعنيين على أن التمتي يتضمّن معنى الودّ لأنّ التمتي هو تشهي حصول ما تودّه، وقوله: وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً (الروم، ٣٠: ٢١) وقوله: سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (مرهم، ١٩: ٩٦) فإشارة إلى ما أوقع بينهم من الألفة المذكورة في قوله: لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ (الأفقال، ٨: ٦٣) " ٢٩٢.

(ب) وقال ابن منظور: "إِثْلَفَ الشيءُ: أَلَفَ بعضُهُ بعضاً، وألّفه: جمع بعضه إلى بعض، وتألّف: تَنظَّم. والإلف: الأليفُ. يقال: حنّت الإلفُ إلى

(ج) وقال الزبيدي: " وفي الحديث ((فإنه أحرى أن يؤدم بينكما)) قال الكسائي يعني أن يكون بينكما المحبة والاتلاف " ^{٢٩٤}.



في الخلاصة، فإن الله ﷻ يذكر ثمانية وثلاثين نوعاً من الحبّ في القرآن الكريم. وكل نوع من الحبّ يختلف قليلاً عن الأنواع الأخرى، فلا ترادف في اللغة العربية، ولكل كلمة معنى فريد ومحدد مع اختلاف بسيط في المعنى. وأنواع الحبّ المختلفة المذكورة في القرآن الكريم هي: (١) الحب؛ (٢) المحبة؛ (٣) الاستحباب؛ (٤) الرحمة؛ (٥) الرأفة؛ (٦) الوُد؛ (٧) المودة؛ (٨) الوداد؛ (٩) الإرادة؛ (١٠) الشغف؛ (١١) الهوى؛ (١٢) الاستهواء؛ (١٣) الغوى؛ (١٤) الهم؛ (١٥) الرغَب؛ (١٦) التقارب، المقاربة، القرب؛ (١٧) الغرام؛ (١٨) الهيام؛ (١٩) الخلة؛ (٢٠) الصداقة؛ (٢١) الصحبة؛ (٢٢) الإيثار؛ (٢٣) الضلال؛ (٢٤) الرضى؛ (٢٥) الحنان؛ (٢٦) الإعجاب؛ (٢٧) الميل؛ (٢٨) الشهوة؛ (٢٩) الصبأ؛ (٣٠) الابتغاء؛ (٣١) التفضيل؛ (٣٢) الزنا؛ (٣٣) الحفاوة؛ (٣٤) الشفقة؛ (٣٥) الولاية؛ (٣٦) الصغى؛ (٣٧) الوليجة؛ (٣٨) الألفة. وربما تكون أنواع أخرى من الحبّ - مثل العبادة والتوقير - ولكن لم نجد دليلاً لغويّاً واضحاً يثبت أنها من أنواع الحبّ، وليس مجرد فعل قد يدخل فيه الحبّ أحياناً.

٢٩٣ لسان العرب، مجلد ٩ ، صفحة ٩.

٢٩٤ تاج العروس، مجلد ٨ ، صفحة ١٨٠.

٢٢. الباب الرابع؛ الفصل الثاني:

مراحل الحب

وصف الله ﷺ في القرآن الكريم مراحل عدة للحب البشري ،
وسنقسمها إلى ثلاثة أصناف نذكرها في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: يتضمن مراحل حبّ الناس لله ﷺ وحبّ الناس للناس

نذكر في هذا المطلب مراحل الحبّ التي تتعلّق بحبّ الناس لله ﷺ،
وتتعلّق أيضاً بحبّ الناس للناس، فهي تتضمّن النوعين فتُعمّ علاقة حبّ
الناس لله ﷺ وكذلك علاقة حبّ الناس للناس. وهذه المراحل هي^{٢٩٥}:

٢٩٥ وجدنا عند بعض العلماء وصف بعض مراحل الحبّ ، ولكن هذه المراحل غير مبنية
على مصطلحات وآيات القرآن الكريم، فلم نذكرها في رسالتنا هذه، ومن ذكر تلك المراحل
من العلماء:

قال **الأنصاري الهروي** (توفي سنة ٤٨١هـ): "والحبة هي سمة الطائفة، وعنوان
الطريقة، ومعقد النسبة. وهي على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: حبة تقطع الوسوس،
وتلدّ الخدمة، وتسلى عن المصائب. وهي حبة تنبت من مطالعة المنة، وتثبت باتباع السنة،
وتنمو على الإجابة للفاقة. والدرجة الثانية: حبة تبعث على إثارة الحق على غيره، وتلهج
اللسان بذكره، وتعلّق القلب بشهوده. وهي حبة تظهر من مطالعة الصفات، والنظر في
الآيات، والارتياض بالمقامات. والدرجة الثالثة: حبة خاطفة تقطع العبارة، وتدقق الإشارة،
ولا تنتهي بالنعوت. وهذه الحبة هي قطب هذا الشأن، وما دونها محاب نادت عليها الألسن،
وأدعتها الخليقة، وأوجبها العقول". (الهروي، منازل السائرين، ص ٨٩-٩٠).

وقال **ابن الجوزي** (توفي سنة ٥٩٧هـ): "أول ما يتجدد الاستحسان للشخص، ثم
يجلب إرادة القرب منه، ثم المودة، وهو أن يود أن لو ملكه، ثم يقوى الودّ فيصير حبة، ثم
يصير خُلّة، ثم يصير هوى، فيهوي بصاحبه في محابّ المحبوب من غير تمالك، ثم يصير عشقاً،
ثم يصير تبيماً. والتبيم حالة بصير بها المعشوق مالكاً للعاشق، لا يوجد في قلبه سواه، ومنه

١. الفراغ:

الفراغ مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ وحبّ الناس للناس إلى فراغ مسبق من أي حبّ آخر. يقول الله ﷻ:

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّاتِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلِكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ

يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٤)

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۗ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا

لَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٠﴾ (القصص، ٢٨: ١٠)

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٦٠﴾ (الشرح، ٩٤: ٧)

٢. الفقر:

الفقر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ وحبّ الناس للناس إلى فقر مسبق. يقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٠﴾ (فاطر، ٣٥: ١٥)

تيم الله. ثم يزيد التيم فيصير ولها، والولّه الخروج عن حد الترتيب، والتعطل عن أحوال التمييز. (ابن الجوزي، ذم الهوى، ص ٢٣٠-٢٣١).

وقال ابن تيمية (توفي سنة ٧٢٨هـ): "حبة القلب للبشر على طبقات: أحدها العلاقة: وهو تعلق القلب بالمحبوب. ثم الصباية: وهو انصباب القلب إليه. ثم الغرام: وهو الحبّ اللازم. ثم العشق، وآخر المراتب هو التيم: وهو التعبد للمحبوب، والمتيم المعبود، وتيم الله عبد الله فإن الحب يبقى ذاكرةً معبداً مذلاًّ لمحبيه. وأيضاً فاسم الإناية إليه يقتضي المحبة أيضاً، وما أشبه ذلك من الأسماء كما تقدم". (ابن تيمية، التحفة العراقية، ص ٨٨).

هَتَأْتُمْ هَتُؤَلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ
فَأِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ ۗ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
عَرِيكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلِكُمْ ﴿٣٨﴾ (محمد، ٤٧: ٣٨)

وقال موسى ﷺ في القرآن الكريم:

فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ (القصص، ٢٨: ٢٤)

٣. التزُّين:

التزُّين مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبُّ الناس لله ﷻ وحبُّ
الناس للناس إلى تزُّين مسبق في نظر أو نفس أو قلب الذي يُحبُّ. يقول الله
ﷻ:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَلِكَ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ
عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَقَابِلِ ﴿١٤﴾ (آل عمران، ١٤: ١٤)

بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي
قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوءًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿٤٨﴾ (الفتح، ٤٨: ١٢)

قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٥﴾ (الحجر، ١٥: ٣٩)
وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۗ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِيمٌ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ
إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ
الرَّاشِدُونَ ﴿٤٩﴾ (الحجرات، ٤٩: ٧)

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ

الْقِيَمَةَ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٢٦﴾ (البقرة، ٢: ٢٢٦)

وسنشرح هذا الأمر لاحقاً في فصل " مثلث الحب " .

٤ . الإعجاب:

الإعجاب مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ وحبّ الناس للناس إلى الإعجاب. يقول الله ﷻ:

وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ ۚ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ حَتَّىٰ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا أُعْجَبْتُمْ ۚ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا أُعْجَبُكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۗ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۗ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ (البقرة، ٢: ٢٢١)

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُشْبٌ مُّسْنَدَةٌ ۗ تَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۗ قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ ۗ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤١﴾ (المتافرون، ٦٣: ٤١)

لَا يَحِلُّ لَكَ الْبَنَاءُ مِنَ الْبَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَا أُعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٥٢)

قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ ۗ أَهْلَ الْبَيْتِ ۗ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٣٢﴾ (هود، ١١: ٧٣)

قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١٠١﴾ (الجن، ٧٢: ١٠١)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحبّ في فصل " أنواع الحب " .

٢٩٦ وانظر إلى: الأنعام، ٦: ٤٣؛ الأنعام، ٦: ١٣٧؛ الأنفال، ٨: ٤٨؛ النحل، ١٦: ٦٣؛

النمل، ٢٧: ٢٤؛ العنكبوت، ٢٩: ٣٨؛ الأنعام، ٦: ١٠٨؛ النمل، ٢٧: ٤؛ فصلت، ٤١: ٢٥؛

الأنعام، ٦: ١٢٢؛ التوبة، ٩: ٣٧؛ يونس، ١٠: ١٢؛ الرعد، ١٣: ٣٣؛ فاطر، ٣٥: ٨؛ غافر، ٤٠:

٣٧؛ محمد، ٤٧: ١٤؛ يونس، ١٠: ٢٤.

جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَسِبَ رَبَّهُ. ﴿٨﴾ (البقرة: ٩٨: ٨)

تَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ. ﴿٢١﴾ (التوبة: ٩٦: ٢١)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحبّ في فصل "أنواع الحب".

٧. التقرب:

التقرب مرحلة من مراحل الحبّ، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ وحبّ الناس للناس إلى التقرب. يقول الله ﷻ:

وَنَدَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْتُهُ نَجِيًّا ﴿٢٤﴾ (مريم: ١٩٠: ٥٢)

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّكَ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَزُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ (المائدة: ٥: ٨٢)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحبّ في فصل "أنواع الحب".

٨: الإرادة:

الإرادة مرحلة من مراحل الحبّ، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ وحبّ الناس للناس إلى الإرادة. يقول الله ﷻ:

وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَنِعَوْلنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيَنَّ بِالْعُرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيَّهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ (البقرة: ٢٢٨)

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَلَا تَطَّعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ (الكهف، ١٨: ٢٨)

وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ (الأنعام، ٦: ٥٢)

وقد ذكرناها سابقاً كنوع من أنواع الحبّ في فصل "أنواع الحب".

٩. الابتغاء:

الابتغاء مرحلة من مراحل الحبّ، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ وحبّ الناس للناس إلى الابتغاء. يقول الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ (البقرة، ٢: ٢٠٧)

إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠٨﴾ (الليل، ٩٢: ٢٠٨)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحبّ في فصل "أنواع الحب".

١٠. الرُّغْب:

الرُّغْبُ مرحلة من مراحل الحبّ، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ وحبّ الناس للناس إلى الرُّغْب. يقول الله ﷻ:

وَالِإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٩٤﴾ (الشرح، ٩٤: ٩٤)

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۗ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُوهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ

مِنَ الْوَالِدَيْنِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ

عَلِيمًا ﴿٢٧﴾ (النساء، ٤: ١٢٧)

فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ إِحْسَانًا وَوَضَعْنَا لَهُ آلِهَتَهُ بِمَا كَانُوا يُشْرِكُونَ ۚ

الْحَيَّرْتِ وَيَدْعُونََنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۗ وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٢٨﴾ (الأنبياء، ٢١: ٩٠)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحبّ في فصل "أنواع الحب".

١١. الولاية:

الولاية مرحلة من مراحل الحبّ، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ وحبّ الناس للناس إلى الولاية. يقول الله ﷻ:

إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ ۗ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿٢٩﴾ (الأعراف، ٧: ١٩٦)

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٠﴾ (يونس، ١٠: ٦٢)

رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ تُوَفِّي مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٣١﴾ (يوسف، ١٢: ١٠١)

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ

مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ

﴿٣٢﴾ (آل عمران، ٣: ٢٨)

وقد ذكرناها سابقاً كنوع من أنواع الحبّ في فصل "أنواع الحب".

١٢. الخُلة:

الخُلة مرحلة من مراحل الحبّ، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ وحبّ الناس للناس إلى الخُلة. يقول الله ﷻ:

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا

الحب في القرآن الكريم

شَفَعَةً وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ (البقرة، ٢: ٢٥٤)

الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ (الزخرف، ٤٣: ٦٧)

وَأَخَذَ اللَّهُ إِتْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ (النساء، ٤: ١٢٥)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحبّ في فصل "أنواع الحب".

١٣. الفرح:

الفرح مرحلة من مراحل الحبّ، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ وحبّ الناس للناس إلى الفرح. يقول الله ﷻ:

قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥١﴾ (يونس، ١٠: ٥٨)

فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ (آل عمران، ٣: ١٧٠)

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۗ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿١٣﴾ (الرعد، ١٣: ٢٦)

فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٢٣﴾ (المؤمنون، ٢٣: ٥٣)

١٤. السكن:

السكن مرحلة من مراحل الحبّ، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ وحبّ الناس للناس إلى السكن. يقول الله ﷻ:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ (الروم، ٣٠: ٢١)

١٥. الرجاء:

الرجاء مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ وحبّ الناس للناس إلى الرجاء. يقول الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧٠﴾ (يونس، ١٠: ٧)

وَلَا تَهِنُوا فِي آيَاتِنَا الْقَوْمِ ۗ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۗ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٤﴾ (النساء، ٤: ١٠٤)

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٢١)

وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ۗ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ (النور، ٢٤: ٦٠)

١٦. العمل:

العمل مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ وحبّ الناس للناس إلى العمل. يقول الله ﷻ:

وَأَسْتَبَقُوا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ۗ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ (يوسف، ١٢: ٢٥)

قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ۖ فَاسْتَعْصَمَ ۗ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرْتُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَيَكُونًا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٣﴾ (يوسف، ١٢: ٣٣)

وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمَلُونَ ﴿١١١﴾ (هود، ١١: ١٢١)

١٧. الذِّكْر:

الذِّكْر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ وحبّ الناس للناس إلى الذِّكْر. يقول الله ﷻ:

قَالُوا تَاللّٰهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهٰلِكِينَ

(يوسف، ١٢: ٨٥)

يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اذْكُرُوْا اللّٰهَ ذِكْرًا كَثِيْرًا ﴿٣٣﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٤١)

فَاذْكُرُوْنِيْ اذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوْا لِيْ وَلَا تَكْفُرُوْنَ ﴿٣٢﴾ (البقرة، ٢: ١٥٢)

فَإِذَا قَضَيْتُمْ مِّنْ سَكَنِكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمَنْ

النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِّنْ خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ (البقرة، ٢: ٢٠٠)

١٨. النجوى:

النجوى مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ وحبّ الناس للناس إلى النجوى. يقول الله ﷻ:

وَنَدَيْتَنَّهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْتَنَّهُ يُحْيَا ﴿٢٤﴾ (مريم، ١٩: ٥٢)

خُنْ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّٰلِمُونَ إِن

تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿١٧﴾ (الإسراء، ١٧: ٤٧)

١٩. الابتلاء:

الابتلاء مرحلة من مراحل الحب، ويحصل الابتلاء في حبّ الناس لله ﷻ وحبّ الناس للناس. يقول الله ﷻ:

هٰذَا لِكِ اٰتِيْلِ الْمُؤْمِنُوْنَ وَزُلْزِلُوْا زَلْزٰلًا شَدِيْدًا ﴿٣٣﴾ (الأحزاب، ٣٣: ١١)

وَإِذْ اٰتٰى اِبْرٰهِيْمَ رُبُّهُ بِكَلِمٰتٍ فَاَتَمَّهُنَّ ۗ قَالَ اِنِّىْ جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ اِمٰمًا ۗ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِيْ

٢٠. الاطمئنان:

الاطمئنان مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ وحبّ الناس للناس إلى الاطمئنان. يقول الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ

عَنْ ءَايَاتِنَا غَنَفِلُونَ ﴿٢٠﴾ (يونس، ١٠: ٧)

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ (الرعد، ١٣: ٢٨)

٢١. العلم:

العلم مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ وحبّ الناس للناس إلى العلم. يقول الله ﷻ:

فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ

رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿٥١﴾ (طه، ٢٠: ١١٤)

قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَنِّي يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ

سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ النَّنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ

الصّٰدِقِينَ ﴿٥٢﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخٰنِثِينَ

﴿٥٢﴾ (يوسف، ١٢: ٥١ - ٥٢)

٢٢. المعرفة:

المعرفة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ وحبّ الناس للناس إلى المعرفة. يقول الله ﷻ:

الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ
الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ (البقرة، ٢: ١٤٦)

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِن
الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمِنَّا فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٧﴾ (المائدة، ٥: ٨٣)

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٨﴾ (يونس، ١٠: ٤٥)

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴿٤٩﴾
إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٥١﴾ (الحجرات، ٤٩: ١٣)

وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ﴿٥٢﴾ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٥٣﴾ قَبِلَهَا أَدْخُلِي
الصَّرْحَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبْتَهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴿٥٥﴾
قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٦﴾ (النمل، ٢٧: ٤٤-٤٤)

٢٣. المشيئة:

المشيئة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ وحبّ
الناس للناس إلى المشيئة. يقول الله ﷻ:

نَسَاؤُكُمْ حَزَنٌ لَّكُمْ فَأَنْتُمْ حَزَنُكُمْ أُنَىٰ شِعْمٌ ﴿٥٧﴾ وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ﴿٥٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا
أَنَّكُمْ مُّلْكُوهُ ﴿٥٩﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٠﴾ (البقرة، ٢: ٢٢٣)

تَرَىٰ الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴿٦١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ هُمْ مَّا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴿٦٢﴾ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ
﴿٦٣﴾ (الشورى، ٤٢: ٢٢)

هُم مَّا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴿٦٤﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٥﴾ (الزمر، ٣٩: ٣٤)

٢٤. الخوف:

الخوف مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ وحبّ الناس للناس إلى الخوف. يقول الله ﷻ:

وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٤﴾ (الأعراف، ٧: ٢٠٥)

تَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥١﴾ (الحل، ١٦: ٥٠٠)

وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩١﴾ (النساء، ٤: ٩٠)

٢٥. الحزن:

الحزن مرحلة من مراحل الحب، ويحصل الحزن في حبّ الناس لله ﷻ وحبّ الناس للناس. يقول الله ﷻ:

قَالَ إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ (يوسف، ١٢: ١٣)

وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفِي عَلَى يَوْسُفَ وَابْتِصَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ (يوسف، ١٢: ٨٤)

تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتَوَلَّى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ^ط وَمَنْ ابْتِغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ^ع ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ^ب وَيَرْضَيْنَ^ب بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ^ع وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ^ع وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٥١)

وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿١٢١﴾ (التوبة، ٩٢: ٩٢)

٢٦. الألم:

الألم مرحلة من مراحل الحب، ويحصل الألم في حبّ الناس لله ﷻ وحبّ الناس للناس. يقول الله ﷻ:

وَلَا تَهِنُوا فِي آتِبَغَاءِ الْقَوْمِ ۗ إِن تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ ۗ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤٤﴾ (النساء، ٤: ١٠٤)

٢٧. البكاء:

البكاء مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ وحبّ الناس للناس إلى البكاء. يقول الله ﷻ:

أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۗ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ (مريم، ١٩: ٥٨)

وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ (التوبة، ٩: ٩٢)

٢٨. التغيير:

التغيير مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ وحبّ الناس للناس إلى التغيير. يقول الله ﷻ:

وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ۗ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ (الزمر، ٣٩: ٥٥-٥٤)

ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴿٥٦﴾ وَمَا أَبْرَأُ

نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ (يوسف، ١٢: ٥٣-)

(٥٣)

يُحْصَلُ فِي الْحَبِّ تَغْيِيرٌ بِمَنْ يُحِبُّ، فَهَذِهِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ، بَعْدَمَا خَانَتْ زَوْجَهَا، أَبَتْ أَنْ تَخُونَ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَكَذَلِكَ فِي حَبِّ النَّاسِ لِلَّهِ ﷻ يُحْصَلُ تَسْلِيمٌ وَإِنَابَةٌ، وَهَذَا يَعْنِي تَغْيِيرًا فِي النَّفْسِ.

٢٩. الْقَبْضُ:

الْقَبْضُ مَرْحَلَةٌ مِنْ مَرَاكِلِ الْحَبِّ، وَيُحْصَلُ الْقَبْضُ فِي حَبِّ النَّاسِ لِلَّهِ ﷻ وَحَبِّ النَّاسِ لِلنَّاسِ. يَقُولُ اللَّهُ ﷻ:

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا كثيرة ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ (البقرة، ٢: ٢٤٥)

٣٠. الْبَسْطُ:

الْبَسْطُ مَرْحَلَةٌ مِنْ مَرَاكِلِ الْحَبِّ، وَيُحْصَلُ الْبَسْطُ فِي حَبِّ النَّاسِ لِلَّهِ ﷻ وَحَبِّ النَّاسِ لِلنَّاسِ. يَقُولُ اللَّهُ ﷻ:

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا كثيرة ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ (البقرة، ٢: ٢٤٥)

٣١. الْحَاجَةُ إِلَى الْخُلُوةِ:

الْحَاجَةُ إِلَى الْخُلُوةِ مَرْحَلَةٌ مِنْ مَرَاكِلِ الْحَبِّ، وَيَحْتَاجُ حَبِّ النَّاسِ لِلَّهِ ﷻ وَحَبِّ النَّاسِ لِلنَّاسِ إِلَى الْحَاجَةِ إِلَى الْخُلُوةِ. يَقُولُ اللَّهُ ﷻ:

قَالَ رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصَبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ (يوسف، ١٢: ٣٣)

ويلاحظ هنا أن يوسف عليه السلام، من بعد ما رأى "برهان ربه"، لم يقل "السجن أفضل إلي"، ولكن قال "الْسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ"، فنستنبط من هذا أن يوسف عليه السلام كان يحب أن يدخل السجن لكي يذكر ربه خالياً ومن غير إزعاج.

٣٢. الصبر:

الصبر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله تعالى وحبّ الناس للناس إلى الصبر. يقول الله تعالى:

وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ حَمِيلٌ ۗ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٤٠﴾ (يوسف، ١٢: ١٨)

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ حَمِيلٌ ۗ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٤١﴾ (يوسف، ١٢: ٨٣)

رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۗ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ (مريم، ١٩: ٦٥)

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٦﴾ (الكهف، ١٨: ٢٨)

٣٣. الأمل:

الأمل مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله تعالى وحبّ الناس للناس إلى الأمل. يقول الله تعالى:

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِيِّ وَحَزَنِي إِلَىٰ اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ (يٰسٓر)

أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ

اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ (يوسف، ١٢: ٨٧-٨٦)

أَمْالٍ وَالْبَنُونَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ

أَمَلًا ﴿٤١﴾ (الكهف، ١٨: ٤٦)

ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمِ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ (الحجر، ١٥: ٣)

٣٤. الغيرة:

الغيرة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ وحبّ

الناس للناس إلى الغيرة. يقول الله ﷻ:

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ (يوسف، ١٢: ٤٠)

إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غَضَبُهُ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٢﴾

أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا

صَالِحِينَ ﴿٤٣﴾ (يوسف، ١٢: ٨-٩)

... وَأَنَا أَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ (الأعراف، ٧: ١٤٣)

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥١﴾ (الذاريات، ٥١: ٥٦)

قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ أَخْتِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أَمَرْتُ

أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٤٥﴾ (الأنعام، ٦: ١٤)

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا

أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣٦﴾ (الإسراء، ١٧: ٢٣)

قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ ﴿٤٣﴾ (الزخرف، ٤٣: ٨١)

يلاحظ هنا أن إخوة يوسف عليه السلام غاروا من حبّ أبيهم له. ويلاحظ هنا أن الرسول ﷺ أمر أن يقول: " فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ "، وأن موسى عليه السلام قال: " وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ "، فنستنبط هنا أنه يحصل عند الرُّسل نوع من الغيرة من شدة حبهم لله ﷻ، والله أعلم. وهل يمكن لنا أن نعتبر نهي الله ﷻ عن الشرك به نوعاً من أنواع الغيرة على عباده؟ الله أعلم.

وأخيراً نلاحظ أنه في القرآن الكريم والشريعة الإسلامية، إذا حصل طلاق البينة الكبرى بين الزوجين، فلا يمكنهما الزواج من بعضهما مرة أخرى إلا إذا تزوجت المرأة من رجل آخر ثم طلقته (إن أرادت ذلك بالطبع). يقول الله ﷻ:

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۗ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

﴿٢٣٠﴾ (البقرة، ٢: ٢٣٠)

وهنا نرى كيف تساعد الغيرة (وغيرها من العواطف) على إنعاش الحبّ وسره.

٣٥. اللّقاء:

اللّقاء مرحلة من مراحل الحبّ، ويحصل اللّقاء في حبّ الناس لله ﷻ وحبّ الناس للناس. يقول الله ﷻ:

نَسَأُوكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَاتُوا حَرَّتْكُمْ أَنِّي شَفِئْتُمْ ۗ وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ (البقرة، ٢: ٢٢٣)

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي

وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَتَنَبَّأُوا مِنَّهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يُظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلْقُوا بِاللَّهِ كَمَ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ (البقرة، ٢٤٩)

الَّذِينَ يُظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلْقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ (البقرة، ٤٦)

كما ذكرناه سابقاً في فصل "الحبّ الزوجي".

٣٦. المعية:

المعية مرحلة من مراحل الحبّ، وتحصل المعية في حبّ الناس لله ﷺ وحبّ الناس للناس. يقول الله ﷻ:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَعٍ أُخْرِجَ شَطَطُهُ ۚ فَفَازَرَهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ ۖ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٤٨﴾ (الفتح، ٢٤٨)

إِن تَسْتَفْتِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتِكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ (الأنفال، ١٩)

٣٧. قرّة العين:

أن يكون المحبوب قرّة العين مرحلة من مراحل الحبّ، ويحصل في حبّ الناس لله ﷻ وفي حبّ الناس للناس. يقول الله ﷻ:

وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٥٢﴾ (الطور، ٥٢)

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ

إِمَامًا ﴿٣٦﴾ (الفرقان، ٢٥: ٧٤)

المطلب الثاني: ويتضمن مراحل حبّ الناس لله ﷺ

نذكر في هذا المطلب مراحل الحبّ التي تتعلّق بحبّ الناس لله ﷺ (وقد تنطبق أو لا تنطبق على حبّ الناس لبعضهم البعض، ولكن لم نجد هذه المراحل من الحبّ بين الناس في القرآن الكريم)، وهذه المراحل هي:

٣٨. الوُدّ:

الوُدّ مرحلة من مراحل الحبّ، ويحتاج حبّ الناس لله ﷺ إلى الوُدّ. يقول الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٦٦﴾ (مريم، ١٩: ٩٦).
وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحبّ في فصل "أنواع الحبّ".

٣٩. الشفقة:

الشفقة مرحلة من مراحل الحبّ، ويحتاج حبّ الناس لله ﷺ إلى الشفقة. يقول الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ حَشِيَّةٍ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ (المؤمنون، ٢٣: ٥٧).
وقد ذكرناها سابقاً كنوع من أنواع الحبّ في فصل "أنواع الحبّ".

٤٠. الاستئناس، الأُنس:

الاستئناس مرحلة من مراحل الحبّ، ويحصل الاستئناس في حبّ

الناس لله ﷺ. يقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ
نَظَرِينَ إِنَّهُ وَلَيْكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسْتَسِينِ حَدِيثٌ
إِنْ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحِيءُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحِيءُ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا
سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتْنَعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا
كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ
ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ (الأحزاب: ٣٣: ٥٣)

٤١. السلام:

السلام مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷺ إلى
السلام. يقول الله ﷻ:

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا إِلَّا قِيْلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٥﴾ (الواقعة: ٥٦: ٢٥-٢٦)
وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ (يونس: ١٠: ٢٥)
سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٤﴾ (يس: ٣٦: ٥٤)
لَيْلَةَ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ سَنَةٍ ﴿٤٦﴾ تَنزِيلُ الْمَلَكِ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٥١﴾
سَلِّمُوا هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥١﴾ (القدر: ٩٧: ٣-٥)

٤٢. الاكتفاء:

الاكتفاء مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷺ إلى
الاكتفاء. يقول الله ﷻ:

فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ
فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٧٧﴾ (البقرة: ٢: ١٣٧)

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ^ط وَيُخَوِّفُونَكَ بِالذِّبِينَ^ط مِنْ دُونِهِ^ط وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ^ط
 مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ (الزمر، ٣٩: ٣٦)

٤٣. الشُّكْر:

الشُّكْر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبَّ الناس لله ﷻ إلى الشُّكْرِ. يقول الله ﷻ:

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا^ط حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا^ط وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا^ط وَحَمَلُهُ^ط وَفِصْلُهُ^ط
 ثَلَاثُونَ شَهْرًا^ط حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ^ط وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً^ط قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ^ط
 الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي^ط إِنِّي تُبْتُ^ط
 إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٤٦﴾ (الأحقاف، ٤٦: ١٥)

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ^ط وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿١٤٤﴾
 (إبراهيم، ١٤: ٧)

٤٤: التَّوَكُّل:

التَّوَكُّل مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبَّ الناس لله ﷻ إلى التَّوَكُّل. يقول الله ﷻ:

وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ^ط وَمَنْ يَتَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ^ط إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ^ط قَدْ
 جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٦٥﴾ (الطلاق، ٦٥: ٣)

٤٥. " انشراح الصدر "

" انشراح الصدر " مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبَّ الناس لله ﷻ إلى " انشراح الصدر ". يقول الله ﷻ:

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ^ط لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ^ط فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ^ط مِمَّنْ ذَكَرَ

اللَّهُ أَوْلَيْكَ فِي صَلِّ مُبِينٍ ﴿٣٩﴾ (الزمر، ٣٩: ٢٢)

أَلَمْ نَنْفَخْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿٤٠﴾ (الشرح، ٩٤: ١)

٤٦. "لين الجلد":

"لين الجلد" مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷺ إلى "لين الجلد". يقول الله ﷻ:

اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ تَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
ثُمَّ تَلِينَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن
يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٣٩﴾ (الزمر، ٣٩: ٢٣)

٤٧. "لين القلب":

"لين القلب" مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷺ إلى "لين القلب". يقول الله ﷻ:

اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ تَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
ثُمَّ تَلِينَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن
يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٣٩﴾ (الزمر، ٣٩: ٢٣)

٤٨. "قشعريرة الجلد":

"قشعريرة الجلد" مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷺ إلى "قشعريرة الجلد". يقول الله ﷻ:

اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ تَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
ثُمَّ تَلِينَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن
يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٣٩﴾ (الزمر، ٣٩: ٢٣)

٤٩. "وجل القلب":

"وجل القلب" مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ إلى "وجل القلب". يقول الله ﷻ:

الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٠﴾ (الأنفال، ٨: ٢)

الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُم وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٤١﴾ (الحج، ٢٢: ٣٥)

٥٠. التبئيل:

التبئيل مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ إلى التبئيل. يقول الله ﷻ:

وَأذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٥١﴾ (الزمل، ٧٣: ٨)

٥١. الإخبات:

الإخبات مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ إلى الإخبات. يقول الله ﷻ:

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٥٢﴾ (الحج، ٢٢: ٣٤)

٥٢. الإِنَابَةُ:

الإِنَابَةُ مرحلة من مراحل الحبِّ، ويحتاج حبُّ الناسِ لله ﷻ إلى الإِنَابَةِ.

يقول الله ﷻ:

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۗ قُلْ إِنَّمَا اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ (الرعد، ١٣: ٢٧)

وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٤﴾ (الزمر، ٣٩: ٥٤)

٥٣. التَضَرُّعُ:

التَضَرُّعُ مرحلة من مراحل الحبِّ، ويحتاج حبُّ الناسِ لله ﷻ إلى

التَضَرُّعِ. يقول الله ﷻ:

ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ (الأعراف، ٧: ٥٥)

وَأَذْكُرَنَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ (الأعراف، ٧: ٢٠٥)

٥٤. التَّوْبَةُ:

التَّوْبَةُ مرحلة من مراحل الحبِّ، ويحتاج حبُّ الناسِ لله ﷻ إلى التَّوْبَةِ.

يقول الله ﷻ:

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَنْ يَكُنِ
أَنْظُرَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَفْرَقَ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي ۚ فَلَمَّا كَلَّمَهُ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ
دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعْفًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحٰنَكَ تُبِّتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ

﴿٣٧﴾ (الأعراف، ٧: ١٤٣)

٥٥. الاستغفار:

الاستغفار مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ إلى الاستغفار. يقول الله ﷻ:

وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّ رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ (هود، ١١: ٩٠)

... وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ (المزمل، ٧٣: ٢٠)

وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣٠﴾ (هود، ١١: ٣٠)

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿٧١﴾ (نوح، ٧١: ١٠٠)

٥٦. "العَجَل للترضية":

"العَجَل للترضية" مرحلة من مراحل الحبّ لترضية المحبوب، ويحصل

"العَجَل لترضية" المحبوب في حبّ الناس لله ﷻ. يقول الله ﷻ:

قَالَ هُمْ أَوْلَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ (طه، ٢٠: ٨٤)

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ

إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٤٦﴾ (الأحقاف، ٤٦: ١٥)

٥٧. الدعاء:

الدعاء مرحلة من مراحل الحبّ، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ إلى الدعاء. يقول الله ﷻ:

الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ

حَمَلًا حَفِيْفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِن ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ

الشَّاكِرِيْنَ ﴿١٨٩﴾ (الأعراف، ٧: ١٨٩)

وَالَّذِيْنَ يَقُولُوْنَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ۚ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِيْنَ

إِمَامًا ﴿٧٤﴾ (الفرقان، ٢٥: ٧٤)

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيْبٌ ۗ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّٰعِ إِذَا دَعَانِ ۗ فَلَيْسْتَ سَجِيْبُوا لِي

وَلْيُؤْمِنُوْا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُوْنَ ﴿١٨٦﴾ (البقرة، ٢: ١٨٦)

وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُوْنِي اَسْتَجِبْ لَكُمْ ۗ إِنَّ الَّذِيْنَ يَسْتَكْبِرُوْنَ عَن عِبَادَتِي سَيَدْخُلُوْنَ

جَهَنَّمَ دَاخِرِيْنَ ﴿٤٠﴾ (غافر، ٤٠: ٤٠)

٥٨. التذکر:

التذکر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ إلى

التذکر. يقول الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَٰئِفٌ مِّنَ الشَّيْطٰنِ تَذَكَّرُوْا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُوْنَ ﴿٢١٠﴾

(الأعراف، ٧: ٢١٠)

٥٩. الاتباع:

الاتباع مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ إلى

الاتباع. يقول الله ﷻ:

قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوْنِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ

﴿٣١﴾ (آل عمران، ٣: ٣١)

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كَثِيْرًا ﴿٣٣﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٣١)

٦٠. "تمحيص القلب":

"تمحيص القلب" مرحلة من مراحل الحب، ويحصل "تمحيص القلب" في حبّ الناس لله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِيْنَ ﴿١٤١﴾ (آل عمران، ٣: ١٤١)

ثُمَّ اَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمْرِ اَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ اَهَمَّتْهُمْ اَنْفُسُهُمْ يَظُنُّوْنَ بِاللّٰهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَهْلِيَّةِ يَقُوْلُوْنَ هَلْ لَنَا مِنَ الْاَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ اِنَّ الْاَمْرَ كُلَّهُ لِلّٰهِ يُخْفُوْنَ فِيْ اَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُوْنَ لَكَ يَقُوْلُوْنَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنْ الْاَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هُنٰهنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِيْ بُيُوْتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِيْنَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ اِلَى مَضٰجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللّٰهُ مَا فِيْ صُدُوْرِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِيْ قُلُوْبِكُمْ وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ بِذٰتِ الصُّدُوْرِ ﴿١٤٢﴾ (آل عمران، ٣: ١٥٤)

٦١. الشكّ:

الشكّ مرحلة من مراحل الحب، أي الشكّ في صدق الحبّ حرصاً على صفائه، ويحصل الشك في حبّ الناس لله ﷻ. يقول الله ﷻ:

فَإِنْ كُنْتُمْ فِيْ شَكٍّ مِّمَّا اَنْزَلْنَا اِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِيْنَ يَقرءُوْنَ الْكِتٰبَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُوْنَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِيْنَ ﴿٩٤﴾ (يونس، ١٠: ٩٤)

٦٢. الريب:

الريب مرحلة من مراحل الحب، ويحصل الريب في حبّ الناس لله ﷻ. يقول الله ﷻ:

يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ اِنْ كُنْتُمْ فِيْ رَيْبٍ مِّنْ اٰلْبَعَثِ فَاِنَّا خَلَقْنٰكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ

عَلَقَهُ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخْلَقَةٍ وَعَمِيرٍ مُخْلَقَةٍ لِنَبِيِّنَ لَكُمْ^٤ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ^٥ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا^٦ وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنْبِتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ^٧ بِهِيجِ^٨ (الحج، ٢٢: ٥)

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ^٩ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ^{١٠} (البقرة، ٢: ٢٣)

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ^{١١} قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُنَّ^{١٢} قَالَ بَلَىٰ وَوَلَكِن لَّيَطْمِئِنُّ قَلْبِي^{١٣} قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ^{١٤} ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّمَّهِنَّ جُزْءًا^{١٥} ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا^{١٦} وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ^{١٧} (البقرة، ٢: ٢٦)

٦٣. الظن:

الظن مرحلة من مراحل الحبّ، أي الخوف من طرد المحبوب، ويحصل الظن في حبّ الناس لله ﷻ. يقول الله ﷻ:

قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْتِكَ إِلَىٰ نَعَايِهِ^{١٨} وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ^{١٩} وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ^{٢٠} وَحَرَّرَ رَاكِعًا وَأَنَابَ^{٢١} (ص، ٣٨: ٢٤)

إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ^{٢٢} وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا^{٢٣} (الأحزاب، ٣٣: ١٠)

٦٤. النظر:

النظر مرحلة من مراحل الحبّ، أي النظر بالقلب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ إلى النظر. يقول الله ﷻ:

فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ سُحِّيَ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُعْجَى الْمَوْتِ ۗ
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ (الروم، ٣٠: ٥٠)

٦٥. التفكر:

التفكر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ إلى التفكر. يقول الله ﷻ:

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ ﴿٨﴾ (الروم، ٣٠: ٨)
الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَطُلًا سُبْحٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٣٨﴾ (آل عمران، ٣: ٣٨)

٦٦. التدبّر:

التدبّر مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ إلى التدبّر. يقول الله ﷻ:

أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٣﴾ (المؤمنون، ٢٣: ٢٣)
كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٨﴾ (ص، ٣٨: ٢٨)

٦٧. " استعمال العقل " :

" استعمال العقل " مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ إلى " استعمال العقل ". يقول الله ﷻ:

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ

فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَأَيِّتٍ

لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ (البقرة، ٢: ١٦٤)

٦٨. التبصُّر:

التبصُّر مرحلة من مراحل الحبِّ، ويحتاج حبُّ الناس لله ﷻ إلى البصيرة. يقول الله ﷻ:

قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَٰ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ

بِحَفِيظٍ ﴿١٤﴾ (الأنعام، ٦: ١٠٤)

٦٩. اليقين (علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين):

اليقين مرحلة من مراحل الحبِّ، ويحتاج حبُّ الناس لله ﷻ إلى اليقين. يقول الله ﷻ:

كَأَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ (التكاثر، ١٠٢: ٥)

ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَبْوًا يُبَيِّنُ ﴿٦﴾ (التكاثر، ١٠٢: ٧)

إِنَّ هَذَا هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ (الرواقعة، ٥٦: ٩٥)

٧٠. الطمع:

الطمع مرحلة من مراحل الحبِّ، وهو الأمل في حصول المطلوب، ويحتاج حبُّ الناس لله ﷻ إلى الطمع. يقول الله ﷻ:

وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ

مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥١﴾ (الأعراف، ٧: ٥٦)

٧١. الحاجة إلى الناس، الحاجة إلى الجلوة:

الحاجة إلى الناس مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج الناس أناساً آخرين يخالطونهم في حبهم لله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ (الضحى، ٩٣: ١١)

٧٢. التأوه:

التأوه مرحلة من مراحل الحب، ويحصل التأوه في حبّ الناس لله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ لِإِثْرِهِمْ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ

لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِثْرَهُمْ لَأَوْهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ (التوبة، ٩: ١١٤)

إِنَّ إِثْرَهُمْ لَحَلِيمٌ أَوْهٌ مُّبِينٌ ﴿٧٥﴾ (هود، ١١: ٧٥)

٧٣. الأوب:

الأوب مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ إلى الأوب. يقول الله ﷻ:

هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٣﴾ (ق، ٥٠: ٣٣)

رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٣٥﴾

(الإسراء، ١٧: ٣٥)

٧٤. القنوت:

القنوت مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ إلى القنوت. يقول الله ﷻ:

أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءِانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الأَخْرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ؕ قُلْ هَلْ

يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣٩﴾ (الزمر، ٣٩)

٧٥. القهر:

القهر مرحلة من مراحل الحب، وهو الشعور بالهيمنة المطلقة للمحبوب، ويحصل القهر في حبّ الناس لله ﷻ. يقول الله ﷻ:

يَصْصَجِي السَّجْنَءَ رَبَّابٌ مُتَّفِرِّقُونَ حَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ (يوسف، ٣٩)

٧٦. الإسلام:

الإسلام مرحلة من مراحل الحب، وهو الاستسلام المطلق لإرادة المحبوب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ إلى الإسلام. يقول الله ﷻ:

قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ (النمل، ٢٧، ٤٤)

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٥﴾ (الأنعام، ٦٥، ١٢٥)

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٩﴾ (الزمر، ٣٩، ٢٢)

٧٧. الإيمان:

الإيمان مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ إلى الإيمان. يقول الله ﷻ:

قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تُوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَانُ فِي قُلُوْبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٩﴾

(الحجرات، ٤٩: ١٤)

وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيْمَانُ وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوْبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ

الرَّشِدُونَ ﴿٥٠﴾ (الحجرات، ٤٩: ٧)

٧٨. الإحسان:

الإحسان مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ إلى الإحسان. يقول الله ﷻ:

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ (الملكوت، ٢٩: ٦٩)

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿٣٨﴾ (النحل، ١٦: ١٢٨)

وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ (الأعراف، ٧: ٥٦)

٧٩. الإخلاص:

الإخلاص مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ إلى الإخلاص. يقول الله ﷻ:

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١٠٠﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٠١﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿١٠٢﴾

(الزمر، ٣٩: ٢-٣)

المطلب الثالث: ويتضمّن مراحل حبّ الناس للناس

نذكر في هذا المطلب مراحل الحبّ التي تتعلّق بحبّ الناس للناس فقط، وهذه المراحل هي:

٨٠. المحبة:

المحبة مرحلة من مراحل الحبّ، ويحتاج حبّ الناس لله ﷻ إلى المحبة. يقول الله ﷻ:

أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي آيِمٍ فَلْيَلْقِهِ آيِمٌ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ۗ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٣٩﴾ (طه: ٣٩)

وقد ذكرناها سابقاً كنوع من أنواع الحبّ في فصل "أنواع الحب" وشرحنا أنها نوع من الحبّ بين الناس أو نوع من الحبّ من الله ﷻ إلى الناس.

٨١. "وجود الجمال":

"وجود الجمال" مرحلة من مراحل الحبّ، ويحتاج حبّ الناس للناس إلى "وجود الجمال" الحسي والمعنوي. يقول الله ﷻ:

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۗ وَرِزْقُ رَبِّكَ حَازِئٌ وَآتِيٌّ ﴿١٣١﴾ (طه: ١٣١)

فَمَا سَمِعْتَ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلْتَ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدْتِ لَهُنَّ مُكْتَأًا وَءَأْتَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا وَقَالَتِ آخْرُجْ عَلَيْنَّ ۗ فَمَا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْتَهُ ۖ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿١٢﴾ (يوسف: ١٢)

٨٢. التعارف:

التعارف مرحلة من مراحل الحب، ويحصل التعارف في حبّ الناس للناس، يقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ (الحجرات، ٤٩: ١٣)

وَيَوْمَ تَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۗ قَدْ حَسِبَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ (يونس، ١٠: ٤٥)

٨٣. الميل:

الميل مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس للناس إلى الميل. يقول الله ﷻ:

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ (النساء، ٤٠: ٢٧)

وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۗ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ۗ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ (النساء، ٤٠: ١٢٩)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحبّ في فصل "أنواع الحب".

٨٤. المودّة:

المودّة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس للناس إلى المودّة. يقول الله ﷻ:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ (الروم، ٣٠: ٢١)

وقد ذكرناها سابقاً كنوع من أنواع الحبّ في فصل "أنواع الحب".

٨٥: الرّافة:

الرّافة مرحلة من مراحل الحبّ، ويحتاج حبّ الناس للناس إلى الرّافة.

يقول الله ﷻ:

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ

بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ (التوبة، ٩: ١٢٨)

وقد ذكرناها سابقاً كنوع من أنواع الحبّ في فصل "أنواع الحب".

٨٦: الشهوة:

الشهوة مرحلة من مراحل الحبّ، ويحتاج حبّ الناس للناس إلى

الشهوة أي الرغبة في القرب الحسيّ والمعنوي. يقول الله ﷻ:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْأَفْضَىٰ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثُ ۗ ذَٰلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ

عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَقَابِلِ ﴿٢٤﴾ (آل عمران، ٣: ١٤)

وَاللَّهُ يَرِيدُ أَنْ يُتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا

﴿٢٧﴾ (النساء، ٤: ٢٧)

وقد ذكرناها سابقاً كنوع من أنواع الحبّ في فصل "أنواع الحب".

٨٧: الهوى:

الهوى مرحلة من مراحل الحبّ، ويحتاج حبّ الناس للناس إلى الهوى.

يقول الله ﷻ:

أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ۗ وَأَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ﴿٤٣﴾ (الفرقان، ٢٥: ٤٣)

وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٥٣﴾ (النجم، ٥٣: ٣)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحبّ في فصل "أنواع الحب".

٨٨. الهمّ:

الهمّ مرحلة من مراحل الحبّ، ويحتاج حبّ الناس للناس إلى الهمّ أي توجه القلب. يقول الله ﷻ:

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رءَا بُرْهَانَ رَبِّهٖ ۚ كَذٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهٗ السُّوءَ
وَالْفَحْشَاءَ ۗ إِنَّهٗ مِنْ عِبَادِنَا الْمُتَّخِصِنِينَ ﴿١٢﴾ (يوسف، ١٢: ٢٤)

وقد ذكرناه سابقاً كنوع من أنواع الحبّ في فصل "أنواع الحب".

٨٩. المتعة:

المتعة مرحلة من مراحل الحبّ، ويحتاج حبّ الناس للناس إلى المتعة. يقول الله ﷻ:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذٰلِكَ مَتَعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللّٰهُ
عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَآبِ ﴿٣٠﴾ (آل عمران، ٣٠: ١٤)

٩٠. الاستمتاع:

الاستمتاع مرحلة من مراحل الحبّ، ويحتاج حبّ الناس للناس إلى الاستمتاع. يقول الله ﷻ:

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ ۗ اِلَّا مَا مَلَكَتْ اَيْمٰنُكُمْ ۗ كَتَبَ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ ۗ وَاُحِلَّ لَكُمْ مَّا
وَرَاٰ ذٰلِكُمْ اَنْ تَبْتَغُوْا بِاَمْوَالِكُمْ مُّحْصِنِيْنَ غَيْرِ مُسْفِحِيْنَ ۗ فَمَا اَسْتَمْتَعْتُمْ بِهٖ مِنْهُنَّ

فَقَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ (النساء، ٤: ٢٤)

٩١. الكرم:

الكرم مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس للناس إلى الكرم.
يقول الله ﷻ:

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا
أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ (الإسراء، ١٧: ٢٣)

٩٢. الرحمة:

الرحمة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس للناس إلى الرحمة.
يقول الله ﷻ:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً
وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَفِرُونَ ﴿٣٠﴾ (الروم، ٣٠: ٢١)
وَكَتُبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ
بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَلْتُنِي لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٦﴾ (الأعراف، ٧: ١٥٦)

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ
وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٤٠﴾ (غافر، ٤٠: ٧)

وبما أن رحمة الله ﷻ " وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ " وهي مكتوبة " لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ "

فهي تشمل حبّ الناس لبعضهم البعض.

٩٣. اللطف:

اللطف مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس للناس إلى اللطف. يقول الله ﷻ:

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٤٢﴾ (الشورى، ٤٢: ١٩)

ولأن الله ﷻ هو اللطيف و"لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ" و"يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ" منهم، نفهم أن حبّ "مَنْ يَشَاءُ" منهم لبعضهم البعض يتطلب اللطف.

٩٤. المغفرة، الغفران:

المغفرة مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس للناس إلى المغفرة. يقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٤﴾ (التغابن، ٦٤: ١٤)

٩٥. العفو:

العفو مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس للناس إلى العفو. يقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٤﴾ (التغابن، ٦٤: ١٤)

٩٦. الصّفح:

الصّفح مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس للناس إلى الصّفح. يقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٤﴾ (التغابن، ٦٤: ١٤)

٩٧. المعروف:

المعروف مرحلة من مراحل الحب، ويحتاج حبّ الناس للناس إلى المعروف. يقول الله ﷻ:

أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُمْ لِنَصِيْقُوا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنْ أُولْتِ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمِّرُوا بَيْنَكُمُ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمُ فَسْتَزِيعُ لَهُمْ أُخْرَى ﴿٦٥﴾ (الطلاق، ٦٥: ٦)

٩٨. المراودة:

المراودة مرحلة من مراحل الحب، وتحصل المراودة في حبّ الناس للناس. يقول الله ﷻ:

قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ۖ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكٰذِبِينَ ﴿١٢﴾ (يوسف، ١٢: ٢٦)

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرِّيْهَا فِي ضَلٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ (يوسف، ١٢: ٣٠) ٢٩٧

٢٩٧ مسألة: لم تعتبر المراودة مرحلة من مراحل الحب؟

قال ابن منظور: "ورواد جاريتيه عن نفسها، وراودته هي عن نفسه إذا حاول كل واحد من صاحبه الوطاء والجماع، ومنه قوله تعالى: ... تَرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ... فجعل الفعل لها، وراوَدُهُ على كذا مراودة ورواداً أي: أَرَدْتُهُ". (ابن منظور، لسان العرب، ٣/ ١٨٧).

وقال الفيروزآبادي: "المراجعة والمراودة"، وقال في موضع آخر: "وراودته عن الأمر وعليه: داريته"، كما قال في موضع آخر أيضاً: "والمراوغة: المراودة". وقال أيضاً في مادة

٩٩. الاستحياء:

الاستحياء مرحلة من مراحل الحب، ويحصل الاستحياء في حبّ الناس للناس. يقول الله ﷻ:

فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا

فرغل: "وقولهم في المثل: أغزل من فرغل هو من الغزل والمرادة". وقال أيضاً: " والمرادة: المراجعة والمرادة"، (الفيروزآبادي، القاموس المحيط). وقال الرازي: " وراوده على كذا مرادة ... أي أراهه". (الرازي، مختار الصحاح، ص ١١٠).

فنستخلص من أقوال العلماء أعلاه أن المرادة لها عدة معان، منها: الدعوة إلى الوطء والجماع، ومنها: المراجعة، فتكون المراجعة والمحاولة في الحب ليصل المحبوب إلى الاقتناع بحب محبه، ومن معانيها أيضاً: الغزل، والغزل شعار الحب. فتكون المرادة هنا هي تكرار المحاولات للوصول المحب إلى قلب محبوبه. فهي إحدى مراحل الحب والوصول للمحبيب.

فالمرادة جزء من الحب كما أن الغيرة جزء من الحب وعلامة على وجوده، فالغيرة مثلاً تقتضي أن المحب يُحب محبوبه، والمرادة لها جانب جنسي كما تقدم في التعريفات السابقة وهي تحصل بين الزوجين، فتكون مرادة مباحة أو مشروعة، وإذا حصلت بين غير الزوجين فإنها تكون مذمومة ومحرمة في الشرع. وهنا نقول بما أنه قد جاء في اللغة أن من معاني المرادة " المراجعة" وإرادة الوصول لحب المحبوب ورضاه فإن العبد أيضاً حريص على مراجعة ربه ﷻ بالثبات على أداء الفرائض والإكثار من النوافل مرة بعد مرة ليصل إلى مقام محبة الله ﷻ له، وفي ذلك جاء الحديث القدسي:

«من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته».

(رواه البخاري، رقم ٦٥٠٢، كتاب الرقاق، باب التواضع).

سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ (القصص: ٢٨)

١٠٠. عدم الإحساس بالحال:

عدم الإحساس بالحال مرحلة من مراحل الحب، ويحصل عدم الإحساس بالحال في حبّ الناس. يقول الله ﷻ:

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْتهُنَّ أَكْرَهتهُنَّ وَقَطَعْنَ أَيْدِيهِنَّ وَقُلْنَ حَشَشَ لِّلهِ مَا هَذَا

بَشْرًا إِن هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿١٢﴾ (يوسف: ٢١)



في الخلاصة: فقد جمعنا في هذه المطالب الثلاثة جميع مراحل الحبّ التي استطعنا أن نستنبطها من القرآن الكريم، وربّناها ضمن ثلاثة مطالب:

(أ) مراحل حبّ الناس لله ﷻ وحبّ الناس للناس؛ وهي:

- (١) الفراغ؛ (٢) الفقر؛ (٣) التزوّج؛ (٤) الإعجاب؛ (٥) الحب؛ (٦) الرضا؛
- (٧) التقرب؛ (٨) الإرادة؛ (٩) الابتغاء؛ (١٠) الرغب؛ (١١) الولاية؛ (١٢)
- الخلّة؛ (١٣) الفرح؛ (١٤) السكن؛ (١٥) الرجاء؛ (١٦) العمل؛ (١٧)
- الذكر؛ (١٨) النجوى؛ (١٩) الابتلاء؛ (٢٠) الاطمئنان؛ (٢١) العلم؛ (٢٢)
- المعرفة؛ (٢٣) المشيئة؛ (٢٤) الخوف؛ (٢٥) الحزن؛ (٢٦) الألم؛ (٢٧) البكاء؛
- (٢٨) التغيير؛ (٢٩) القبض؛ (٣٠) البسط؛ (٣١) الحاجة إلى الخلوة؛ (٣٢)
- الصبر؛ (٣٣) الأمل؛ (٣٤) الغيرة؛ (٣٥) اللقاء؛ (٣٦) المعية؛ (٣٧) قرّة العين.

الحب في القرآن الكريم

(ب) مراحل حبّ الناس لله ﷻ؛ وهي:

(٣٨) الود؛ (٣٩) الشفقة؛ (٤٠) الاستئناس، الأنس؛ (٤١) السلام؛ (٤٢) الاكتفاء؛ (٤٣) الشكر؛ (٤٤) التوكل؛ (٤٥) انشراح الصدر؛ (٤٦) لين الجلد؛ (٤٧) لين القلب؛ (٤٨) قشعريرة الجلد؛ (٤٩) وجل القلب؛ (٥٠) التبتّل؛ (٥١) الإخبات؛ (٥٢) الإنابة؛ (٥٣) التضرع؛ (٥٤) التوبة؛ (٥٥) الاستغفار؛ (٥٦) العَجَل للترضية؛ (٥٧) الدعاء؛ (٥٨) التذكّر؛ (٥٩) الاتباع؛ (٦٠) تمحيص القلب؛ (٦١) الشكّ؛ (٦٢) الريب؛ (٦٣) الظن؛ (٦٤) النظر؛ (٦٥) التفكّر؛ (٦٦) التدبّر؛ (٦٧) استعمال العقل؛ (٦٨) التبصر؛ (٦٩) اليقين (علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين)؛ (٧٠) الطمع؛ (٧١) الحاجة إلى الناس، الحاجة إلى الجلوة؛ (٧٢) التأوّه؛ (٧٣) الأوب؛ (٧٤) القنوت؛ (٧٥) القهر؛ (٧٦) الإسلام؛ (٧٧) الإيمان؛ (٧٨) الإحسان؛ (٧٩) الإخلاص.

(ج) مراحل حبّ الناس للناس؛ وهي:

(٨٠) المحبة؛ (٨١) وجود الجمال؛ (٨٢) التعارف؛ (٨٣) الميل؛ (٨٤) المودة؛ (٨٥) الرأفة؛ (٨٦) الشهوة؛ (٨٧) الهوى؛ (٨٨) الهمّ؛ (٨٩) المتعة؛ (٩٠) الاستمتاع؛ (٩١) الكرم؛ (٩٢) الرحمة؛ (٩٣) اللطف؛ (٩٤) المغفرة، الغفران؛ (٩٥) العفو؛ (٩٦) الصفح؛ (٩٧) المعروف؛ (٩٨) المرادة؛ (٩٩) الاستحياء؛ (١٠٠) عدم الإحساس بالحال.

فبلغ مجموعها مائة مرحلة تتضمّن جميعها الحبّ البشري. فالحبّ البشري مكوّن من هذه المراحل جميعاً، لأنّ الحبّ البشري هو ما يحصل في الإنسان أثناء الحبّ وليس ما يحصل في محبوب الإنسان أثناء الحب. فالحبّ البشري الكامل مكوّن من جميع هذه المراحل. ولا نقطع بأنّ هذه هي جميع مراحل الحبّ الموجودة في القرآن الكريم، وأنّه لا يستنبط منه غيرها، ولكنّ هذه المراحل التي ذكرناها تشكل - إن شاء الله ﷻ - معظم مراحل الحبّ

الرئيسة بقدر ما أفاض الله ﷺ علينا به، وتعطينا صورة واضحة لعملية مسار الحب، واستنباط سر ما يجري في وقوع الحب أيضاً، كما سنرى إن شاء الله في الفصل الذي يليه عن "الوقوع في الحب".



مسألة: ما الفرق بين حبّ البشر لله ﷺ وحبّ البشر للبشر؟

الجواب: إن هناك بعض الفروق بين هذين الحيين، منها: أن حبّ البشر لله ﷺ أشد، ... **وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** ... (البقرة، ٢: ١٦٥)، ومنها أيضاً: أن أعلى ملكتين وهبهما الله ﷺ للإنسان وهما اللب والفؤاد لا دور لهما في حبّ البشر للبشر: فقد ذكرنا في فصل "الوقوع في الحب" أن اللب لا عيب فيه ولا عمى ولا ريب ولا يحتاج إلى تثبيت، ويكون دائماً تقياً ذاكراً بصيراً، كما قال ﷺ: **وَلَيَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ** (ص، ٣٨١: ٢٩٠)، فلا يصل حبّ الإنسان للإنسان إلى اللب، لأن حبّ الإنسان للإنسان يتضمن التغيير والاختلاف. وأما بالنسبة للفؤاد، فهو يحتاج إلى تثبيت، ويهوى الخير عند المؤمنين ويصغي عند الكافرين، وهو يرى، قال ﷺ: **مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى** (النجم، ٥٣: ١١)، فلا يصل حبّ الإنسان للإنسان إلى الفؤاد لأن حبّ الإنسان للإنسان لا يتضمن رؤية الفؤاد من خلال نور الله ﷺ كما هو الحال في الحبّ لله ﷺ. أما بالنسبة للقلب وما دون ذلك من ملكات الصدر والنفس فهي تشترك في الحبّ لله ﷺ والحبّ للبشر، والله أعلم.

أما بالنسبة للحب الجنسي (وهو حبّ يتعلق بجسم الإنسان) فلا علاقة له بحب الإنسان لله ﷺ، إلا أن محي الله ﷺ الصادقين الذين بلغوا الدرجات العلى في الحبّ تتفاعل عند ذكر الله ﷺ جميع ذرات وأجزاء البدن لديهم بالإضافة إلى القلب والعقل والجوارح فيكون لها دور في حبّ الله ﷺ، ونرى

هذا في قوله ﷻ:

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ

أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ (الأنعام، ٦: ١٦٢-١٦٣).

والله ﷻ أعلم.



الوقوع في الحب

المطلب الأول: مكونات الإنسان وملكاته

قبل أن نعرف ما هو الوقوع في الحب، يجب علينا أن نعرف من هو الإنسان؛ فالوقوع في الحب شيء يحدث في داخل الإنسان، وشيء يحدث للإنسان. ومن غير المنطقي أن نسعى إلى فهم أفعال شيء ما من دون أن نفهم الشيء نفسه.

الإنسان مخلوق من ثلاثة عناصر رئيسة: الجسم، والنفس، والروح. والجسم فردي ومادي؛ والنفس فردي ولكن لطيف؛ والروح فوق الفردي وفوق المادي.

(أ) الجسم:

ذكر الله ﷻ أجسام الناس في القرآن الكريم. يقول الله ﷻ:

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (البقرة، ٢: ٢٤٧)

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُشْبٌ مُّسْنَدَةٌ تَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (الأنفال، ٦٣)

(٤:

وللجسم حواس مثل السمع والبصر. يقول الله ﷻ:

يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ

اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ (البقرة، ٢: ٢٠)

وأشار الله ﷻ إلى حواس الجسم الأخرى وهي التذوق، والشم، واللمس. فأشار ﷻ إلى التذوق في الآيتين التاليتين:

وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلْأَكْلِينَ ﴿٢١﴾ (المؤمنون، ٢٣: ٢٠)

وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَبَّرَةٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَبٍ وَزَّرَعٌ وَخَيْلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ

يَعْقِلُونَ ﴿٤٠﴾ (الرعد، ١٣: ٤٠)

وذكر الله ﷻ اللمس في الآية التالية:

يَتْلُبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَايِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ (النساء، ٤٣: ٤٣)

وأشار الله ﷻ إلى الشم في الآية التالية:

وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّحْمَانُ ﴿٥٥﴾ (الرحمن، ٥٥: ١٢)

" وَالرَّحْمَانُ " هو " الورق المشموم " ٢٩٨ .

(ب) النفس:

ذكر الله ﷻ ثلاثة "أنواع" أو "أجزاء" من النفس، وهي: " النفس الأمارة بالسوء"، " النفس اللوامة"، " النفس المطمئنة". يقول الله ﷻ:

وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٢﴾
(يوسف، ١٢: ٥٣)

وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٥٣﴾ (القيامة، ٢: ٧٥)

يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٥٤﴾ (الفجر، ٨٩: ٢٧) ٢٩٩

وذكر الله ﷻ ملكات نفس الإنسان. كما ذكر الله ﷻ عقل الإنسان.

يقول الله ﷻ:

أَفَطَّمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ خَلَّوْهُم مِّنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ (البقرة، ٢: ٧٥)

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ (البقرة، ٢: ٤٤)

وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦٧﴾ (المالك، ٦٧: ١٠)

وذكر الله ﷻ قدرة الإنسان على التعلم:

أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿١﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٢﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٣﴾ (العلق، ٩٦: ٣-٥)

وذكر الله ﷻ قدرة الإنسان على الكلام:

قَالَ يَتْلَأُم مِّنْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ۗ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٢٣﴾ (البقرة، ٢: ٢٣)

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ (الرحمن، ٥٥: ١-٤)

وذكر الله ﷻ إرادة الإنسان (مع أن الإرادة تعتبر نوعاً من أنواع الحب،

كما رأينا في فصل "أنواع الحب"):

٢٩٩ وذكر الإمام الغزالي - وربما هذا أفضل ما كُتِبَ في هذا الموضوع - معاني النفس والقلب والعقل والروح في كتابه "كتاب شرح عجائب القلب" وهو الجزء الحادي والعشرون من كتابه العظيم "إحياء علوم الدين"، ولكننا أحببنا أن نتكلم على الحب من القرآن الكريم.

وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾

(الإسراء، ١٧، ١٩)

وذكر الله ﷻ عاطفة الإنسان: وهذا ما رأيناه في آخر فصلين ("أنواع الحب" و"مراحل الحب") بالذات لأن الحب عاطفة عند الإنسان بالإضافة إلى "مبيل، من بعد الإعجاب، إلى الحسن". يقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ؕ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ (المائدة، ٥٤)

وذكر الله ﷻ ذاكرة الإنسان:

وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمْ أَنِ ادْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنْتِظَمُ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿١٢﴾ (يوسف، ١٢، ٤٥)

وذكر الله ﷻ خيال الإنسان:

قَالَ بَلْ أَلْقَوُا فِإِذَا جِئْتُمْ بِحَبْلٍ وَإِنِّي لَهُم مِّن سِحْرِهِمْ أَنهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ (طه، ٢٠، ٦٦)

وذكر الله ﷻ إحساس الإنسان:

يَنبِيئًا أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ (يوسف، ١٢، ٨٧).

وذكر الله ﷻ شعور الإنسان:

إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَو تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ (الشعراء، ٢٦، ١١٣).

وذكر الله ﷻ إيناس الإنسان:

فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ءَانَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُتُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي ءَاتِيكُمْ مِّنْهَا خَبْرٌ أَوْ جَذْوَةٌ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٨﴾ (القصص، ٢٨، ٢٩)

إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ ءَانَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا خَبْرٌ أَوْ ءَاتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ

تَضَلُّوْنَ ﴿٧﴾ (النمل، ٢٧: ٧).

وذكر الله ﷻ بصيرة الإنسان:

قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ

بِحَفِيظٍ ﴿٤٤﴾ (الأنعام، ٦٦: ١٠٤)

وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ
بَعْضَهُ ۖ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ

الْخَبِيرُ ﴿٤٥﴾ (التحریم، ٦٦: ٣)

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَبْنِي
أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ

اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ (يوسف، ١٢: ٨٦-٨٧) ٣٠٠

وقد رأينا في مطلب في الفصل الأول من الباب الثالث، في حب الإنسان لله ﷻ، النوايا والدوافع التي يجب أن تكون لدى الإنسان في حب الله ﷻ أن ملكات النفس البشرية الرئيسية الثلاث هي: الإرادة والعاطفة والعقل. ووفقاً لذلك يمكن القول إن ملكة الكلام هي جزء من - أو امتداد - للإرادة والعقل؛ وإن الشعور البشري هو جزء من - أو امتداد - للعاطفة؛ وإن ملكة التعلم هي جزء من - أو امتداد - للعقل؛ وإن "الإنسان" "يربط" النفس بالجسم؛ وإن الإحساس والبصيرة "يربطان" النفس بالروح؛ وإن الذاكرة والخيال يربطان النفس بالماضي والمستقبل على

٣٠٠ وذكر الإمام الغزالي - في كتابه الفلسفي "مقاصد الفلاسفة"، الفن الثالث "في الطبيعيات" - الحواس الباطنية للإنسان وهي: الحس المشترك، والقوة المتصورة، والقوة المتخيلة، والقوة الوهمية، والقوة الذاكرة، [ص ٣٥٦]؛ كما ذكر قوتين للنفس وهما: القوة العاملة، والقوة العاملة، [ص ٣٥٩]، ولكننا أحيينا أن نتكلم على الحب من القرآن الكريم.

التوالي، والله أعلم.

(ج) الروح:

ذكر الله ﷻ أنه نفخ في الإنسان من روحه:

ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ۗ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ قَلِيلًا مَّا

تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ (السجدة، ٣٢: ٩)

وبالنسبة للروح، لا يمكن للإنسان أن يعلم الكثير عنها لأن الله ﷻ

قال:

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۗ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٦﴾

(الإسراء، ١٧: ٨٥)



وذكر الله ﷻ حقائق أخرى للإنسان، وهي: الصدر، والقلب، والفؤاد،

واللُب (وكانها تأتي بين النفس والروح).

أما بالنسبة للصدر فهو مركز الكُفر، والوسواس، ولكنه أيضاً مركز

للانشراح. يقول الله ﷻ:

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ

شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ (النحل، ١٦: ١٠٦)

مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿١٠٧﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿١٠٨﴾ مِنَ الْجِنَّةِ

وَالنَّاسِ ﴿١٠٩﴾ (الناس، ١١٤: ٤-٦)

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَمْشُرْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۗ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ

صَهِيقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ ۗ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ

لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ (الأنعام، ٦: ١٢٥)

أما بالنسبة للقلب فهو يَعْمَى، ويكون فيه ريب، وغلّ، ولكنه أيضاً يكون فيه إيمان، واطمئنان، وسكينة. يقول الله ﷻ:

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آدَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿١٦﴾ (الحج، ٢٢: ٤٦)

إِنَّمَا يَسْتَبْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿١٤﴾ (التوبة، ٩: ٤٥)

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ (الحشر، ٥٩: ١٠)

قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءِامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ (الحجرات، ٤٩: ١٤)

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤٨﴾ (الفتح، ٤٨: ٤)

أما بالنسبة للفؤاد، فقد يكون فارغاً، ويحتاج إلى تثبيت، ويهوى الخير في الدنيا عند المؤمنين، ويُصْغِي عند الكافرين (ويهوى الشر عند الكافرين في الآخرة)، ولكنه يرى. يقول الله ﷻ:

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمْرٍ مُوسَىٰ فَرِحًا ۚ إِنَّ كَادَتْ لِتُبَدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٨﴾ (القصص، ٢٨: ١٠)

وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾ (هود، ١١: ١٢٠)

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمَلَةً ۖ وَاحِدَةً ۚ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ

وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴿٣٢﴾ (الفرقان، ٣٥: ٣٢)

رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا
الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ

﴿٣٧﴾ (إبراهيم، ١٤: ٣٧)

وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرِضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ
مُقْتَرِفُونَ ﴿٣٨﴾ (الأنعام، ٦: ١١٣)

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٣٩﴾ (إبراهيم، ١٤: ٤٣)

مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴿٤٠﴾ (النجم، ٥٣: ١١)

وأخيراً، بالنسبة للُّب، فلا عيب فيه، ولا عَمى، ولا ريب، ولا يحتاج
إلى تثبيت، ويكون دائماً تقياً ذاكراً وبصيراً:

قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤١﴾ (المائدة، ٥: ١٠٠)

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي
الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ حَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَرَوُودُوا فِرَاتَ حَيْرِ الزَّادِ التَّقْوَى تَأْتِقُونَ
يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤٢﴾ (البقرة، ٢: ١٩٧)

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَدَّكُرُ
إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ (البقرة، ٢: ٢٦٩)

هَذَا بَلَّغُ النَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِمْ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٤٤﴾
(إبراهيم، ١٤: ٥٢)

كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٤٥﴾ (ص، ٣٨: ٢٩)

من الواضح أن القلب أرقى وأطهر من الصدر، وأن الفؤاد أرقى
وأطهر من القلب، وأن اللُّب أرقى وأطهر من الفؤاد. كما هو واضح أيضاً

أن القلب والصدر والفؤاد واللَّبَّ ليست حقائق جسمانية فحسب، ولكنها حقائق لطيفة تتسلل بين النفس والروح: فالصدر كأنه يشترك مع النفس في شُحِّها. يقول الله ﷻ:

وإن امرأة خافت من بعلها نخسوراً أو إغراضاً فلا جناح عليهما أن يَصِلِحَا بَيْنَهُمَا
صُلِحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ
كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴿٥٨﴾ (النساء، ٤: ١٢٨)

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخَيِّبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يُجِدُونَ فِي
صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ
شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٩﴾ (الحشر، ٥٩: ٩)

نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦٠﴾ (التغابن، ٦٤: ١٦)

وكذلك كان اللَّبَّ يشترك مع الروح في سيره وعلمه. يقول الله ﷻ:

رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ
التَّلَاقِ ﴿٤٠﴾ (غافر، ٤٠: ١٥)

يَنْبِئُ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ
رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْكُفْرُونَ ﴿١٢﴾ (يوسف، ١٢: ٨٧)

والله أعلم ٣٠١.

٣٠١ وذكر الحكيم الترمذي - وربما هذا أفضل ما كُتِبَ في هذا الموضوع - معاني الصدر والقلب والفؤاد واللَّبَّ في كتابه "بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللَّبَّ"، ولكننا أحببنا أن نأتي بالمادة من القرآن الكريم.

المطلب الثاني: سر الوقوع في الحب

بعدهما رأينا وسمينا مكوّنات وملكات الإنسان، نستطيع الآن - إن شاء الله ﷻ - أن نفهم سير الوقوع في الحبّ وماذا يحصل في جميع مراحل الحبّ التي ذكرناها سابقاً في فصل "مراحل الحب" وتنبثق من إحدى مكوّنات أو ملكات الإنسان على الشكل التالي:

١. الجسم: المتعة، الاستمتاع، الألم، "قشعريرة الجلد"، "لين الجلد"، عدم الإحساس بالحال.

٢. النفس: الفراغ، الفقر، الابتلاء، الحزن، الألم، البكاء، التغيير، القبض، البسط، الحاجة إلى الخلوة، المعية، الحاجة إلى الناس، التأوّه، القهر.

٣. النفس الأمّارة بالسوء: المراودة.

٤. النفس اللوامة: الكرم، الرحمة، اللطف، المغفرة، العفو، الصّفح، المعروف، الاستحياء، التبتّل، الإخبات، الإنابة، التضرّع، التوبة، الاستغفار، الأوبة، القنوط.

٥. النفس المطمئنة: السكون، السلام، الاكتفاء، الشُّكر، التوكُّل.

٦. العقل: العلم، المعرفة، الشُّكّ، الرّيب، الظنّ، النّظر، التّفكّر، التدبّر، "استعمال العقل"، "التعارف".

٧. قدرة الإنسان على التعلم: الأتباع.

٨. قدرة الإنسان على الكلام: النجوى.

٩. إرادة الإنسان: العمل، المشيئة، الخوف، الصبر، الأمل، الغيرة، "العجل للترضية"، الدعاء.

١٠. عاطفة الإنسان: الإعجاب، الميل، الحبّ، المحبّة، الوُدّ، المودّة، الرّضا، الشفقة، الرأفة، التقرّب، الإرادة، الابتغاء، الرّغب، الولاية، الشهوة، الهوى، الهَمّ، الفرح، الرّجاء، قرة العين، الطمع.

١١. الذاكرة: التذكر، التذكُّر.
١٢. الخيال: التزيُّن.
١٣. الإحساس: "وجود الجمال".
١٤. الشعور: الألم، العلم.
١٥. الإيناس: الاستئناس، اليقين (علم اليقين).
١٦. البصيرة: البصيرة، اليقين (عين اليقين، حق اليقين).
١٧. الصدر: "لين الجلد"، الإسلام.
١٨. القلب: الاطمئنان، "لين القلب"، "وجل القلب"، "تمحيص القلب"، الإيمان.
١٩. الفؤاد: الإحسان، الفراغ.
٢٠. اللب: الإخلاص.
٢١. الروح: اللقاء.

ومن هنا يتضح نمط معين: كل مراحل الحبّ ترجع إلى مكونات وملكات الإنسان بأكملها؛ وكل مكونات وملكات الإنسان تنخرط - كل بطريقتها الخاصة وحسب طبيعتها - في الحب. بعبارة أخرى، فإن كل شيء يحدث أثناء الوقوع في الحبّ - من الرجاء إلى الخوف؛ ومن الفرح إلى الغيرة؛ ومن القبض والحاجة إلى الخلوة إلى البسط والحاجة إلى الناس والحاجة إلى الجلوة؛ ومن الاستهواء والهَمّ والرغب إلى الحزن والألم والبكاء - كلها نتائج مباشرة لعملية قيام جسد ونفس أو روح المُحبّ بالتعلّق والارتباط بالمحبيب. ومن هنا يمكن لنا أن نرى بسهولة ما هو الوقوع في الحب: الوقوع في الحبّ هو "مِيل جميع مكونات أو ملكات الإنسان إلى الحُسن، من بعد الإعجاب به". أي أن الوقوع في الحبّ هو مِيل كل ما في الإنسان إلى المحبوب.

وهذا قد يأتي تدريجياً أو فجأة بناءً على الحالة لدى محب، أو محبوبين

مختلفين، ولكن في جميع الأحوال يأتي بالطريقة نفسها والعملية نفسها لأن مكونات وملكات الإنسان لا تختلف بعينها من شخص إلى آخر. والله ﷻ يقول:

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (الروم: ٣٠: ٣٠)

فكل مراحل الحب - من متعة وألم^{٣٠٢} وخوف وطمع وشعور وتفكير - ما هي إلا ملكات الجسم والنفس والروح في عملية ميلها وارتباطها بمحسوب معين. فالحب يتطلب كل ما في الإنسان، فكل ما في الحب من ملكات وغيرها تتشارك في الميل نحو حبيبته، وهذا هو السر العظيم في الوقوع في الحب^{٣٠٣}، والله أعلم.

٣٠٢ هذه المراحل تكون أحياناً مؤلمة وأحياناً بلذة، بالتوالي أو معاً، حسب (كما سنرى لاحقاً إن شاء الله في فصل "طبيعة الحب") حالات القبض والبسط وتأثيرهما على ملكات الإنسان المختلفة. يقول الله ﷻ:

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (البقرة: ٢: ٢٤٥)

ولكن بعد القبض سيكون إن شاء الله للمؤمن دائماً بسط وتيسير. يقول الله ﷻ:

.... **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ نَجَعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا** (الطلاق: ٦٥: ٤)

.... **سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا** (الطلاق: ٦٥: ٧)

فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۚ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ (الشرح: ٩٤: ٨-٥)

٣٠٣ وهذا هو سبب عدم فهم الفكر الحديث للحب: فالعلم الحديث يختصر الإنسان ويبسطه ليصبح مجرد كائن حيّ يمكن تعريفه من خلال علم الأحياء والفيزياء والكيمياء، ويصبح الحب في نظر الفكر الحديث حالة من الشهوة المهذبة أو المشتدة وليدة الدوافع الكيميائية أو الكهربائية. والعلم الحديث لا يميّز ملكات الإنسان على هذا النحو وينكر وجود "مكونات" الإنسان العليا كالنفس والقلب (الروحي) والروح. لذلك لا يمكن للعلم الحديث أن يرى العملية التي تميل فيها الملكات البشرية و"المكونات" الروحية بشكل منهجي



مسألة: ما الفرق بين الحبّ البشري لله وحبّ الأشياء والجمادات لله

ﷻ؟

الجواب: إن الحبّ البشري لله ﷻ يتميز بما وهب الله ﷻ للإنسان من ملكات (كالنفس والروح والعقل والقلب والخيال والإرادة ... إلى آخره كما وصفنا سابقاً) بينما حبّ الأشياء والجمادات لله ﷻ هو حبّ فطري طبيعي ولا يتطلب الملكات الخاصة بالإنسان. فإنه يوجد في الحبّ البشري مراحل وأنواع للحب، وهذه الأنواع والمراحل تعود أصلاً كل واحدة منها إلى إحدى الملكات الخاصة بالإنسان أو أكثر، ولكن لا توجد هذه المراحل والأنواع من الحبّ في حبّ الجمادات الطبيعي الفطري لله ﷻ. فالملائكة لا تملك أجساماً مادية، ولكنها تحب الله ﷻ، والصخور مثلاً لا قلب لها ولكنها تحب الله ﷻ أيضاً. فهذا هو الفرق بينهما، وهذا هو تفسير الحبّ البشري في ضوء الحبّ الكوني الشامل.



تجاه المحبوب. لذلك فلا يمكنه أن يميز أو يفهم الحبّ أو الوقوع في الحبّ بشكل صحيح. وبالطبع نحن لا ننكر العمليات الكيميائية والبيولوجية والجسدية التي تتجلى في الجسم عند وقوع الإنسان في الحب؛ نحن فقط نؤكد أنها آثار الحبّ وليست سببها - أو على الأقل في حالة الناس الذين تسيطر أنفسهم على أجسادهم إلى درجة ما.

نمو الحب

المطلب الأول: كيف ينمو الحب؟

ونقصد بهذا كيف يشتد الحب، وكيف يتحوّل الحبّ إلى درجة أعمق وأشد؟ يقول الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ (البقرة، ٢: ١٦٥)

فهذه الآية تثبت أن للحب درجات مع أن تعريف الحبّ - هو " ميل من بعد الإعجاب بالحسن " - ينطبق على جميع درجات شدة الحبّ وأنواعه. فكيف تشتدّ قوة الحبّ أحياناً، ولم يشتدّ الحبّ في بعض الأحيان، ويفتر ويموت أحياناً أخرى؟

قد رأينا في الفصل السابق ("الوقوع في الحب")، أن الوقوع في الحبّ هو: "مَيْل جميع مكونات أو مَلَكات الإنسان إلى الحُسن من بعد الإعجاب به". فيترتب على هذا أن الحبّ ينمو من خلال مَيْل مكونات ومَلَكات الإنسان واحدة تلو الأخرى إلى المحبوب. وبالفعل نرى في القرآن الكريم أن الملكات تُغذّي بعضها بعضاً وتقوّي بعضها بعضاً إذا اجتمعت على هدف واحد. فعلى سبيل المثال ممارسة الإرادة والعقل تستطيعان أن تُنميا قدرة العاطفة على الحبّ، كما أن ممارسة العاطفة والعقل تستطيعان أن تُقويا قوة الإرادة، كما أن ممارسة العاطفة والإرادة تستطيعان أن تُعمقا قدرة العقل على الفهم. وهذا شيء يعرفه كل معلّم وكل رب أسرة: فالطفل الذي يجب

شيئاً أو مادة يفهمها بسهولة أكثر من الطفل الذي لا يجيها، وكذلك الطفل الذي يُريد أن يفهم شيئاً يفهمه بسهولة أكثر من الطفل الذي لا يريد هذا الشيء، وهلم جرأً. والله ﷻ بين نماذج عدة لهذا المبدأ في القرآن الكريم، وعلى سبيل المثال ما يلي:

الإيمان يؤدي إلى هداية القلب، والسمع والطاعة، والعلو:

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠٠﴾

(التغابن، ٦٤: ١١)

ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ؕ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ؕ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ

الْمَصِيرُ ﴿٢٤٥﴾ (البقرة، ٢: ٢٨٥)

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ (آل عمران، ٣: ١٣٩)

والإيمان + الكفر بالطاغوت يؤديان إلى الاستمسك بالعروة الوثقى:

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۗ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۗ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٦﴾ (البقرة، ٢: ٢٥٦)

والإيمان + العمل الصالح يؤديان إلى الهدى، وتكفير السيئات:

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ ۗ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٠٠﴾ (يونس، ١٠: ٩)

يَوْمَ نَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۗ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۗ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ۗ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۗ ذَلِكَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ (التغابن، ٦٤: ٩)

والإيمان + التقوى يؤديان إلى الفرقان وتكفير السيئات، وإلى كفلين من

رحمة الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ (الأَنْفَال: ٢٩)

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَتَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ (الحديد، ٥٧: ٢٨)

والإيمان + العلم يؤديان إلى رفع الدرجات:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَإِذَا قِيلَ آنشزُوا فَأَنْشزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٥١﴾ (المجادلة، ٥٨: ١١)

والتقوى تؤدي إلى العلم، وإلى المخرج والرزق:

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٣٢﴾ (البقرة، ٢: ٢٨٢)

فَإِذَا بَلَغَ الْبُلُغَ فَأَمْسِكُوهُمْ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُمْ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ ۗ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٦١﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٦٢﴾ (الطلاق، ٦٥: ٣-٢)

والتقوى + السمع والطاعة + الإنفاق يؤدوا إلى وقاية شح النفس:

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقِ شَحْمَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩١﴾ (التغابن، ٦٤: ١٦)

والتقوى + الإعطاء + التصديق بالحسنى يؤدي إلى اليسرى:

فَأَمَّا مَن ءَاعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٩١﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩٢﴾ فَسَنِيَرُهُ لِيَسْرَىٰ ﴿٩٣﴾ (الليل، ٩٢: ٧-٥)

والتقوى + الإحسان يؤديان إلى المعية:

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٦٦﴾ (الحل، ١٦: ١٢٨)

والإحسان يؤدي إلى العلم والحكم:

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَحْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ (يوسف، ١٢: ٢٢)

والهدى يؤدي إلى زيادة الهدى:

وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَيْنَاهُمْ تَقْوَانَهُمْ ﴿٤٧﴾ (صمد، ٤٧: ١٧)

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ (البقرة، ٢: ٢٨٢)

والتقوى تؤدي إلى العلم والعلم يؤدي إلى خشية الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

الْعَلَمَتُوا ﴿٢٨﴾ (فاطر، ٣٥: ٢٨)

والاستقامة + ذكر الله ﷻ يؤديان إلى تنزيل الملائكة بالبشارات وعدم

الخوف والحزن:

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا

وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢٥﴾ خُنْ أَوْلِيَاءُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ

وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٢٦﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٢٧﴾

(فصلت، ٤١: ٣٠-٣٢)

والجهاد في الله ﷻ يؤدي إلى الهدى:

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٧﴾ (المنكوت، ٢٩: ٦٩)

ومن ناحية عكسية، مرض القلب + الرجس يؤديان إلى زيادة الرجس:

وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ

كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ (التوبة، ٩: ١٢٥)

أما بالنسبة إلى الحب خاصة، فالله ﷻ وعد الوعد التالي:

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٦١﴾ (مريم، ١٩: ٩٦)

فالإيمان + العمل الصالح يؤديان إلى ود كـ "جعل إلهي". وربما في

نفس السياق، ألقى الله ﷻ " محبة منه " على موسى عليه السلام، بشكل خاص:

أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي الثَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْإِيمِمْ فَلْيُلْقِهِ الْإِيمِمْ بِالْسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ۗ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٢٠﴾ (طه، ٢٠: ٣٩)

ومن ناحية أخرى، الحبّ لله + اتباع السنة يؤديان إلى حبّ الله ﷻ للعبد (لأن هذين العنصرين يعينان أن النفس تكون كلها بكاملها جميلة لأنها تتبع الرسول الذي هو على " خُلِقَ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ (القلم، ٦٨: ٤) ". يقول الله ﷻ:

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ (آل عمران، ٣: ٣١)

فها هي عاطفة الحبّ تزداد من خلال ميل المملكات الأخرى إلى المحبوب، والحبّ لله ﷻ بالإضافة إلى اتباع السنة يُكافأ من الله ﷻ بحب منه للعبد، والله أعلم.



المطلب الثاني: كيف تتحكّم في حبنا؟

إذا كان الحبّ يزداد من خلال ميل جميع مكونات وملكات الإنسان إلى المحبوب، فكيف يُتمّي الإنسان حباً معيناً، وكيف يُعطل حباً معيناً؟ بعبارة أخرى، كيف يستطيع الإنسان أن يتحكّم فيما يحبه وما لا يحبه؟ كيف يستطيع الإرادة وحدها التحكّم في ميل كل المملكات الأخرى بما فيها النفس الأمّارة بالسوء؟ فرما يُريد الإنسان أن لا يحب شيئاً لا خير أو لا أمل فيه. وعلى العكس، ربما يُريد الإنسان أن يحب شيئاً فيه خير كثير ولكن لا يميل إليه بشكل طبيعي. يقول الله ﷻ:

... وَعَاشِرُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا

كَثِيرًا ﴿١٩﴾ (النساء، ٤٠: ١٩)

قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِيكُمُ الْآلَتِيبُ

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٢٠﴾ (المائدة، ١٠٠: ١٠٠)

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ

أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ (البقرة، ٢: ٢١٦)

الحياة الروحية والأخلاقية تتمحور حول السيطرة على ما يجبه المرء وما لا يجبه؛ وهكذا يمكن لهذا الموضوع أن يكون معقداً جداً. والقرآن الكريم يعطينا مفاتيح محددة تُرينا كيف يمكن لنا تقوية أو إضعاف الحبّ بشكل أسهل.

أما بالنسبة لتقوية حبّ ما ينفع الإنسان، فقد رأينا أنها تأتي بشكل طبيعي بالإيمان والعمل الصالح بشكل عام؛ يقول الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٢١﴾ (مریم، ١٩: ٩٦)

فالأمر بسيط؛ مفتاح تقوية الحبّ الحسن لأمر نافع هو الأعمال الصالحة، وبالتالي فهي التصرف بإحسان. فالإحسان هو جائزة ومكافأة بجد ذاتها. يقول الله ﷻ:

هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٥٠﴾ (الرحمن، ٥٥: ٦٠)

ومن ناحية أخرى فإن إضعاف حبّ ما لا ينفع الإنسان ليس أمراً سهلاً ولكنه ممكن بعون الله ﷻ؛ يقول الله ﷻ:

• أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾

وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٥٢﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ

مُلْتَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٥٣﴾ (البقرة، ٢: ٤٤ - ٤٦)

وهكذا فإن التغيير الداخلي صعب ولكنه ليس مستحيلاً. وهو يتطلب إيماناً مسبقاً بالله ﷻ " الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ "، ورجاءً في الله وخوفاً منه ﷻ " وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ". ولكن بالإضافة إلى الإيمان والرجاء والخوف (وقد ناقشنا سابقاً في فصل " حب الإنسان لله ﷻ " أن هذه هي الدوافع الأساسية الثلاثة التي يقبلها الله ﷻ في حبّ الإنسان له وفي كل أفعالنا) فإن التغيير الداخلي يحتاج إلى ثلاث فضائل رئيسية هي: (١) الصبر؛ (٢) التواضع؛ (٣) الصلاة وذكر الله ﷻ.

أولاً، بالنسبة للتواضع (فضيلة رقم ٢)، يجب أن نقول إن التواضع الحقيقي يأتي من معرفة النفس؛ ومعرفة النفس تتطلب من الناحية العملية مراقبة النفس بحذر. يقول الله ﷻ:

بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٤٥﴾ (القيامة، ٧٥: ١٤٤-١٤٥)

ومراقبة النفس تعني أنه على الإنسان أن يسيطر على ما يسمح لنفسه بأن يستمتع به. يقول الله ﷻ:

كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ (التوبة، ٩: ٦٩)

فَوَيْلٌ لِّلْمُكَدِّبِينَ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١١١﴾ (الطور، ٥٢: ١١٠-١١١)

فإذا كانت نفس الإنسان ومكوناته وملكوته مستمتعة ومتعلقة بمحسوب ليس من مصلحته الحقيقية أن يجبه، (وكان حقاً يريد أن يتوقف عن هذا الحب المؤذي) فعليه أن يكف عن هذا الاستمتاع وأن يتوقف عن التفكير فيه. ولتحقيق هذا فعليه التفكير في شيء آخر والانشغال بالتفكير في الله ﷻ وتحديدًا ذكر الله (فضيلة رقم ٣). يقول الله ﷻ:

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ
 أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦٦﴾

(الحديد، ٥٧: ١٦٦)

أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۗ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
 وَالْمُنْكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿١٦٧﴾ (العنكبوت، ٢٩: ٤٥)

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۗ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ
 وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿١٦٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطَهَّرُوا قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ
 تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿١٦٩﴾ (الرعد، ١٣: ٢٧-٢٨)

وليحذر من إصرار الشيطان على تلهيته بصوته واستفرازه. يقول الله

ﷻ:

وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمُ نَجْوَاكَ وَرَجِلَكَ وَشَارِكُهُمْ فِي
 الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّتِهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٧٠﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ
 عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ (الإسراء، ٦٤: ٦٥)

لَعَنَهُ اللَّهُ ۗ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١٧٢﴾ وَلَا ضَلَّانَهُمْ وَلَا مَيِّتَهُمْ
 وَلَا مَرْتَنَهُمْ فَلْيَبْتِكُنَّ إِذَآبَ الْأَنْعَامِ وَلَا تَمُرَّهُمْ فَلْيَغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۗ وَمَنْ يَتَّخِذِ
 الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١٧٣﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۗ وَمَا
 يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٧٤﴾ (النساء، ٤: ١١٨-١٢٠)

فشر الوسواس الخناس "الذي يؤسوس في صدور الناس" ﴿١٧٤﴾

(الناس، ١١٤: ٥) عائق كبير في الحياة الروحية ويمكن له تعطيل أفضل جهودنا إن
 سمحنا له. ففضيلة الصبر (فضيلة رقم ١) أمر أساسي. من دون الصبر في
 الصلاة وذكر الله ﷻ لا توجد طريقة - نفسياً وروحياً - للهروب من
 الأفكار والشهوات المؤذية والسلبية. والبشر داخلياً عالقون بين بديلين: أن

يكون لهم "قرين" أو أن ينشغلوا في ذكر الله ﷻ، وهو الرحمن الرحيم. يقول الله ﷻ:

وَمَنْ يَعْتَسُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٦٦﴾ (الزخرف، ٤٣: ٣٦)

وليخلص الإنسان نفسه من حب سليبي، عليه أن يذكر الله كثيراً - إن لم يكن باستمرار - وأن يتجاهل الإغراءات أو الأفكار السلبية. بالنسبة لتجاهل الإغراءات والأفكار السلبية، يقول الله ﷻ:

قُلِ اللَّهُ تَمَّ ذَرَهُمْ فِي حَوَاضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ (الأنعام، ٦: ٩١)

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَلْهَمُكُمْ ءُمُورُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩١﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْتُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٩٢﴾ (المتافقون، ٦٣: ٩١-٩٢)

وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَىٰ ﴿٩٢﴾ (طه، ٢٠: ٩٢)

وبالنسبة لذكر الله ﷻ كثيراً، يقول الله ﷻ:

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٩٣﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩٤﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٩٣-٩٤)

وَلَا تَقُولَنَّ لَشَأَىٰ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٩٥﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۗ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَٰذَا رَشْدًا ﴿٩٦﴾ (الكهف، ١٨: ٩٥-٩٦)

أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِمَا بَيْنِي وَلَا تَبَيَّنَا فِي ذِكْرِي ﴿٩٦﴾ (طه، ٢٠: ٩٦)

فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۗ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴿٩٧﴾ (النساء، ٤: ١٠٣)

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٩٨﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَطَلًا سُبْحٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٩٩﴾ (آل عمران، ٣: ١٩٠-١٩١)

وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٢٥﴾ (الإنسان، ٧٦: ٢٥)

وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَوَّأَ لِيْلِهِ تَبَتُّلاً ﴿٨﴾ (الزمل، ٧٣: ٨) ٣٠٤

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَيشِي يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ^ط وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ^ط وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ (الكهف، ١٨: ٢٨)

من خلال ذكر الله المستمر ٣٠٠ - بتواضع وصبر ومثابرة - يصبح من الممكن أن يتغلب الإنسان على الهوى وأن يتغلب على شهواته، بالإضافة إلى التغلب على الحب الكاذب والرغبات الدنيوية. والله ﷻ يساعد المتقي و"سَجَّلَ لَهُ مَخْرَجًا":

...وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٦٦﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٦٧﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرَهُ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٦٨﴾ (الطلاق، ٦٥: ٢-٣)

فيصبح الحب حب الشيء الحسن أو البر، وهذا الحب يفيد المحب. وحب الشيء الحسن والبر وعدم حب ما هو شر يؤدي إلى الجنة والفلاح. يقول الله ﷻ:

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٥١﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٥٢﴾ (التازعات، ٧٩: ٤٠-٤١)



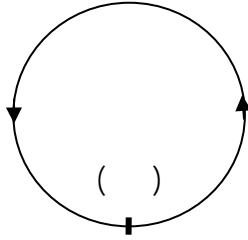
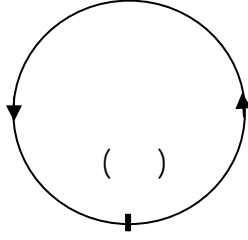
٣٠٤ انظر أيضاً إلى: البقرة، ٢: ٢٠٠؛ الأعراف، ٧: ٥٥-٥٦ و ١٨٠ و ٢٠٥؛ الأنفال، ٨: ٤٥؛ النور، ٢٤: ٣٧؛ الشعراء، ٢٦: ٢٢٧؛ الجمعة، ٦٢: ٩-١٠؛ الأعلى، ٨٧: ١٤-١٥. ٣٠٥ انظر أيضاً: البقرة، ٢: ١١٤؛ النساء، ٤: ١٤٢؛ الأعراف، ٧: ١٧٩ - ١٨٠؛ الكهف، ١٨: ٢٨، ١٠٠ - ١٠١؛ طه، ٢٠: ٩٩ - ١٠١، ١٢٤ - ١٢٧؛ الفرقان، ٢٥: ١٨؛ الزمر، ٣٩: ٢٢ - ٢٣؛ النجم، ٢٩: ٣٠؛ المجادلة، ٥٨: ١٩؛ الجن، ٧٢: ١٧؛ الماعون، ١٠٧: ٤ - ٦.

دائرتا الحب

قد رأينا في الفصل السابق ("نمو الحب") أن الحب ينمو من خلال ميل وممارسة جميع مكونات وملكات الإنسان نحو المحبوب. وقد رأينا أيضاً أنه من ناحية عكسية أن مرض القلب والرجس يؤديان إلى زيادة الرجس. فما الذي يحصل بعد هذا النمو من الحب أو هذه الزيادة من الرجس؟ يقول الله ﷻ:

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ
الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ (البقرة، ٢: ٢٥٧)

يُلاحظ أنّ حال الذين آمنوا في أول أمرهم في هذه الآية هو الظلمات (يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ) بالنسبة إلى ما سيكونون عليه (إِلَى النُّورِ)، بينما حال الذين كفروا في أول أمرهم في هذه الآية هو النور (يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ) بالنسبة إلى ما سيكونون عليه (إِلَى الظُّلُمَاتِ)، وهذا بالرغم من أن "اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا"، وأن "الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ"، على الشكل التالي:



ما معنى هذا؟ الجواب في الآية نفسها: الله ﷻ يُخرج الذين آمنوا من الظلمات إلى النور، فهذا يعني أنهم سيصبحون في النور بالنسبة للظلمات التي كانوا فيها. فهنا يبدأ صعود المؤمنين مما يُعتبر ظلمات بالنسبة إلى النور الذي سيصعدون إليه، ولكن هذا لا يعني أن ظلمات المؤمنين أشد ظلمة من نور الذين كفروا. وكذلك بالنسبة للذين كفروا: يبدوون فيما يُعتبر نوراً بالنسبة إلى الظلمات التي سيهبطون إليها، ولكن لا يعني هذا أن نور الذين كفروا

ربما نرى نفس هذا الوضع أيضاً في قول الله ﷻ:

قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَقَبْنَا فَأْتَيْنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَخْرَجْنَا كَافِرَةٌ
يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً
لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٥٦﴾ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ
الْمَمْقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسُومَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَعَآبِ ﴿٥٧﴾ * قُلْ أُوْنْتِفِكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ
لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ
وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا فَاغْفِرْ

٣٠٦ وهنا نضرب مثلاً آخر يبين من خلاله أن أول مقامات المؤمن بالنسبة لآخر المقامات التي يصل إليها من الإيمان والمعرفة كنسبة النور إلى الظلمات، وهو: أن سيدنا رسول الله ﷺ خاطبه رب العزة ﷻ بقوله: **وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ** ﴿٧٠﴾ (الضحى: ٩٣). وأنا نعلم أن رسول الله ﷺ لم يكن ضالًّا بمعنى الانحراف والغي وعمل أعمال شيرار الخلق: فقد تواتر عنه ﷺ في كتب السيرة أنه كان معروفاً في الجاهلية بـ"الصادق الأمين" لما فيه من الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة؛ وقد غسّلت الملائكة صدره الشريف وقلبه منذ طفولته كما جاء في كتب التفسير في معنى قوله ﷻ: **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ** ﴿٩٤﴾ (الشرح: ٩٤)؛ وقد جاء في الصحاح أيضاً أنه ﷺ كان يختلي في غار حراء الليالي ذوات العدد يتفكر ويتحنّث، وكان مبتعداً عما كان يفعله أهل الجاهلية من الآثام واللهو؛ فالله ﷻ شهد على كل ذلك في بداية البعثة بقوله ﷻ: **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقِي عَظِيمٍ** ﴿٦٨﴾ (القلم: ٦٨)، ثم بقوله ﷻ في سيدنا رسول الله ﷺ: **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ** ﴿٥٣﴾ (النجم: ٥٣). فهذا معناه أن الرسول ﷺ لم يكن ضالًّا بمعنى الانحراف الذي ذكرناه سابقاً، وإنما معنى الضلال هنا هو أنه كان لم يصل بعد لدرجة النبوة ولا لدرجة خاتم الرسل التي كانت تنتظره فيما بعد. فكان مقامه أولاً بالنسبة إلى ما صار إليه من دوام الارتقاء وعلو المنزلة كنسبة الضلال إلى الهدى والظلمات إلى النور.

لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ (آل عمران: ١٣- ١٦)

ففي هذه الآيات أيضاً: فمتان متمثلتان في دائرتين، دائرة حبّ الله ﷻ والجنة والأزواج المطهرة والرضوان، ودائرة حبّ الدنيا المتمثلة بحب الشهوات وتقديمها على طاعة الله ﷻ. وهاتان الدائرتان تمثلان الفتتين اللتين اقتتلتا حيث إن إحداهما مؤمنة تقاتل في سبيل الله والأخرى كافرة.

ومما تقدّم يتبين أن كلاً من الذين آمنوا والذين كفروا في ازدياد دائم لما هم فيه. فالمؤمنون في حالة ترقٍ دائم وصعود في الدرجات العُلى من مقام إلى مقام، والكافرون بعكس ذلك لأنهم في نزول وهبوط دائم في الدرجات السفلى. والمقصود هنا بـ "المؤمنين" هم المؤمنون الصادقون الذين لم يخطوا إيمانهم وطاعاتهم بالمعاصي والكبائر^{٢٠٧}. وكذلك المقصود بـ "الكافرين" هنا الذين لم يعملوا أعمالاً صالحة. أما إذا وجدت فئة خلطت بين الإيمان والنفاق أو بين الإيمان والطاعات وبعض المعاصي فحالمهم مختلف، وهؤلاء هم الذين قال الله ﷻ عنهم:

وَأَخْرُونَ أَعْرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ
 ٢٠٧ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧﴾ (التوبة: ٩، ١٠: ١٠٢)

ووضع هؤلاء غير واضح تماماً، و"عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ". أما بالنسبة للذين آمنوا والذين كفروا حقاً، فوضعهم في زيادة واستمرار فيما هم عليه كما ذكرنا. وبالنسبة للمؤمنين نرى هذا أيضاً في جزائهم على حسناتهم الذي أقله ضعف حسناتهم:

٣٠٧ يقول الله ﷻ:

إِن تَجْتَنِبُوا كُتُبَهَا مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ تُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٤٠﴾ (النساء: ٤٠)

وَالَّذِينَ تَجْتَنِبُونَ كُتُبَ الْإِيمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٤٢﴾ (الشورى: ٤٢)

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۗ وَإِن تَكَ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا

(النساء، ٤: ٤٠)

وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآيَاتِي تُقَرَّبُكُمْ عَلَيْنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ هُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الَّتَعْرِفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ (سبا، ٣٤: ٣٧)

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرُسُلِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٨﴾ (الحديد، ٥٧: ٣٨)

أو قد يكون جزاؤهم عشرة أضعاف حسنتهم:

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا ۗ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ (الأنعام، ٦: ١٦٠)

أو قد يكون جزاؤهم أضعافاً كثيرة:

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافاً كَثِيرَةً ۗ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ (البقرة، ٢: ٢٤٥)

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ ۗ وَهُوَ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿٥٧﴾ (الحديد، ٥٧: ١١)

(الحديد، ٥٧، ١٨)

إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿٦٤﴾ (التغابن، ٦٤: ١٧)

أو قد يكون جزاؤهم سبعمائة ضعف حسنتهم:

مِثْلُ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبَّةٍ أَتَيْتَ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ (البقرة، ٢: ٢٦١)

أو قد يكون جزاؤهم من غير حساب على الإطلاق:

زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ

الْقِيمَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٦﴾ (البقرة، ٢: ٢١٢)

تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۗ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ

الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ ۗ وَتَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ (آل عمران، ٣: ٢٧)

فَتَقْبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۗ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا

الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ۗ قَالَ يَنْمَرِمُ ۗ أَنْ لَكَ هَذَا ۗ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ

يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٨﴾ (آل عمران، ٣: ٣٧)

لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

﴿٢٨﴾ (النور، ٢٤: ٣٨)

قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۗ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ

وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٩﴾ (الزمر، ٣٩: ١٠)

مِّنْ عَمَلٍ سَيِّئَةٍ فَلَا تُجْزَىٰ إِلَّا بِمِثْلِهَا ۗ وَمَنْ عَمَلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ ۗ وَهُوَ

مُؤْمِنٌ ۗ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٠﴾ (غافر، ٤٠: ٤٠)

بطبيعة الحال، حبّ المؤمن لله ﷻ وحبّ الله ﷻ للمؤمن هما أفضل

رزق وجزاء. فنفهم من "أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ" أن الله ﷻ سيعطي المؤمنين

حباً حقيقياً له وسيعمق إيمانهم به ﷻ. وبالتالي فإن حبّ المؤمن لله ﷻ

وحبّ الله للمؤمن يزيد مع زيادة إيمان المؤمن. و"صعود" المؤمن هو زيادة

مستمرة في الحبّ - بالإضافة إلى زيادة مستمرة في الإيمان - وهكذا يمكن أن

نسميها "الدائرة الأعلى للحب". وفي هذه الدائرة فإن حبّ الله ﷻ يُجَمَّل

نفس المؤمن والذي يملك الآن قدرة أكبر على الحبّ، وهذا بدوره يؤدي إلى

حبّ أعظم وهلم جرّاً إلى ما لا نهاية في دائرة مغلقة ومستديمة من الحبّ

("الأعلى"). وهذه دائرة مغلقة تماماً أمام الكافرين، وفي هذه الدائرة الحبّ

يُكَافَأُ بمزيد من الحبّ والمزيد من الحبّ يُكَافَأُ بمزيد آخر وهلم جرّاً "بِغَيْرِ

حِسَابٍ" . يقول الله ﷻ:

هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٥٠﴾ (الرحمن، ٥٥: ٦٠)

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا أَحْسَنَىٰ وَزِيَادَةً ۗ وَلَا يَرَهُنَّ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ (يونس، ١٠: ٢٦)

وأما بالنسبة للذين كفروا، فالله ﷻ أطلق عليهم لفظ " دائرة السوء " :

وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظُنُّهُ
السَّوْءُ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ
مَصِيرًا ﴿٤٨﴾ (الفتح، ٤٨: ٦١)

فالمهبط المستمر الذي تغذيه عملية المهبوط نفسها هي أيضاً ما نراه في حالة الزاني: فالزنا - ولو كان فيه نوع من أنواع الحب (كما رأينا سابقا في فصل " الحب والزنا ") - يُغذي الحب " الأسفل " الذي بدأ به، وهذا واضح من كلام الله ﷻ:

وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿١٧﴾ (الإسراء، ١٧: ٣٢)

" وَسَاءَ سَبِيلًا " : السبيل يسوء لأن الزنا يزيد شدة حبّ الزاني في الزنا، وهذا بالتالي يُخرب أي سبيل نحو الله ﷻ وحبه ويُحيط ويغلق على الزاني في " دائرة السوء ". وربما من هنا تأتي خطورة مجرد النظر إلى جمال المرأة خارج الزواج المشروع. يقول الله ﷻ:

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُضْنَ مِمَّنْ أَبْصَرِهِنَّ وَخَفَفْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۗ وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۗ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخْوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبَاعِيْنَ غَيْرَ أُولِي الْإِرَابَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۗ وَلَا يَضْرِبْنَ

بِأَرْجُلَيْهِمْ لِيُعْلَمَ مَا تَخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِمْ ۗ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿٢٤﴾ (النور، ٢٤: ٣١)

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابٍ
ذَلِكَ آدَتِي أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٥﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٥٩)

فهناك دائرتان مغلقتان ومستديمتان للحب واحدة منهما علنيا وهي:
دائرة الحب المشروع أو حب الله ﷻ، والأخرى: سُغلى وهي دائرة الحب غير
المشروع.



وبما أن كلا الدائرتين في نمو مستمر، فهل دائرة السوء تؤدي إلى نفس
شديدة دائرة حب الخير نفسها؟ كلا، لأن المحبوب في دائرة حب الخير هو الله
ﷻ، وحب الله ﷻ يبقى مختلفاً عن حب السوء ولو اشتد حب السوء. يقول
الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ
حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ (البقرة، ٢: ١٦٥)

وبعبارة أخرى، مهما اشتد حب سيء، لا يمكن أن يكون بقوة حب الله
ﷻ. حب الله ﷻ يمكن له أن يصبح غير محدود لأنه "ألقي" من الله ﷻ.
يقول الله ﷻ:

أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِفِيهِ فِي آيِمٍ فَلْيَلْقِهِ آيِمٌ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ
لَهُ ۗ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٢١﴾ (طه، ٢٠: ٣٩)



مسألة: هل الحبّ لمصلحة الذي يُحب أم الذي يُحَبّ؟

رأينا أعلاه أن الحبّ "الأعلى" يؤدي بطبيعة الحال إلى مزيد من الحبّ الأعلى، بينما الحبّ "الأسفل" يؤدي إلى مزيد من الحبّ الأسفل. فهذا يعني أن الحبّ يفيد أو يضرّ الذي يُحب حسب نيته: فالحب "الأعلى" يزيد إيمان وحبّ المؤمن - وهذا لمصلحته بالتأكيد؛ بينما الحبّ "الأسفل" يزيد كفر وشهوة الظالم - وهذا ضد مصلحته بالتأكيد.

وهذا عكس ما يظنه الناس عموماً: فإن كثيراً من الناس يعتقدون أن الحبّ يفيد المحبوب أكثر مما يفيد أو يضر الذي يحب، كأن الحبّ هدية تأتي من الذي يحب إلى المحبوب لكي يستفيد منها المحبوب. وواقع الأمر أنه قد لا يعلم أو يشعر المحبوب بحب شخص يحبه حتى ولو استفاد من ذلك الحب. فعلى سبيل المثال إن أحبّ شخصٌ شجرة هل تعلم هذه الشجرة محبه ولو أنها استفادت من حمايته وسقايته لها؟ وقد لا يريد المحبوب حبّ من يحبه (وقد يكون مضراً له) مثل ما وقع لسيدنا يوسف عليه السلام الذي فضلّ السجن على حبّ امرأة العزيز فقال:

قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرَفْنِي عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصَبُ إِلَيْهِنَّ

وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١٢﴾ (يوسف، ١٢: ٣٣) .

فخلاصة الأمر هي أن الحبّ دائماً يفيد أو يضر المحب حسب طبيعة هذا الحبّ، وبالنسبة للمحبوب قد يفيد أو قد يضر وقد لا يفيد ولا يضرّ ولا يؤثر، والله أعلم.

مثلث الحب

المطلب الأول: لِمَ يحتاج الحبّ إلى تزيّن مسبق

قد ذكرنا سابقاً (في فصل "مراحل الحب") أن التزيّن مرحلة من مراحل الحبّ، وأن حبّ الناس لله ﷻ وحبّ الناس للناس يحتاج إلى تزيّن مسبق في نظر أو نفس أو قلب الذي يُحبُّ. وذكرنا الآيات التالية وأشرنا إلى آيات أخرى:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسُومَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ

عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ ﴿٤٨﴾ (آل عمران: ٣٠: ١٤)

بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا ۖ وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوِيًّا ۖ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿٤٩﴾ (التفتح: ٤٨: ١٢)

قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٠﴾ (الحجر: ١٥: ٣٩)

وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۗ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ ۖ إِلِيمَنَ وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ

الرَّشِيدُونَ ﴿٥١﴾ (الحجرات: ٤٩: ٧)

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ

الْقَيْمَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٣﴾ (البقرة، ٢: ٢١٢) ٣٠٨

السؤال الذي يُسأل هنا هو لِمَ يحتاج الحبّ إلى تزيُّن مسبق؟ يقول الله

ﷻ:

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ

قَالُوا بَلَىٰ ۗ شَهِدْنَا ۗ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقَيْمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿٧٢﴾ (الأعراف، ٧:

١٧٢:

فهذه الآية^{٣٠٩} تُنبئنا أنه كان عندنا علم فطري بوجود الله عند خلق

سيدنا آدم ﷺ وقبل حياتنا الدنيا، وبالتالي فهذه الآية تُعني أنه يوجد في نفس

أو في روح الإنسان هذا العلم. ولكن لا يوجد عند الإنسان علم بمدركات

الأشياء الأخرى عند ولادته. يقول الله ﷻ:

وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ

وَالْأَفْئِدَةَ ۗ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٦﴾ (النحل، ١٦: ٧٨)

٣٠٨ وانظر إلى: الأنعام، ٦: ٤٣؛ الأنعام، ٦: ١٣٧؛ الأنفال، ٨: ٤٨؛ النحل، ١٦: ٦٣؛

النمل، ٢٧: ٢٤؛ العنكبوت، ٢٩: ٣٨؛ الأنعام، ٦: ١٠٨؛ النمل، ٢٧: ٤؛ فصلت، ٤١: ٢٥؛

الأنعام، ٦: ١٢٢؛ التوبة، ٩: ٣٧؛ يونس، ١٠: ١٢؛ الرعد، ١٣: ٣٣؛ فاطر، ٣٥: ٨؛ غافر، ٤٠:

٣٧؛ محمد، ٤٧: ١٤؛ يونس، ١٠: ٢٤.

٣٠٩ وقد شرح ابن كثير هذه الآية كالتالي: " يُخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من

أصلابه ، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكمهم، وأنه لا إله إلا هو ". (ابن كثير،

تفسير القرآن العظيم، ص ٧٩٧). وقد جاء في تفسير هذه الآية الكريمة: عن ابن عباس رضي

الله عنهما قال رسول الله ﷺ:

«أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعني عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فثرهم بين

يديه كالذر ثم كلمهم قبلاً، قال: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۗ قَالُوا بَلَىٰ ۗ شَهِدْنَا ۗ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقَيْمَةِ إِنَّا كُنَّا

عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿٧٦﴾...». (رواه أحمد في مسنده، رقم ٢٧٢/١).

لكن هنالك استثناء ٣١٠ - والله أعلم - لهذه الآية كعيسى عليه السلام الذي كلّم الناس في المهدي. يقول الله تعالى:

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْنَاكَ بِرُوحِ
الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ط وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ
وَالْإِنْجِيلَ ط وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ط وَتُبْرِئُ
الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ط وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ط وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ
عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٣١٠﴾

(المائدة: ١١٠: ٣١١)

أما بالنسبة للإنسان بعامة (باستثناء من أكرمهم الله تعالى كسيدنا عيسى عليه السلام) فإنه كان لا يعلم شيئاً عند ولادته، ولكن كما ذكرنا (في فصل "الوقوع في الحب") أن كل إنسان طبيعي يمتلك ملكة القدرة على التعلّم. وبما أنه لا يعلم شيئاً، لا يعلم أيضاً ما هي مراتب الجمال، وماذا يجب عليه أن يجب. وبالتالي يحتاج الإنسان للتزيّن لكي يجب. وبالنسبة للإيمان، فالله تعالى يُزيّن الجمال في قلب المؤمن. يقول الله تعالى:

وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ع لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ

٣١٠ لقد ورد في الحديث الشريف المروي في الصحيحين أن هناك استثناء لثلاثة من البشر تكلموا في المهدي وهم: سيدنا عيسى عليه السلام، والطفل الذي تكلم في براءة جريج الراهب، وطفلٌ رضيعٌ في بني إسرائيل. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«لم يتكلم في المهدي إلا ثلاثة، عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج وكانت امرأة ترضع ابناً لها من بني إسرائيل فقال: اللهم اجعلني مثلها». رواه البخاري، رقم ٣٤٣٦، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم، ومسلم، رقم ٢٥٥٠، في كتاب البر والصلة، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها.

٣١١ انظر إلى: آل عمران، ٣: ٤٦؛ مريم، ١٩: ٢٩.

إِلَيْكُمْ الْإِيمَنَ وَرَزَيْتَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ

الرَّاشِدُونَ ﴿٤٩﴾ (الحجرات، ٤٩: ٧)

وأما بالنسبة للحياة الدنيا، فالشيطان يُزَيِّنُ لِأَتْبَاعِهِ جَمَاهَا:

قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٠﴾ (الحجر، ١٥: ٣٩)

وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤَهُمْ لِئُدْوَهِمُ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتُرُونَ ﴿٥١﴾

(الأنعام، ٦: ١٣٧)

وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِّنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ تَكَصَّ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ (الأنفال، ٨: ٤٨)

تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَهُمْ عِدَابُ اللَّهِ ﴿٥٣﴾ (التحل، ١٦: ٦٣)

وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٥٤﴾ (النمل، ٢٧: ٢٤)

وَعَادًا وَثُمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّن مَّسْكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٥٥﴾ (العنكبوت، ٢٩: ٣٨)

وَقِيصْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَّتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿٥٦﴾ (فصلت، ٤١: ٢٥)

ويبدو - والله أعلم - أنه حتى تزئِنُ الأشياء من قِبَلِ الشيطان هو في طبيعة الإنسان نفسه، لأن تزئِنُ أعمال الكافرين السيئة أيضاً من الله، أو من ذات الإنسان:

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٥٧﴾ (النمل، ٢٧: ٤)

الحب في القرآن الكريم

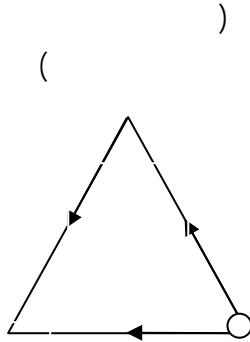
أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا

تَذَهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨٥﴾ (فاطر، ٣٥: أ)

أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿٤٧﴾ (ص، ٤٧: ١٤)

فعلى أية حال، ومهما كان مصدر الحب فهو يحتاج إلى تزئین مسبق، كما رأينا مراراً.

وبما أن الإنسان يجب من خلال التزئین، يمكن لنا أن نقول أن الإنسان (في بداية الحب على الأقل)، لا يُحب محبوبه بشكل مباشر بقدر ما يُحب التزئین. فتصبح عملية الحب مثلثاً على الشكل التالي:



()

فترى في هذا المثلث أن الإنسان في بداية الحب يُحب صورة مزئنة (في عقله أو في نفسه أو في قلبه) عن المحبوب بنفس القدر الذي يُحب "المحبوب" حقيقةً، فبالتالي يُحب محبوبه من خلال صورته الخاصة عن هذا المحبوب بغض النظر عما إذا كانت هذه الصورة تمثل حقيقة المحبوب أم لا: وهذا هو

معنى الأسهم في الصورة أعلاه. وهذا الأمر هو الذي يُفسَّر كيف يمكن للإنسان أن يحب شيئاً من دون أن يعرفه حق المعرفة: فإنه يحب الصورة التي عنده في عقله أكثر أو بنفس القدر الذي يحب المحبوب، وقد لا يعرف المحبوب حقاً ولكن يظن أنه يعرفه لأن لديه حباً لصورته عنده.

على سبيل المثال لو تصورنا أن قيساً هو الإنسان (في أسفل يمين المثلث) وليلى هي محبوبة (في أسفل يسار المثلث) وصورة ليلى في عقل قيس التي في سنام هذا المثلث، فالمثلث يُبين لنا أن قيساً يحب صورة ليلى عنده بنفس القدر الذي يُحب حقيقة ليلى فيه، وهذه الصورة لليلى عنده هي التي تثير الحبّ عنده، لأنه لا يعرف حقيقة ليلى. وعند اكتشافه لحقيقة ليلى مع الخبرة فيها ربما ينصرف عن حبها لأنها ليست كالصورة المزيّنة في عقله. فكم من حبّ انتهى عند اكتشاف حقيقة المحبوب!

هذا المثلث صحيح بشكل عام في بداية الحبّ، فالمحوب مُبعد بدرجة عن الذي يُحبه. في بعض الأحيان - وعلى سبيل المثال في حالة الشهوات - يكون المحبوب مُبعداً بأكثر من درجة. يقول الله ﷻ:

زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ ﴿١٤﴾ (آل عمران، ١٤)

في هذه الآية نرى أن بين الناس و"النساءِ والبَنِينَ والقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ" على الأقل درجتين: الأولى: هي التزئ والثانية: هي الحبّ، والثالثة: هي الشهوة، أو قد يكون التزئ أول درجة ثم حبّ الشهوة ثاني درجة. أي، بمعنى آخر، أن الناس يُحبون الشهوة نفسها أو حتى يُحبون أن يُحبوا الشهوة من خلال التزئ قبل أن يُحبوا "النساءِ والبَنِينَ والقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ

الْمُسُومَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرَّتِ ^{٤١} . الفائدة من هذا الموضوع هي أولاً: أنه يَتَبَيَّنُ لنا أن هذا النوع من الحب ليس له أية علاقة بالحقيقة ذاتها، وثانياً: أنه بالإمكان لنا أن نقطع هذا الحب برفض تزئينه، كما ذكرنا سابقاً (في فصل " الوقوع في الحب ") وحسب قول الله ﷻ:

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ فَعَلَىٰ الْغَنَّةِ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۗ ^{٤٢}

(النازعات، ٧٩، ٤٠-٤١)



مسألة: هل الإنسان مُبعد عن محبوبه حتى يحب الله ﷻ؟ نعلم أن الله

ﷻ قريب:

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۗ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۗ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي

وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ^{١٨٦} (البقرة، ٢، ١٨٦)

وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۗ فَأَيَّمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ^{١١٥} (البقرة، ٢، ١١٥)

ونعلم أنه يوجد في الإنسان شيء يشهد على حقيقة وجود الله ﷻ:

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ

قَالُوا بَلَىٰ ۗ شَهِدْنَا ۗ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ^{١٢٣} (الأعراف، ٧، ١٢٣)

(١٧٢:

ولكن نعلم أن الإنسان لا يدرك الله ﷻ من خلال بصره:

لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ^{١٦٤} (الأنعام، ٦، ١٠٣)

فكيف يُحب الإنسان ما لا يُدركه؟ لقد بيّن الله ﷻ جواب هذا

السؤال في القرآن الكريم. يقول الله ﷻ:

وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۗ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ

إِلَيْكُمْ ۗ الْإِيمَانُ وَرَزَقَتْهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ

ففي هذه الآية نرى أنّ الإنسان يجب الله ﷻ أولاً من خلال الإيمان الذي زيّنه الله ﷻ في قلبه. بعد هذا يبدأ الإنسان بمعرفة الله ﷻ وأسمائه وصفاته (التي كان لا يعلم منها إلا لفظها من دون أن يفهم حقائقها) من خلال أفعال الله ﷻ وآياته. يقول الله ﷻ عن قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم:

لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلسَّٰبِقِينَ ﴿١٢﴾ (يوسف، ١٢: ٧٠)

نَزَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿١٣﴾ (يوسف، ١٢: ٧٦)

ولكن كيف يحدث هذا بالضبط؟ كيف يعرف البشر الله ﷻ؟

المطلب الثاني: كيف يصل الإنسان إلى معرفة ربه؟

الله ﷻ وضع اثني عشر نوعاً من الأفعال والآيات التي يعرف المؤمن من خلالها الله ﷻ ففي دعاء يوسف عليه السلام يقول الله ﷻ:

رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۗ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَنْتَ وَلِيُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ تُوَفِّي مُسْلِمًا وَالْحَقِّقِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٣﴾ (يوسف، ١٢: ١٠١)

فالمؤمن يبدأ بمعرفة الله ﷻ:

أولاً: من خلال الإيمان بالله ﷻ (وهذا مفهوم في الدعاء: "رَبِّ").
وثانياً: من خلال التواضع (ونفهم هذا لأن سيدنا يوسف عليه السلام ينادي الله ﷻ "رَبِّ" - فالشيطان يؤمن بالله ﷻ ولكنه يفتقد التواضع).

ثالثاً: من خلال التفكير في نِعَمِ الله بامتنان ("قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ").
ورابعاً: من خلال الرؤى التي يُنعم الله ﷻ على عباده بها ("وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ").

وخامساً: من خلال الطبيعة وجماها وعظمتها (" **فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** ") ٣١٢.

آيات الله ﷻ في أنعماله وخلقه

٣١٢

هنا مسألة مهمة جداً وهي: أن سيدنا موسى ﷺ لما سأله فرعون " ما رب العالمين؟ "، لم يُجب بشيء أو بوصف عن نفس الله ﷻ، ولكنه أشار إلى أفعال الله ﷻ من خلال الخلق والطبيعة. وهذا يعني أن الخلق والطبيعة يحتويان على أقوى دليل لمعرفة الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠٠﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٠١﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَعْبِقُونَ ﴿٢٠٢﴾ قَالَ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ الْأُولَى وَالْأُولَى ﴿٢٠٣﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٠٤﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٠٥﴾ قَالَ لَيْن أَخَذْتُ مِنْهَا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴿٢٠٦﴾ (الشعراء، ٢٦، ٢٣-٢٩)

ومعرفة الخلق والطبيعة يدلان على الله ﷻ ويؤديان إلى الهدى أيضاً ففي آية أخرى أشار سيدنا موسى ﷺ إلى فرعون، وإلى الله ﷻ، وإلى الهدى من خلال الطبيعة، يقول الله ﷻ:

قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يُنمَوْنِ ﴿٢٠٧﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٢٠٨﴾ (طه، ٢٠، ٤٩-٥٠)

وكذلك أمر سيدنا رسول الله ﷺ أن يشير إلى الله ﷻ ويستدل منطقياً وعقلياً وحتى بالبصيرة على وجوده ﷻ من خلال الخلق والطبيعة في آيات عدة، منها الآيات التالية:

قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ (يونس، ١٠، ١٠١)

قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ أَخِيذٌ وَلِيَا فَاظِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٠﴾ (الأنعام، ٦، ١٤١)

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَأَتَّخِذُكُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لأنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُهُ آخِلَقِي عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦٠﴾ (الرعد، ١٦، ١٦١)

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ أَلَسْبَعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٦١﴾ (المؤمنون، ٢٣، ٨٦)

أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَابٍ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِثُوا شَجَرَهَا أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ بَلَّ هُمْ قَوْمٌ يَعْتَدِلُونَ ﴿١٦٢﴾ أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ جِلْجَالَهَا أَنْهَارًا

وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَوَلَمْ يَكُنْ مَعِ اللَّهُ بَلَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ
الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْتُمُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَوَلَمْ يَكُنْ مَعِ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٥﴾ أَمَّنْ
يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَوَلَمْ يَكُنْ مَعِ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿٦٦﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكَ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَوَلَمْ يَكُنْ مَعِ اللَّهُ قُلْنَ هَانُوا
بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٧﴾ (النمل، ٦٠-٦٤)

سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ (الزخرف، ٤٣، ٨٢)

(انظر أيضاً: البقرة، ٢: ١٦٤ - ١٦٥؛ آل عمران، ٣: ١٨٩ - ١٩١ والرحمن، ٥٥:

١٣-١).

وكذلك سيدنا إبراهيم عليه السلام أشار إلى الله تعالى من خلال الخلق والطبيعة:

إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٢﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ
قَالَ أَتُحْسِنُونَ فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَحَافَ مَا تُشْرِكُونَ بِمِثْلِ اللَّهِ أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ
عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٦٣﴾ (الانعام، ٧٩-٨٠)

قَالَ بَلْ رُبَّمَا كَرِهَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٦٤﴾ (الأنبياء، ٢١، ٥٦)

وكذلك الأنبياء مثل سيدنا نوح عليه السلام وسيدنا هود عليه السلام وسيدنا صالح عليه السلام كلهم
أمرُوا أَنْ يُشِيرُوا إِلَىٰ وَجُودِ اللَّهِ تعالى ومعرفته من خلال الخلق والطبيعة. يقول الله تعالى:

قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَلِي اللَّهِ شَيْءٌ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِمَّنْ دُونِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ
أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أُنشِرُوا لَوْلَا إِنْ بَشَرٌ مُّثَلْنَا تَرْيَدُونَ أَنْ تُصَدِّقُوا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ
﴿١٤﴾ (إبراهيم، ١٤)

وكذلك أهل الكهف عرفوا على الله تعالى من خلال الطبيعة:

وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ ۗ إِنَّهَا لَقَدْ فَلَتْنَا إِذًا
شَطَطًا ﴿١٨﴾ (الكهف، ١٨)

والله تعالى يقول للبشرية بشكل مباشر:

فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ نُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُعْجِزٌ لِّمَنْ يَعْلَمُ الْآيَاتِ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
﴿٣٠﴾ (الروم، ٣٠)

وسادساً : من خلال حبّ الله ﷻ له (" أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ") .
وسابعاً: من خلال التدبّر - أو على الأقل من خلال التفكّر في -

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿١﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٣﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٤﴾
وَعَبًّا وَقُضْبًا ﴿٥﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٦﴾ وَحَدَاقٍ غَلْبًا ﴿٧﴾ وَفَكِكَةً وَأَبًا ﴿٨﴾ مَنَّاعًا لُكْرًا وَتَعْمِيمًا ﴿٩﴾ (عبس، ٨٠: ٢٤ - ٣٢)

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٢﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٣﴾ وَإِلَى
الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٤﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٥﴾ (الغاشية، ٨٨: ١٧ - ٢١)

والعالم الجلي هو ما يشير إلى ما هو غير جلي ("مَدَّ الظَّلَّ" هو رمز لما هو غير جلي لأنه موعود في الجنة كما في سورة الواقعة (٥٦: ٣٠): " وَظِلٌّ مُمَدُّودٌ "؛ يقول الله ﷻ:

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿١﴾ ثُمَّ قَبِضْنَاهُ إِلَيْنَا
قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٢﴾ (الفرقان، ٢٥: ٤٥ - ٤٦)

وَالطُّورِ ﴿١﴾ (الطور، ٥٢: ١)

وأخيراً لا يفوتنا أن نذكر بأن الله ﷻ عرّف على عظمة الخلق والطبيعة من خلال إقسامه بهم، كقوله ﷻ:

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَدَهَا ﴿٥﴾
وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ (الشمس، ٩١: ٧-١)

وَالفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيْالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ (الفجر، ٨٩: ٥-١)

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ (العصر، ١٠٣: ١)

وَالْعَنَدِيَّتِ صَبْحًا ﴿١﴾ (العنابدات، ١٠٠: ١)

وَالنِّينِ وَالرَّيْثُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ (النين، ٩٥: ١-٢)

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴿٢﴾ (الليل، ٩٢: ١-٢)

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ (الضحى، ٩٣: ١-٢)

فَلَا أَفْسِدُ بِمَاقِعِ النُّجُومِ ﴿١﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٢﴾ (الواقعة، ٥٦: ٧٥-٧٦)

والله ﷻ يقسم بنفسه كرب الخلق والطبيعة:

فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطُقُونَ ﴿١﴾ (الذاريات، ٥١: ٢٣)

صفات وأسماء الله الحسنى في كل لحظة وفي كل ظرف، وآثارها على الإنسان (" أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ").

وثامناً: من خلال التفكير في حقيقة الموت وعجز كل إنسان أمام الموت (" تَوْفِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّي بِالصَّالِحِينَ ")^{٣١٣}.

وتاسعاً: من خلال الإسلام لله والقيام بالأعمال الصالحة (" مُسْلِمًا وَالْحَقِّي بِالصَّالِحِينَ ").

وعاشراً: من خلال ممارسة الدعاء والصلاة (وهذه الآية نفسها هي صلاة) وخاصة الصلاة في العزلة (وقد رأينا في فصل " حب الإنسان لله ﷺ " كيف أن السجن كان أمراً يحبه سيدنا يوسف عليه السلام بسبب جمال ذكر الله في العزلة).

وحادي عشر: من خلال النظر إلى استجابة الله ﷺ للدعاء (وهذا مفهوم ضمناً في دعاء سيدنا يوسف عليه السلام) والنظر إلى كيف يحدد الله الأقدار. وثاني عشر وأخيراً: - وهذا يفهم ضمناً من قراءة هذه الآية من القرآن الكريم - من خلال كلام الله ﷺ، أي من خلال القرآن الكريم.

باختصار فإن معرفة الله ﷺ تزداد من خلال الإيمان والتواضع والحب والأعمال الصالحة والتدبر والتفكير في كل شيء داخل النفس وفي العالم. وبعبارة أخرى، فإن معرفة الله ﷺ تنمو بالطريقة نفسها التي ينمو فيها حب الله ﷺ، وذلك من خلال التركيز والتعلق التدريجي للقلب والنفس وكل ملكاتهما ومكوناتهما على ما يُراد معرفته - أي الله ﷺ. فبعد النظر إلى أعمال الله ﷺ وآياته من خلال هذه الطرق الإثني عشر، يبدأ المؤمن بالتعرف

٣١٣ يقول الله ﷺ:

قُلْ يَتْلُوكُمُ النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي سَلَامٍ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم
وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ (يونس، ١٠٤)

على أسماء الله ﷻ وصفاته بشكل متزايد وبالتالي يبدأ بحب الله ﷻ بشكل "مباشر" أكثر، أو على الأقل ببعْد أقل، والله أعلم. وبعد أن يعرف المؤمن آيات الله ﷻ من خلال هذه الطرق يكون عند المؤمن شيء من المعرفة بالله ﷻ وبالتالي يبدأ حُبُه لله ﷻ "مباشرة" أو بدرجة أقل من البعد، والله أعلم.



إضافة إلى هذا، إذا كان عند المؤمن درجة كافية من الإحسان، يبدأ الله ﷻ بالإنعام على عبده بعلم منه. فيوسف عليه السلام، عندما "رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ" ^ع (يوسف، ١٢: ٢٤) كان من المحسنين:

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٤﴾ (يوسف، ١٢: ٢٢)

...إِنَّا تَرَلْنَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٥﴾ (يوسف، ١٢: ٣٦)

وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُنْصِبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٦﴾ (يوسف، ١٢: ٥٦)

وكذلك أبوه يعقوب عليه السلام الذي كان يعلم من الله ﷻ ما لا يعلمه الناس:

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَبُوا مِنْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْفُؤُومُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ (يوسف، ١٢: ٨٦-٨٧)

وكذلك سيدنا نوح عليه السلام الذي قال:

أَتَلْعَبُكُمْ رَسُولَتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٠٦﴾ (الأعراف، ٧: ٦٢)

وكذلك سيدنا محمد ﷺ وحتى في تفاصيل حياته المنزلية. يقول الله ﷻ: وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّتْ بِيَهُ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ

بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ

الْحَبِيرُ ﴿٦٥﴾ (النحر، ٦٦: ٣)

وهذا العلم الذي قد يأتي من الله ﷻ لأنبيائه ورسله ليس محصوراً في الأنبياء، لأنه أعطي إلى الخضر:

فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّنْ لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ (الكهف، ١٨)

(٦٥:

ونقل ابن كثير في تفسيره أن كثيراً من العلماء^{٣١٤} لم يعتبروا الخضر نبياً: "وذهب كثيرون إلى أنه لم يكن نبياً، بل كان ولياً. فالله أعلم" ٣١٥.

ويشير الله ﷻ إلى هؤلاء المؤمنين الذين ليسوا أنبياء ولكنهم "عارفين" بالله ﷻ:

الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ

الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهٖ حَبِيرًا ﴿٦٦﴾ (الفرقان، ٥٩: ٢٥)

ولعل هناك إشارة إلى "معرفة خاصة" من الله ﷻ في "شاهدٌ منه"، يقول الله ﷻ:

أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهٖ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ

أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ۚ مِنَ الْأَحْزَابِ ۚ قَالَنَارُ مَوْعِدُهُ ۚ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ

إِنَّهُ الْحَقُّ مِّن رَّبِّكَ وَلَٰكِن أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٧﴾ (هود، ١١: ١٧)

ونفهم أنه حين يملك المرء "معرفة خاصة" من الله ﷻ وحين يكون

٣١٤ وقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه (فتح الباري): أن هناك من خالف ابن كثير في قوله بأن كثيراً من العلماء لم يعتبروا الخضر نبياً، منهم القرطبي، وابن عطية. (ابن حجر، فتح الباري، المجلد ٦، ص ٤٣٤).

٣١٥ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص ١١٦٩.

من "العارفين" ويكون لديه "شاهدٌ مِنهُ"، فإن ذلك يعني أنّ لديه معرفة روحية - معرفة تأتي من خلال الروح. ولا نعرف الكثير عن الروح (نسبياً)^{٣١٦}، ولكننا نعرف أن الله ﷻ قد يلقي المعرفة على من يشاء ويعطيها منه ﷻ. يقول الله ﷻ:

يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾ (النحل، ٢: ١٦)

رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿٤٠﴾ (غافر، ٤٠: ١٥)

يَبْنِي أَدْهَبُوا فَتَحَسَبُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتَسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْفَؤْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ (يوسف، ١٢: ٨٧)

في الخلاصة، فإن الحبّ والإحسان يزيدان العلم كما أن العلم والإحسان يزيدان الحبّ - وهذا ما رأيناهُ تماماً في فصل "نحو الحب" - وبعد أن يزيدان معرفة الله ﷻ والإحسان يُصبح الحبّ مباشرة وليس من خلال مثلث التزيّن من الحبّ، والله أعلم. ولهذا عبّر يوسف^{٣١٧} ﷺ عن حبه لله ﷻ

٣١٦ يقول الله ﷻ:

وَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٧﴾ (الإسراء، ١٧: ٨٥)

٣١٧ وفهم الكثير حين نلاحظ أن سورة يوسف ﷻ هي السورة الوحيدة في القرآن الكريم التي تروي قصة كاملة من بدايتها إلى نهايتها في سورة واحدة؛ وهي قصة لا يُشار إليها في سورة أخرى في القرآن الكريم، ولا تحتوي على عناصر من قصص الأنبياء الآخرين إلا موضوع السورة (قصة سيدنا يوسف ﷻ). ونحن لم نبدأ حتى بمناقشة - كما تفعل بعض تفاسير القرآن الغامضة - الرمزية لعالم السورة المصغر على أنها قصة العقل (سيدنا يوسف ﷻ)؛ وابن الروح والقلب (يعقوب وزوجته)؛ وحسه في البئر مع حواسه الجسدية (أخوته العشر)؛ وإغوائه من قِبَل النفس الأمّارة بالسوء (زوجة العزيز)؛ وسُجُن من الدنيا ثم حرّره

غازي بن محمد بن طلال

في قوله: " أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ " (يوسف، ١٢: ١٠١)؛ والله أعلم.



الملك - بعبارة أخرى فهي قصة الحالة الإنسانية نفسها في الدنيا وبالتالي فهي بتعريفها أجمل وأصدق قصة ممكنة.

٢٧. الباب الرابع؛ الفصل السابع:

مراتب الجمال والحب

قد ذكرنا سابقاً (في فصل " دائرتي الحب ") أنه يوجد دائرتان من الحب: دائرة عليا ودائرة سفلى؛ دائرة حبّ الخير ودائرة حبّ السوء. ولكن ذكرنا أن الله ﷻ جعل الجمال في كل شيء خلقه. يقول الله ﷻ:

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۗ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٣٢﴾ (السجدة، ٣٢: ٧)

فإذا كان الجمال في كل شيء، وإذا كان الحبّ هو حباً مهماً كان المحبوب، فلماذا يُفضّل نوع من أنواع الحبّ على نوع آخر، ولم يُفضّل نوع من أنواع الجمال على نوع آخر؟ فيما يلي نوضّح الأجوبة لهذين السؤالين إن شاء الله ﷻ.

المطلب الأول: مواطن ومراتب الجمال

جعل الله ﷻ الحسن في كل شيء، كما ذكرنا:

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۗ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٣٢﴾ (السجدة، ٣٢: ٧)

والله ﷻ هو أحسن - وبالتالي أجمل - الخالقين:

ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا

الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿٣٢﴾ (المؤمنون، ٢٣: ١٤)

وأسماء الله ﷻ وصفاته هي "الأسماء الحسنى"، أي الصفات والأسماء الجميلة. يقول الله ﷻ:

قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۗ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ

وَلَا تُخَافَتْ بِهَا وَاتَّعَ بَيْنَ ذَلِكَ سَيْبًا ﴿١١٠﴾ (الإسراء، ١٧: ١١٠)

وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ (الأعراف، ٧: ١٨٠)

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٢٠﴾ (طه، ٢٠: ٨)

وذكر الله ﷻ جمال كتابه العزيز، القرآن الكريم:

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۗ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۗ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ اللَّهُ تَزَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۗ ذَلِكَ هُدَىٰ

اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٢﴾ (الزمر، ٢٢ - ٢٣)

وذكر الله ﷻ جمال أجمال قصة، وهي قصة موجودة في القرآن الكريم،

قصة سيدنا يوسف عليه السلام والتي اقتبسنا منها الكثير في نقاشنا عن الحب. يقول

الله ﷻ:

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِن

قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿١٢﴾ (يوسف، ١٢: ٣)

وذكر الله ﷻ جمال الصلاة في العزلة (كما ناقشنا في فصل "حب

الإنسان لله ﷻ"):

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾ (الشرح، ٧: ٧ - ٨)

وَأذْكَرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٩﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ

وَكَيْلًا ﴿١٠﴾ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْجِرْهُمْ هَجْرًا حَمِيلًا ﴿١١﴾ (الزمل، ٧٣: ٨ - ١٠)

وذكر الله ﷻ جمال رسوله ﷺ:

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كثيراً ﴿٢١﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٢١)

قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ (المائدة، ٥: ١٥)

وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٤٦)

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ

بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ (التوبة، ٩: ١٢٨)

وَذَكَرَ اللَّهُ ﷻ جَمَالَ الْآخِرَةِ:

وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفْلا

تَعْقِلُونَ ﴿٦﴾ (القصص، ٢٨: ٦٠)

وذكر الله ﷻ جمال الفضائل، كالصبر:

وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ

الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٢٨﴾ (يوسف، ١٢: ١٨)

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ

هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ (يوسف، ١٢: ٨٣)

فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٧٠﴾ (المارج، ٧٠: ٥)

وأيضاً كالكرم:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا

لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٤﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٤٤)

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكُ إِن كُنْتُنَّ تَرْضَيْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا فَتَعَالَى أَمْتَعَكُنَّ

وَأَسْرَحَكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٢٨)

وذكر الله ﷻ فضائل المؤمنين، وبالتالي جمالهم، في آيات كثيرة، ومنها:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا

يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ
فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرْرَعٍ أَخْرَجَ شَطْفَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ
سَوْقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
مِنْهُمْ مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢١﴾ (الفتح، ٤٨: ٢٩)

وكذلك قول الله ﷻ:

وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُوْمِنَ ۚ وَلَا مُمَٰئِدَةً مُّؤْمِنَةً حَتَّىٰ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا ءَعَجَبَتْكُمْ ۚ وَلَا
تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا ءَعَجَبَكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ
يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۚ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ (البقرة، ٢: ٢٢١)

وذكر الله ﷻ جمال صورة الإنسان وجمال تقويمه:

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ ۗ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٦٤﴾ (التغابن، ٦٤: ٣)
اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ
وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ (غافر، ٤٠: ٦٤)

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿١﴾ (التين، ٩٥: ٤)

وذكر الله ﷻ جمال النساء بالتحديد:

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ ۗ وَرَزَقُ
رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٢٠﴾ (طه، ٢٠: ١٣١)

لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا
مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٣٣﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٥٢)

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا

ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ
 ءَابَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي
 إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبَاعِينَ ۚ غَيْرِ أُولَى
 الْإِرْتَبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۗ وَلَا يَضْرِبْنَ
 بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ ۖ مِن زِينَتِهِنَّ ۗ وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ
 تُفْلِحُونَ ﴿٢٤﴾ (النور، ٢٤: ٣١)

وذكر الله ﷻ الجمال الجسدي الإيجابي، وفضل التزيين أثناء الأفعال
 الروحية (كالصلاة)، والأعمال الطبيعية (كالأكل):

• يَبْنِي ۖ آدَمَ خُدُودًا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
 الْمُسْرِفِينَ ﴿٧٠﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ۖ وَالطَّيِّبَاتُ مِنَ الرِّزْقِ ۗ قُلْ هِيَ
 لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
 يَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ (الأعراف، ٧: ٣١-٣٢)

والله ﷻ ذكر ضمناً جمال الكلام والشعر:

وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿١٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿١٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ
 يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿١٢٦﴾ (الشعراء، ٢٦: ٢٢٤-٢٢٦)

وذكر الله ﷻ جمال البهائم:

وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْمَعُونَ وَحِينَ يُسْرَحُونَ ﴿٦٠﴾ (النحل، ٦٠: ١٦)

وذكر الله ﷻ لذة الطعام والشراب وبالتالي عن جمالهما:

قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا
 أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٨﴾ (الكهف، ١٨: ١٩)
 وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شْرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۗ وَمِن كُلِّ

تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لَتَبْتَغُوا
مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ (فاطر، ٣٥: ١٢)

وذكر الله ﷻ جمال الحياة الدنيا بشكل عام:

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۚ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ (القصص، ٢٨: ٦٠)

وذكر الله ﷻ زينة الغنى المادي:

وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا
لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى
يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١٠٠﴾ (يونس، ١٠: ٨٨)

وذكر الله ﷻ تزئین الأعمال السيئة:

وَقِيضْنَا لَهُمْ قَرْنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّرٍ قَدْ
خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِيرِينَ ﴿٤١﴾ (فصلت، ٤١: ٢٥)

وذكر الله ﷻ تزئین أقبح الأعمال مثل قتل الأولاد والشرك:

وكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ
لِيُرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتُرُونَ ﴿٦٧﴾
(الأنعام، ٦٧: ١٣٧)

في الخلاصة، هناك أنواع مختلفة من الجمال لكل شيء خلقه الله ﷻ. فكيف يعرف الإنسان مراتب هذه الدرجات من الجمال؟ وكيف يُفضل الإنسان نوعاً من أنواع الجمال على نوع آخر إذا لم يكن بينها مراتب من الجمال؟ الجواب هو أن الله ﷻ مدح وذم أنواعاً من الحب، ورتبها وفضل بعضها على بعض. وتُعرف رتبة جمال الشيء من مرتبة الحب الذي يحبه. وهذا واضح فيما يلي.

الحب في القرآن الكريم
المطلب الثاني: مراتب الحب

وعد الله ﷻ حبه وفضله لقوم يُحبونه:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ؕ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ءَازِرَةٌ عَلَى الْكٰفِرِينَ تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ؕ ذٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ؕ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ (المائدة: ٥٤)

وجعل الله ﷻ هذا الحب أشد وأقوى من أي حب آخر:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ اُنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ؕ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا اَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ؕ وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا اِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ اَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَاَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ (البقرة: ١٦٥)

وبيّن الله ﷻ فضل حبه ﷻ وحبّ ذكره على أي حب آخر:

وَوَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمٰنَ ؕ نَعَمَ الْعَبْدُ اِنَّهُ ءَاوَابٌ ﴿٣٨﴾ اِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعِيسَى الصَّفِيْنَتُ الْاَحْيَادُ ﴿٣٩﴾ فَقَالَ اِنِّي اَحْبَبْتُ حُبَّ اٰخِرٍ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتّٰى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٤٠﴾ (ص: ٣٨-٣٩)

وبالطبع فإن حبّ ذكر الله ﷻ يعني حبّ القرآن الكريم

"... ذى الذّكر" (ص: ٣٨، ١)، يقول الله ﷻ:

اِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ اِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَاِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايٰتُهُ زَادَتْهُمْ اِيْمٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٨﴾ (الأنفال: ٨)

وبعد حبه، وحبّ ذكره، جعل الله ﷻ حبّ الرسول ﷺ أولى من حبّ

الناس لأنفسهم:

اَلنَّبِيُّ اَوْلٰى بِالْمُؤْمِنِيْنَ مِنْ اَنْفُسِهِمْ ؕ وَاَزْوَاجُهُ اُمَّهَاتُهُمْ ؕ وَاُوْلُو الْاَرْحَامِ بِمَعْضَمِهِمْ اَوْلٰى بِبَعْضٍ فِي كِتٰبِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُهٰجِرِيْنَ اِلَّا اَنْ تَفْعَلُوْا اِلٰى

أُولِيَاكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿١٠٣﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٦)

وبعد حب الرسول ﷺ جعل الجنة أولى بحب الناس:

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٠﴾ (التوبة، ٩: ١١١)

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَلَّزِينِ هَاجِرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتُلُوا وَقَتْلُوا لَأَكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١١٥﴾ (آل عمران، ٣: ١٩٥)

وبين الله ﷻ فضل حب الإيمان:

وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِيمٌ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِيدُونَ ﴿١٠٣﴾ (الحجرات، ٤٩: ٧)

ومدح الله ﷻ حب المؤمنين أيضاً:

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ نَحْبُونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ (الحشر، ٥٩: ٩)

ومدح الله ﷻ حب كل شيء طيب بشكل عام:

قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأُولَىٰ أَلْبَابٍ لَّعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ (المائدة، ٥: ١٠٥)

وكما ذكرنا أعلاه، ذكر الله ﷻ دون مدح بعض أنواع حبِّ الخير:

وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٨﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ الصَّغَفَاتُ
الْحِيَادُ ﴿٣٩﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٤٠﴾ (ص، ٣٨-٣٩)

وذكر الله ﷻ حبَّ الشهوات ولكن بين فضل حُسن الآخرة عليها:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ
عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾ (آل عمران، ٣: ١٤)

وذم الله ﷻ حبَّ الدنيا:

كَلَّا بَلْ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢١﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢٢﴾ (القيامة، ٧٥-٢٠-٢١)
مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلِّيهِهَا
مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ (الإسراء، ١٧: ١٨)

وكذلك ذمَّ الله ﷻ حبَّ المال:

وَيُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٨٩﴾ (التجور، ٨٩: ٢٠)

ثم حذَّر الله ﷻ من الزنا والحبِّ غير المشروع:

وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ (الإسراء، ١٧: ٣٢)

وأخيراً، ذمَّ الله ﷻ الشريك وحبَّ الأنداد من دون الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ
حُبًّا لِلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يُرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ (البقرة، ٢: ١٦٥)



فمن هذا كله - وهناك آيات أخرى لم نذكرها - تتبين لنا مراتب الحبِّ

والتسلسل الهرمي في فضل أنواع الحبّ، بداية من الله ﷻ وأسمائه، والذِّكر والقرآن الكريم، ثم رسوله، ثم الجنة، ثم الإيمان، ثم المؤمنين، ثم حبّ الخير؛ والدركات السفلى من الحبّ (من الأعلى إلى الأدنى) هي: حبّ الدنيا، ثم حبّ الشهوات، ثم الزنا، ثم أخيراً حبّ الأنداد من دون الله ﷻ. وبمعنى آخر أفضل حبّ هو حبّ الله ﷻ وبالتالي أسماؤه الحسنی وكذلك ذكره ﷻ والقرآن الكريم، ثم حبّ الرسول ﷺ، ثم حبّ الجنة، ثم حبّ الجمال الداخلي الخاص (الإيمان)، ثم حبّ الجمال الداخلي العام (المؤمنين)، ثم حبّ الجمال الخارجي الخاص (جمال النساء)، ثم حبّ الجمال الخارجي العام (حب الخير). وأسفل دركات الحبّ (من الأعلى إلى الأدنى) هي: حبّ الشهوات، ثم حبّ الشرّ، ثم حبّ الشيطان.

فهذا يعني بدوره أن أجمل الجمال هو جمال الله ﷻ وأسمائه وذكره، ثم جمال الرسول ﷺ، ثم جمال الجنة، ثم الجمال الداخلي الخاص (الإيمان)، ثم الجمال الداخلي العام (المؤمنين والخير)، ثم الجمال الخارجي الخاص (جمال الجنس الآخر)، ثم الأشياء الجميلة في الطبيعة، ثم الجمال الخارجي العام (حب الخير الدنيوي). وأسفل دركات الجمال (من الأعلى إلى الأدنى) هي: زينة الشهوات، ثم زينة الشرّ، ثم زينة الشيطان. وبعبارة أخرى، فإن أعلى درجات الجمال هو الجمال الإلهي؛ ثم الجمال المقدّس (ابتداءً بجمال رسول الله ﷺ)؛ ثم الجمال الداخلي؛ ثم الجمال الخارجي؛ ثم زينة الشهوات الداخلية؛ ثم زينة الشهوات الخارجية. فمن خلال ذكر الله ﷻ في القرآن الكريم لهذه الأنواع من الحبّ والجمال، فقد تبيّن مراتبهم وتسلسلهم الهرمي. فليس كل حبّ هو محمود وليس كل جميل يستحقّ الحبّ، كما رأينا. وقد أشار رسول الله ﷺ إلى نفس هذا الترتيب الهرمي للحب في وصفه لأسباب النكاح، في حديثه الشريف التالي:

«تُنكحُ المرأةُ لأربع، لما لها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربتُ

"المال" هو الجمال الخارجي العام، و"جمال" المرأة هو الجمال الخارجي الخاص، و"الحسب" هو الجمال الداخلي العام، و"الدين" هو الجمال الداخلي الخاص. فكأن الرسول ﷺ يقول "إن الحبّ هو الميّل للجمال ولكن للحب مراتب، وحبّ الله ﷻ خيرٌ من حبّ الناس، وحبّ الناس خيرٌ من حبّ الجمال الجسدي، وحبّ الجمال الجسدي خيرٌ من حبّ المال"، والله أعلم.



٣١٨ رواه البخاري رقم ٥٠٩٠، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، ومسلم رقم ١٤٦٦، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين.

المطلب الأول: نقيض الجمال (البشاعة والقبح)

رأينا فيما سبق أن مراتب الجمال تمتدّ من تزيين حبّ الأنداد من دون الله ﷻ إلى حبّ الله ﷻ، فكيف يكون للجمال نقيض؟ وإن لم يكن للجمال نقيض فما هي "البشاعة" أو "القبح"؟ وبما أن الله ﷻ أحسن كل شيء خلقه، فأين القبح؟ وكما ذكرنا سابقاً، يقول الله ﷻ:

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ (السجدة، ٣٢: ٧)

ويلاحظ بالفعل أن كلمة "البشاعة" ليست موجودة في القرآن الكريم مطلقاً، الأمر الذي يدل على أن كل شيء مخلوق فيه شيء من الجمال ولو أن فيه نقصاً بالنسبة لشيء أجهل، حسب مرتبة جماله كما رأينا. وحتى كلمة "القبح" ^{٣١٩} لم تطلق في القرآن الكريم على أي شيء خلقه الله ﷻ، ولكن

٣١٩ يعرف الراغب القبح كالتالي:

" ما ينبو عنه البصر من الأعيان وما تنبو عنه النفس من الأعمال والأحوال وقد قُبِحَ قَبَاحَةً فهو قبيح، وقوله: ... **مِنَ الْمَقْبُوحِينَ** ﴿٥٥﴾ أي من الموسومين بحالة مُنكرة، وذلك إشارة إلى ما وصف الله تعالى به الكفار من الرّجاسة والنجاسة إلى غير ذلك من الصفات، وما وصفهم به يوم القيامة من سواد الوجوه وزُرقة العيون وسحبهم بالأغلال والسلاسل ونحو ذلك، يقال قَبِحَهُ اللهُ عن الخير أي نحاه، ويقال لعظم الساعد، مما يلي النصف منه إلى المرفق قبيحٌ". (الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٣٩١).

ويعرّف الرازي القبح كالتالي:

"الجمال هو الحسن والقبح ضد الحسن يكون في الصورة وفي الفعل". (الرازي، مختار الصحاح، ص ٥٨).

ذُكرت مرة واحدة، إيماءً إلى فرعون وجنوده يوم القيامة:

وَاتَّبَعْنَهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٥٢﴾ (القصص، ٢٨: ٤٢)

فُقبِح فرعون وجنوده ليس من أعمال الله ﷻ ولكن من أعمالهم، والله ﷻ لم يذكر في القرآن الكريم أنه يوجد شيء قبيح في الكون الذي خلقه. وبالتالي يمكن لنا أن نستنتج أن القُبْح نقص نسبي من الجمال، وتفضيل جمال أدنى على جمال أعلى، وليس شيئاً بذاته، والله أعلم.

المطلب الثاني: نقيض الحب (الكره والبُغض)

قد ذكرنا سابقاً (في فصل "حب الله للناس") أن الله ﷻ لا يكره أحداً ولكن يكره أعمالاً معينة. لكن ذكر الله ﷻ أن المؤمنين يكرهون الأشياء السيئة. يقول الله ﷻ:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَنُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا

اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ (الحجرات، ٤٩: ١٢)

وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانُ وَرِزْقُهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ

ويعرّف ابن منظور القبح كالتالي:

"القبحُ ضدُّ الحسن يكون في الصورة والفعل ... قال الأزهري: هو نقيض الحسن عامٌّ في كل شيء". (ابن منظور، لسان العرب، ٢/ ٥٥٢).

فخلاصة الأمر: أن القبح هو الذي يجعل المرء ينفّر لأن القبح ضدُّ الحسن والجمال بالصورة وبالفعل.

الرَّشِدُونَ ﴿٧٠﴾ (الحجرات، ٤٩: ٧)

وعلى العكس من ذلك، فالكافرون والظالمون يكرهون الحق والأشياء
الخيرية:

لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨١﴾ (الأنفال، ٨٠: ٨١)

وكذلك يكرهون نور الله ﷻ:

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ

الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ (التوبة، ٩: ٣٢)

ويكرهون أيضاً دين الحق:

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ

الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ (التوبة، ٩: ٣٣)

ويكرهون الجهاد:

فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾

(التوبة، ٩: ٨١)

ويكرهون القرآن الكريم:

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿٤٧﴾ (محمد، ٩: ٤٧)

ويكرهون حتى رضوان الله ﷻ:

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿٢٨﴾ (محمد، ٤٧: ٢٨)

(٢٨:

يكرهون رضوان الله ﷻ مع أن رضوان الله ﷻ أكبر من أي خيرٍ آخر

يمكن للإنسان أن يسعى إليه. يقول الله ﷻ:

وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عِدْنٍ وَّرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

وكذلك أهل الكتاب يُبغض بعضهم بعضاً:

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٧٢﴾ (المائدة: ١٤)

ويريد الشيطان أن يجعل المؤمنين يبغضون بعضهم بعضاً:

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَبَرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُضِدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۗ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَبِهُونَ ﴿٩١﴾ (المائدة: ٩١)

فهل هذا كله يعني أن المؤمنين يكرهون الأشياء السيئة فقط، والكافرين يكرهون الأشياء الخيرة فقط؟ الجواب هو لا، وذلك لأنه - كما قد رأينا سابقاً (في فصل "دائرتا الحب") - يوجد بين درجة الإيمان المحضة والكفر المحض أناس يخلطون بين الاثنين؛ بين الإيمان وأعمال الكافرين (المعاصي). يقول الله ﷻ:

وَأَخْرُوجُوا مَعْتَرِفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ (التوبة: ٩٠، ٩٢)

وبما أن معظم الناس لهم بعض الأعمال السيئة، فمن الطبيعي أن يكرهوا بعض ما هو خير لهم. يقول الله ﷻ:

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٢٠﴾ (البقرة: ٢١٦، ٢٢٠)

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ۗ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ ۗ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿٤٠﴾ (النساء: ٤٠، ٤١)

أما بالنسبة للرسول والأنبياء والذين تَغَلَّبُوا على شُحِّ أنفسهم، فيُحِبُّونَ الخير ويكرهون الشرَّ ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، فيُطِيعُونَ اللهَ ﷻ تماماً:

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ (الحشر، ٥٩: ٩٠)

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ ۗ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦٤﴾ (التغابن، ٦٤: ١٦٠)

ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۗ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ (البقرة، ٢: ٢٨٥)

والخلاصة أن الكره فيما يبدو يعتمد على حالة الكاره الخاصة: فالمؤمنون يكرهون الشرَّ، والكافرون يكرهون الخير، ولكن يمكن للمؤمنين الذين لم يتمموا تَغَلُّبهم على نفوسهم أن يحبوا شيئاً شراً لهم أو يكرهوا شيئاً خيراً لهم. فهذا يعني أن الكره بحد ذاته ليس شيئاً كَرِهياً، ولكن يُصَبِّحُ كَرِهياً عند الذين هم كَرِهون أصلاً. فالكره بالتالي يصدر من المحبة: فالمؤمنون يكرهون الشر من محبتهم لله ﷻ، والكافرون يكرهون الخير من محبتهم للشر ومن محبتهم لِشُحِّ نفوسهم. وهذا يعني أنه إذا كان الكره نقيض الحب عاطفياً، فإنه أيضاً، كالتقيح، ليس شيئاً بحد ذاته، ولكنه عكس الحب ولذا فهو مكروه، والله أعلم.

المطلب الأول: حب الله ﷻ للناس

هل ينتهي الحب؟ وعند من؟ ومتى؟ وكيف؟ ولم؟

(١) أما بالنسبة لحب الله ﷻ لخلقه الذين يستحقون حبه (كرسله وأنبيائه والمحسنين كما رأينا سابقاً في فصل "حب الله ﷻ للناس" وفي فصل "حب الله ﷻ لرسله وأنبيائه")، فهذا الحب لا ينتهي لأنه من صفات الله ﷻ (كما رأينا في فصل "الله ﷻ والحب")، وصفات الله ﷻ أبدية لا تتغير ولا تتبدل. يقول الله ﷻ:

.... وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۗ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّئِكَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٤﴾ (الأنعام: ٦٤)

وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۗ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ (الأنعام: ٦٥)

لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۗ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۗ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٦﴾ (يونس: ٦٤)

وَأْتَلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ۗ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۗ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُتَسَدِّدًا ﴿٦٧﴾ (الكهف: ٢٧)

سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ۗ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٨﴾ (الأحزاب: ٣٣)

.... فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۗ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٦٩﴾ (فاطر: ٣٥)

سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ ۗ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٧٠﴾ (الفتح: ٤٨)

مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدِيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٨﴾ (ق، ٥٠: ٢٩)

سُنَّةٌ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ (الإسراء، ١٧: ٧٧)

فإن حبَّ الله ﷻ للناس لا يتغيَّر ولا ينتهي أبداً. التغيُّر يحدث حين يتغيَّر هؤلاء الذين يحبهم الله ﷻ لدرجة أنهم يصبحون أشراراً ويرفضون حبَّ الله ﷻ. وحتى حينئذ فليس حبَّ الله ﷻ الذي يتغيَّر، بل هؤلاء هم الذين أداروا ظهورهم لحب الله ﷻ؛ يقول الله ﷻ:

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعَمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ

اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ (الأنفال، ٨: ٥٣)

... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ^٤ ... (الرعد، ١٣: ١١)

المطلب الثاني: حبَّ الناس لله ﷻ

(ب) وأما بالنسبة لحب البشر لله ﷻ، فإننا عرفنا الحبَّ (في فصل "تعريف الحب") أنه: "مَيْلٌ من بعد الإعجاب إلى الحُسن". وبما أن "حُسن الله ﷻ" أو "جماله" لا يتغيَّر ولا يتبدَّل، فهذا يعني أن الطريقة الوحيدة التي يمكن فيها أن يتغيَّر حبَّ الإنسان لله ﷻ هي إذا تغيَّر الإنسان نفسه، وبالتالي تغيَّر إعجابه وميله إلى محبوه الذي هو الله ﷻ. وقد رأينا سابقاً أيضاً (في فصل "طبيعة الحب") أن الحبَّ في حالة تغيُّر مستمرٍّ، وأن الإنسان نفسه في حالة تغيُّر مستمرٍّ؛ وبين الله ﷻ في القرآن الكريم أنه حتى الإيمان قد يتغيَّر ويزيد ويقل إلى آخر لحظة في حياة الإنسان:

لِيَزِدَّادُوا إِيْمَانًا مَّعَ إِيْمَانِهِمْ^٥ (الفتح، ٤٨: ٤)

وَزِدَّانَّهُمْ هُدًى ﴿١٨﴾ (الكهف، ١٨: ١٣)

الحب في القرآن الكريم

وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ^{١٩} (مريم، ٧٦)

وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ^٧ (صمد، ٤٧: ١٧)

وَيَزِدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا ^٧ (المدثر، ٧٤: ٣١)

أَيْكُمْ زَادَتْهُ هُنْدِيَةً إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا (التوبة، ٩: ١٢٤)

فَأَحْشَوْهُمْ فزَادَهُمْ إِيمَانًا (آل عمران، ٣: ١٧٣)

وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ^{٣٣} (الأحزاب، ٣٣: ٢٢)

وَإِذَا تَلَّيْتِ عَلَيْهِمَ ءَايَاتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا (الأنفال، ٨: ٢٠)

وَلَكِنْ لَيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ^ط (البقرة، ٢: ٢٦٠)

فإذا تغير الإنسان وخف إيمانه، فسينقص أيضاً حبه لله ﷻ، كما إذا زاد إيمان الإنسان بالله فإنه سيزيد أيضاً حبه لله ﷻ (وقد ذكرنا هذين الاحتمالين في فصل "دائرتي الحب" وفي فصل "نحو الحب"). فالخلاصة هنا هي أن حب الإنسان لله ﷻ قد يتغير ليس لأن محبوبه يتغير (والله ﷻ لا يتغير أبداً) ولكن لأن الإنسان هو نفسه قد يتغير وقد يتغير قلبه ونفسه. وفي طبيعة الحال ينطبق هذا أيضاً على حب الإنسان "في الله ﷻ" كحب المؤمنين لرسول الله ﷺ وللقرآن الكريم وذكر الله ﷻ والشعائر الدينية الأخرى.

وقد ينتهي حب الإنسان لله ﷻ إذا أصبح هذا الإنسان كافراً كلياً، إلا أنه كما ذكرنا سابقاً (في فصل "الكون والحب") كل أعضائه وكل ذرة فيه ستبقى تحب الله ﷻ (ما دامت موجودة) بحب طبيعي فطري رغماً عن نفسه الكافرة التي أصبحت محجوبة عن حب الله ﷻ. وذكرنا سابقاً أننا لا نعلم شيئاً يمكن له أن لا يحب الله ﷻ إلا نفس الإنسان الكافر، فنضيف هنا أن الشيء الوحيد الذي يمكن أن ينتهي فيه الحب لله ﷻ هو أيضاً نفس الإنسان الكافر.



مسألة: بناءً على ماذا يتغير حال الإنسان وإيمانه وحبه؟

يتغير إيمان الإنسان بناءً على تغيير نيته وعمله: فإن كانت نيته وعمله صالحاً فإن إيمانه سيزيد، وإن كانت نيته وعمله سيئاً فإيمانه سينقص.
يقول الله ﷻ:

كَلَّا بَلَّ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٣﴾ (المطففين، ٨٣: ١٤)

وكذلك جاء عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول:"

«تُعْرَضُ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكِبَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِبَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ حَتَّى تُصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَيْبَضٍ مِثْلَ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخِرُ أَسْوَدٌ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجْحِيًّا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ»^{٣٢١}.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِبَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَعْفَرَ وَتَابَ سَقِلَ قَلْبُهُ وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تُعْلُوَ قَلْبُهُ وَهُوَ الرَّأْيُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ **كَلَّا بَلَّ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٣﴾** (المطففين، ٨٣: ١٤)»^{٣٢١}.

ويلاحظ أنه حتى بعض أولياء الله رضي الله عنهم غير الكاملين قد ينسلخ من الإيمان والتقوى (كالمذكور في الآيات التالية وهو بلعام ابن باعوراء)^{٣٢٢}:

٣٢٠ رواه مسلم في الصحيح، رقم ١٤٤، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً.
٣٢١ رواه الترمذي، رقم ٣٣٣٤، كتاب التفسير، باب سورة المطففين، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَادْبَحَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ
الْغَاوِينَ ﴿١٧٦﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ
كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكهُ يَلْهَثْ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٧﴾ (الأعراف، ١٧٥-١٧٦)

فليحذر المؤمن من أن يرتكب إثماً ويتراجع في إيمانه وبالتالي في حبه
لله ﷻ لأن الشيطان يتظر أن يزل الإنسان. قال الله ﷻ:

وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ
لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ (الإسراء، ١٧: ٥٣)

قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْت عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكَ
ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٤﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ مَنْ جَاءَ مُؤْتَرًا
﴿٦٥﴾ وَأَسْتَفْرِزْ مَنْ أَسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي
الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٦﴾ (الإسراء، ١٧: ٦٤-٦٦)

قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ (الأعراف، ٧: ١٦)
قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٧﴾ (الحجر، ١٥: ٣٩)
قَالَ فَيَعِزُّنَكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ (ص، ٣٨: ٨٢)

وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَادَانَ الْأَتَعَمِرِ وَلَأُمُرُهُمْ فَلْيُغَيِّرَنَّ
خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١١٩﴾
(النساء، ٤: ١١٩)

وهذه الزلة قد تتم باستدراج خفي لا يعلم الإنسان مصدرها، فلا
يحميه منها إلا أتباع شريعة الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ. يقول الله ﷻ:

وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِقَايَتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ (الأعراف، ٧٠: ١٨٢)

فَدَرَزْنِي وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهِذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ (القم، ٦٨: ٤٤)



المطلب الثالث: حبّ الناس لغير الله ﷻ

(ج) أما بالنسبة لحبّ الإنسان لغير الله ﷻ، فهو (كما رأينا سابقاً) أنواع كالتالي: (١) حبّ الإنسان للأشياء؛ (٢) حبّ الإنسان للشهوات؛ (٣) حبّ الإنسان لأصدقائه؛ (٤) حبّ الإنسان لزوجته؛ (٥) حبّ الإنسان لعائلته وأقاربه؛ (٦) حبّ الإنسان للمؤمنين؛ (٧) حبّ أهل الكتاب؛ (٨) وحبّ الإنسان للناس جميعاً.

بالنسبة للأنواع الأربعة الأخيرة المذكورة أعلاه (حبّ الإنسان لعائلته وأقاربه؛ حبّ الإنسان للمؤمنين؛ حبّ أهل الكتاب؛ وحبّ الإنسان للناس جميعاً)، فهذه الأنواع من الحبّ تتأثر حسب حبّ الإنسان لله ﷻ، لأن الله ﷻ أوصى بهم كما رأينا (في فصل "حبّ الآخرين: الناس جميعاً، وأهل الكتاب، والمؤمنين، والأصدقاء"). فكلما زاد حبّ الإنسان لله ﷻ زادت أيضاً هذه الأنواع الأربعة من الحبّ، وكلما نقص أو خفّ حبّ الإنسان لله ﷻ نقصت أيضاً هذه الأنواع الأربعة من الحبّ^{٣٣٣}. لكن هذا لا يعني أنه لا

٣٢٣ وبالطبع فإن حبّ العائلة والأقارب وحبّ المؤمنين وأهل الكتاب وكل البشر ينتهي في الآخرة إن لم يكن هذا الحبّ مبنياً على حبّ الله ﷻ؛ يقول الله ﷻ:

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ (المؤمنون، ٢٣: ١٠١)

لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْضَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٦٠﴾ (المتحة، ٦٠: ٣)

يكون للإنسان ميل خاص لأحد من عائلته أو من المؤمنين أو من أهل الكتاب أو من الناس جميعاً (بناءً على علاقة أو تجربة خاصة أو خصوصية لا علاقة لها مباشرة في المحبة بالله ﷺ). وقد يجب الإنسان الآخرين حباً خاصاً لحاجة خاصة عنده محايدة لا علاقة لها بحب الله ﷻ. يقول الله ﷻ عن سيدنا يعقوب عليه السلام وأبنائه:

وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَتْ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ (يوسف، ١٢: ٦٨)

أما بالنسبة للنوعين الأولين المذكورين أعلاه: (حب الإنسان للأشياء وحب الإنسان للشهوات) فهما من الحب الذي قد يتغير ويزيد أو ينقص أو ينتهي في أي لحظة بما أن الإنسان وحبه في حالة تغير مستمر، لأنهما من أنواع الحب الأسفل (كما رأينا في فصل "مراتب الجمال والحب") ومبنية على أوهام وشهوات وليست متعلقة بالله ﷻ، وبالتالي لا ثبات لهما. وبالنسبة للنوع الثالث من الحب: (حب الأصدقاء) فهو ينقسم إلى نوعين: أصدقاء الخير، وأصدقاء الشر.

بالنسبة لأصدقاء الشر، فإنه من السهل أن تتغير هذه الصداقة لأنها مبنية على وهم، والوهم أمر غير حقيقي. يقول الله ﷻ:

وَلَيْنِ أَصْبَحْتُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْبَسْتَنِي كُنْتُ

وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿٦٩﴾ يُصْرُؤُهُمْ ۖ يَوْمَذُ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِيذٍ بَيْنِيهِ ﴿٧٠﴾ وَصَحْبَيْهِ وَأَخِيهِ

﴿٧١﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوَبَعُ ﴿٧٢﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَمِيمًا ثُمَّ يُنَجِّيهِ ﴿٧٣﴾ (المارج، ٧٠: ١٠-١٤)

يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٧٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٧٥﴾ وَصَحْبَيْهِ وَبَيْنِيهِ ﴿٧٦﴾ لِكُلِّ أُمَّرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْيِيهِ ﴿٧٧﴾

(عبس، ٨٠: ٣٤-٣٧)

مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٣٧﴾ (النساء، ٤٠: ٧٣)

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴿٧﴾ (الممتحنة، ٦٠: ٧)

وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ

كَأَنَّهُ وَلىٌ حَمِيمٌ ﴿١١﴾ (فصلت، ٤١: ٢٤)

وإن كانت هذه الصداقة لا تتغير في الدنيا فلا بد لها أن تنتهي في الآخرة لأن كل وهم فإن في الآخرة. يقول الله ﷻ:

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَأَكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ

نَصِيرِينَ ﴿٢٥﴾ (العنكبوت، ٢٩: ٢٥)

يَوْمَئِذٍ لِيَتَنَّى لَمَ أَخَذْنَا فَلَانًا حَلِيلًا ﴿٢٨﴾ (الفرقان، ٢٥: ٢٨)

وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَبَ لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَّبَرًا مَبْنِيًّا كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٧﴾ (البقرة، ٢: ١٧)

لكن بالنسبة لأصدقاء الخير، فلا تتغير هذه الصداقة بسهولة لأنها ليست مبنية على وهم، ولأن الحب الذي في هذه الصداقة الخيرة نتيجة تعلق الملكات الواحدة تلو الأخرى إلى الصديق المحبوب ولأنها نوع من أنواع الحب في الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿١٧﴾ (الزخرف، ٤٣: ١٧)

أما بالنسبة للنوع الرابع من الحب (وهو الحب الزوجي)، فإن كان هنالك حباً حقيقياً وليس جسمانياً فقط فإن تغيره أمرٌ غير سهل لأنه كما رأينا سابقاً (في فصل "الحب الزوجي") "جعل إلهي" أو "خلق إلهي"، وقد

تم ربطه من خلال الحبّ في الله ﷻ وميل الملكات واحدة تلو الأخرى إلى المحبوب بشكل تدريجي وكامل.

وهذا لا يعني أن هذا الحبّ - إن كان حقيقياً أصلاً - لا يتغيّر أبداً: فقد يتغيّر بسبب تغيّر جمال المُحبّ النفسي أو جمال المحبوب النفسي. فإن ظهر من المحبوب قبح جديد لم يكن موجوداً منذ الأساس (كما يحصل بعد ارتكاب الأعمال السيئة) فربما يتأثر حبّ الذي يُحبه. يقول الله ﷻ:

إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِلُ
وَصَلِحَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٦٦﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ
أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسَلِّمَتٍ مُّؤْمِنَتٍ قَانِتَتٍ تَتَّبِعْتِ عِبْدَاتٍ سَتِ احْتِ تَتَّبِعْتِ وَأَبْكَارًا
﴿٦٦﴾ (التحریم، ٦٦: ٥-٤)

ولكن من الوفاء أن لا يتغير هذا الحبّ بسبب تغير جسم المحبوب أو جماله أو جمالها الجسدي كما يحصل في التقدم في السن أو بعد حادث ما. فالله ﷻ أكد على قيمة فضيلة الوفاء في نفس المؤمن:

بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ (آل عمران، ٣٠: ٧٦)
وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٧٧﴾ (النجم، ٥٣: ٣٧)

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۗ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۗ إِنَّ
الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿١٧٧﴾ (الإسراء، ١٧: ٣٤)

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۗ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا
يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۗ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسْئُورَةٌ عَلَيْهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ (الفتح، ٤٨: ١٠٠)
وقد أشار الله ﷻ إلى عظمة الوفاء في الحبّ الزوجي ودناءة خيانة هذا الحبّ والميثاق الغليظ الذي هو جزء لا يتجزأ منه في قوله ﷻ:

وَأِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتَبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُمْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ (النساء، ٤: ٢٠-٢١)

فإنَّه ﷺ يذكُرنا بسِيئةٍ أخذٍ أو سلبٍ أيِّ شيءٍ من الزوجة أو الزوج (بما فيه الحبِّ نفسه) بعد إفضاء كل من الزوجين بعضهما لبعض. وربما هذا هو سر سبب كون الطلاق أبغض الحلال إلى الله ﷻ، كما قال رسول الله ﷺ: «أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق»^{٣٢٤}.

فالخلاصة هو أن الحبَّ الزوجي الحقيقي له قيمة عظيمة، وفيه ميثاق غليظ بشهادة الله ﷻ، ويجب الوفاء فيه ولا ينبغي له أن يتغيَّر أبداً في الدنيا أو في الآخرة إلا بسبب تغيُّر المحبوب إلى الأسوأ نفسياً، ولا بسبب تغيُّر المحبوب إلى الأقبح جسدياً كما هي طبيعة الأجساد، والله أعلم.

٣٢٤ رواه أبو داود، رقم ٢١٧٨، كتاب الطلاق، باب في كراهية الطلاق. وابن ماجه، رقم

٢٠١٨، كتاب الطلاق، باب طلاق السنة.

طبيعة الحب

بَيَّنَّ اللهُ ﷻ في القرآن الكريم أنه يوجد في طبيعة الحبّ قواعد عامة. ونبَّهنا فيما يلي بعضها:

المطلب الأول: الحبّ في تغيّر دائم

بطبيعة الحال كل شيء يتغيّر. لكن إضافة إلى ذلك التغير العام، كل من يعيش أحوال الحبّ يتغيّر بشكل دائم ومستمر (في هذا العالم على الأقل). هذا لأن الله ﷻ "كل يوم في شأنٍ يُبديه لا يَبْتَدِيهِ" :

يَسْتَعْلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿١٠٠﴾ (الرحمن، ٥٥: ٢٩)
ولأن الله ﷻ يَخْلُقُ خَلْقًا جَدِيدًا:

أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٥٠﴾ (ق، ٥٠: ١٥)

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٢٠﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢١﴾ (إبراهيم، ١٤: ١٩-٢٠)

ولكن التغير ليس تغييراً فقط، وإنما فيه قبض ووسط، وذلك لأن الله ﷻ يقبض ويبسط:

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافاً كثيرةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٥٤﴾ (البقرة، ٢: ٢٤٥)

ويمكن لنا أن نرى في مراحل الحبّ (كما ذكرنا سابقاً في فصل "مراحل الحب") أثر القبض والبسط. فمن مراحل الحبّ مثل الحزن والألم والخوف

والبكاء والقنوت والاستغفار والتبثُّل والإحبات والإنابة والتضرُّع و"وجل القلب"، كل هذه هي من مراحل "القبض". وكذلك الفرح والسكون والشكر والسلام والاكتفاء والاطمئنان والإعجاب والمحبة والمودة والود والرضا، كل هذه هي من مراحل "البسط". فالإنسان يعيش آثار القبض والبسط بشكل طبيعي عندما يعيش مراحل الحب. ولذلك كل من يُحب هو في حالة تغير مستمر، وهو بين أحوال القبض والبسط في الحب بشكل دائم، على الأقل في هذا العالم؛ يقول الله ﷻ:

فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦٠﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦١﴾ (الشرح، ٥: ٩٤ - ٦)



وربما هذا التغير المستمر هو سبب عدم وجود الكلل والملل في الحب الحقيقي. فالإنسان لا يسأم من دعاء الخير، وبالتالي لا يسأم من الدعاء (والدعاء مرحلة من مراحل الحب كما رأينا). يقول الله ﷻ:

لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَسْأَلْهُ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ (فصلت، ٤٩: ٤٩)

وكذلك لا يسأم أهل الجنة من الحب، كما سنرى إن شاء الله (في فصل "الحب والجمال في الجنة"). يقول الله ﷻ:

لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ (الحجر، ١٥: ٤٨)

وربما سبب هذا كله هو أن الله ﷻ لا يمسه الكلل والملل. يقول الله ﷻ:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾

(ق، ٥٠: ٣٨)

فهذا كله لنقول إنَّ في الحب تغيراً مستمراً، ولكن هذا التغيير لا يسبب مللاً من الحب للإنسان الذي يحب، والله أعلم.

المطلب الثاني: حاجة الحب

الإنسان الذي يُحب بحاجة مستمرة إلى محبوه، والحاجة تعني النقص. وقد ذكرنا سابقاً فقر الإنسان، وبالتالي حاجة الإنسان. يقول الله ﷻ:

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٣٥﴾ (فاطر، ٣٥: ١٥)

هَتَأْتُمْ هَتُؤَلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنِ نَفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ ۗ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾ (محمد، ٤٧: ٣٨)

وبطبيعة الحال، كل شيء بحاجة لله ﷻ:

يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٢٠﴾ (الرحمن، ٥٥: ٢٩٠)

ولكن بما أن كل شيء يُحب الله ﷻ (كما رأينا سابقاً في فصل " الكون والحب ")، يمكن لنا أن نعتبر أن السؤال المستمر لله ﷻ والفقر إليه جزء لا يتجزأ من الحب. فالحب يعني بالضرورة حاجة، والذي يجب يحتاج محبوه.

المطلب الثالث: خصوصية الحب

للحب خصوصية خاصة. فالإنسان لا يستطيع أن يحب من كل قلبه حبيين من النوع نفسه. ولهذا يقول الله ﷻ:

وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۗ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ۗ وَإِنْ تُصَلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٤﴾ (النساء، ٤: ١٢٩)

وسبب هذه الخصوصية هي أن للإنسان قلباً واحداً فقط، والحب يملأ هذا القلب، فلا يستطيع الإنسان أن يملأه بحبين لأنه لا يتسع لهما.

يقول الله ﷻ:

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ ۗ وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ اَلَّتِي تَظْهَرُونَ مِنْهَا اُمَّهَاتِكُمْ ۗ وَمَا جَعَلَ اَدْعِيَاءَكُمْ اَبْنَاءَكُمْ ۗ ذٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِاَفْوَاهِكُمْ ۗ وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ

يَهْدِي السَّبِيْلَ ﴿٤١﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٤٠)

وربما تأتي الغيرة من هذه القاعدة: فكما يعلم الإنسان أن قلبه لا يستطيع أن يحب إلا حباً واحداً، يعلم أن محبوه لا يستطيع أن يحب إلا حباً واحداً، فيغار إذا أبدى محبوه ميلاً إلى أي شيء آخر غيره، والله أعلم. وعلى أية حال، فللحب خصوصية تطلب من الإنسان كل قلبه وكل مكوناته وكل ممتلكاته، ويملاها كلها بحب واحد، ولا يسمح لحب أي شيء آخر أن يدخل في هذا القلب إذا كان الحب كاملاً. ويقول الله ﷻ للرسول ﷺ:

قُلْ اِنَّ صَلَاتِيْ وَنُسُكِيْ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِيْ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ﴿١٣٠﴾ لَا شَرِيْكَ لَهٗ ۗ وَبِذٰلِكَ

اُمِرْتُ وَاَنَا اَوَّلُ الْمُسْلِمِيْنَ ﴿١٣١﴾ (الأنعام، ٦٠: ١٦٢-١٦٣)

المطلب الرابع: قدرة الحب

للحب قدرة عظيمة. فالحب يُغيّر من يُحب، وهذا ما رأيناه في الفصلين "مراحل الحب" و "نمو الحب". وبهذا التغيير يقهر الحب الشخص الذي يُحب - والقبض الذي ذكرناه أعلاه هو عنصر من هذا القهر - ولكن هو قهر خيرٍ لأنه يُغيّر نفس الذي يُحب إلى الأفضل، ويفصله عن طبيعته السفلى وجشعه وذاته (الأننا). وأشار سيدنا يوسف عليه السلام لهذا القهر الخيّر، وهو في السجن وليس له إلا الله. يقول الله ﷻ:

يَصْحَبِي السِّجْنِ اَزْرَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ ۗ خَيْرٌ اَمْرًا لّٰلّٰهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٢١﴾ (يوسف، ١٢: ٣٩)

بعبارة أخرى، فإن سيدنا يوسف عليه السلام وهو في السجن وقد قهره حب

الله ﷻ، الربّ الواحد، كان أسعد وأفضل حالاً من هؤلاء الملتهمين عن الله بأمور أخرى (ءَأَرْبَاب) وهم أحرار في الدنيا.

فنهاية الحبّ هو القهر الأكبر وهو الموت. فالذي يُحب يموت في محبوه أو لمحوبه، وسنرى هذا - إن شاء الله ﷻ - في فصل "الحب والموت".
ويكفي هنا أن نشير إلى بُشْرَى الموت في الحبّ كما ذكرها الله ﷻ في الآية الكريمة:

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوَزُّنِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩٠﴾ (التوبة، ٩: ١١١)

والخلاصة أن للحب قوة عظيمة، فالحب يقهر من يُحب، ثم يستدرجه عبر مراحل الحبّ إلى موته، ومن ثمّ إلى الخلود في محبوه، فللحب قدرة على الإفناء والإبقاء، فما أعظم قدرة الحب! يقول الله ﷻ:

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٩١﴾
وَلَنْبَلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِيرِ
الصَّابِرِينَ ﴿٩٢﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ (البقرة، ٢:

٣١. الباب الرابع؛ الفصل الحادي عشر:

الحب والسعادة

لا يوجد فرح ولا رضى ولا سلام ولا متعة من غير حب من طريقة أو من أخرى. وسبب ذلك أن الفرح والرضى والمتعة، كما رأينا سابقاً (في فصل "أنواع الحب" وفي فصل "مراحل الحب")، هي من أنواع أو مراحل الحب. فكيف يكون فرح بشيء من غير حبه؟ أو رضى بشيء من غير حبه؟ أو يجد السلام في شيء من دون أن يحبه؟ أو متعة بشيء من غير حبه أو اللذة فيه؟ وأوضح الله ﷻ هذا في قوله الكريم:

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۗ (الأحزاب، ٣٣: ٤)

فبما أن الإنسان ليس له إلا قلب واحد، فلا يستطيع أن يرضى بشيء لا يحبه. يقول الله ﷻ:

زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسُومَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرَثِ ۗ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤٠﴾ (آل عمران، ١٤٠)

فهنا نرى أن متاع الحياة الدنيا كلها وزينتها وشهواتها جميعها مرتبط بالحب. ومن ناحية أخرى، نرى أنه يوجد فرح في الفرار من شيء لا نحبه، وبالتالي يوجد فرح في الميل إلى الشيء الذي نحبه (وهو نقيض ما لا نحبه). يقول الله ﷻ:

فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾
فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٨﴾ (التوبة، ٨٧-٨٨)

فالمخلفون فرحوا بمقعدهم لأنهم كانوا يكرهون الجهاد ويحبون ما يظنونه آمناً، وهذا يدل على أن الفرح يأتي من الحب حتى لو كان الحب شيء دنيء أو سيء. وهذا يفسر أيضاً كيف تكون المتعة في الحياة الدنيا بالرغم من الموت الذي يُنتظر في آخرها. يقول الله ﷻ:

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا نَمَعَثَرٌ آجِنٍ قَدْ اسْتَكْرَثْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِّنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَلَكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ (الأنعام: ٦٤، ١٢٨)

وهذا يفسر كذلك أيضاً كيف يكون الرضى في الحياة الدنيا والاطمئنان بها عند الغافلين:

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧٠﴾ (يونس: ١٠، ٧٠)

فالغافلون يطمئنون للحياة الدنيا ويرضون بها بالرغم من أن السلام الحقيقي واطمئنان القلب الحقيقي والسكينة الحقيقية فقط في ذكر الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ (الرعد: ١٣، ٢٨)

وكذلك يرضون بالحياة الدنيا بالرغم من الرضى المتبادل الذي يكون بين الله ﷻ والمؤمنين في الدنيا والآخرة. يقول الله ﷻ:

جَزَاءُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ ﴿٩٨﴾ (البقرة: ٩٨، ٩٨)

(انظر إلى: المائدة، ٥: ١١٩؛ التوبة، ٩: ١٠٠؛ المجادلة، ٥٨: ٢٢؛ الفجر، ٨٩: ٢٧-٣٠).

ولكن بالرغم من الفرح والمتعة والرضى الذي قد يشعر به الكافرون والمشركون والغافلون والظالمون نتيجة ميلهم إلى ما يحبونه في الحياة الدنيا،

الحب في القرآن الكريم

فإن الحياة الدنيا بدون ذكر الله ﷻ وعبادته تكون بالضرورة حياة فيها شيء من الكآبة (ربما لأن كل إنسان يعرف أنها ستنتهي آجلاً أم عاجلاً).
يقول الله ﷻ:

وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١١٤﴾
(طه، ٢٠: ١٢٤)

وهنا نأتي إلى نقطة مهمة جداً يبرزها الإعجاز القرآني: وهي كلمة "السعادة" فهي لم ترد ولا مرة واحدة في القرآن الكريم في وصف الحياة الدنيا وحياة الكفار والمشركين والغافلين والظالمين. وإنما أتت كلمة السعادة مرتين في القرآن الكريم فقط، كلتاها تشير إلى الجنة وهما في الآيات التالية من سورة هود ﷻ:

يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ النَّارِ ۖ وَمِنْهُمْ زَكَرِيُّ وَمِنْهُمْ لُوطُ ۗ وَنُوحٌ وَإِسْرَائِيلُ ۗ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَوْا فَيُسَبِّحُونَ اللَّهَ طَائِفِينَ لَيْلًا وَنَهَارًا ۗ وَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ عَذَابَ اللَّهِ طَافُونَ ﴿١٠٥﴾
دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۗ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْدُودٍ ﴿١٠٦﴾ (هود، ١٠٥-١٠٨)

فالسعداء هم الذين يكونون في الجنة خالدين فيها، ولا يكون أحد من الكفار والمشركين والغافلين والظالمين سعيداً حقيقة، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وذلك بالرغم من الفرح والمتعة والرضى الذي قد يشعروا به في الحياة الدنيا. ومعنى آخر: لا سعادة حقيقة بدون حب الله ﷻ.



مسألة: هل تنطبق كلمة "سعادة" على المؤمنين الصالحين في الدنيا في

ضوء القرآن الكريم؟

يقول الله ﷻ:

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُؤُوا بِهِ مُتَشَبِهًا
وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ (البقرة: ٢٥)

فيما أن السعادة نعمة على الإنسان وبالتالي رزق من الله ﷻ، وبما أن كل رزق يرزق المؤمن به في الجنة يذكره في رزق ما في الدنيا، فهذا يعني أنه قد تكون سعادة ما للمؤمن الصالح في الدنيا ولو أن رزق الجنة ليس نفس رزق الأرض (وبطبيعة الحال أفضل منها) ولكن " مُتَشَبِهًا " لها فقط، والله أعلم.



مسألة: لم لا تكون سعادة حقيقية للكافرين والمشركين والغافلين والظالمين في الدنيا؟
قد ذكرنا سابقاً قول الله ﷻ:

وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿٢٤﴾ (طه: ٢٤)

وذكرنا أيضاً أن الفرح والمتعة والرضى والسلام كلها تعتمد على الحب. فهذا يعني بالضرورة أن حب الكافرين والمشركين والغافلين والظالمين لا يكفي لكي يؤدي إلى درجة السعادة الكاملة. فسعادتهم يبقى فيها نقص لأن حبهم يبقى فيه نقص بالنسبة لحب المؤمن ولأنهم لا يصلون إلى حالة المعية الكاملة الدائمة مع محبوبهم لكونه ليس الله ﷻ الباقي وبالتالي فهو فانٍ وهذا واضح في قول الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعَذَابِ ﴿١٥﴾ (البقرة، ٢: ١٦٥)

فالحب الدنيوي لا يكفي لكي يؤدي إلى السعادة لأنه لا يملأ الإنسان بشكل كافٍ تامٍ كاملٍ دائمٍ. وكما رأينا سابقاً مراراً، أن الله ﷻ نفخ فيه من روحه (انظر إلى: السجدة، ٣٢: ٧-٩؛ ص، ٣٨: ٧٢؛ الحجر، ١٥: ٢٨-٣٤)، وبالتالي لا يكفيهِ ولا يملؤه بشكل كامل إلا حبُّ الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَتْ بِهِ فَقَدْ آهَتَدُوا ۗ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۗ

فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٧﴾ (البقرة، ٢: ١٣٧)

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۗ وَتُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ ۗ مِنْ دُونِهِ ۗ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ

هَادٍ ﴿٢٠﴾ (الزمر، ٣٩: ٣٦)

ولهذا فإن سعادة الإنسان وحبهِ وحياته الحقيقية هي في الآخرة أو عند الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ ۗ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا

يَعْلَمُونَ ﴿١٠٠﴾ (العنكبوت، ٢٩: ٦٤)

والله أعلم.



٣٢. الباب الرابع؛ الفصل الثاني عشر:

الحب والجمال في الجنة

هل يوجد حبّ وجمال في الجنة؟ بالنسبة للجمال للجواب واضح، فالجنة كلّها جمال، وفيها النظر إلى الجميل، وهو الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٣٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٣٣﴾ (القيامة، ٧٥: ٢٢-٢٣)

وإضافة إلى ذلك فالجنة مليئة بأهل الأرواح الجميلة، بدءاً برسول الله ﷺ. يقول الله ﷻ:

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٣٤﴾ (النساء، ٤: ٦٩)

ولا يفوتنا أن نذكر جمال حور الجنة. يقول الله ﷻ:

وَكَوَاعِبُ أُنثَىٰ ﴿٣٥﴾ (النبا، ٧٨: ٣٣)

فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ (الواقعة، ٥٦: ٣٦-٣٧)

فِيهِنَّ قَنَصِرَاتُ الْطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْسُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٨﴾ (الرحمن، ٥٥: ٥٦)

حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٣٩﴾ (الرحمن، ٥٥: ٧٢)

كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٤٠﴾ (الدخان، ٤٤: ٥٤)

مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٤١﴾ (الطور، ٥٢: ٢٠)

وَحُورٌ عِينٌ ﴿٤٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٤٣﴾ (الواقعة، ٥٦: ٢٢-٢٣)

وَعِنْدَهُمْ قَنَصِرَاتُ الْطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٤﴾ (الصافات، ٣٧: ٤٨)

وَعِنْدَهُمْ قَنَصِرَاتُ الْطَّرْفِ أُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ (ص، ٣٨: ٥٢)



ولكن هل هذا يعني أن في الجنة حباً^{٣٢٥}؟ كما رأينا سابقاً (في فصل

٣٢٥ من الواضح أن الجنة هي مآب الرضى والفرح والسعادة والسلام. يقول الله ﷻ عن الرضى في الجنة:

فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ (الحاقة، ٦٩: ٢١)

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨٨﴾ لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ﴿٨٩﴾ (الغاشية، ٨٨: ٨ - ٩)

يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ﴿٩٠﴾ أَرْجَعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً ﴿٩١﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبْدِي ﴿٩٢﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٩٣﴾ (الفجر، ٨٩: ٢٧ - ٣٠)

فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿١٠١﴾ (الفارعة، ١٠١: ٧)

ويقول الله ﷻ عن الفرح في الجنة:

فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ (آل عمران، ٣: ١٧٠)

ويقول الله ﷻ عن السعادة في الجنة:

يَوْمَ يَأْتُ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ فَمِنْهُمْ سُعِيٌُّّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٠﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ هُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠١﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۗ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٢﴾ * وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۗ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُوذٍ ﴿١٠٣﴾ (هود، ١١: ١٠٥ - ١٠٨)

ويقول الله ﷻ عن السلام في الجنة:

سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٣٦﴾ (يس، ٣٦: ٥٨)

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا ﴿٣٧﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٣٨﴾ (الواقعة، ٥٦: ٢٥ - ٢٦)

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٠﴾ آذَنُوا بِسَلَامٍ ءَامِينٍ ﴿٤١﴾ (الحجر، ٤٥: ٤٦ - ٤٧)

* هُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ (الأنعام، ٦: ١٢٧)

(انظر أيضاً: ١٠: ١٠؛ ١٤: ٢٣؛ ١٦: ٣٢؛ ١٩: ٦٢؛ ٢٥: ٧٥؛ ٣٣: ٤٣؛ ٥٠: ٣٤؛ ٥٦: ٩١).

وقد رأينا في فصل "أنواع الحب" وفي فصل "مراحل الحب" أن الرضى نوع من أنواع الحب ومرحلة من مراحل الحب، وأن الفرح والسلام مرحلتين من مراحل الحب. هذا

"طبيعة الحب" يوجد في الحب قبض، ويوجد في الحب نقص، ويوجد في الحب حاجة، ويوجد في الحب حزن؛ والجنة ليس فيها هذه الصعوبات. يقول الله ﷻ:

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٤﴾ آذَلُّوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينٍ ﴿٤٥﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٦﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٧﴾ (الحجر، ٤٥-٤٨)

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ ﴿٤٨﴾ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٤٩﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَّا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٥٠﴾ (فاطر، ٣٥-٣٤)

فالجواب على هذا السؤال هو أن كل رزق يُرزق به الإنسان في الدنيا موجود في الجنة (والحب رزق للإنسان). يقول الله ﷻ:

وَنَبِّئِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ هُمْ فِي جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿٥١﴾ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رَّرَقَا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا ﴿٥٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥٣﴾ (البقرة، ٢٠)

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧٠﴾ (الزلزلة، ٩٩ : ٧)

ومع أن رزق الجنة شبيه برزق الأرض، لكن يختلف رزق الجنة عن رزق الأرض بشيء معين. يقول الله ﷻ:

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ (الأعراف، ٧ : ٣٢)

يعني أنه لا بد من أن يكون هناك حب من نوع ما في الجنة؛ فمن دون الحب لا توجد سعادة وبالتالي لا تكون الجنة بغير حب.

فرزق الجنة وزيتها خالصة بينما رزق الأرض يكون فيه بالضرورة

نقص ما. يقول الله ﷻ:

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَهَمٌّ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۗ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿٤٧﴾ (عند، ٤٧)

(١٥:

فكذلك الحبّ في الجنة: لا يكون في الجنة حبّ غير الحبّ الخالص والخير. وهذا الحبّ موجود فقط عند المتقين. فحتى درجة الخلّة من الحبّ لا وجود لها في الجنة إلا إذا أتت بالتقوى:

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الْآخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ (الزخرف، ٤٣-٦٦-٦٧)

ولذا، فالأزواج الصالحون والزوجات الصالحات مع بعضهم البعض في الجنة (ومع أولادهم أيضاً) لأنّ الحبّ الخير والحبّ في الله يخلد^{٣٢٦}. يقول الله ﷻ:

هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرْبَابِكُمْ مُتَّكُونَ ﴿٣٦﴾ (يس، ٣٦-٥٦)

أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٤٣﴾ (الزخرف، ٤٣-٧٠)

٣٢٦ بل أكثر من ذلك: كل غل أو نقص في الحبّ الخير ينزع في الجنة لكي يصبح الحبّ في الجنة محض وخالص. يقول الله ﷻ:

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَفَدَّ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ (الأعراف، ٧٠-٤٣)

أَدْخَلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ إِحْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٥﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٦﴾ (الحجر، ٤٦-٤٨)

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ
 إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ (غافر، ٤٠: ٨)

جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ
 عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ (الرعد، ١٣: ٢٣)

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِنَا يُحِبُّونَ مَا أَتَيْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ
 شَيْءٍ ﴿٢١﴾ (الطور، ٥٢: ٢١)

وعلى العكس من ذلك، الأزواج الظالمون والزوجات الظالمات مع بعضهم البعض في النار لأن الحب المبنى على "النفس الأمارة بالسوء" ينتهي. يقول الله ﷻ:

أَحْسَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ (الصافات، ٣٧: ٢٢)

فخلاصة القول هنا هو أنه يوجد في الجنة كل ما يُحبه أهل الجنة، وكل من يحبهم، وأنه يوجد في الجنة حب، ولكن الحب في الجنة يختلف عن الحب في الدنيا. الحب في الجنة هو فقط ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين من دون معاناة وقبض، كالحب في الدنيا، والله أعلم. يقول الله ﷻ:

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٣﴾ (الأنبياء، ٢٣: ٢٣)
 بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤﴾ (يونس، ٢٤: ٢٤) يَعْبادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ
 تَحْزَنُونَ ﴿٢٥﴾ (الأنبياء، ٢٥: ٢٥) الَّذِينَ ءَامَنُوا بِقَابِئِنَّا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢٦﴾ (الأنبياء، ٢٦: ٢٦) أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ
 وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٢٧﴾ (الأنبياء، ٢٧: ٢٧) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴿٢٨﴾ (الأنبياء، ٢٨: ٢٨) وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ
 الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴿٢٩﴾ (الأنبياء، ٢٩: ٢٩) وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٠﴾ (الأنبياء، ٣٠: ٣٠) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا
 كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣١﴾ (الزخرف، ٤٣: ٦٦-٧٢)

الباب الخامس: المحبوب (الجمال واللقاء والرضوان)

٣٣. الباب الخامس؛ الفصل الأول:

الجمال والحُسن ومكوناتهما

المطلب الأول: معنى "الجمال" ومعنى "الحُسن"

ما هو الفرق بين الجمال والحُسن؟ فيما يلي رأي العلماء في ذلك:

أما بالنسبة للجمال:

فيقول الراغب: "الجَمَالُ: الحُسْنُ الكثير، وذلك ضربان، أحدهما: جمال يختص الإنسانُ به في نفسه أو بدنه أو فعله، والثاني: ما يوصلُ به إلى غيره، وعلى هذا الوجه ما رُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يَجِبُ الْجَمَالَ» تنبيهاً أنه منه تفيض الخيرات الكثيرة فَيَجِبُ مَنْ يَخْتَصُّ بِذَلِكَ، وقال ﷺ: «**وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تَرْتَمِحُونَ...**» (التحل، ١٦: ٦) قال ﷺ: «**...فَصَبْرٌ جَمِيلٌ...**» (يوسف، ١٢: ١٨) || ٣٢٧.

ويقول الزبيدي: "والجمال الحُسن، يكون في الخلق وفي الخُلُق" ٣٢٨.

وأما بالنسبة للحُسن:

يقول الراغب: "الحُسْنُ عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه وذلك ثلاثة أضرب: مستحسن من جهة العقل، ومستحسن من جهة الهوى، ومستحسن

٣٢٧ المفردات، ص ٩٧.

٣٢٨ تاج العروس، ٧/ ٢٦٣.

من جهة الحس " ٣٢٩ .

وقال الزبيدي: " الحُسْنُ بالضم الجمالُ، ظاهره ترادفهما. وقال الأصمعي: الحُسْنُ في العينين، والجمال في الأنف، وفي الصحاح الحُسْنُ نقيض القبح. وقال الأزهري: الحُسْنُ نَعْتُ لما حَسُنَ " ٣٣٠ .

يَتَّضِحُ من أقوال العلماء أنه يوجد شيء من الترادف بين المصطلحين " جمال " و " حُسْن " ، وأن العلماء ليس لديهم دليل قطعي في هذا الموضوع. ومع هذا يلاحظ أن وصف " الجمال " يُستعمل إذا كان الجميل واحداً، فالله ﷻ جميل، والصبر جميل^{٣٣١}، وفي الأنعام جمال^{٣٣٢}. أما بالنسبة لوصف " الحُسْن "، فهو يُستعمل إذا كان المقصود أكثر من واحد أو تعدد في أنواع جمال الموصوف: فلله الأسماء الحسنى^{٣٣٣}، و " الإحسان " يعني الفضائل كلها كما ذكرنا، وحُسْن المرأة يُطلق على كُل حُسْن مُجمل في شكلها الظاهري، والله أعلم.



المطلب الثاني: مُكوّنات الجمال والحسن

الجمال أو الحُسْن صفة، والصفة عموماً لا تتجزأ - بذاتها - ولكن هل يوجد في هذه الصفة مُكوّنات؟ بمعنى آخر، هل للجمال أو للحُسْن عناصر

٣٢٩ المفردات، ص ١١٨ .

٣٣٠ تاج العروس، ٧/ ٢٦٣ .

٣٣١ يوسف، ١٣: ٨٣ .

٣٣٢ النحل، ١٦: ٦ .

٣٣٣ انظر إلى: الأعراف، ٧: ١٨؛ الإسراء، ١٧: ١١٠؛ طه، ٢٠: ٨؛ الحشر، ٥٩: ٢٤ .

يُمكن لنا أن نسميها ونفهمها؟ يقول الله ﷻ:

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٥﴾
بِحُسْبَانٍ ﴿٦﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٧﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٨﴾ أَلَّا
تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٩﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿١٠﴾ وَالْأَرْضَ
وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١١﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١٢﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ
﴿١٣﴾ فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٤﴾ (الرحمن، ٥٥: ١-١٣)

فنرى هنا، في بداية سورة الرحمن، أن الله ﷻ ذكر الميزان ثلاث مرات.
وجاء في تفسير الجلالين:

" **﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾** أثبت العدل. **﴿ أَلَّا تَطْغَوْا ﴾** أي لأجل
أن لا تجوروا **﴿ فِي الْمِيزَانِ ﴾** ما يوزن به. **﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ ﴾** بالعدل
﴿ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ تُنقصوا الموزون " ٣٣٤.

لكن يُلاحظ أن الله ﷻ ذكر الميزان بين ذكره للشمس والقمر والنجم
والشجر والسماء والأرض وما تُنبت الأرض، وأن الله ﷻ لم يذكر أشياء
تُنسب عادة للعدل قبل وبعد الميزان. بل ذكر الله ﷻ ما في خلقه من
طبيعة الخلق قبل وبعد الميزان ولم يذكر ثواباً وعقاباً وأشياء أخرى يتوقع
العقل أن يجدها مع ذكر العدل. فلذلك ربما يكون في ذكر "الميزان" إشارة إلى
"ميزان" أكبر، وهو التوازن والتناغم الطبيعي في خلق الله ﷻ. ودليلنا على
هذا هو "الحسبان" الذي ذكره الله ﷻ: **الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٦﴾ وَالنَّجْمُ
وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٧﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٨﴾** (الرحمن، ٥٥: ٧-٥)

ونعلم - كما ذكرنا سابقاً مراراً - أن الله ﷻ وضع الجمال في كل
شيء خلقه:

٣٣٤ جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص ٧٠٩.

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۗ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ (السجدة، ٣٢: ٧)

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۗ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۗ

إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ (النمل، ٢٧: ٨٨)

فإنه يوجد أيضاً بالضرورة جمال في السماوات والأرض وفي مكونات كل منهما التي ذكرها الله ﷻ في بداية سورة الرحمن. فهل هذا يعني أن الميزان جزء من الجمال؟ أو بالأحرى، هل هذا يعني أن الميزان هو تركيب الجمال؟ ذكر الرسول ﷺ فضائل عدة لبعض سور وآيات القرآن الكريم. لكن بالنسبة لسورة الرحمن ذكر شيئاً فريداً من نوعه:

فعن سيدنا علي ؓ قال: قال رسول الله ﷺ:

«لكل شيء عروس وعروس القرآن الرحمن»^{٣٣٥}.

فكرة "العروس" تختلف عن فكرة "المرأة" أو "الزوجة" بشيئين: بالجمال (لأن العروس تكون عادة جميلة) وبالاحتفال (لأن العروس تختلف عن المرأة بمجداث العرس، والعرس احتفال). فهل يوجد في حديث رسول الله ﷺ إشارة إلى جمال سورة الرحمن؟ وهل في حديث رسول الله ﷺ إشارة أيضاً إلى أنه يوجد في سورة الرحمن ذكر وشرح للجمال؟ وهذا يجعلنا نقول بأنه يوجد في ذكر الميزان إشارة إلى الجمال.

ذكر الله ﷻ مكوّنات الميزان، وهي: (١) إقامة، (٢) الوزن، (٣) القسط بينهما. في الإقامة شيء عمودي، وفي الوزن شيء أفقي، وفي القسط تناغم بينهما. من ناحية أخرى، يوجد في الإقامة شيء جلالِي (لأن الإقامة تتطلب الحق)، ويوجد في الوزن شيء إكرامي (لأن الوزن يتطلب شيئاً متوفراً وموجوداً، وبالتالي رزقاً من الله ﷻ)، ويوجد في القسط شيء كمالي. فإن كان هذا الطرح صحيحاً، فيمكن لنا أن نقول إن مكوّنات الجمال هي وجود

٣٣٥ رواه البيهقي، رقم ٢/٤٩٠، كتاب شعب الإيمان، باب تعظيم القرآن.

الحب في القرآن الكريم

الجلال والجمال والتوفيق بينهما، وبالتالي الكمال.

وربما تكون إشارة أخرى لمكونات الجمال في بداية ونهاية سورة الرحمن. فأول آية في السورة هي: "الرَّحْمَنُ"، والرحمن (كما رأينا في فصل "الله ﷻ والحب") مصدر الحبّ ومصدر الخلق، وبالتالي مصدر الجمال. وآخر آية في سورة الرحمن هي: **تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** (الرحمن، ٥٥: ٧٨). فربما نرى أيضاً في هذا الاسم من أسماء الله سير مكونات الجمال: فمكونات الجمال هي الجلال والإكرام والبركة بينهما. والله أعلم.

والإمام الفخر الرازي قسّم أسماء الله الحسنى (وبالتالي الجمال نفسه) إلى قسمين وهما الجلال والإكرام فقال:

"صفات الله تعالى نوعان سلبية وهي المسماة في القرآن بالجلال، وإضافية وهي المسماة في القرآن الكريم بالإكرام وإليه الإشارة بقوله: ... **ذُو الْجَلَالِ**

وَالْإِكْرَامِ (الرحمن، ٥٥: ٢٧) " ٣٣٦.

وكذلك صنّف بعض العلماء الآخرين (مثل الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي في كتابه "الإنسان الكامل") أسماء الله الحسنى إلى صنفين: أسماء الذات الإلهية (مثل:الأحد)، وأسماء الصفات. وصنّف أسماء الصفات إلى ثلاثة أصناف، وهي: أسماء جمال (مثل: الرحيم والجميل)، وأسماء جلال (مثل: العزيز والجبار)، وأسماء كمال (مثل:الملك والرّب)، فهل "الحسن" كلّهُ مُكوّن من إكرام وجلال والتكامل بينهما؟ الله أعلم.

٣٣٦ الفخر الرازي، شرح أسماء الله الحسنى، ص ٣٠.

٣٤. الباب الخامس؛ الفصل الثاني:

الدُّوق

كما سنرى (في فصل "طبيعة الجمال")، فإن الجمال هو حقيقة موضوعية موجودة في الأشياء ذاتها. وبالفعل، فإن الجميع يعرف ويميّز الجمال بشكل من الأشكال. يقول الله ﷻ:

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ (يوسف، ١٢: ٣١)

فسنوة المدينة كلهن أجمعن على جمال يوسف ﷻ وانبهرن به.

لكن يُلاحظ أنه يوجد أحياناً اختلاف بين الناس – أو تغيّر في الناس – على أكثر ما يُعجبهم فيما بين الأشياء الجميلة. وعلى سبيل المثال إبراهيم ﷻ انتقل من الإعجاب بالكوكب وحبه إلى عدم حبه، ثم إلى الإعجاب بالقمر، ثم إلى الإعجاب بالشمس. يقول الله ﷻ:

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكَوْكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٣٢﴾
فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ إِلَهِي بَالْقَمَرِ وَلَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٣٣﴾
فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ
قَالَ يَنْقُومُ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٣٤﴾ (الأنعام، ٦٦: ٧٨-٧٨)

فإعجاب إبراهيم ﷻ تغيّر حسب إدراكه للجمال. وهذا يعني أن إدراك الجمال مربوط بحالة المدرك.

بالإضافة إلى ذلك، يوجد اختلافات وفروقات بين الناس، مع أنهم من أصل واحد. يقول الله ﷻ:

يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ (الحجرات، ٤٩: ١٣)

وإذا كان إدراك الجمال يختلف في شخص واحد حسب حالته، فهذا يعني أيضاً أنه سيختلف من شخص إلى شخص حسب الاختلافات الطبيعية بينهم. والله ﷻ يقول:

وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٢٤﴾ فَتَقَطُّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۗ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٢٥﴾ (المؤمنون، ٢٣: ٥٢-٥٣)

مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۗ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٢٥﴾ (الروم، ٣٠: ٣٢)

"كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ": هذا اللفظ الكريم يعني أن كل حزب فرح بما كان عنده، ولكن يمكن الفهم منه أيضاً أن كل حزب يفرح حسب طبيعته، أي بمعنى آخر كل حزب يفرح بشيء معين أكثر من شيء آخر حسب طبيعته الخاصة. ويقول الله ﷻ:

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ (الإسراء، ١٧: ٨٤)

وهذه الآية الكريمة تشير أيضاً إلى أن كل إنسان يختار ما يرتضيه ويحبه حسب طبيعة المحب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ:

«الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»^{٣٣٧}.

فهذا الحديث يشير أيضاً إلى أن الذوق أمر خاص فطري في روح الإنسان، والله أعلم^{٣٣٨}.

٣٣٧ رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة، رقم ٢٦٣٨.

٣٣٨ يقول الله ﷻ:

وعلى أية حال، خلاصة القول هنا هو أنه بالرغم من موضوعية الجمال، فإنه يوجد في طبيعة الناس وفي الاختلافات الطبيعية بينهم شيء يؤدي إلى ذوق خاص في كل شخص. وهذا الذوق الخاص هو الذي يجعل الإنسان يُفضّل نوعاً واحداً من الجمال على نوع آخر. فالجمال موضوعي، ولكن الذوق غير موضوعي بل نفسي ومتفرد، والله أعلم.

وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتَنكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ جِئْتُمْ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿١٨﴾ (الكهف، ١٨)

(٤٤٨)

يقول الرازي في تفسيره:

"ثم قال ﷺ: لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتَنكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وليس المراد حصول المساواة من كل الوجوه، لأنهم خلقوا صغاراً ولا عقل لهم ولا تكليف عليهم بل المراد أنه قال للمشركين المنكرين للبعث المفتخرين في الدنيا على فقراء المؤمنين بالأموال والأنصار: لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتَنكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ عراة حفاة بغير أموال ولا أعوان، ونظيره قوله تعالى: وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْتَنكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْتَكُمْ وَرَأَى ظُهُورَكُمْ ﴿٩٤﴾ (الأناج، ٦٤: ٩٤) وقال تعالى: أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنِّي مَالًا وَوَأَدًا ... إلى قوله: ... وَيَأْتِينَا فَرَادَى ﴿١٩٠﴾ (مريم، ١٩٠: ٧٧-٨٠)". (الرازي، التفسير الكبير مفاتيح الغيب، ٧/ ٤٧٠).

ولكننا نقول: بأن قول الرازي في تفسير قوله ﷺ "أَوَّلَ مَرَّةٍ" تعود إلى "حفاة عراة" وليس إلى "صَفًّا" لأنه يرى تناقضاً بين مسألة أن الله ﷻ خلقنا صفاً وما جاء في الآية الكريمة من أن الله ﷻ خلقنا "فرادي". أما بالنسبة لنا فإننا لا نرى تناقضاً بينهما، وربما خلقنا الله ﷻ بصنوف طويلة المدى بحيث أن كل واحد منا يأتي بمفرده، وعلى أية حال فحقائق الآخرة وأمورها ليست كحقائق الدنيا وأمورها، كما جاء في الحديث الصحيح: "ولا خطر على قلب بشر". (رواه البخاري، رقم ٣٢٤٤، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة).

والقائدة هنا من قولنا في هذا الموضوع كله هو أن الله ﷻ أشار إلى نفس ما جاء به الحديث الشريف "أن الأرواح جنود مجندة"، أي أن الأرواح خلقت صفاً ولكل روح منها طبيعة خاصة، والله أعلم.

طبيعة الجمال

بَيَّنَّ اللهُ ﷻ في القرآن الكريم أنه يوجد في طبيعة الجمال قواعد عامة. وفيما يلي مُبَيَّنُّ بعضها.

المطلب الأول: موضوعية الجمال

الجمال موجود في المحبوب بشكل موضوعي حقيقي، وليس كما يظن البعض أنه موجود في عين الذي يُحب. لا، إنه موجود في الأشياء ذاتها، وحتى في كل الأشياء. فالله ﷻ يقول:

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۗ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ (السجدة، ٣٢: ٧)

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۗ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۗ

إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ (النمل، ٢٧: ٨٨)

يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦٠﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٦١﴾ فِي أَيِّ

صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٦٢﴾ (الانفطار، ٨٢: ٦-٨)

وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تَرْتَجُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦٣﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ

تَكُونُوا بَلِّغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ۗ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٤﴾ (الحمل، ١٦: ٦-٧)

المطلب الثاني: قدرة الجمال

للجمال قدرة عظيمة، مثل قدرة الحب. فالجمال الفتان يستطيع أن

يُلْهِمِي مَنْ يَشْهَدُهُ عَنْ كُلِّ مَا هُوَ فِيهِ، وَحَتَّى عَنْ نَفْسِهِ، وَحَتَّى عَنْ حَوَاسِهِ
وَعَنِ الْأَلْمِ وَحَتَّى عَنِ الْمَوْتِ. يَقُولُ اللَّهُ ﷻ:

فَأَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُكَنَّاءَ وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ
سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَأَمَّا زَايِرُهُنَّ أَكْثَرَتَهُنَّ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا
بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ (يوسف، ١٢: ٣١)

ففسوة المدينة انجذب وانسحرون بمجرد رؤية يوسف ﷻ، وقطعن
أيديهن من غير شعورهن بحالهن. وهكذا الجمال يوقف من يُدرکه، ويقطع
عمله (والأيدي رمز للعمل) ويُلْهِمِيهِ عَنْ أَي شَيْءٍ غَيْرِهِ. وَلَا نَعْلَمُ قُوَّةَ غَيْرِ
قُوَّةِ اللَّهِ ﷻ تَسْتَطِيعُ هَذَا بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ.

المطلب الثالث: طريقة تأثير الجمال

يؤثر الجمال على من يُدرکه بطريقتين مختلفتين:

الطريقة الأولى هي: سَحَبَ مَنْ يُدْرِكُهُ خَارِجَ ذَاتِهِ، وَبِالتَّالِي جَذْبُهُ إِلَى
حَبِّ الشَّيْءِ الْجَمِيلِ، وَإِلَى حَبِّ امْتِلَاكِهِ - وَذَلِكَ رُبَّمَا حَتَّى بِقُوَّةٍ وَبِعَنْفٍ.
فجمال يوسف ﷻ أثار على زوجة العزيز بحيث جعلها تُريد أن تزني معه،
وحتى تُريد أن تُجبره على الزنى معها. يَقُولُ اللَّهُ ﷻ:

وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۗ قَالَ
مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٢﴾ ۖ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ ۗ
وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجُلًا بَرَّهَنَّ رَبَّهٗ ۗ كَذَلِكَ لِنَتَصَرَّفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۗ إِنَّهُ مِنْ
عِبَادِنَا الْمُحْلَصِينَ ﴿٣٣﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا
الْبَابِ ۗ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٤﴾

(يوسف، ١٢: ٢٣-٢٥)

فلهذا حذر الله ﷻ رسوله الكريم ﷺ من "مَدَّ الْعَيْنَ" إلى الجمال.

يقول الله ﷻ:

لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ (الحجر، ١٥: ٨٨)

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ

رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ (طه، ٢٠٠: ١٣١)

الطريقة الثانية هي: رجوع من يُدركه إلى ذاته، وبالتالي إلى فضائل

النفس، وإلى الإيمان، وإلى السكون. فيعقوب ﷻ، استعان بجمال الصبر عند معاناته، وبالتالي سَكَنَ وتوكل على الله ﷻ. وهذا واضح بكلمات يعقوب

ﷻ في الآيات التالية:

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۗ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ

هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ (يوسف، ١٢: ٨٣)

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحْزَنِي إِلَىٰ اللَّهِ وَعَلِمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ يَنْبَغِي

أَذْهَبُوا فَتَحَسَّنُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ

اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ (يوسف، ١٢: ٨٦-٨٧)

وكذلك صحابة رسول الله ﷺ، إذ يبايعون الرسول ﷺ تحت شجرة

الحديبية: كانوا أمام المشهد العظيم وهو رسول الله ﷺ - الذي كان جمال

خلقه وخلقه أكثر حتى من جمال يوسف ﷻ - وكانت "يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ"

(الفتح، ٤٨: ١٠)؛ فرجعوا إلى ذواتهم، والله ﷻ أنعم عليهم بما هو أعمق من

السكون، وهي السكينة. يقول الله ﷻ:

لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ

فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٤٨﴾ (الفتح، ٤٨: ١٨)

والله ﷻ وعد المؤمنين برؤيا لملائكة " مُسَوِّمِينَ " لكي " تطمئن قلوب "

المؤمنين، حتى أثناء أي معركة؛ يقول الله ﷻ:

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ ﴿١٦﴾

بَلَىٰ إِنَّ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفَافٍ

مِّن الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا

النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٦﴾ (آل عمران، ٣: ١٢٤ - ١٢٦)

تطرقنا بشكل موجز إلى العنصر الروحي للفعل الجنسي في فصل

" الحب الزوجي والحب الجنسي ". يبقى أن نزيد هنا أن جمال الجنس الآخر -

والهيئة البشرية هي " أَحْسَنُ تَقْوِيمٍ " (التين، ٤: ٩٥) - يعيد الناظر (أو بعض الناظرين

على الأقل) إلى ذاتهم الداخلية الحقيقية، بعيداً عن الدنيا وعن الشهوات،

ويحوّل العالم الخارجي نفسه إلى تكبيرٍ و " بُرْهَنَ رَبِّيهِ ". عبارة أخرى، فإن

الجمال يمكنه أن يعيد الإنسان إلى ذاته الداخلية الحقيقية، ويمكنه أيضاً أن

يحوّل العالم نفسه إلى انعكاسٍ خارجيٍ ملموسٍ لما هو داخلي، وحتى إلى

أكثر شيءٍ داخلي وهو معرفة الله ﷻ. فبالنسبة لسيدنا يوسف ﷺ، فقد

استبطن جمال زوجة العزيز بشكل كامل فأصبح جمالها " بُرْهَنَ رَبِّيهِ "، وهذا

على عكس زوجة العزيز التي رأت جمال سيدنا يوسف ﷺ كشيء خارج

عن نفسها لدرجة أنها طاردته بقوة شديدة؛ يقول الله ﷻ:

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۗ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّيهِ ۗ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ

وَالْفَحْشَاءَ ۗ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهُ مِنْ

دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ۗ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ (يوسف، ١٢: ٢٤-٢٥)

في هذه الحالة - حين يتحول ما هو خارجي ويتم استبطانه - يبطل العالم دنيوياً. وهذا يذكرنا في حالة سيدنا محمد ﷺ والتي يقول عنها الله ﷻ:

وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٥﴾ (البقرة، ٢: ١١٥)

هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٠﴾ (الحديد، ٥٧: ٣)

والخلاصة، فللجمال قدرة عظيمة ونوعان من التأثير: جذب من يُدرّكه إلى خارج ذاته، ودفع من يجذبه إلى ذاته.

وربما نرى هذين النوعين من التأثير في جمال النساء والجذب لهن أو الرحمة بهن كمؤمنات وهو مشار إليه في الآية الكريمة التالية:

لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَأخْفِضْ جَنَاحَكَ

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ (الحجر، ١٥: ٨٨)

والله أعلم.

المطلب الرابع: فائدة الجمال (والحب)

قد ذكرنا سابقاً قول الله ﷻ:

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ احْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٥١﴾ (يوسف، ١٢: ٣١)

ورأينا قدرة الجمال على التسبب بحال لا يشعر مشاهد الجمال فيه بالألم. وسنذكر في الفصل اللاحق إن شاء الله علاقة الحب بالموت.

ويقول الله ﷻ:

وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْتَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦٠﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ

تَكُونُوا بِنَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦١﴾ (النحل، ١٦: ٧-٦)

وهذه الحالة الوحيدة في القرآن الكريم التي يذكر الله ﷻ فيها لفظ "بشق" **الأنفُس**، فهل تكون هنا إشارة إلى كيف يسهل الجمال والحب مصيبة الموت؟ ونقصد في ذلك أنه ذُكر هنا الأنعام (وهو المعنى اللفظي) وكيف تسهل السفر، ولكن ذُكر أيضاً الجمال وبعده ذُكر بلوغ بلد مقصود حيث لا يصله أحدٌ إلا بشق الأنفس، فهل نفهم أن الجمال والحب يجعلان الإنسان يستطيع ما لا يُستطاع عادة إلا بشق الأنفس (أي بالقهر والموت)؟ وبمعنى آخر هل يوجد إشارة هنا إلى قدرة الجمال والحب على تلطيف مصيبة الموت - النفسي أو الجسدي (كما سنرى لاحقاً إن شاء الله) - بحيث أنه من خلال الحب والجمال يصل المرء إلى ما يؤدي إليه الموت من دون معاناة وقهر؟ فعلى سبيل المثال، نعلم تماماً أن الرسول ﷺ قد توفي في حالة شوق إلى الله ﷻ، وكذلك سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها لما أخبرها رسول الله ﷺ بأنها ستموت بعده قريباً فرحت لأنها كانت تشتاق إلى لقاء ربها^{٣٤}، فهل

٣٣٩ عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما مرض رسول الله ﷺ وثقل أخذت بيده لأصنع به نحو ما كان يصنع فانتزع يده من يدي ثم قال:

«اللهم اغفر لي واجعلني مع الرقيق الأعلى» قالت: فَذَهَبَتْ أَنْظُرَ فَإِذَا هُوَ قَدْ قَضَى. (رواه مسلم، ٢١٩١، كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض).

٣٤٠ عن عائشة رضي الله عنها قالت: أقبلت فاطمة رضي الله عنها تمشي كأن مشيتها مشي النبي ﷺ فقال لها النبي ﷺ:

«لا أراه إلا حضر أجلي وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي» فبكت فقال: «أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين» فضحكت. (رواه البخاري، ٣٦٢٤، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام. ومسلم، ٢٤٥٠، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليهما الصلاة والسلام).

وعلى سبيل مثال آخر: عن أنس بن مالك ﷺ قال لما طُعن حرام بن ملحان وكان خاله يوم بئر معونة قال بالدم هكذا فنضح على وجهه ورأسه ثم قال: فزت ورب الكعبة. (رواه البخاري، ٤٠٧٢، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع ... وبئر معونة).

هنا دليل على قدرة الجمال والحبّ لتسهيل مصيبة الموت؟ فإن كان نعم، فهذه هي الفائدة الكبيرة من الجمال (والحبّ)؟ الجمال يجعلنا مثل نسوة المدينة اللاتي قطعن أيديهن ولم يشعرن بالألم إذ رأينَ سيدنا يوسف عليه السلام، حتى عند مصيبة الموت والقهر. ولعل هناك تلميح لهذا في قول الله جل جلاله:

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِّلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ (الليل، ٩٢، ٥-٧).

فإننا نرى هنا أن الحب يعني العطاء، فالذي يُعطي وهو متقٍ لله جل جلاله ويصدق بالحسنى، فإنه سيُسّر لليُسْرَى. والله أعلم.

الحب والموت

المطلب الأول: موت " النفس الأمارة بالسوء "

ذكرنا سابقاً (في فصل "مراحل الحب" وفي فصل "طبيعة الحب") أن حبَّ الله ﷻ يؤدي بالتدرج - ولكن بالضرورة - إلى موت الذي يجب في محبوبه. وليس المقصود من هذا هو الموت الجسدي طبعاً وإنما المقصود هو الموت النفسي. وقد رأينا في قصة نسوة المدينة اللواتي قطعن أيديهن عند مشاهدة يوسف عليه السلام بداية عملية موت النفس في الحب. يقول الله ﷻ:

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿١٢﴾ (يوسف، ١٢: ٣١)

فالحب، أو الجمال الفئان، يُخرج الذي يُدركه من نفسه. ففي بداية الحب لا تؤدي هذه العملية إلى موت النفس، ولكن بعد فترة، عندما يشتدُّ الحب، لا بد للذي يُحب أن يموت لأننا رأينا في (فصل "الوقوع في الحب") أن جميع مكونات وملكات الذي يُحب تميل إلى المحبوب بحيث يتغيَّر الإنسان كلياً. فإذا تغيَّر الإنسان كلياً، وتغيَّرت نفسه "السابقة" كلياً، ماتت هذه النفس. والمقصود بهذا، بطبيعة الحال، ليس انتهاء النفس أو أن الإنسان يصبح بلا نفس، بل إن نفسه تفقد أُنانيته كلياً، بحيث يمكن لنا أن نعتبر أن نفسه "السابقة" قد ماتت.

أي نفس هي تموت؟ قد رأينا (في فصل "الوقوع في الحب") أنه يوجد "نفس" بشكل عام، بالإضافة إلى ثلاثة "أجزاء" أو "أنواع" من النفس،

وهي: " النفس الأمارة بالسوء " ، و " النفس اللوامة " ، و " النفس المطمئنة " .
 فنسذكر هنا قول الله ﷻ بالنسبة إلى " النفس الأمارة بالسوء " :

وَمَا أُنزِلُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾
 (يوسف، ١٢: ٥٣)

النفس الأمارة بالسوء هي التي تَحْتُ الإنسان على السوء. فهذه النفس تُسَوِّلُ له وتُطَوِّعُه لعمل الشرِّ. يقول الله ﷻ:

وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۗ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ (يوسف، ١٢: ١٨)

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۗ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ (يوسف، ١٢: ٨٣)

قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ۖ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ (طه، ٢٠: ٩٦)

فَطَوَّعَتْ لَهُ دُمْ نَفْسُهُ قَتَلَ أَخِيهِ فَفَقَتَلَهُ ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ (المائدة، ٥: ٣٠)

وبالتالي فهذه النفس مثل الشيطان " الَّذِي يُوسِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٤﴾ " (الناس، ١١٤: ٥) ، إن لم تكن هي " القَرِين " .

و " النفس الأمارة بالسوء " هي النفس التي تموت، و " النفس المطمئنة " هي النفس التي تبقى بعد هذا الموت، لأن الله ﷻ يقول:

يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٦٦﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ﴿٦٧﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٦٨﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّاتٍ ﴿٦٩﴾ (الفجر، ٨٩: ٢٧-٣٠)

" النفس المطمئنة " ، بعدما ترجع إلى الله ﷻ وتدخل الجنة، لا تسمع فيها أي شيء من " النفس الأمارة بالسوء " : فلا أمر بسوء، ولا تسويل، ولا محاولة لتطويعها، وحتى لا وسواس. بل تسمع في الجنة فقط سلاماً وتحية

السَّلَام. يقول الله ﷻ:

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيَمًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا قِيْلًا سَلْمًا سَلْمًا ﴿٢٥﴾ (الواقعة، ٢٥-٢٦)

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلْمًا ۖ وَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٢٦﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي

نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٢٦﴾ (مريم، ٦٢-٦٣)

وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ (يونس، ١٠-٢٥)

سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴿٢٥﴾ (س، ٣٦: ٥٨)

أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا حَيَّةً وَسَلْمًا ﴿٢٥﴾ (الفرقان، ٢٥: ٧٥)

دَعْوَانَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلْمٌ ۖ وَعَازِرٌ دَعْوَانَهُمْ أَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

أَعْلَمِينَ ﴿٢٥﴾ (يونس، ١٠: ١٠)

وبالتالي فعند رجوع "النفس المطمئنة" إلى ربها، فإن "النفس الأمارة بالسوء" تموت تلقائياً^{٣٤١} وربما نرى هذا في إسلام - وبالتالي انتهاء - القرنين. فقد قال رسول الله ﷺ:

«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ» قَالُوا: وَإِلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: «وإِلَيَّ إِلَّا أَنْ اللَّهُ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»^{٣٤٢}.

فلهذا بعد إسلام القرنين أو موت "النفس الأمارة بالسوء" يكون

٣٤١ وربما تكون هنالك إشارة إلى هذا في قول الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۖ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٠﴾ (الأعراف، ٧: ٤٠)

فرمما في "الجملة" إشارة إلى "النفس الأمارة بالسوء"، وفي الدخول في "سم الخياط" إشارة إلى الدخول إلى الجنة، وبالتالي إشارة إلى ضرورة موت الجملة وفناء قبل الدخول في "سم الخياط"، أي في الجنة، والله أعلم.

٣٤٢ رواه مسلم، رقم ٢٨١٤، كتاب صفة القيامة والجنة، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس.

المسلم كالرجل السليم الذي يستمع فقط لصوت واحد خيّر، ويكون ميتاً بالنسبة لهمزات الشر. يقول الله ﷻ:

صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَبِكُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿١٢﴾ (الزمر، ٢٩: ٣٠-)

وعلى أية حال، أشار الله ﷻ أن في قتل النفس السيئة أجراً عظيماً.

يقول الله ﷻ:

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ

وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثِيئًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تَأْتِنَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا

أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ

مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصّٰدِقِينَ وَالشّٰهِدَاءِ وَالصّٰلِحِينَ وَحَسُنَ

أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ (النساء، ٦٦-٧٠)

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِلَهُكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَنْفُسُكُمْ يَأْتِيَآذِكُمُ الْعِجَلُ فَتُؤْتُوا إِلَىٰ

بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التّٰوَّابُ

الرّٰحِيمُ ﴿٥٤﴾ (البقرة، ٥٤)

وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٣٦﴾ (آل عمران، ٣٠)

(١٤٣:

فلهذا يمكن لنا أيضاً أن نفهم أن الموت أثناء الجهاد في سبيل الله ﷻ هو

نوعان: الموت البدني، والموت النفسي. وربما نرى إشارة إلى الموت النفسي،

بالإضافة إلى الموت البدني، في الآيات التالية:

وَلَيْنِ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

وَلَيْنِ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ (آل عمران، ٣٠: ١٥٧-١٥٨)

وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً^٤ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ^٥ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ^٦ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٨﴾ (النساء: ٤٠٠)

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقْنَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٩﴾ لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ^٧ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ (الحج، ٥٨-٥٩)

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ^٨ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ لِحُبِّهِ^٩ مِمَّنْ مَن يَنْتَظِرُ^{١٠} وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٦١﴾ (الأحزاب، ٣٣: ٢٣)

أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا^{١١} وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^{١٢} ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ (التوبة، ٩: ٤١)

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ^{١٣} يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُحْتَلُونَ^{١٤} وَيُقْتَلُونَ^{١٥} وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ^{١٦} وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ^{١٧} مِنَ اللَّهِ^{١٨} فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمْ^{١٩} الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ^{٢٠} وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ (التوبة، ٩: ١١١)

فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ^{٢١} الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ^{٢٢} وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقَاتِلْ أَوْ يَغْلِبْ^{٢٣} فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٤﴾ (النساء، ٤: ٧٤)

فالموت النفسي في سبيل الله هو غاية الجهاد ضد النفس، كما أن الموت البدني في سبيل الله يحصل في الجهاد ضد العدو. فذلك قال رسول الله ﷺ:

«تحفة المؤمن الموت»^{٣٤٣}.

وقال رسول الله ﷺ:

٣٤٣ رواه الحاكم، المستدرک، ٤/ ٣٥٥.



المطلب الثاني: موت " النفس الأمارة بالسوء " من خلال حبّ الله ﷻ

وقد رأينا آنفاً أن " النفس الأمارة بالسوء " تموت في سبيل الله ﷻ، كما رأينا علاقة الحبّ في هذا الموت. وقد رأينا سابقاً (في فصل " أنواع الحب ") أن الولاية نوع من أنواع الحب. وبين الله ﷻ أن الولي هو الذي يتمنى الموت. يقول الله ﷻ:

قُلْ يَتَابِعُوا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ رَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنُّوا أَلَمَوْتِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٢﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾

(الجمعة، ٦٢: ٧-٦)

وقال الله ﷻ أيضاً:

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنُّوا أَلَمَوْتِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾

(البقرة، ٩٤: ٩٥-٩٥)

فأولياء الله ﷻ يُحبونه، ومن حبهم له ﷻ يَتَمَنون الموت، وتموت نفوسهم " الأمارة بالسوء " فيكونون بعد ذلك آمنين. يقول الله ﷻ:

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٠٠﴾ (يونس، ١٠٠: ٦٢)

وبعد ذلك يكونون بإذن الله مثل رسول الله ﷺ في حُبهم المُخلص

لله ﷻ عبر الحياة والموت:

قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنْ

٣٤٤ رواه البخاري، برقم ٦٤١٦، كتاب الرقاق، باب قول النبي كن في الدنيا كأنك غريب.

الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦﴾ قُلْ إِنْ صَلَّاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ^ط وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٨﴾ (الأعام، ٦: ١٦٦-١٦٣)

وهذه الحالة - أو حالة قريبة منها - هي حالة جميع الذين يحبون الله ﷻ حباً صادقاً ويتبعون مرضاة الله ﷻ لدرجة أنهم مستعدون استعداداً كاملاً للشهادة في سبيله من شدة حبهم لله ﷻ. وكانت هذه الحالة هي حالة سيدنا علي كرم الله وجهه إذ أخذ مكان رسول الله ﷺ في سريره عند محاولة الكفار اغتيال رسول الله ﷺ، كما هو مشار إليه في الآية الكريمة التالية حسب بعض التفاسير:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ^ط وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعَبَادِ ﴿٢٠٧﴾ (البقرة، ٢: ٢٠٧)

قال الفخر الرازي: "في سبب النزول روايات ... والرواية الثالثة: نزلت في علي بن أبي طالب، بات على فراش رسول الله ﷺ ليلة خروجه إلى الغار" ٣٤٥.

المطلب الثالث: عذاب النفس التي تُحب ولا تموت بالله ﷻ

كل ما ذكرناه آنفاً صحيح بالنسبة للذين يُحبون الله ﷻ. أما بالنسبة للذين يُحبون غير الله ﷻ، فما مصيرهم إذا اشتد الحب؟ هل يموتون؟، وكيف تموت نفوسهم "الأماراة بالسوء" إذا كان حبهم لزنى أو شرك؟ يقول الله ﷻ:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

٣٤٥ الفخر الرازي، التفسير الكبير، ٢/ ٣٥٠.

بَيْنَ اللَّهِ ﷻ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَالْعَظِيمَةِ أَنَّ الَّذِينَ يَصَلُونَ فِي حَبِّ
غَيْرِ اللَّهِ إِلَى دَرَجَةِ الْحَبِّ الَّتِي لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِلَّهِ ﷻ فَقَطْ ("نُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ")
لَا تَمُوتُ نَفُوسُهُمْ كَالَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ ﷻ، وَلَكِنْ يُصِيبُهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ("وَأَنَّ
اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ"). أَمَا بِالنِّسْبَةِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ ﷻ، فَحُبُّهُمْ أَشَدُّ مِنْ
ذَلِكَ، وَبِمَا أَنَّ اللَّهَ ﷻ لَهُ "الْقُوَّةُ" "جَمِيعًا"، فَإِنَّهُمْ يَمُوتُونَ، ثُمَّ يُحْيَوْنَ بِاللَّهِ
كَمَا سَنَرَى فِيمَا يَلِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

المطلب الرابع: الحياة بالله ﷻ بعد موت النفس

من المعروف أن كل إنسان سيذوق الموت. يقول الله ﷻ:

إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ (الزمر، ٣٩: ٣٠)

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ
وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٣١﴾ (آل عمران، ٣٠: ١٨٥)

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٢﴾ (الأنبياء، ٢١: ٣٥)

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ (المنكوت، ٢٩: ٥٧)

أَيَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسْتَوِيَةٍ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا
هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ (النساء، ٤: ٧٨)

ولكن "ذوق الموت" يختلف من شخص لآخر. بالنسبة للذين ماتت
أنفسهم "الأمانة بالسوء" الموت النفسي، من قبل فهؤلاء يموتون وهم
"طيبون" ثم يدخلون الجنة. يقول الله ﷻ:

الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ

تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ (النحل، ١٦: ٣٢)

ربما تكون كلمة "طَيِّبِينَ" إشارة لطيفة بالإضافة إلى معناها "طاهرين من الكفر"^{٣٤٦}. فكلمة "طَيِّب" تعني أيضاً "حَي"، وفي هذه الحالة يكون بالضرورة الموت المذكور في الآية أعلاه هو موت "النفس الأمارة بالسوء". لكن كيف يدخل الجنة الإنسان الذي ماتت نفسه "الأمارة بالسوء" ولم يمُت جسدياً؟

نعلم أن الرسول ﷺ دخل الجنة وهو حي جسدياً في ليلة المعراج. ونعلم أيضاً أن بلالاً ﷺ كان في الجنة - أو على الأقل كانت روحه في الجنة - وجسده حي يرزق في الدنيا. قال رسول الله ﷺ:

«يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ فَإِنِّي سَمِعْتُ ذَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ» قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَنْطَهِّرْ طَهُورًا فِي سَاعَةٍ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كَتَبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ^{٣٤٧}.

ونعلم أيضاً أن سائر العباد الذين يتقربون إلى الله بالنوافل يُمكن لهم أن يُحَقِّقُوا ما هو أعظم من الجنة. فإله ﷻ يقول في الحديث القدسي:

«(من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش

^{٣٤٦} جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ص ٣٤٩.

^{٣٤٧} رواه البخاري، رقم ١١٤٩، كتاب الجمعة، باب فضل الطهور بالليل والنهار وفضل الصلاة بعد الوضوء.

بها^{٣٤٨} ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته^{٣٤٩}.

ونعلم أيضاً أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان "ميتاً" فأحياه الله تعالى وجعل له نوراً يمشي بالناس. يقول الله تعالى:

أَوْمَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ (الأنعام، ٦: ١١٢:)

ويقول ابن كثير في تفسيره، عن هذه الآية: "وزعم بعضهم أن المراد بهذا المثل رجلان معينان، فقيل: عمر بن الخطاب هو الذي كان ميتاً فأحياه الله، وجعل له نوراً يمشي به في الناس"^{٣٥٠}.

وواضح من هذا كله أنه يمكن للولي - بإذن الله تعالى - أن يكون حياً بالله بعد موت نفسه "الأمارة بالسوء"، وبالتالي أن يدخل الجنة وجسده ما زال حياً يرزق في هذه الدنيا. ففي الحبّ موت في الله، وفي الحبّ حياة في الله بعد الموت في الله. يقول الله تعالى:

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١١٤﴾ (البقرة، ٢: ١١٤:)

٣٤٨ وهذه الحالة في طبيعة الحال، كانت حالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من أي مؤمن آخر، وربما نرى إشارة إلى ذلك في الآية الكريمة (التي نزلت تتحدث عن معركة بدر):

فَلَمَّ تَقَاتَلُوهُمْ وَلَئِكَ أَلَّفَهُمَّ اللَّهُ فَقَاتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَئِكَ أَلَّفَهُ تَمِيمٌ ۚ وَتَمِيمٌ أَلَّفَهُ بِلَالٌ ۚ وَبِلَالٌ أَلَّفَهُ بِيْرٌ ۚ وَمِنهُ بَلَاءٌ حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧٠﴾ (الأنفال، ٨: ١٧٠:)

٣٤٩ رواه البخاري، رقم ٦٥٠٢، كتاب الرقاق، باب التواضع.

٣٥٠ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص ٧١٨، ولكن يقول ابن كثير أيضاً إن هذا الوصف القرآني ينطبق على كل مؤمن حقيقي كان كافراً في السابق.

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿٣١﴾ (آل عمران، ٣٠١)

(١٦٩:

وكذلك يقول الله ﷻ إن هناك "خُلُقًا جديدًا" بعد الفقر (وبالتالي موت "النفس الأمارة بالسوء") إلى الله ﷻ (وهو "الْعَفِيُّ الْحَمِيدُ" وبالتالي فهو المحبوب):

﴿يَتَأَيُّبُ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْعَفِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٣١﴾﴾ (٣١) إِنَّ يَشَاءُ يَذْهَبَكُمْ

وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٣٣﴾ (فاطر، ٣٥: ١٥-١٧) ٣٥١

فحتى لو لم يُدرکه الإنسان، فإن نهاية الحب هو الموت في الله ثم الحياة في الله والجنة^{٣٥٢}، حتى أثناء الحياة الدنيا. وهذا "الفناء" و"البقاء" في الله هو أيضاً غاية الحب، وربما غاية الحياة كلها. فلهذا أمر الله ﷻ الرسول ﷺ أن تكون حياته ومماته وكُله لله. يقول الله ﷻ:

قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ

أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٤﴾ قُلْ أَعْيَبَ اللَّهُ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۗ وَلَا تَكْسِبُ

كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَاجِزًا ۗ وَلَا تَرَوْا وَازِرَةً وَرَرَ أَحْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا

كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٣٥﴾ (الأنعام، ٦: ١٦٢-١٦٤)

فلهذا أيضاً، يدعوننا الله ﷻ لِمَا يُحْيِينَا، ويُدَكِّرُنَا بأنه هو الذي يحول بيننا وبين قلوبنا:

٣٥١ ويشير الله ﷻ إلى هذا "الخلق الجديد" في قوله ﷻ:

أَفَعْيَبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٣٥﴾ (ق، ٥٠: ١٥)

٣٥٢ ويمكن لنا أن نفهم ذلك أيضاً من الآية الكريمة التالية:

مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ ۗ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٦﴾

(النحل، ١٦: ٩٦)

انظر أيضاً إلى: هود، ١١؛ الكهف، ١٨؛ طه، ٤٨؛ طه، ٢٠؛ طه، ٧٣؛ طه، ٢٠؛ القصص، ٢٨.

٦٠؛ القصص، ٢٨؛ الأعلى، ٨٧؛ ١٧.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۚ وَاعْلَمُوا أَن
اللَّهُ سَخُولٌ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ۚ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ (الأَنْفَالُ، ٨: ٢٤)

فالدعوة إلى الحياة الحقيقية هي دعوة إلى الله ﷻ عن طريق موت
"النفس الأمارة بالسوء" من خلال حبّ الله ﷻ.

اللقاء والرضوان

يوجد في الزواج الطبيعي بين الرجل والمرأة نوعان من اللقاء هما:
النظر والمعية^{٣٥٣}.

يقول الله ﷻ:

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَرَىٰ لَكُمْ هُمٌّ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ
بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٥٣﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا
يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمْرَهُنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ
بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَاءِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ
عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا
إِنَّهُ أَلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٣٥٤﴾ (النور، ٢٤-٣٠-٣١)

وقال رسول الله ﷺ:

«انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»^{٣٥٤}.

ومن هنا يتبين أن في الزواج الطبيعي نوعين عظيمين من اللقاء - وهما
النظر إلى المحبوب، والمعية (وجوهر المعية الزوجية هو الفعل الزوجي) -
وهما أمران مهمان جداً وسراً ويشكلان أساس الزواج.

٣٥٣ وفي طبيعة الحال الجماع هو أمر أساسي في المعية الزوجية.

٣٥٤ رواه الترمذي وحسنه برقم (١٠٨٧) في كتاب النكاح، باب ما جاء في النظر إلى
المخطوبة.



وأنه يوجد للعبد في الجنة نوعان عظيمان من اللقاء مع الله ﷻ:

(أ) النوع الأول هو: النظر إلى الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ (القيامة، ٧٥: ٢٢-٢٣)

(ب) أما بالنسبة للنوع الثاني، فقد ذكرناه سابقاً (في فصل "حب الله للناس" وفي فصل "مراحل الحب") أنه يوجد بين الله والعبد "معية عامة" و"معية خاصة" (و"معية خاصة جداً"). وبالنسبة "للمعوية الخاصة"، ذكر الله ﷻ أنه مع المؤمنين. يقول الله ﷻ:

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتِكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ (الأنفال، ١٩)

ولكن لم يذكر الله ﷻ ولا مرة واحدة في كل القرآن الكريم أن المؤمنين - أو حتى رسول الله ﷺ - مع الله ﷻ. بل أعظم نعمة ذكرها الله ﷻ في الجنة هي نعمة "الرضوان". يقول الله ﷻ:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

﴿٢٢﴾ (التوبة، ٩: ٢٢) ٣٥٥.

٣٥٥ انظر أيضاً إلى: آل عمران، ٣: ١٥؛ آل عمران، ٣: ١٦٢؛ آل عمران، ٣: ١٧٤؛ المائدة، ٥:

٢؛ المائدة، ٥: ١٦؛ التوبة، ٩: ٢١؛ التوبة، ٩: ١٠٩؛ محمد، ٤٧: ٢٨؛ الفتح، ٤٨: ٢٩؛

الحديد، ٥٧: ٢٠؛ الحديد، ٥٧: ٢٧؛ الحشر، ٥٩: ٨.

فَقَوْلُهُ ﷺ " **وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ** " وصفه الله ﷺ بأنه " **أَكْبَرُ** " ، ويُفهم من ذلك أن رضوان الله أكبر من أي شيء آخر، وبالتالي فإن رضوان الله نوع من المعية مع الله في الجنة، لأنه لا شيء أكبر من المعية مع الله. وأكد هذا رسول الله ﷺ في الحديث التالي:

«إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَىٰ يَا رَبُّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ نُعْطِ أَحَدًا مِّنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبُّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْحَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»^{٣٥٦}.

ف"الرضوان" من "الرضا" - وبالتالي من الحب - ولكنه أعظم من الرضا. والله ﷻ يُحِلُّ على عبده "الرضوان"، فهو نهاية الآخرة التي لا نهاية لها، وهو نهاية الحب الذي لا ينتهي، ولا يمكن لنا أن نقول أكثر من هذا، والله أعلم.



في الفصل السابق ("الحب والموت") ذكرنا أن الولي قد يدخل الجنة في حياته، مثل رسول الله ﷺ في المعراج. فهل ينظر الولي إلى الله ﷻ في الدنيا؟ إذ الأبصار لا تُدرك الله ﷻ:

لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿٢٥٦﴾ (الأنعام: ١٠٣)

وحتى الرُّسُل لا يرون الله ﷻ بأعينهم. يقول الله ﷻ:

٣٥٦ رواه البخاري، رقم ٦٥٤٩، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار. ومسلم، رقم ٢٨٢٩، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة.

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنِ
 أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ
 دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ

(الأعراف، ٧: ١٤٣)

لكن الفؤاد يرى آيات الله الكبرى. يقول الله ﷻ:

مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۚ (النجم، ٥٣: ١١)

مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۚ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (النجم، ٥٣: ١٧-١٨)

وبما أن هذا حصل في حياة الرسول ﷺ الدنيوية، يمكن لنا أن نستنبط
 أن فؤاد الولي قد يرى في حياته الدنيوية آيات الله ﷻ.

أما بالنسبة للرضوان، فهل يُحِلُّ اللهُ ﷻ رضوانه على الإنسان وهو
 حي؟ الجواب هو أننا لا نعلم ذلك، ولكن نعلم أن الله ﷻ قد يُؤْتِي عبده في
 حياته الدنيوية "رحمة من عنده" وقد يُعَلِّمُهُ "من لدنه علماً". يقول الله ﷻ:

فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا (الكهف، ١٨)

(٦٥:

وإضافة إلى ذلك، فإن الله ﷻ يُنْزِلُ الرُّوحَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ.

يقول الله ﷻ:

يُنْزِلُ الْمَلٰٓئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ أَنْ أَنْذِرُوٓا أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا

أَنَا فَاتَّقُونِ (الحل، ١٦: ٢)

رَفِيعَ الدَّرَجٰتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ

الْتَّلَاقِ (غافر، ٤٠: ١٥)

فلنستمع إلى قول يعقوب عليه السلام، أن لا نياس من روح الله ﷻ أبداً.

يقول الله ﷻ:

يَنْبِيَّ أَذْهِبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ

رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ (يوسف، ١٢: ٤٧)

ويقول الله ﷻ:

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾ (الرحمن، ٥٥: ٤٦)

وقال ابن عربي في تفسيره (وقيل إنه تفسير عبد الرزاق القاشاني في

الحقيقة) لهذه الآية الكريمة:

"﴿جَنَّاتٍ﴾ إحداهما جنة النفس والثانية جنة القلب" ^{٣٥٧}.

فربما يكون في هذه الآية إشارة أيضاً إلى نوعين من اللقاء مع الرب

وهما النظر إلى الله ﷻ في الآخرة، و"المعية الخاصة" مع الله ﷻ في الآخرة،

والله أعلم.



٣٨. الباب الخامس؛ الفصل السادس:

المقصود الحقيقي وراء كل حب

قد رأينا سابقاً (في فصل " الكون والحب ") أن كل شيء يُحب الله ﷻ حباً طبيعياً فطرياً، باستثناء الكافرين والمنافقين والظالمين. ويجب أن نضيف إلى ذلك أن الإنسان في كل ما يسعى إليه فإنه يقصد الله ﷻ في الحقيقة، حتى ولو لم يُدرك هذا، وهذا صحيح حتى عند الكافرين والمنافقين والظالمين. ونرى هذا حتى في جذور الكُفر والنفاق والظلم، وذلك في وعد الشيطان الباطل لآدم ﷺ، ليُغيره. يقول الله ﷻ:

فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴿٢٠٠﴾

(طه: ٢٠٠)

" البقاء " هو الله ﷻ، و" المُلْك الذي لا يَبْلَى " هو له أيضاً. والشيطان وَعَدَ آدَمَ ﷺ أن يَدُلَّهُ عليهما، فآدم ﷺ عندما استجاب للشيطان، كان يقصد أن يَدُلَّهُ الشيطان كيف له أن يَتَحَلَّى بصفات ومُلْك الله ﷻ. ففي هذا كان يقصد آدم ﷺ ما ينبغي لله ﷻ فقط. فخطؤه أنه كان يريد أن يشارك الله ﷻ فيما عنده، أو أن يكون عنده مثل ما عند الله ﷻ. لكن في كلتا الحالتين، كان آدم ﷺ يُريد الله ﷻ في نهاية المطاف، لأنه كان يُريد صفاته، والذي يُريد الصفات يُريد ذات الصفات من غير أن يُدرك ذلك. وبالفعل لم يكن آدم ﷺ يُريد شيئاً سوى صفات الله ﷻ.

ويقول الله ﷻ:

رُزِيَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ ﴿١٤﴾

(آل عمران: ١٤)

من خلال حبّ شهوة النساء والبنين والقناطير المنقطرة والذهب والفضة والخيل والأنعام والحراث، يُريد الإنسان الجمال والعز والغنى والقوة والرزق. وهذه الأشياء كلها تأتي أصلاً من الله ﷻ، وتعكس صفاته وأسماءه الحسنى. فالذي يُريدها لا يُريد شيئاً خارج صفات الله ﷻ وأفعاله، ولو أخطأ في تفضيل حبها لذاتها على حبّ الله ﷻ وحبّ الإيمان وما أمر به الله ﷻ. ويقول الله ﷻ:

وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ (النمل، ٢٤: ٢٤)

فملكة سبأ كانت بسجودها للشمس من دون الله ﷻ تبحث في الحقيقة عن الله ﷻ، ولكنها كانت تظن أن الشمس هي الله. وهذا كله واضح في قصة إبراهيم عليه السلام إذ كان يُرشد عقول قومه إلى الله ﷻ، أولاً في الكوكب، ثم في القمر، ثم في الشمس، ثم عرفهم أن الله ﷻ هو الذي خلق السماوات والأرض وانه ليس كوكباً ولا قمراً ولا شمساً، ليكونوا من المهتدين. يقول الله ﷻ:

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكَوْكَبَ ۖ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٢٥﴾
فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٢٦﴾
فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ
قَالَ يَنْقُومُ رَبِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٢٧﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢٨﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۖ قَالَ أَتُحْجُونَنِي فِي
اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي ۖ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ ۚ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ
شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٩﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ
أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۚ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِنْ كُنْتُمْ

تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ اُولَٰئِكَ لَهُمُ الْاَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ (الأنعام، ٦: ٧٦-٨٢)

فكل ما يريده الإنسان في الحقيقة هو الله ﷻ وصفاته وأسماءه الحسنى وأفعاله، لكن لا يدرك ذلك لأنه يرى، من جهله، ظاهر الأمور فقط، وهذا وضع لا يكفي عند الله ﷻ . يقول الله ﷻ:

يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غٰفِلُونَ ﴿٣٠﴾ (الروم، ٣٠: ٧)

فَاَعْرَضَ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ اِلَّا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا ﴿٣١﴾ ذٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ اِنَّ رَبَّكَ هُوَ اَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيْلِهِ وَهُوَ اَعْلَمُ بِمَن اَهْتَدٰى ﴿٣٢﴾ (النجم، ٥٣: ٢٩-٣٠)

وَمَا يَتَّبِعْ اَكْثَرُهُمْ اِلَّا ظَنًّا اِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِّنَ الْحَقِّ شَيْئًا اِنَّ اللهَ عَلِيْمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٣﴾ (يونس، ١٠: ٣٦)

والمدهش في هذا كله هو كيف أن الإنسان لا يعلم أنه يريد الله ﷻ وصفاته في كل واحدة من رغباته: فما الذي يستطيع أن يحجب الله ﷻ؟ يقول الله ﷻ:

يَتَّبِعُ الْاِنْسَانُ مَا عَمَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيْمِ ﴿٤١﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٤٢﴾ فِيْ اٰيٍ صُوْرَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٤٣﴾ (الانفطار، ٨٢: ٦-٨)

الجواب هو أن لا شيء يستطيع أن يحجب الله ﷻ، ولكن ذنوب الإنسان تحجب الإنسان عن الله ﷻ. يقول الله ﷻ:

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوْبِهِمْ مَّا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ ﴿٤٤﴾ (الطغفين، ٨٣: ١٤)

ويقول الله ﷻ:

وَقَضٰى رَبُّكَ اَلَّا تَعْبُدُوْا اِلَّا اِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ اِحْسٰنًا اِمَّا يَبْتَغِىَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ اٰحَدُهُمَا اَوْ كِلٰهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا اَفٍّ وَّلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيْمًا ﴿٢٣﴾ (الإسراء، ١٧: ٢٣)

ويقول ابن عجيبة في تفسير هذه الآية:

"قلت: (قضى)، هنا، بمعنى حَكَمَ وأوجب وأمر، لا بمعنى القضاء، إذ لو كان كذلك لما عُبد غير الله" ٣٥٨.

فأثار ابن عجيبة هنا نقطة مهمة وهي معنى كلمة "قَصَى": فحسب تفسيره يكون معنى كلمة "قَصَى" هنا يُخالف معناها الطبيعي، لأنه اعتبر جملة "وَقَصَى رُبُّكَ" "أمراً تكليفاً"، لأنه يرى أن اعتبار هذه الجملة "أمراً تكوينياً" مستحيل، فيقول: "إذ لو كان كذلك لما عُبد غير الله".
ويقول الله ﷻ:

إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ
إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ لَكَذِبُونَ ﴿٦٣﴾ (المنافقون، ٦٣: ١)

فقول المنافقين في هذه الآية الكريمة (إن محمداً ﷺ هو رسول الله) صحيحٌ بجد ذاته، ولكن الله ﷻ حَكَمَ عليه بأنه كذبٌ منهم، وذلك لأنهم قالوه بنية كاذبة. قال الله ﷻ:
... يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ... (الفتح، ٤٨: ١١)

وقال الرسول ﷺ:

«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى...» ٣٥٩.

فلهذا هل يجوز لنا هنا أن نعتبر الجملة الكريمة "وَقَصَى رُبُّكَ" "أمراً تكوينياً"، وليس "أمراً تكليفاً"، عكس ما قاله ابن عجيبة؟ أي بمعنى آخر، هل يجوز لنا أن نعتبر أنه يوجد في الآية الكريمة (الإسراء، ١٧: ٢٣) إشارة إلى أن المقصود الحقيقي وراء كل حبٍّ هو الله ﷻ وحده؟ ففي هذه الحالة يكون

٣٥٨ أبو العباس أحمد بن محمد بن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ص ١٩٢، مجلد رقم ٣.

٣٥٩ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، رقم ١؛ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم ٥٠٣٠.

المشركون لا يقصدون في شركهم إلا الشرك وليس عبادة الله ﷻ - لذلك تبقى عبادتهم شركاً - ولكن يكون الله ﷻ وصفاته وراء مقصودهم من غير أن يدركوا ذلك، والله أعلم. فعلياً هذا هو المعنى اللغوي لـ "قَصَى". ويقول الله ﷻ:

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (يونس: ١٠٠)

وجاء في تفسير الجلالين:

"﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ عبداً وملكاً وخلقاً ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره أصناماً ﴿شُرَكَاءَ﴾ له على الحقيقة، تعالى عن ذلك ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾ أي ظنهم أنها آلهة تشفع لهم ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في ذلك "٣٦٠".

ولذلك فشركاء المشركين ليس لديهم أية حقيقة أو أي وجود أصلاً - ولهذا فإن عبادتهم لم تكن إلا الظن - وبالتالي فعبادتهم بالضرورة عبادة شيء مختلف بالحقيقة عما يظنون. وكل من في السماوات والأرض هو الله ﷻ، فهذا يعني أن الشيء الذي يعبده المشركون في الحقيقة هو إما الله ﷻ - وبطبيعة الحال فإن الله ﷻ "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" (الشورى: ٤٢: ١١) - أو لله ﷻ، وبالتالي صفاته أو أفعال صفاته.

ويقول الله ﷻ:

﴿إِنَّ الْمُتَدَفِّقِينَ يَتَّخِذُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيدُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالاً يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ (النساء: ٤٤: ١٤٢)

فرمبا تكون إشارة أخرى هنا لهذه الفكرة في قوله " **وَهُوَ خَدِيعُهُمْ** "،
والله أعلم.

وعلى أية حال، فالله ﷻ هو المقصود الحقيقي وراء كل حبّ - سواء
أدرك الإنسان ذلك أم لم يُدرکه - كيف لا و:

هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (الحديد، ٥٧: ٣)

وكيف لا يكون الله ﷻ المقصود الحقيقي وراء كل حب، وهو ﷻ
يقول:

وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَؤُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (البقرة، ٢: ١١٥)

ورمبا هذا يكون سر من أسرار قوله ﷻ:

**وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ
عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ**

الَّتَوَّابُ الرَّحِيمُ (التوبة، ٩: ١١٨)

أي بمعنى آخر، أن الله هو المقصود الحقيقي وراء كل حب، فلا ملجأ
منه بتاتاً إلا إليه، وبالتالي لا ملجأ من حبه بلا إدراك وقصد إلا إلى حبه مع
إدراك وقصد، والله أعلم.

الحب في القرآن الكريم
باب خاتمة الرسالة

٣٩. خاتمة واستنتاج

وفي الختام نقول: الله ﷻ هو الرحمن الرحيم والودود، خلقَ العالم من الرحمة ومن الحبِّ، وجعل الجمال في كل ما خلقه، والله ﷻ يحب جماله من خلال الكون الذي خلق فيه الجمال. وبالحب يعود الإنسان بالصراف المستقيم إلى الله ﷻ؛ وبالحب أيضاً - ولكن بحبٍ أدنى وأسفل - يأخذ الإنسان الطريق إلى النار. فالله ﷻ يقول: **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴿٩٠﴾ (البقرة: ٩٠). فلإنسان خيار بين الحبِّ الأسمى والحبِّ الأدنى وبين الحبِّ الذي يؤدي إلى الله وإلى الجنة وبين الحبِّ الذي يؤدي إلى العذاب والنار، **فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ** ﴿٢٦﴾ (التكوير: ٢٦)؟
فلذلك قال رسول الله ﷺ:

«أوثق عرى الإيمان الحبُّ في الله والبغض في الله»^{٣٦١}.

وكذلك قال ﷺ:

«من أحبَّ الله وأبغضَ الله وأعطى الله ومنعَ الله فقد استكمل الإيمان»^{٣٦٢}.

وقال ﷺ أيضاً:

«وهل الدين إلا الحبُّ والبغض؟ قال الله ﷻ: " **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ**

فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ (آل عمران، ٣: ٣١) »^{٣٦٣}.

فعلينا أن نختار حبَّ الله ورجاءه في هذه الدنيا وفي الآخرة على حبِّ

٣٦١ رواه أبو داود الطيالسي في مسنده، ص ١٠١، من حديث البراء بن عازب مرفوعاً، وهو حديث حسن.

٣٦٢ رواه أبو داود، كتاب السنة، رقم ٤٦٨١، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه.

٣٦٣ رواه الحاكم، ٢/٣١٩، من حديث السيدة عائشة مرفوعاً وقال: صحيح الإسناد.

الهُوى والشهوات. يقول الله ﷻ:

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ
عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧٠﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٧١﴾ إِنَّ
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ
فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٧٢﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّاتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۖ وَآخِرُ
دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٣﴾ (يونس، ١٠: ٧٠-٧٣)



الحب في القرآن الكريم
٤٠. ملخص الفصول

(ملخص النقاط الرئيسية للحب في القرآن الكريم للتدريس والنقاش)

المقدمة

سيرّ الحبّ

✽ إنّ معظم نشاط وجهود الحياة هو في طلبٍ للحب من غير أن ندرك ماذا نعمل، ولمّ.

تعريف الحب

✽ الحبّ "ميل، من بعد الإعجاب، إلى الحُسن".
✽ حبّ الله ﷻ هو: أولاً، أنه أعطى الوجود لكل مخلوق وأفضال كثيرة أخرى (من بينها الجمال بأنواعه المختلفة)، وثانياً حبّ الجمال.

الحب الإلهي

الله ﷻ والحب

✽ الودود من أسماء الله ﷻ وليس فقط من أفعاله.
✽ لا يمكن فصل حبّ الله عن رحمته ﷻ ... فالحب يأتي مع الرحمة، والرحمة تأتي مع الحب.
✽ الرحمة الإلهية تأتي من الذات الإلهية.
✽ الحبّ الإلهي والرحمة الإلهية من الذات الإلهية.
✽ الحبّ مفهوم ضمناً مرتين - بالإضافة إلى ذكر الرحمة الإلهية مرتين - في بداية كل سورة من سور القرآن باستثناء سورة التوبة (والتي عوضت في سورة النمل).

الحب أصل الخلق

❁ خلق الله ﷻ الإنسان من رحمته.

❁ خلق الله ﷻ الإنسان لرحمته ﷻ.

❁ خلق الله ﷻ العالم والإنسان من الرحمة ومن أجلها ... هذا يعني أن الله ﷻ خلق العالم والإنسان من الحب ومن أجل الحب أيضاً.

الكون والحب

❁ كل ما في السماوات وما في الأرض يسبح بحمد الله تسيحاً وحمداً فطرياً، والحمد يطلب الحب.

❁ الكون كله يحب الله ﷻ.

❁ في كل الخلق، وبين جميع المخلوقات، فقط الإنسان العاصي لا يحب الله ﷻ في نفسه العاصية لكن كل أجزائه المُسَبَّحة تحمد الله ﷻ وبالتالي تحبه.

❁ الله يحب كل شيء خلقه (باستثناء الكافرين والظالمين والمشركين والمنافقين) قبل وأكثر مما تحبه مخلوقاته.

حب الله ﷻ للناس

❁ فَضَّلُ اللهُ الكَبيْرُ ﷻ على الإنسان هو نتيجة حبِّ الله ﷻ للإنسان بشكل عام.

❁ اللهُ ﷻ يحبُّ الذين يتحلَّون بالنفوس الجميلة بدرجات معينة.

❁ فالله ﷻ يحب من كانت نفسه جميلة وبحسب درجة جمال نفسه.

❁ رحمته وسعت كل شيء وعطاء الله ﷻ الكريم يصل إلى كل شيء بعرضٍ النظر عن هل تستحق ذلك أم لا، هبة منه ﷻ بلا مقابل.

حب الله ﷻ لرسله وأنبيائه

❁ فضل الله ﷻ أنبياءه ورسله على كل الخلق، والله ﷻ فضل رسله على أنبيائه، والله يحب أولي العزم من الرسل - وهم خمسة (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام) وسيدنا محمد ﷺ هو "حبيب الله".

الذين لا يحبهم الله ﷻ

❁ الله ﷻ لم يذكر مرة واحدة في القرآن الكريم أنه يكره أحداً، أو حتى أنه يكره أي صنف من الكافرين. الله ﷻ يكره فقط العامل السيء، أو شره. وأقرب ما يصل إلى كرهه الله ﷻ هو فعل معين سيء.

حب الرسول ﷺ

حب الرسول لله ﷻ

❁ فاق حبّ رسول الله ﷺ لله ﷻ كل العواطف ... فكان غارقاً تماماً في بحر حبّ الله ﷻ ... الله ﷻ حبيب رسوله.

حب الرسول ﷺ للمؤمنين

❁ كاد رسول الله ﷺ أن يهلك نفسه الشريفة همماً على الناس ... وكان رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين ... وكان الرسول ﷺ يحنُّ على المؤمنين لدرجة أنه كان يستحيي منهم ... وكان رسول الله ﷺ يحب المؤمنين خاصة والناس جميعاً عامة حباً عظيماً.

حب الإنسان

حب الإنسان لله ﷻ

❁ ومن صفات الله ﷻ الجمال المطلق، والرحمة المطلقة، والكرم المطلق؛ وقد أنعم الله على الإنسان ينعم لا تُعدّ ولا تُحصى؛ والله يجيب دعاء الإنسان. فكيف لا يجب الإنسانُ الله ﷻ؟

❁ حبّ الإنسان لله ﷻ يبدأ كعاطفة، ومن خلال اتّباع الرسول ﷺ بالعمل الصالح وبالخلق الفاضل يُصبح حاله كياناً لنفس المؤمن ... ويصبح هذا الحبّ أشدّ وأقوى من أي حبّ دنيوي آخر، وأشدّ وأقوى من أي حبّ يمكن لغير المؤمن أن يشعره أو حتى يتخيّله.

❁ حبّ الله ﷻ يوجب حبّ ما يؤدي إلى الله ﷻ أيضاً.

حبّ المؤمن للرسول ﷺ

❁ فهم وحبّ الرسول ﷺ هما الخطوة الأولى لفهم وحبّ الفضائل والخلق الحسن لأن الرسول ﷺ كان يجسّد الإحسان ومكارم الأخلاق، وفهم وحبّ الفضائل هما الخطوة الأولى لممارسة الفضائل والتحلي بمكارم الأخلاق والخلق الحسن.

❁ عاطفة حبّ المؤمن لرسول الله ﷺ بذاته قد لا يكون كافياً ... يجب أن يصلّي على النبي ﷺ أيضاً.

حبّ قربي الرسول ﷺ وأهل بيته الأطهار

❁ حبّ أهل بيت رسول الله ﷺ وقرابته حسب درجة قربانهم إليه ﷺ واجب. هذا الحبّ لذوي قربي رسول الله ﷺ واجب على كل من يجب رسول الله ﷺ، وبالتالي هو واجب على كل من يجب الله ﷻ.

أثر حبّ الله ﷻ على الإنسان

❁ الذين يُحبهم الله ﷻ ويحبونه هم المؤمنون الأبرار الذين يتواضعون

ويتذللون للمؤمنين ويعتزون بإيمانهم أمام الكافرين، ويجاهدون جهاداً مستمراً ضد النفس بإخلاص ولا يلتفتون إلى ما دون الله ﷻ. وبالإمكان أن نعرفهم من خلال هذه الصفات لأن الله ﷻ قال: "... **سَيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ** ...".

الحب العائلي

✽ الله ﷻ جعل حباً طبيعياً مشروعاً ومحموداً بين الإنسان وعائلته - وجعل هذا الحبّ حسب درجة القُرب - ولكنه ﷻ أكّد على أنه يجب أن يبقى حبّ الإنسان لربه أكثر وأقوى من كل الحبّ العائلي.

حب الآخرين (الناس جميعاً، وأهل الكتاب، والمؤمنين، والأصدقاء)

✽ الله ﷻ جعل حقوقاً لكل بني آدم، وفرض احترام الآخرين، وعدم الاعتداء عليهم، والقسط، والرحمة، والتعاطف والمغفرة، والصفح، وعدم البُغض، وحتى أن نحسين عند الإساءة إلينا وأن ندفع بالتي هي أحسن مع أيّ كان مهما كانت ديانتها (وحتى إن لم يكن له دين)، طالما لم يكن يحارب المسلمين.

✽ الله ﷻ فرضَ - إضافة إلى الاحترام والقسط والرحمة بشكل عام - الإحسان نحو أهل الكتاب بشكل خاص، وأخبر عن مودةٍ خاصة بين المسلمين والنصارى.

✽ بالإضافة إلى الاحترام والقسط والرحمة والمودة والإحسان، يطلب الله ﷻ الحبّ بين المؤمنين، وهذا هو الحبّ الذي نسميه أحياناً "الحب في الله".

✽ في القرآن الكريم ذكرَ وشرّحَ وبارك الله ﷻ أربع درجات مختلفة من "الصداقة" والتي هي فوق الحبّ الموجود بين المؤمنين وهي: (١) الصّحة، (٢) الصداقة، (٣) الصداقة الحميمة، (٤) الخُلّة. وقد ذكرناها بالترتيب

التصاعدي وتشكّل السلسلة الكاملة للصدّاقة بين المؤمنين وأعلى درجات الحبّ (غير الجنسي) بين الذين لا تربطهم صلة القرابة.

الحب الزوجي والحبّ الجنسي

✽ الطبيعة المشتركة بين البشر تعني أنهم ليسوا مكتملين من دون بعضهم البعض. الذكر يحتاج الأنثى والأنثى تحتاج الذكر، وعموماً نبقى بحالة نقص دون بعضنا البعض. وهذه الحاجة إلى بعضنا البعض والنقص من دون ذلك، واضحة في ثلاثة أمور رئيسة: (أ) في حاجة الذكور والإناث بعضهم لبعض في النسل؛ (ب) في الحبّ الزوجي غير الجسماني والحاجة النفسية بين الزوجين، (ج) وفي الحبّ الزوجي والجنسي بين الزوجين.

✽ لكل نفس زوجة أو زوجاً معيناً مخلوقاً له أو لها خاصة (كـ "خلق" إلهي)، أو (كـ "جعل" إلهي) خاص فيما بعد الخلق، وفي هذه الحالة يمكن لنا أن نتعرف عليها أو عليه في هذه الحياة الدنيا - أو قد لا نتعرف عليها أو عليه أبداً.

✽ بين بعض الناس وبعض الأزواج والزوجات علاقة تامة بحيث إن الشخصين يكمل بعضهما بعضاً، فكأنهما شخص واحد أو نفس واحدة - وهنا يمكن لنا أن نسميها "أزواج النفس" - بينما نجد بين بعض الناس سكوناً ومودةً ورحمة من دون أن تكون العلاقة علاقة تامة ومكتملة حتى بين زوج وزوجة متزوجين منذ فترة طويلة.

✽ في الزواج حبّ يمكن له أن يكون مجرداً من كل علاقة جسمانية، وأنّ الزوجين كليهما بحاجة لهذا الحبّ من ناحية نفسية طبيعية.

✽ الله ﷻ أشار إلى أسرار العلاقة الزوجية بشكل رمزي في آيات مختلفة.

✽ الله ﷻ بيّن أن العلاقة الجنسية تولد صلة لا يمكن إبطالها حتى بعد انتهاء العلاقة نفسها أو الزواج وأن هذه الصلة تستوجب المعروف والاحترام

للأبد.

- ❁ هل في الجماع ناحية روحية وليس فقط جسدية؟
- ❁ في النظر إلى جمال الجسم حالة روحية في بعض الأحيان.
- ❁ هل هناك إشارة إلى أنه يوجد في الهلاك لقاء الله ﷻ، وأنّ في الجماع - وفي نشوة الجماع و"الإفشاء" - نوعاً من أنواع الهلاك؟
- ❁ يوجد في القرآن الكريم إشارة إلى حالة ذكر الله ﷻ في النظر المشروع إلى جمال جسم الآخر، كما أنه ربما يوجد في القرآن الكريم إشارة إلى احتمال أو إمكان وجود حالة روحية في الجماع، والله أعلم.

الحب والزنا

- ❁ يوجد حبّ بالإضافة إلى الشهوة والرغبة الجسمانية في الزنا.
- ❁ الحبّ غير المشروع قد يصبح أحياناً حباً غامراً كأنه عبادة، ومع هذا لا يمكن لهذا الحبّ أن يصل إلى درجة العبادة الحقيقية لله ﷻ.

الحب والنظر

- ❁ هناك شيء خاص وسر عظيم في عينيّ الإنسان يمكنه أن: (١) يُعبّر عن الحبّ؛ أو (٢) يولّد الحبّ عند الناظر نفسه؛ أو (٣) أن يولّد الحبّ فيمن ينظر في عينيّ الآخر. وبمعنى آخر فإنه يمكن أن: (١) يرى الآخرون الحبّ في عينيّ الإنسان؛ (٢) أن يدخل الحبّ إلى نفس وقلب الإنسان من خلال عينيّه؛ و(٣) ربما تُولّد العينان حباً في شخص آخر إذا التقت العيون.

الحب

أنواع الحب

- ❁ الله ﷻ يذكر ثمانية وثلاثين نوعاً من الحبّ في القرآن الكريم. وكل نوع

من الحبّ يختلف قليلاً عن الأنواع الأخرى، فلا ترادف في اللغة العربية، ولكل كلمة معنى فريد ومحدد مع اختلاف بسيط في المعنى. وأنواع الحبّ المختلفة المذكورة في القرآن الكريم هي: (١) الحب؛ (٢) المحبة؛ (٣) الاستحباب؛ (٤) الرحمة؛ (٥) الرأفة؛ (٦) الوُد؛ (٧) المودّة؛ (٨) الوداد؛ (٩) الإرادة؛ (١٠) الشغف؛ (١١) الهوى؛ (١٢) الاستهواء؛ (١٣) الغوى؛ (١٤) الهم؛ (١٥) الرغَب؛ (١٦) التقارب، المقاربة، القرب؛ (١٧) الغرام؛ (١٨) الهيام؛ (١٩) الخُلّة؛ (٢٠) الصداقة؛ (٢١) الصحبة؛ (٢٢) الإيثارة؛ (٢٣) الضلال؛ (٢٤) الرضى؛ (٢٥) الحنان؛ (٢٦) الإعجاب؛ (٢٧) الميل؛ (٢٨) الشهوة؛ (٢٩) الصبّا؛ (٣٠) الابتغاء؛ (٣١) التفضيل؛ (٣٢) الزنا؛ (٣٣) الحفاوة؛ (٣٤) الشفقة؛ (٣٥) الولاية؛ (٣٦) الصغى؛ (٣٧) الوليعة؛ (٣٨) الألفة.

مراحل الحب

❁ ذكر الله ﷻ في القرآن الكريم مائة مرحلة من مراحل الحبّ البشري:

(١) مراحل حبّ الناس لله ﷻ وحبّ الناس للناس؛ وهي: (١) الفراغ؛ (٢) الفقر؛ (٣) التزيّن؛ (٤) الإعجاب؛ (٥) الحب؛ (٦) الرضا؛ (٧) التقرب؛ (٨) الإرادة؛ (٩) الابتغاء؛ (١٠) الرغَب؛ (١١) الولاية؛ (١٢) الخُلّة؛ (١٣) الفرح؛ (١٤) السكن؛ (١٥) الرجاء؛ (١٦) العمل؛ (١٧) الذكر؛ (١٨) النجوى؛ (١٩) الابتلاء؛ (٢٠) الاطمئنان؛ (٢١) العلم؛ (٢٢) المعرفة؛ (٢٣) المشيئة؛ (٢٤) الخوف؛ (٢٥) الحزن؛ (٢٦) الألم؛ (٢٧) البكاء؛ (٢٨) التغيير؛ (٢٩) القبض؛ (٣٠) البسط؛ (٣١) الحاجة إلى الخلوة؛ (٣٢) الصبر؛ (٣٣) الأمل؛ (٣٤) الغيرة؛ (٣٥) اللقاء؛ (٣٦) المعية؛ (٣٧) قرّة العين.

الحب في القرآن الكريم

(ب) مراحل حبّ الناس لله ﷻ؛ وهي:

(٣٨) الود؛ (٣٩) الشفقة؛ (٤٠) الاستئناس، الأنس؛ (٤١) السلام؛ (٤٢) الاكتفاء؛ (٤٣) الشكر؛ (٤٤) التوكل؛ (٤٥) انشراح الصدر؛ (٤٦) لين الجلد؛ (٤٧) لين القلب؛ (٤٨) قشعريرة الجلد؛ (٤٩) وجل القلب؛ (٥٠) التبتّل؛ (٥١) الإخبات؛ (٥٢) الإنابة؛ (٥٣) التضرّع؛ (٥٤) التوبة؛ (٥٥) الاستغفار؛ (٥٦) العَجَل للترضية؛ (٥٧) الدعاء؛ (٥٨) التذكّر؛ (٥٩) الاتباع؛ (٦٠) تمحيص القلب؛ (٦١) الشكّ؛ (٦٢) الريب؛ (٦٣) الظن؛ (٦٤) النظر؛ (٦٥) التفكّر؛ (٦٦) التدبّر؛ (٦٧) استعمال العقل؛ (٦٨) التبصر؛ (٦٩) اليقين (علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين)؛ (٧٠) الطمع؛ (٧١) الحاجة إلى الناس، الحاجة إلى الجلوة؛ (٧٢) التأوّه؛ (٧٣) الأوب؛ (٧٤) القنوت؛ (٧٥) القهر؛ (٧٦) الإسلام؛ (٧٧) الإيمان؛ (٧٨) الإحسان؛ (٧٩) الإخلاص.

(ت) مراحل حبّ الناس للناس؛ وهي:

(٨٠) المحبة؛ (٨١) وجود الجمال؛ (٨٢) التعارف؛ (٨٣) الميل؛ (٨٤) المودة؛ (٨٥) الرأفة؛ (٨٦) الشهوة؛ (٨٧) الهوى؛ (٨٨) الهمّ؛ (٨٩) المتعة؛ (٩٠) الاستمتاع؛ (٩١) الكرم؛ (٩٢) الرحمة؛ (٩٣) اللطف؛ (٩٤) المغفرة، الغفران؛ (٩٥) العفو؛ (٩٦) الصفح؛ (٩٧) المعروف؛ (٩٨) المراودة؛ (٩٩) الاستحياء؛ (١٠٠) عدم الإحساس بالحال.

❁ فالحبّ البشريّ مكوّن من هذه المراحل جميعاً... فالحبّ البشريّ الكامل مكوّن من جميع هذه المراحل وتعطينا صورة واضحة لعملية مسار الحبّ واستنباط سر ما يجري في وقوع الحبّ أيضاً.

الوقوع في الحب

❁ الوقوع في الحبّ هو "مَيْل جميع مكونات أو مَلَكات الإنسان إلى الحُسن،

من بعد الإعجاب به". وكل مراحل الحبّ ما هي إلا ملكات الجسم والنفس والروح في عملية ميلها وارتباطها بمحجوب معين.

نمو الحب

❁ عاطفة الحبّ تزداد من خلال ميل الملكات الأخرى إلى المحجوب، والحبّ لله ﷻ بالإضافة إلى ائباع السنة يُكافأ من الله ﷻ بحب منه للعبد.

❁ مفتاح تقوية الحبّ الحسّن لأمر نافع هو الأعمال الصالحة، وبالتالي فهي التصرف بإحسان. فالإحسان هي جائزة ومكافأة بحد ذاتها ... ومن ناحية أخرى فإن إضعاف حبّ ما لا ينفع الإنسان ليس أمراً سهلاً ولكنه ممكن بعون الله ﷻ ويتطلّب التغيير الداخلي ثلاث فضائل رئيسية هي: (١) الصبر؛ (٢) التواضع؛ (٣) الصلاة وذكر الله ﷻ.

دائرتا الحب

❁ كلاً من الذين آمنوا والذين كفروا في ازدياد دائم لما هم فيه. فالمؤمنون في حالة ترقٍ دائم وصعود في الدرجات العلى من مقام إلى مقام، والكافرون بعكس ذلك لأنهم في نزول وهبوط دائم في الدرجات السفلى ... هناك دائرتان مغلقتان ومستديمتان للحب واحدة منهما عُلّيا وهي: دائرة الحبّ المشروع حبّ الله ﷻ، والأخرى: سُفلى وهي دائرة الحبّ غير المشروع.

مثلث الحب

❁ الإنسان لا يعلم شيئاً عند ولادته ... وبالتالي يحتاج الإنسان للترؤين لكي يحب.

❁ الإنسان في بداية الحبّ يُحب صورة مزينة (في عقله أو في نفسه أو في قلبه) عن المحجوب بنفس القدر الذي يُحب "المحجوب" حقيقةً، وبالتالي يُحب

محبوبه من خلال صورته الخاصة عن هذا المحبوب بغض النظر عما إذا كانت هذه الصورة تمثل حقيقة المحبوب أم لا.

❁ معرفة الله ﷻ تزداد من خلال الإيمان والتواضع والحبّ والأعمال الصالحة والتأمل والتفكير في كل شيء داخل النفس وفي العالم. وبعبارة أخرى فإن معرفة الله ﷻ تنمو بالطريقة نفسها التي ينمو فيها حبّ الله وذلك من خلال التركيز والممارسة التدريجية للقلب والنفس وكل مَلَكَاتِهِمَا ومكوّناتِهِمَا نحو الله ﷻ.

❁ الإنسان يحب الله ﷻ أولاً من خلال الإيمان الذي زَيَّنَهُ اللهُ ﷻ في قلبه. بعد هذا يبدأ الإنسان بمعرفة الله ﷻ وأسمائه وصفاته من خلال أفعال الله ﷻ وآياته. بعد العلم والإحسان يُصبح الحبّ مباشرة وليس من خلال مثلث التزيّن من الحب.

مراتب الجمال والحب

❁ أعلى درجات الجمال هو الجمال الإلهي؛ ثم الجمال المقدّس (ابتداءً بجمال رسول الله ﷺ)؛ ثم الجمال الداخلي؛ ثم الجمال الخارجي؛ ثم تزيّن الشهوات الداخلية؛ ثم تزيّن الشهوات الخارجية. وليس كل حبّ هو محمود، وليس كل جميل يستحق الحب.

نقيض الجمال والحب

❁ كلمة "القُبْح" لم تطلق في القرآن الكريم على أي شيء خلقه الله ﷻ وبالتالي يمكن لنا أن نستنتج أن القُبْح نقص نسبي من الجمال، وتفضيل جمال أدنى على جمال أعلى، وليس شيئاً بذاته.

❁ الكره فيما يبدو يعتمد على حالة الكاره الخاصة: فالمؤمنون يكرهون الشرّ، والكافرون يكرهون الخير، ولكن يمكن للمؤمنين الذين لم يتمّموا

تُعَلِّبُهُمْ عَلَى نَفْسِهِمْ أَنْ يَجْبُوا شَيْئاً شَرّاً لَهُمْ أَوْ يَكْرَهُوا شَيْئاً خَيْراً لَهُمْ. فِهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْكَرْهَ بَحْدُ ذَاتِهِ لَيْسَ شَيْئاً كَرِيهاً، وَلَكِنْ يُصْبِحُ كَرِيهاً عِنْدَ الَّذِينَ هُمْ كَرِيهُونَ أَصْلاً. فَالْكَرْهُ بِالتَّالِي يَصْدُرُ مِنَ الْحُبَّةِ: فَالْمُؤْمِنُونَ يَكْرَهُونَ الشَّرَّ مِنْ مَحَبَّتِهِمْ لِلَّهِ ﷻ، وَالْكَافِرُونَ يَكْرَهُونَ الْخَيْرَ مِنْ مَحَبَّتِهِمْ لِلشَّرِّ وَمِنْ مَحَبَّتِهِمْ لِشَحِّ نَفْسِهِمْ. وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْكَرْهُ نَقِيضَ الْحَبِّ عَاطِفِيًّا، فَإِنَّهُ أَيْضاً، كَالْقُبْحِ، لَيْسَ شَيْئاً بَحْدُ ذَاتِهِ، وَلَكِنَّهُ عَكْسُ الْحَبِّ وَلِذَا فَهُوَ مَكْرُوهٌ.

انتهاء الحب

❁ حَبُّ اللَّهِ ﷻ لِلنَّاسِ لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَنْتَهِي أَبَداً. التَّغْيِيرُ يَحْدُثُ حِينَ يَتَغَيَّرُ هُوَ لِذَلِكَ الَّذِينَ يَحِبُّهُمْ اللَّهُ ﷻ لِدَرَجَةِ أَنَّهُمْ يَصْبِحُونَ أَشْرَاراً وَيَرْفُضُونَ حَبَّ اللَّهِ ﷻ. وَحَتَّى حِينَهَا فَلَيْسَ حَبُّ اللَّهِ الَّذِي يَتَغَيَّرُ بَلْ هُوَ لِذَلِكَ الَّذِينَ أَدَارُوا ظُهُورَهُمْ لِحَبِّ اللَّهِ ﷻ.

❁ إِذَا تَغَيَّرَ الْإِنْسَانُ وَخَفَّ إِيمَانُهُ، فَسَيَنْقُصُ أَيْضاً حُبَّهُ لِلَّهِ ﷻ، كَمَا إِذَا زَادَ إِيمَانَ الْإِنْسَانِ بِاللَّهِ فَإِنَّهُ سَيَزِيدُ أَيْضاً حُبَّهُ لِلَّهِ ﷻ. فَالْخُلُوصَةُ هِيَ أَنَّ حَبَّ الْإِنْسَانِ لِلَّهِ ﷻ قَدْ يَتَغَيَّرُ لَيْسَ لِأَنَّ مَحْبُوبَهُ يَتَغَيَّرُ (وَاللَّهُ ﷻ لَا يَتَغَيَّرُ أَبَداً) وَلَكِنْ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ هُوَ نَفْسُهُ قَدْ يَتَغَيَّرُ وَقَدْ يَتَغَيَّرُ قَلْبُهُ وَنَفْسُهُ.

❁ الْحَبُّ الزَّوْجِيُّ الْحَقِيقِيُّ لَهُ قِيَمَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِيهِ مِيثَاقٌ غَلِيظٌ بِشَهَادَةِ اللَّهِ ﷻ، وَيَجِبُ الْوَفَاءُ فِيهِ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَغَيَّرَ أَبَداً فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا بِسَبَبِ تَغْيِيرِ الْمَحْبُوبِ إِلَى الْأَسْوَأِ نَفْسِيًّا، وَلَا بِسَبَبِ تَغْيِيرِ الْمَحْبُوبِ إِلَى الْأَفْجَحِ جَسَدِيًّا كَمَا هِيَ طَبِيعَةُ الْأَجْسَادِ.

طبيعة الحب

❁ كُلُّ مَنْ يُحِبُّ هُوَ فِي حَالَةٍ تَغْيِيرٍ مُسْتَمِرٍّ، وَهُوَ بَيْنَ أَحْوَالِ الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ فِي الْحَبِّ بِشَكْلِ دَائِمٍ، عَلَى الْأَقْلَى فِي هَذَا الْعَالَمِ ... إِنَّ فِي الْحَبِّ تَغْيِراً مُسْتَمِراً،

الحب في القرآن الكريم

ولكن هذا التغيير لا يسبب مَللاً من الحبّ للإنسان الذي يجب.

❁ الحبّ يعني بالضرورة حاجة، والذي يجب يحتاج محبوبه.

❁ الحبّ يملأ القلب، فلا يستطيع الإنسان أن يملأه بحُبَّينِ لأنه لا يتسع لهما.

❁ للحب قوة عظيمة، فالحب يقهر من يُحب، ثم يستدرجه عبر مراحل الحبّ إلى موته، ومن ثمّ إلى الخلود في محبوبه، فللحب قدرة على الإفناء والإبقاء، فما أعظم قدرة الحب!

الحب والسعادة

❁ لا سعادة حقيقة بدون حبّ الله ﷻ ... الحبّ الدنيوي لا يكفي لكي يؤدي إلى السعادة لأنه لا يملأ الإنسان بشكل كافٍ تامٍ كاملٍ دائمٍ ... وبالتالي لا يكفيه ولا يملؤه بشكل كاملٍ إلا حبّ الله ﷻ.

الحب والجمال في الجنة

❁ يوجد في الجنّة كل ما يُحبه أهل الجنّة، وكل من يحبهم، وأنه يوجد في الجنّة حب، ولكن الحبّ في الجنّة يختلف عن الحبّ في الدنيا. الحبّ في الجنّة هو فقط ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين من دون معاناة وقبض، كالحب في الدنيا.

المحبوب

الجمال والحسن ومكوناتهما

❁ إن مكوّنات الجمال هي وجود الجلال والجمال والتوفيق بينهما، وبالتالي الكمال.

الدوق

❁ الجمال موضوعي، ولكن الذوق غير موضوعي بل نفسي ومتفرد.

طبيعة الجمال

❁ الجمال موجود في الأشياء ذاتها، وحتى في كل الأشياء.

❁ الجمال الفئان يستطيع أن يوقف من يشهده عن كل ما هو فيه، وحتى عن نفسه، وحتى عن حواسه وعن الألم.

❁ للجمال قدرة عظيمة ونوعان من التأثير: جذب من يُدركه إلى خارج ذاته، ودفع من يجذبه إلى ذاته.

❁ لعل للجمال والحبّ قدرة على تسهيل مصيبة الموت.

الحب والموت

❁ الموت النفسي في سبيل الله ﷻ هو غاية الجهاد ضد النفس، كما أن الموت البدني في سبيل الله ﷻ يحصل في الجهاد ضد العدو.

❁ أولياء الله ﷻ يُحبونه، ومن حبهم له ﷻ يَتَمَنون الموت، وتموت نفوسهم "الأُمارة بالسوء" فيكونون بعد ذلك آمنين.

❁ الذين يصلون في حبّ غير الله ﷻ إلى درجة الحبّ التي لا تبغى إلا الله ﷻ فقط لا تموت نفوسهم كالذين يحبون الله ﷻ، ولكن يُصيبهم عذاب شديد.

❁ يمكن للولي - بإذن الله ﷻ - أن يكون حَيًّا بالله ﷻ بعد موت نفسه "الأُمارة بالسوء"، وبالتالي أن يدخل الجنّة وجسده ما زال حَيًّا يرزق في هذه الدنيا. ففي الحبّ موت في الله ﷻ، وفي الحبّ حياة في الله ﷻ بعد الموت في الله ﷻ.

اللقاء والرضوان

❁ رضوان الله ﷻ أكبر من أي شيء آخر، وبالتالي فإن رضوان الله ﷻ نوع من المعية مع الله ﷻ في الجنة، لأنه لا شيء أكبر من المعية مع الله ﷻ.

المقصود الحقيقي وراء كل الحب

❁ الله ﷻ هو المقصود الحقيقي وراء كل حب، فلا ملجأ منه بتاتاً إلا إليه، وبالتالي لا ملجأ من حبه بلا إدراك وقصد إلا إلى حبه مع إدراك وقصد.

خاتمة واستنتاج

❁ الله ﷻ هو الرحمن والرحيم والودود، خلق العالم من الرحمة ومن الحب، وجعل الجمال في كل ما خلقه، والله ﷻ يحب جماله من خلال الكون الذي خلق فيه الجمال. وبالحب يعود الإنسان بالصرط المستقيم إلى الله ﷻ؛ وبالحب أيضاً - ولكن بحب أدنى وأسفل - يأخذ الإنسان الطريق إلى النار. فالله ﷻ يقول: **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴿٩٠: ١٠﴾. فلإنسان خيار بين الحب الأسمى والحب الأدنى وبين الحب الذي يؤدي إلى الله ﷻ وإلى الجنة والحب الذي يؤدي إلى العذاب وإلى النار.



صفوة المراجع التي قرأتها أو استعملتها في هذه الرسالة هي:

القرآن الكريم

من كتب التفسير

١. البروسوي، الإمام العالم الفاضل مولانا ومولى الروم الشيخ إسماعيل حقي البروسوي، (توفي سنة ١١٣٧)، تفسير روح البيان، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، بيروت، عدد المجلدات: ١٠).
٢. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، (توفي سنة ٥١٦هـ)، معالم التنزيل، (دار طيبة، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، الرياض، عدد المجلدات: ٨).
٣. البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، (توفي سنة ٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، بيروت، عدد المجلدات: ٨).
٤. البيضاوي، الإمام القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله أبي عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، (توفي سنة ٧٩١هـ)، تفسير البيضاوي، (دار الفكر، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، بيروت، عدد المجلدات: ٥).
٥. التستري، الإمام أبو محمد سهل بن عبد الله التستري، (توفي سنة ٢٨٣هـ)، تفسير التستري، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، بيروت، عدد المجلدات: ١).
٦. الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي المالكي، (توفي

سنة ٨٧٥هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، بيروت، عدد المجلدات: ٥).

٧. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، (توفي سنة ٤٢٧هـ)، الكشف والبيان، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، بيروت، عدد المجلدات: ١٠).

٨. ابن جرير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (توفي سنة ٣١٠هـ)، تفسير الطبري، (دار الكتب العلمية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، بيروت، عدد المجلدات: ١٢).

٩. ابن جزى الكلبي، الإمام الحافظ أبو القاسم محمد بن أحمد ابن جزى الكلبي الغرناطي، (توفي سنة ٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، بيروت، عدد المجلدات: ٢).

١٠. ابن الجوزي، الحافظ الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، (توفي سنة ٥٦٧هـ)، زاد المسير، (دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، بيروت، عدد المجلدات: ٤).

١١. ابن أبي حاتم الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي، (توفي سنة ٣٢٧هـ)، تفسير القرآن العظيم، (دار الفكر، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، بيروت، عدد المجلدات: ١٤).

١٢. الحكيم الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر، (توفي سنة ٣٢٠هـ)، بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب، (عدد المجلدات: ١).

١٣. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، (توفي سنة ٧٥٤هـ)، البحر المحيط في التفسير، (دار الفكر، ١٤١٢هـ، ١٩٢٩م، بيروت، عدد المجلدات: ١١).

١٤. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، (توفي سنة ٧٥٤هـ)، تفسير النهر المادّ، (دار الجنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، بيروت، عدد المجلدات: ٣).
١٥. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (توفي سنة ٥٣٨هـ)، تفسير الكشّاف، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، بيروت، عدد المجلدات: ٤).
١٦. أبو السعود، القاضي أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، (توفي سنة ٩٢٨هـ)، تفسير أبي السعود، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، بيروت، عدد المجلدات: ٦).
١٧. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، (توفي سنة ٣٧٥هـ)، بحر العلوم، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، بيروت، عدد المجلدات: ٣).
١٨. السيوطي، العلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، والإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، (دار المعرفة، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، بيروت، عدد المجلدات: ١).
١٩. السيوطي، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (توفي سنة ٩١١هـ)، الدرّ المنثور في التفسير المأثور، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، بيروت، عدد المجلدات: ٧).
٢٠. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (توفي سنة ١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (دار المعرفة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، بيروت، عدد المجلدات: ٥).
٢١. الشيرازي، الشيخ أبو محمد صدر الدين روزبهان بن أبي نصر البقلي الشيرازي، (توفي سنة ٦٠٦هـ)، تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن، (مخطوطة).

٢٢. الصابوني، محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، (دار الصابوني، الطبعة التاسعة، القاهرة، عدد المجلدات: ٣).

٢٣. الصاوي، أحمد بن محمد الصاوي المصري الخلوتي المالكي، (توفي سنة ١٢٤١هـ)، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، (دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م، بيروت، عدد المجلدات: ٦).

٢٤. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، (توفي سنة ٣٦٠هـ)، التفسير الكبير للطبراني، (دار الكتاب الثقافي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، الأردن، إربد، عدد المجلدات: ٦).

٢٥. ابن عادل الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، (توفي سنة ٨٨٠هـ)، اللباب في علوم الكتاب، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، بيروت، عدد المجلدات: ٢٠).

٢٦. ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور، معاصر، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، بيروت، عدد المجلدات: ٣٠).

٢٧. ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن عجيبة، (توفي سنة ١٢٢٤هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، (١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، القاهرة، عدد المجلدات: ٦).

٢٨. ابن عربي، محيي الدين بن عربي، تفسير ابن عربي، (المكتبة التوفيقية، القاهرة، عدد المجلدات: ٢) (وكاتبه الحقيقي عبد الرزاق القاشاني).

٢٩. العز ابن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي، (توفي سنة ٦٦٠هـ)، تفسير القرآن - اختصار النكت للماوردي، (دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٣٠. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي، (توفي سنة ٥٤١هـ)،

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (طُبع على نفقة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، أمير دولة قطر، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٧م، الدوحة، عدد المجلدات: ١٥).

٣١. الإمام الغزالي، الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، (توفي سنة ٥٠٥هـ)، جواهر القرآن، مكتبة الجندي، ١٩٦٤م، القاهرة، عدد المجلدات: ١).

٣٢. فخر الدين الرازي، الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين البكري الطبرستاني الرازي، (توفي سنة ٦٠٦هـ)، التفسير الكبير، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، بيروت، عدد المجلدات: ١١).

٣٣. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، (توفي سنة ٢٠٧هـ)، معاني القرآن، (دار السرور، عدد المجلدات: ٣).

٣٤. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (توفي سنة ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، (دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، القاهرة، عدد المجلدات: ٢٢).

٣٥. القشيري، الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي، (توفي سنة ٤٦٥هـ)، تفسير القشيري المسمى لطائف الإشارات، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، بيروت، عدد المجلدات: ٣).

٣٦. ابن كثير، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (توفي سنة ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، (دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٣٧. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، (توفي سنة ٤٥٠هـ)، النكت والعيون، (مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، عدد

المجلدات: ٦).

٣٨. مجاهد بن جبر، أبو الحجاج مجاهد بن جبر القرشي المخزومي، (توفي سنة ١٠٤هـ)، تفسير مجاهد، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٣٩. مقاتل بن سليمان، الإمام أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير، (توفي سنة ١٥٠هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، بيروت، عدد المجلدات: ٣).

٤٠. النسفي، الإمام الجليل عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تفسير النسفي / مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٤١. الواحدي، الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، (توفي سنة ٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، (دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٤٢. الواحدي، الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، (توفي سنة ٤٦٨هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (دار القلم، دمشق، والدار الشامية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، عدد المجلدات: ٢).

من كتب السنة

١. البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري، صحيح البخاري، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، بيروت، عدد المجلدات: ٨).

٢. الإمام البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، (توفي سنة ٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، (دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، بيروت، عدد المجلدات: ١١).

٣. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، (توفي سنة ٤٥٨هـ)، كتاب الزهد الكبير، (مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م، بيروت، عدد الأجزاء: ١).

٤. الإمام الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، (توفي سنة ٢٧٩هـ)، الجامع الصحيح، (دار الكتب العلمية، بيروت، عدد المجلدات: ٥).

٥. الحاكم، الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، (توفي سنة ٤٠٥هـ)، المستدرک علی الصحيحین، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٦. ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، (توفي سنة ٣٥٤هـ)، صحيح ابن حبان، (مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، بيروت، عدد الأجزاء: ١٨).

٧. ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (توفي ٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (دار المعرفة، ١٣٧٩هـ، بيروت، عدد الأجزاء: ١٤).

٨. ابن حنبل، الإمام أحمد ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، عمان، عدد المجلدات: ٨).

٩. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، (توفي سنة ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، (دار الكتب العلمية، بيروت، عدد الأجزاء: ١٣).

١٠. السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، (توفي سنة ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، (دار الجنان ومؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م، بيروت، عدد المجلدات: ٢).

١١. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، (توفي سنة ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، (مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م، الموصل، عدد الأجزاء: ٢٠).

١٢. الطيالسي، ابو داود سليمان ابن داود الطيالسي، (توفي سنة ٢٠٤هـ)، مسند الطيالسي، (دار المعرفة، بيروت، عدد المجلدات: ١).
١٣. الكتاب الجامع لفضائل القرآن الكريم، مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي، (مطبعة الأمن العام، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، عمان، عدد المجلدات: ١).
١٤. الإمام مسلم، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (توفي سنة ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، (دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، بيروت، عدد المجلدات: ١).
١٥. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (توفي سنة ٢٧٥هـ)، سنن ابن ماجه، (دار إحياء التراث، الطبعة الأولى، مصر، عدد المجلدات: ٢).
١٦. الإمام مالك، إمام دار الهجرة مالك بن أنس، (توفي سنة ١٧٩هـ)، الموطأ، (دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، بيروت، عدد المجلدات: ٢).
١٧. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان بن دينار النسائي، (توفي سنة ٣٠٣هـ)، سنن النسائي، (مكتبة المطبوعات الإسلامية، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، حلب، عدد المجلدات: ٥).

من كتب السيرة

١. ابن هشام، عبد الملك بن هشام، (توفي سنة ٢١٨هـ)، السيرة النبوية، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، بيروت، عدد المجلدات: ٤).
٢. الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، (توفي سنة ٢٠٧هـ)، كتاب المغازي، (مطبعة جامعة أكسفورد، لندن، عدد المجلدات: ١).

من كتب علوم القرآن

١. الذهبي، الدكتور محمد حسين الذهبي، الأستاذ في كلية الشريعة بالأزهر الشريف، التفسير والمفسرون، (١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م، عدد المجلدات: ٣).
٢. الزركشي، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (توفي سنة ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، (دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، بيروت، عدد المجلدات: ٤).
٣. السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (توفي سنة ٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، (دار ابن كثير، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، دمشق، عدد المجلدات: ٢).
٤. محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (دار الفكر ودار المعرفة، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، بيروت، عدد المجلدات: ١).
٥. ابن النحاس، الإمام العلامة أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن النحاس، (توفي سنة ٣٣٨هـ)، إعراب القرآن، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، بيروت، عدد المجلدات: ٥).

من كتب المعاجم اللغوية

١. الأخفش، سعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي، معاني القرآن، (عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، بيروت، عدد المجلدات: ٢).
٢. الرازي، محمد ابن أبي بكر ابن عبد الله الرازي، (توفي سنة ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، (دار البصائر، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، بيروت، عدد الأجزاء: ١).
٣. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (توفي سنة ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، (دار المعرفة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٤. الزبيدي، محب الدين أبو فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، تاج العروس من جواهر القاموس، (دار الفكر، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، بيروت، عدد المجلدات: ٢٠).
٥. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (توفي سنة ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، بيروت، عدد المجلدات: ١).
٦. ابن منظور، الإمام العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، (توفي في سنة ٧١١هـ)، لسان العرب، (دار صادر، بيروت، عدد المجلدات: ١٥).

كتب أخرى لعلماء المسلمين

١. الأسكداري، محمود بن فضل الله الأسكداري، (توفي سنة ١٠٣٨هـ)، حبة المحبة، (مخطوطة).
٢. إمام الحرمين، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، (توفي سنة ٤٧٨هـ)، الإرشاد، (مطبعة السعادة، ١٣٦٩هـ، ١٩٥٠م، القاهرة، عدد الأجزاء: ١).
٣. التوحيد، أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، (توفي في حدود ٤٠٠هـ)، الإمتاع والمؤانسة، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، بيروت، عدد المجلدات: ١).
٤. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني، (توفي سنة ٧٢٨هـ)، النبوات، (دار القلم، بيروت، عدد الأجزاء: ١).
٥. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، (توفي سنة ٧٢٨هـ)، التحفة العراقية، (مكتبة المنار، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م، الأردن- الزرقاء، عدد الأجزاء: ١).

٦. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (توفي سنة ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، (دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، بيروت، عدد المجلدات: ٢).

٧. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري، (توفي سنة ٢٥٥هـ)، رسائل الجاحظ، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، بيروت، عدد الأجزاء: ٤).

٨. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، (توفي سنة ٥٩٧هـ)، ذم الهوى، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، بيروت، عدد الأجزاء: ١).

٩. الجيلي، عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي، (توفي سنة ٥٠٨هـ)، الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، (دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

١٠. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، (توفي سنة ٤٥٦هـ)، طوق الحمامة في الألفة والألف، (دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

١١. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، (توفي سنة ٦٠٦هـ)، لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، (المكتبة الأزهرية للتراث، طبعة جديدة، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، القاهرة، عدد الأجزاء: ١).

١٢. ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، (توفي سنة ٤٢٨هـ)، رسالة في العشق، (دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، دمشق، عدد الأجزاء: ١).

١٣. ابن أبي شريف، كمال الدين محمد بن محمد بن أبي بكر بن أبي شريف المري المقدسي الشافعي، (توفي سنة ٩٠٥هـ)، المسامرة شرح المسامرة في العقائد المنجية من الآخرة، (دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ،

٢٠٠٢م، بيروت، عدد الأجزاء: (١).

١٤. شهاب الدين الحلبي، شهاب الدين محمود بن سلمان الحلبي، (توفي سنة ٧٢٥هـ)، كتاب منازل الأحباب ومنازه الألباب، (دار صادر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، بيروت، عدد الأجزاء: (١).

١٥. أبو طالب المكي، الإمام أبي طالب محمد بن أبو الحسن علي بن عباس المكي، (توفي سنة ٣٨٦هـ)، قوت القلوب في معاملة المحبوب، (دار الفكر، بيروت، عدد المجلدات: (٢).

١٦. الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة المصري الطحاوي الحنفي، صحيح شرح العقيدة الطحاوية بشرح حسن السقاف، (دار الإمام النووي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، بيروت، عدد المجلدات: (١).

١٧. عبد القاهر البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي البغدادي، (توفي سنة ٤٢٩هـ)، الفرق بين الفرق، (دار المعرفة، بيروت، عدد الأجزاء: (١).

١٨. العجلوني، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، (توفي سنة ١١٦٢هـ)، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس، (دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، بيروت، عدد الأجزاء: (٢).

١٩. ابن عربي، محيي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي، (توفي سنة ٦٣٨هـ)، الفتوحات المكية، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، بيروت، عدد المجلدات: (٤).

٢٠. ابن العريف، الشيخ أحمد بن محمد ابن العريف الصنهاجي، (توفي سنة ٥٣٦هـ)، كتاب النفائس ومحاسن المجالس، أخرجه نهاد خياطة، حلب، (مجلة المورد، بغداد، المجلد التاسع، ١٩٨٠م، ص ٦٨١-٧٠٦).

٢١. ابن عطاء الله السكندري، ابن عطاء الله السكندري أحمد بن محمد بن

عبد الكريم، (توفي سنة ٧٠٩هـ)، الحِكْم العطاءية/ شرح وتحليل، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، دمشق، عدد المجلدات: ٤).

٢٢. الغزالي، الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، (توفي سنة ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، (شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، بيروت، عدد المجلدات: ٥).

٢٣. الغزالي، الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، مقاصد الفلاسفة، (دار المعارف، ١٩٦١م، القاهرة، عدد المجلدات: ١).

٢٤. الغزالي، الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، (توفي سنة ٥٠٥هـ) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، (دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، بيروت، عدد المجلدات: ١).

٢٥. القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري، (توفي سنة ٤٦٥هـ)، الرسالة القشيرية في علم التصوف، (دار الخير، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، دمشق/بيروت، عدد المجلدات: ١).

٢٦. ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، (توفي سنة ٧٥١هـ)، الروح، (دار ابن كثير، الطبعة السابعة، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، دمشق/بيروت، عدد المجلدات: ١).

٢٧. ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، (توفي سنة ٧٥١هـ)، مدارج السالكين، (دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، بيروت، عدد المجلدات: ٣).

٢٨. ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، (توفي سنة ٧٥١هـ)، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، (دار البيان العربي، مصر، عدد الأجزاء: ١).

٢٩. الكلاباذي، أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي (توفي سنة ٣٨٠هـ)، التعرف لمذهب أهل التصوف، (مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى،

١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م، القاهرة، عدد الأجزاء: (١).

٣٠. مخلوف، مفتي الديار المصرية حسنين محمد مخلوف، معاصر، من وحي القرآن الكريم فيمن يجهم الله تعالى، وفيمن يكرههم الله تعالى من عباده، (مطبعة المدني، الطبعة الثالثة، ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م، القاهرة، عدد الأجزاء: (١).

٣١. الثُّفري، محمد بن عبد الجبار بن الحسن الثُّفري، كتاب المواقف، (دار الكتب المصرية، ١٣٥٢هـ، ١٩٣٤م، القاهرة، عدد الأجزاء: (١).

٣٢. الهجويري، كشف المحجوب، (مخطوطة).

٣٣. الهروي، عبد الله الأنصاري الهروي، (توفي سنة ٤٨١هـ)، منازل السائرين، (دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، بيروت، عدد الأجزاء: (١).

مراجع أخرى

١. العجلوني، كامل محمد صالح العجلوني، الجنس في اليهودية والمسيحية والإسلام/ المرأة والرجل وعلاقتهما، (مطبعة الجامعة الأردنية، ٢٠٠٧م، عمان، عدد المجلدات: (١).

٢. غازي بن محمد بن طلال، الحقيقة والمعرفة (كتاب الثقافة العامة للمرحلة الثانوية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، وزارة التربية والتعليم، الأردن).

٣. وداد ناصر لوتا، سرّي للغاية: المعاشرة الزوجية، أصول وعادات، ٢٠٠٩م، دبي.

٤. مجموعة من العلماء، الحبّ في القرآن الكريم، (طبع مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، الأردن/عمان، عدد الأجزاء: (٢).

(A) PRIMARY SOURCES ON LOVE IN ENGLISH AND FRENCH:

(A) (i-ii) (Religious and Secular) Ancient Sources on Love in English and French:

Ficino, Marsilio, *Commentary on Plato's Symposium of Love*, trans. Sears Jayne (2nd ed.) (Dallas 1985)

Plato, *Phaedrus* and *The Seventh Letter*, trans. Walter Hamilton (London, 1973)

Plato, *Phaedo*, in *Five Dialogues*, trans. G.M.A.Grube (Indianapolis, 1984)

Plato, *The Republic*, trans. G.M.A.Grube (Indianapolis, 1984)

Plato, *The Symposium of Love*, trans. A.Nehemas and P.Woodruff (New York, 1989)

Plotinus, *The Enneads*, Intro. J.Dillon, trans. S.Mackenna (London, 1991)

Rumi, Jalaludin, *The Mathnawi*, Volumes I-VI, trans. Reynold Nicholson, (Reprinted Great Britain, 1960)

(A) (iii) (Religious) Modern Sources on Love in English and French:

Lewis, C.S., *The Allegory of Love*, (London, 1972)

Lewis, C.S., *The Four Loves*, (London, 1972)

Nasr, Seyyed Hossein, *The Garden of Truth, The Vision and Promise of Sufism, Islam's Mystical Tradition*, (New York, 2007)

(A) (iv) (Secular) Modern Sources on Love in English and French:

De Rougemont, Denis, *L'Amour et L'Occident*, (Paris, 1939)

Ghazi Ben Mohammed, *What is Falling in Love?*, (Cambridge University, U.K., Ph.D, 1993)

Stendhal, *De L'Amour*, (Paris 1965); Stendhal, *De L'Amour*, Intro. Jean Stewart, trans. Gilbert and Suzanne Sale (London, 1975)

(B) SECONDARY SOURCES ON LOVE IN ENGLISH AND FRENCH:

(B) (i) (Religious) Ancient Sources on Love in English and French:

The Holy Bible, King James Translation (H.M. Printers, London)

Aquinas, St. Thomas, *Summa Theologia*, in *Great Books of the Western World*, Volume XIX and Volume XX, trans. W.O.Ross (Chicago, 1989)

Climacus, John, *The Ladder of Divine Ascent*, trans. Colm Luibheid and Norman Russell (The Classics of Western Spirituality, NJ, 1982)

St. Augustine, *Confessions*, trans. R.S.Pine-Coffin (Middlesex, U.K., 1985)

St. Bernard of Clairvaux, *On the Song of Songs*, in 4 Volumes, trans. K.Walsh and I.M.Edmunds (Kalamazoo, Michigan, 1979)

St. John of the Cross, *Dark Night of the Soul*, trans. E.Allison Peers (New York, 1990)

St. Julian of Norwich, *Showings*, trans. E.Colledge and J.Walsh (New York, 1978)

Maimonides, Moses, *The Guide of the Perplexed*, in 2 Volumes, trans. Shlomo Pines (Chicago, 1963)

Mechthild of Magdeburg, *The Flowing Light of the Godhead* (selected writings from), trans. Lucy Menzies in *German Mystical Writings* ed. Karen Campbell (New York, 1991)

St. Nicholas of Cusa, *The Vision of God*, trans. E.Gurney-Salter (London, 1928)

The Philokalia, (Writings from the Philokalia on the Prayer of the Heart) trans. E.Kadlouboudsky and G.E.H.Palmer (London, 1992)

Porphyry, *On the Cave of the Nymphs*, trans. Thomas Taylor, (Grand Rapids, Michigan, 1991)

Proclus, Diadochus, *Commentary on the First Alcibiades of Plato*, trans. L.G.Westernick (Amsterdam, 1954)

Pseudo-Dionysius Aeropogite, *The Divine Names and Mystical Theology*, trans. J.D.Jones (Milwaukee, 1980)

Rolle, Richard, *The Fire of Love*, trans. Clifton Walters (London, 1972)

St. Teresa of Avila, *The Life of St.Teresa of Avila by Herself*, trans. J.M.Cohen (London, 1957)

Theologia Germanica (selected writings from), trans. Bengt Hoffman in *German Mystical Writings* ed. Karen Campbell (New York, 1991)

The Zohar, Moses de Léon, attributed to Rabbi Simeon ben Yohai, trans. H.Sperling and M.Simon (London, 1949)

(B) (ii) (Secular) Ancient Sources on Love in English and French:

Aristotle, *Nicomachean Ethics*, in *Great Books of the Western World*, Volume IX, trans. W.O.Ross (Chicago, 1989)

Capellanus, Andreas, *The Art of Courtly Love*, trans. John Jay Parry, (New York, 1969)

Capellanus, Andreas, *On Love*, trans. P.G. Walsh, (U.K., 1982)

De Lorris, Guillaume, and De Meun, Jean, *The Romance of the Rose*, trans. Charles Dahlberg (Hanover, New Hampshire, 1983)

(B) (iii) (Religious) Modern Sources on Love in English and French:

Burckhardt, T., *Moorish Culture in Spain*, trans. Alisa Jaffa (New York, 1972)

Burckhardt, T., *Alchemy. Science of the Cosmos, Science of the Soul*, trans. William Stoddart (Dorset, U.K., 1986)

Chittick, William C., *The Sufi Path of Love: The Spiritual Teachings of Rumi*, (New York, 1983)

Coomaraswamy, A.K., *Traditional Art and Symbolism*, Volume I, ed. Roger Lipsey (Oxford, U.K., 1977)

Evola, Julius, *Eros and the Mysteries of Love*, (Rochester, Vermont, 1991)

Greeley, Andrew M. and Mary G. Durkin, *The Book of Love*, (New York, 2002)

Happold, F.C., *Mysticism: A Study and an Anthology*, (London, 1990)

Mahmutcehajic, Rusmir, *On Love in the Muslim Tradition*, (New York, 2007)

Schuon, Frithjof, *The Essential Writings of Frithjof Schuon*, ed. S.H.Nasr (New York, 1986)

Schuon, Frithjof, *Esoterism as Principle and Way*, (Kent, U.K., 1981)

Schuon, Frithjof, *Gnosis – Divine Wisdom*, (Middlesex, U.K., 1959)

Schuon, Frithjof, *Logic and Transcendence*, (London, 1975)

Schuon, Frithjof, *Roots of the Human Condition*, (Bloomington, Indiana, 1990)

Schuon, Frithjof, *Spiritual Perspectives and Human Facts*, (Middlesex, U.K., 1987)

Smith, Huston, *The World's Religions*, (New York, 1986)

Staveley, Lilian, *The Golden Fountain: On the Soul's Love for God*, (Bloomington, Indiana, 1982)

Underhill, Evelyn, *Mysticism*, (London, 1957)

Vaughn-Lee, Llewellyn, *The Paradoxes of Love*, (California, 1996)

Arthur Verslius, *The Mysteries of Love*, (Minn., USA, 1996)

Warren, Rick, *The Purpose Driven Life*, (Michigan, 2002)

The Way of a Pilgrim and The Pilgrim Continues his Way, trans. J.M.French (San Francisco, 1991)

(B) (iv) (Secular) Modern Sources on Love in English and French:

Bell, Joseph Norment, *Love Theory in Later Hanbalite Islam*, (New York, 1979)

Boase, Roger, *The Origin and Meaning of Courtly Love*, (Manchester, U.K., 1977)

Campbell, Joseph, *The Hero with a Thousand Faces*, (London, 1988)

D'Arcy, M.C., *The Mind and Heart of Love*, (London, 1954)

Dawkins, Richard, *The Selfish Gene*, (London, 1979)

Fisher, Helen E., *Anatomy of Love*, (New York, 1992)

Freud, Sigmund, *On Sexuality: Three Essays on the History of Sexuality and Other Works* trans. James Strachey (London, 1987)

Fromm, Erich, *The Art of Loving*, (New York, 1956)

Girard, René, *Deceit, Desire and the Novel*, trans. Yvonne Freccero (London, 1984)

Hazo, Robert G., *The Idea of Love* (New York, 1967)

Menocal, Maria Rosa, *The Arabic Role in Medieval Literary History*, (Philadelphia, 1990)

Morris, Desmond, *The Naked Ape*, (London, 1967)

Nygren, Anders, *Agape and Eros*, trans. P.S.Walton (London, 1953)

Parker, A.A., *The Philosophy of Love in Spanish Literature, 1480-1680*, (Edinburgh, 1985)

Peck, Scott M., *The Road Less Travelled: A New Psychology of Love, Traditional Values and Spiritual Growth* (New York, 1978)

Raglan, Lord Fitzroy, *The Hero*, (London, 1936)

Solovyev, Vladimir, *The Meaning of Love*, (London, 1945)

Singer, Irving, *The Nature of Love*, Volumes I-III, (Chicago, 1984)

Wolf, Naomi, *The Beauty Myth*, (New York, 1992)

٤٢. أقوال علماء الأمة في هذه الرسالة

قال العلماء في هذه الرسالة "الحب في القرآن الكريم" ما يلي:

"رسالة متميزة، جديرة بالثناء والتقدير: منهجاً ومضموناً ولغة".

مشرف الرسالة في جامعة الأزهر الشريف،

فضيلة الإمام الأكبر أ. د. أحمد محمد الطيب، شيخ الأزهر

"هي رسالة ذات طابع ... فلسفي، فوجَدْتُ فيها معاني ذوقية جميلة استنبطها المؤلف حفظه الله من الجمع بين الآيات في المواضيع التي طرقتها لعله لم يسبق إليها، ولكنها لم تُخالف ثوابت العقيدة الإسلامية".

المفتي العام للمملكة الأردنية الهاشمية سابقاً،

سماحة الشيخ أ. د. نوح علي سلمان القضاة

"فألفيته كتاباً غاص في أعماق الحقيقة واستخرج منها درها المكنون، إذ أخرج للناس ما كان عازباً عن إفهامهم من كون الحب له قداسة ومكانه في القرآن ... فقد أتيتم في مؤلفكم هذا بما لم يأت به من قبلكم، ولا غرو إذ الشيء من معدنه لا يُستغرب والدُّر إنما يجود به البحر الغزير، وحسبكم أنكم ارتقيتم بالحب إلى أوج الفضيلة، وقدّستموه من أن تدنسه الرذيلة بأدرانها، وهذا فضل يعترف به لكم من قرأ كتابكم وأجال فيه نظره".

مفتي عام سلطنة عمان،

معالي الشيخ أحمد بن حمد الخليلي

"في غمرة بحثي دون جدوى عنمن قد أهمه حديث الحبّ في كتاب الله فكتب

فيه أو تحدث عنه، تلقيت البشرى. وافاني البريد بما أبحث عنه: "الحب في القرآن" تأليف سمو الأمير غازي بن محمد بن طلال الهاشمي. تركت عندئذ كل ما أنا بصدهه وباشرت بقراءته. إن قيمة هذا الكتاب بل الموضوع لكبيرة كتابكم رائع أهنتك بالحب الذي دعاك إلى ما كتبت، ذاك الذي اتخذته دليلاً إلى معرفة الله والكون، ثم استقر بك المقام في محرابه. وأسأله سبحانه أن يجعل قلوبنا أوعية لحيه، حتى نؤخذ من أنفسنا إليه ونستدل به عليه".

عميد كلية الشريعة في جامعة دمشق،
فضيلة الشيخ أ.د. محمد سعيد رمضان البوطي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَأَنْبِئْنَا بِهِ حَدَائِقَ آدَمَ بَهْجَةً مَّا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تَنْبِئُوا شَجْرَهَا ﴾ (النمل، ٢٧: ٦٠)

﴿ فَأَنْبِئْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿١﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ (ق، ٥٠: ١-٩)

"رحلة في أعماق النفس، ميدانها بستان الحب، سقيت أصوله بماء الحكمة، امتدت فروعه في سماء المعرفة، أزهاره معطرة بأنفاس الشريعة، ثماره الجنية السعادة. عمل نافع، ترتيب رائع".

رئيس منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة،
معالي الشيخ أ.د. عبدالله بن محفوظ بن بيّه

"هذا الكتاب احتوى على وجه من أوجه الخطاب الرباني تحتاجه الأمة في هذا العصر يهدي إلى كريم التعامل ويمد جسور التواصل و يمهّد سبيل التكامل بمقتضى توجيهه علوي ومنهج سوي".

عميد دار المصطفى للدراسات الإسلامية، اليمن،

فضيلة الحبيب عمر بن محمد بن حفيظ

"وجدت أنه تأليف مبتكر أوضح معاني الحب وأنواعه وجزئياته وأسراره المستنبطة من القرآن الكريم وما يُمدح منه وما يُذمّ، ودرجات الحب بالنظر إلى من يتعلق به، والمآلات التي يؤدي إليها الحب، وكل ذلك بأسلوب بديع رائع. ونسأل الله سبحانه أن يقبل منه هذا الجهد ويقدر فيه النفع للبلاد والعباد".

نائب رئيس دار العلوم، كراتشي، باكستان،

فضيلة الشيخ محمد تقي العثماني

"إن من دواعي سعادتني أن الأستاذ الفاضل غازي بن محمد بن طلال، ذلك الرجل الذي تتجلى أسمى مفاخره في المخار نسبه إلى أهل بيت رسول الله ﷺ، قد شمر عن ساعد الجهد للبحث في هذا الموضوع في القرآن الكريم وخصص أطروحته في الدكتوراه في الأزهر الشريف بالقيام بدراسة حول هذا الموضوع. وقد تصدى لهذه المهمة بكل نجاح وجدارة وأضاف معطى قيماً إلى تراث الأدب الإسلامي من خلال إمعان النظر والاهتمام بأسس الحكمة في الإسلام".

سماحة آية الله أ.د. السيد مصطفى محقق الداماد،

الأستاذ في فرع القانون والفلسفة الإسلامية، جامعة الشهيد بهشتي، طهران؛

رئيس قسم الدراسات الإسلامية في مجمع العلوم، إيران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٦﴾
وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٧﴾
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٨﴾



مجلس حكماء المسلمين
Muslim Council of Elders

Love in the Holy Qur'an

H.R.H. Prince
Ghazi bin Muhammad
bin Talal al-Hashimi
Member of Muslim Council of Elders

